غسان شربل

العراق من حرب إلى حرب

صدّام مرّ من هنا



حازم جواد



صلاح عمر العلي



نزار الخزرجي



أحمد الجلبي

نسخة مجمّعة مما نُشِر في جريدة الحياة ضمن سلسلة يتذكر

العراق من حرب الى حرب

صدّام مرَّ من هنا

غسان شربل

٢٠١٠

نسخة مجمعة من جريدة الحياة

فهرس

نزار الخزرجي ٣٣٦

أحمد الجلبي ٤١٦

مقدمـــة

شعرت بشيء من القلق حين وقفت قرب جدار برلين المتداعي. كان الجدار حدود دولة وحدود امبراطورية. ألقت دولة الجدار بنفسها في أحضان الوطن الأم. وانسحبت الامبراطورية لتندحر وتنتحر. ومن الحطام السوفيتي ستولد روسيا وقياصرتها الجدد. وستفوز الولايات المتحدة بلقب القوة العظمى الوحيدة. وسيولد لها في بداية القرن الجديد أعداء جدد بلا عناوين معروفة. سيدمون رموز نجاحها وهيبتها وسترد بما يدمي أكثر من دولة ومنطقة.

بعد أربعة عشر عاماً شعرت بخوف عميق حين شاهدت، من بعيد، دبابة أميركية تقتلع تمثال صدام حسين ونظامه وتجول في شوارع بغداد. كان المشهد أكبر من القدرة على الاحتمال. فهذه بغداد، كائناً من كان حاكمها، لاسمها رنّة في تاريخ العرب والمسلمين. وهذا العراق، كائناً ما كان نظامه، شرايينه موصولة بشرايين المنطقة. مقلق حين يكون قوياً. ومخيف حين يستضعف أو يستباح.

يقول التاريخ إن ليس من عادة سيّد بغداد أن يتقاعد. خياراته محدودة: القصر أو القبر. عليه أن يستعد دائماً لغزو مدمّر. شهيّات الامبراطوريات المحيطة مفتوحة. وعليه أن يتنبه لمكائد الداخل ومكائد الخارج. طعنة غادرة. أو لسعة سمّ. أو خروج منقذ ناقم من عتمات الثكن. وفي هذا السياق يبدو صدام حسين ابناً شرعياً لهذا النهر من القساة. طبيعياً في صعوده حتى التسلط المطلق، وطبيعياً في نهايته معلّقاً وسط صيحات الثأر.

لا العراق بلد عادي عابر في تاريخ المنطقة .. ولا صدام حاكم عادي في تاريخ العراق الحديث. لهذا كان مشهد الدبابة الأميركية مخيفاً. نجحت أوروبا الغربية المستقرة في احتواء سقوط جدار برلين. فشل الشرق الأوسط الهش والمضطرب في احتواء سقوط جدار صدام حسين. وبدا باكراً أن اقتلاع التمثال يعني اقتلاع أشياء كثيرة. معادلات وتوازنات. بعده لن يكون العراق ما عرفناه. سيتدفق النفوذ الإيراني عبر البوابة الشرقية للعالم العربي. سيحجز ورثة الإمام الخميني موقعاً لبلادهم على المتوسط وستنهمر صواريخ حلفائهم على إسرائيل من جنوب لبنان وبعده من غزة. تركيا أيضاً لن تكون تركيا السابقة. سقط الضلع العربي من المثلث الإيراني . العراقي . التركي. ولا بد من الانتظار طويلاً لمعرفة ما إذا كانت عودة هذا الضلع العربي واردة. كان نظام صدام من ركائز نظام الأمن العربي على رغم مغامراته وتهوراته. بعد سقوطه ستضطرب علاقات العراقيين بالعراقيين وسترشح دماً. علاقات السنّة بالشيعة. وعلاقات العرب بالأكراد. وللمرة الأولى سيكون لإقليم كردستان علم ونشيد ورئيس اسمه مسعود برزاني بكل ما يثيره الاسم من مشاهد وذكريات. وسيفيض الخلاف السنّي - الشيعي لاحقاً عن حدود العراق، خصوصاً حين سيشعر العرب بإرهاصات ولادة شرق أوسط جديد من الفشل الأميركي في العراق. منطقة من أربعة لاعبين هم إيران وتركيا وإسرائيل والعرب. وليس سراً أن اللاعب الرابع هو الأضعف.

أربعة مشاهد هزّت المنطقة في حفنة أعوام وتركت بصماتها على العلاقات بين دول وشعوب وتنظيمات واتجاهات: المشهد الأول مشهد الدبابة الأميركية تجول منتصرة في عاصمة الرشيد. المشهد الثاني صورة رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري يسقط بفعل عملية اغتيال انتحارية اغتالت أيضاً حقبة من العلاقات اللبنانية - السورية وحقبة من العلاقات اللبنانية - اللبنانية. والمشهد الثالث عجز إسرائيل عن تأديب

«حزب الله» اللبناني وعن وقف انهمار صواريخه «الإيرانية»على مدنها. والمشهد الرابع إسرائيل تشن عدواناً مجنوناً على غزة تحتفظ «حماس» بعد توقفه بقدرتها على إطلاق الصواريخ وبمأزقها منذ نجاحها في طرد السلطة الفلسطينية و{فتح» من القطاع.

لم تعارض إيران قيام الآلة العسكرية الأميركية بسحق نظام طالبان المعادي لها في أفغانستان. ولم تعارض مغامرة جورج بوش العراقية، ويمكن القول إنها سهّلتها حين سمحت للقوى الشيعية العراقية الحليفة لها بالانضواء في معارضة سعت واشنطن إلى لحم أجزائها الشيعية والكردية تمهيداً للغزو. لكن إيران سرعان ما شعرت بوطأة وجود القوات الأميركية قرب حدودها، ومن جهتين، فبدأت معركة استنزاف المشروع الذي حمله الغزو. سوريا انتابها القلق أيضاً. وهكذا تدفق الانتحاريون إلى العراق يُسعفهم التخبط الأميركي الذي بدأ بقرار الحاكم المدني الأميركي بول بريمر حل الجيش العراقي. مشهد اقتلاع نظام صدام أطلق المخاوف والتوترات وأطاح توازنات وصمامات أمان. وعلى خلفية ذلك المشهد حدثت المشاهد اللاحقة. وللمؤرخين لاحقاً أن يتحدثوا عن الترابط بين المشاهد أو بعضها.

قبل المشاهد الأربعة هذه استوقفتني مشاهد عراقية. بعد اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ أوفدتني «النهار» اللبنانية لتغطية التطورات. نظمت السلطات العراقية رحلة للصحافيين إلى بلدة مهران الإيرانية الحدودية فور سقوطها في يد القوات العراقية التي اجتازت خط الحدود الدولية. رأيت جنديين عراقيين يصطحبان عجوزاً إيرانياً إلى مكان آمن واستوقفني الخوف العميق المسيطر على ملامحه. وسألت نفسي ليلاً عن موعد الثأر الإيراني لا سيما بعد أن أطلق العراق

على الحرب تسمية «قادسية صدام»، في نبش صريح لجروح المواجهات بين العرب والفرس.

المشهد الثاني كان مجيء صدام حسين بالبزة العسكرية لعقد مؤتمر صحفي. كان الشعور بالقوة يفيض من عينيه وابتسامته. فقد توغل جيش البعث في لحم إيران المقيمة في عهدة نظام «الثورة الإسلامية». ورحت أفكر في استحالة رضوخ آية الله الخميني الذي لن يتردد بعد ثمانية أعوام في تشبيه قبول وقف النار مع صدام بتجرع كأس السم. وحين سأل أحد الصحافيين الرئيس العراقي عن مستقبل إيران ردّ بأن الأمر تقرره «الشعوب الإيرانية». وبدا صدام حسين كمن يحلم بتفكيك إيران وشطب هذا الخطر مرة واحدة.

المشهد الثالث إبان حرب المدن. بث التلفزيون العراقي صورة للرئيس القائد يأمر بتجهيز القوة الصاروخية لإمطار المدن الإيرانية.

المشهد الرابع كان حين توافدنا لتغطية أعمال القمة العربية في بغداد في أيار (مايو) ١٩٩٠ صافح صدام ضيوفه وعانقهم. وظهر جلياً في خطواته زهو «الانتصار». ولم يكن ليرضى بأقل من شطب الديون التي رتبتها الحرب على بلاده والاعتراف له بالزعامة العربية وبالموقع الأبرز في الإقليم. تصرّف وكأنه دافع عن العراق ودول الخليج في آن. وتحدث بوصفه «حارس البوابة الشرقية» للعالم العربي. كان بين الحاضرين أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح الذي وعده صدام بتلبية دعوته وستكون الزيارة باهظة للعراق والمنطقة. باجتياحه الكويت قامر صدام بنظامه وشخصه. اصطدم بالإرادة الدولية التي نبذته وعاقبته. اقتلع التحالف الدولي عبر «عاصفة الصحراء» أنياب ترسانته لكن بقي له منها ما يكفي لسحق انتفاضتي الشيعة والأكراد. أقام سيد بغداد جريحاً يناور ويداور للالتفاف على الحصار والعقوبات التي آلمت العراقيين أكثر بكثير مما آلمت

الحاكم المتحكم. وفي العقد التالي ستجيئه الطعنة القاتلة من حيث لا يدري. أطلق أسامة بن لادن «غزوتي نيويورك وواشنطن» واختارت إدارة بوش اقتلاع نظام صدام متكئة على ذرائع سيتضح بطلانها لكن بعد فوات الأوان.

* * *

باكراً رن جرس الهاتف في منزل الفريق أول الركن نزار الخزرجي رئيس أركان الجيش العراقي. إنه الثاني من آب ١٩٩٠ سارع إلى مقر القيادة العامة فاستقبله سكرتيرها العام الفريق علاء الجنابي بجملة قصيرة قاتلة هي «أكملنا احتلال الكويت». شمّ الخزرجي رائحة الكارثة وشعر بالإهانة. بعد قليل وصل وزير الدفاع عبدالجبار شنشل فعاجله الجنابي بالجملة نفسها. هذا يحدث في العراق وحده. يجتاح الجيش بلداً مجاوراً من دون معرفة رئيس الأركان ووزير الدفاع. لم يكن الاعتراض وارداً، ففي جمهورية صدام حسين لا تجرؤ سبابة على الارتفاع.

بعد أيام سيأتي من يأخذ الرجلين للقاء «السيد الرئيس» وكالعادة يبقى مكان اللقاء سراً. أُدخلا إلى كارافان (مقطورة) في منطقة الرضوانية ثم جاء صدام. تذرع بأنه أراد الاحتفاظ بعامل المفاجأة، ولم يتردد في القول إنه «حرّر الكويت» بالوحدات التابعة له مباشرة.

لم تظهر عليه أمارات الابتهاج. كانت ردود الفعل الدولية شديدة. صار الرجل مطلوباً كأن مذكرة اعتقال أو اغتيال صدرت بحقه. باستثناء مرافقيه المقرّبين، لن يعرف أحد، بمن فيهم رئيس الأركان، أين سيمضي ليلته وفي أي غرفة سينام. وسيزداد تعلقاً بمسدسه وبالعيش السري الذي أدمنه.

هذا ما رواه لي الخزرجي في قرية سوغو الدانمركية في ليلة مثلجة. قال إن صدام تولّى شخصياً التخطيط لغزو الكويت بحضور صهره حسين كامل وقريبه علي حسن المجيد الملقّب بـ «الكيماوي» وكشف أن تقريراً من الأخير كان وراء قرار صدام توجيه «ضربة خاصة» أدت إلى إغراق حلبجة في مجزرة تقشعر لها الأبدان. وأكد أن صدام كان معجباً بتجربة الزعيم السوفيتي جوزف ستالين وأنه ربما كان يعتقد نفسه القائد الأبرز بعد صلاح الدين.

بعد شهرين من توليه الرئاسة شارك صدام حسين في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩ في قمة لحركة عدم الانحياز عقدت في هافانا. استقبل في مقر إقامته وزير خارجية إيران الدكتور ابراهيم يزدي الذي عيّن في هذا المنصب بعد انتصار «الثورة الاسلامية». كان صلاح عمر العلي مندوب العراق لدى الأمم المتحدة حاضراً. وصلاح رفيق قديم لصدام. كان إلى جانبه ساعة الاستيلاء على القصر في ١٧(يوليو) ١٩٦٨ وكان بعد ذلك النهار عضواً في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث.

كان اللقاء «بنّاء وإيجابياً» في الظاهر. خرج بعده صدام إلى الحديقة وتبعه صلاح الذي حاول تشجيع الرئيس على تحسين العلاقات مع إيران الخميني رغم ما تثيره من حساسيات ومخاوف. فجأة قال صدام «يا صلاح انتبه. هذه الفرصة قد لا تتاح مرة كل مائة سنة. الفرصة متاحة اليوم. سنكسر رؤوس الإيرانيين وسنعيد كل شبر احتلوه. وسنعيد شط العرب».

حدّق صلاح مذهولاً. فأضاف صدام «هذا الكلام عن حل سلمي وإنساني وتصفية المشاكل مع إيران لا أريده أن يتكرر على لسانك إطلاقاً. حضّر نفسك في الأمم المتحدة. اسمع ما أقوله لك. سأكسر رؤوس الإيرانيين وأُرجع كل شبر من المحمرة إلى شط العرب».

بعد عام على حديث هافانا ستندلع الحرب العراقية الإيرانية متسببة في سقوط مئات آلاف القتلى وكوارث إنسانية ومالية. ولدى توقفها بعد ثمانية أعوام لن يخفي الزعيم العراقي بهجته: «عشت حتى سمعت الخميني يتحدث عن تجرع السم وقبول وقف النار». لكن الخارج «منتصراً» من «قادسية صدام» والمبتهج بلقب «حارس البوابة الشرقية» لن يتأخر في تنفيذ عملية انتحارية هي غزو الكويت.

هذا ما سمعته من صلاح عمر العلي الذي روى أيضاً قصة دخوله مع صدام مسلحين بالرشاشات إلى مكتب الرئيس أحمد حسن البكر للتخلص من رئيس الوزراء العابر عبد الرزاق النايف في ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٦٨ اقتاد صدام النايف من القصر إلى المطار ودفعه إلى المنفى. وبعد عشرة أعوام نجحت رصاصة صدام في العثور على النايف في لندن ودفعته إلى القبر.

في بداية السبعينات أعلنت بغداد كشف مؤامرة تدعمها ايران لاطاحة نظام البعث وأعدمت عشرات الضباط. رجلان اتهما بالوقوف وراء المؤامرة العقيد عبدالغني الراوي وعبدالرزاق النايف. وساد الاعتقاد لعقود بأن المؤامرة صناعة بعثية. زرت عائلة النايف في عمان وفتشت في الحقائب التي تركها وأوراقه فتبيّن لي أن النايف اكتشف باكراً أن صدام اخترق المجموعة المتآمرة فغادر طهران قبل موعد التنفيذ. وعثرت في الرياض على الراوي وسألته عن المؤامرة فردّ باعطائي مفكرته القديمة وهي تظهر أنه عقد لقاء مع الشاه محمد رضا بهلوي في سياق التخطيط لاطاحة البعث وأن دولة تبرعت بعشرة ملايين دولار لتمويلها.

لم ينسَ صدام تلك المحاولة الايرانية لاطاحة نظام البعث. ولم ينسَ أن القتال ضد الأكراد أرغمه في ١٩٧٥، بوساطة من الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، على التوقيع مع الشاه محمد رضا بهلوي على

اتفاق الجزائر. لن يقبل صدام أن يكتب التاريخ أنه تنازل عن شبر من أرض العراق لانقاذ النظام. وسينفذ لاحقاً ما جاء في حديثه في هافانا

اننا الآن في عام ١٩٥٩ وحدها الصدفة أدت الى اشراك شاب نحيل اسمه صدام حسين في فريق كلّف باغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم. صاحب القرار أول أمين سر للقيادة القطرية في البعث العراقي فؤاد الركابي، وأغلب الظن أن أجهزة جمال عبدالناصر كانت على علم بالموضوع. فشلت المحاولة وأصيب صدام بشظية. فرّ الركابي وبعض أعضاء القيادة الى دمشق وكان بينهم حازم جواد وعلي صالح السعدي. في دمشق قلق الركابي على مصير صدام. راح يسأل عنه حين تأخر. ولدى وصوله اقترح تكريمه. حفل متواضع وقالب حلوى. كان صدام مجرد نصير فتقرر قبوله عضواً أصيلاً. وقف في دمشق وأدى اليمين أمام الركابي.

في بداية السبعينات ستكتمل فصول القصة. كان الركابي يستعد لمغادرة السجن خلال أيام بعدما ذاق فيه من الاذلال والتعذيب ما لا يطيق سجين احتماله. فجأة أدخلت أجهزة صدام الى السجن من زعمت أنه مجرم عادي. أرسل المجرم في مهمة محددة. استفز الركابي وافتعل معه شجاراً. أخرج سكيناً وذبحه من الوريد الى الوريد. ولم يكن أمام حازم جواد غير تسلّم جثة قريبه لمواراتها.

هذا ما رواه لي حازم جواد حين وافق على طي أربعة عقود من الصمت. كانت المرارات بادية في حديثه هو الذي قاد الحزب الى السلطة في ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ وأذاع البيان الرقم واحد وأرسل من يأتي بضابط شهير اسمه عبدالسلام عارف لن يتأخر في ازاحة البعث لينفرد بالسلطة.

لم يكن لصدام حسين دور بارز في تلك الأيام. لكن ذلك الفشل سيضاعف حظوظه في الصعود الى القيادة الحزبية بدعم من القائد

المؤسس ميشيل عفلق وستقوم بين الرجلين لاحقاً علاقة حميمة وغريبة. وحين عاد البعث الى السلطة في ١٩٦٨ كان قرار صدام القاطع منع تكرار تجربة خسارة السلطة واقتلاع أي خطر عليها قبل استفحاله في الحزب أو الجيش أو خارجهما.

اطاحة البعث وصدام حلم قديم راود أحمد الجلبي الذي كانت عائلته جزءاً من المشهد السياسي في العراق قبل ثورة ١٩٥٨. نتائجه اللامعة في أرقى الجامعات الأميركية لم تشبع طموحاته، فأرقام الرياضيات لا تشفي غليل من يشتهي ما هو أكثر. بدا الحلم بعيد المنال. في الحرب العراقية ـ الايرانية ظهر صدام في صورة من يدافع عن الاقليم في وجه أحلام الخميني بـ«تصدير الثورة». ارتاحت واشنطن الى رغبة صدام في عدم الوقوع تحت تأثير موسكو رغم معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة بين البلدين. لم تدعم الرئيس العراقي لتوجيه ضربة قاصمة الى ايران. لكنها تدخلت لاحقاً بما يكفي لمنع طهران من تسديد مثل هذه الضربة الى النظام العراقي. حصل صدام على صور جوية أميركية لتجمعات القوات الايرانية وعلى تسهيلات مالية وتجارية.

عندما ارتكب صدام خطيئة غزو الكويت تجددت أحلام الجلبي. حاول قطع الشرايين المالية التي تغذي نظام البعث وتحميه من الاختناق. واستنتج أن مستقبل النظام يتقرر في أميركا بعدما فشلت المعارضة الشيعية والكردية في اطاحته.

تسلل الجلبي الى مراكز الأبحاث والدراسات وأروقة الكونغرس وكذلك الى دهاليز الـ«سي. اي. اي» وممرات وزارة الدفاع. انغمس في العمل في أميركا ولم تغب ايران عن باله. تطلع الى جمع المعارضتين الشيعية والكردية تحت سقف واحد لاقناع واشنطن بأن البديل موجود. ساهمت التوترات بين النظام العراقي وفرق التفتيش الدولية في تسهيل مهمة الجلبي. وتولت

ماكينة اعلامية هائلة تصوير صدام كأنه الخطر الكبير على الاقليم والعالم.

لم يكن صدور «قانون تحرير العراق» عن الكونغرس الأميركي، الذي يحمل بصمات الجلبي، كافياً. ثمة رجل سيمهد الطريق من دون أن يدري لقتل نظام صدام حسين. انه أسامة بن لادن. فبعد هجمات ١١سبتمبر ٢٠٠١ بدأ الهمس في غرف أميركية ضيقة عن «خطر صدام حسين». مطبخ بارع أعد الوجبة للرأي العام الأميركي: أسلحة الدمار الشامل وانتهاك القوانين الدولية والعلاقة بالارهاب والدكتاتورية والتعذيب وحلبجة.

ابتهجت ايران باسقاط الجيش الأميركي نظام طالبان في أفغانستان كما ابتهجت بتوجه أميركا نحو اقتلاع عدوها اللدود في بغداد. أدرك الجلبي لقاء المصالح وحين اقتلعت دبابة أميركية تمثال الرئيس ونظامه، تدفق المقاتلون العراقيون من المنفى الايراني الى بلاد شطب بول بريمر جيشها من الوجود.

هذا ما رواه لي الدكتور أحمد الجلبي حين وافق للمرة الأولى على الحديث عن الرحلة الطويلة التي مكنت جورج بوش من ارتكاب مغامرة ستدمي العراق والمنطقة وتفتح الباب أمام ايران للمطالبة بزعامة الاقليم.

ذاكرة حامد الجبوري مثقلة بالروايات. شاهد كثيراً وسمع كثيراً. والسبب بسيط: تولى ادارة مكتب «الأب القائد» ثم ادارة مكتب السيد النائب وحقيبة الاعلام ووزارة الدولة للشؤون الخارجية.

قال الجبوري ان العاهل الأردني الراحل الملك حسين صعد مع صدام في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ الى دبابة قرب الحدود مع ايران وبارك الحرب باطلاق

قذيفة من الدبابة. وجدت صعوبة في تصديق الرواية لكنه أصر عليها. وأضاف أنه تسلم شخصياً من سفير عربي في بغداد صوراً التقطتها أقمار التجسس الأميركية للحشود الايرانية.

وروى أنه كان حاضراً لدى استقبال صدام وزير الخارجية الاماراتي راشد عبدالله النعيمي وسط مؤشرات الى ميل الدول الخليجية الى تقليص مساهمتها في تمويل الحرب ضد ايران. قال الجبوري ان صدام خاطب النعيمي قائلاً: «سلم على... وقل له... لا أريد نقل العبارة بحرفيتها لأنها غير لائقة وهي تتحدث عما كان يمكن أن تفعله ايران بالامارات ودول أخرى لولا وجود صدام».

استقبل صدام السفراء العراقيين المعتمدين في الخارج. قال سفير العراق لدى الكويت انه طالب وزير الدفاع الكويتي بأن تتوقف الزوارق الكويتية عن انتهاك المياه الاقليمية العراقية لكنه لم يأخذ التحذير على محمل الجد. غضب صدام وخاطب السفير قائلاً «ترجع غداً الى الكويت بلا تأخير. تذهب فوراً الى صباح الأحمد (وزير الخارجية) وتقول له ان صدام يقول لك (...) وأن العصفور الذي يخترق أجواء العراق نقص ذيله». كان الكلام عنيفاً وجارحاً.

كان الجبوري وزيراً للاعلام حين ترأس صدام اجتماعاً اعلامياً حرص خلاله على انتقاده. توجه الى القصر وأبلغ البكر أنه ينوي الاستقالة. نهض البكر وأشار الى الكرسي التي كان جالساً عليها وقال «أبول على هذه الكرسي، كرسي رئاسة الجمهورية التي لا تحفظ حتى كرامة الرئيس» وراح البكر يخاطب نفسه «آخ أبو هيثم شلون تقبل تصير رئيس جمهورية، شلون تقبل تدخل بحزبهم». عاد البكر الى كرسيه وظهرت الدموع في عينيه وقال: «الاستقالة شيلها من ذهنك. ليس باستطاعتي

قبول استقالتك، من يقبل استقالتي أنا. نحن أسرى ولا نملك حق الاستقالة».

استقبل البكر بعد توليه الرئاسة وفداً من بغداد فاجأه بالسؤال عن أسباب قتل الشيخ عبدالعزيز البدري الذي كان صديقاً له. لم يكن البكر على علم بالحادثة. وبعد مغادرة الوفد طلب من الجبوري «قل لصدام هذا الجالس مع ربعه في آخر الممر أن يعطوني خبراً على الأقل». في مكتب العلاقات العامة في آخر الممر وبرئاسة صدام كان يجلس أيضاً رجال قساة هم ناظم كزار وسعدون شاكر وعلي رضا باوه ومحمد فاضل وكان هذا المكتب نواة أجهزة الاستخبارات البعثية لاحقاً. نقل الجبوري الرسالة الى صدام فحدق به ولم يعلق.

استقبل صدام، في حضور الجبوري، مبعوثاً للرئيس الشاذلي بن جديد يحمل ملفاً أوجز خلاصته. قال ان التحقيق الذي أجرته بلاده أكد أن الصاروخ الذي أسقط طائرة وزير خارجيتها محمد بن يحيى، الذي كان يحاول وقف الحرب العراقية ـ الايرانية، كان عراقياً. وأضاف أن جزءاً من حطام الصاروخ عثر عليه في ايران وأن السوفيت أكدوا أنهم سلموا هذه الصواريخ الى العراق. تسلم صدام الملف ولم يعتذر ولم يعلق.

يقول الجبوري إن صدام أقام علاقة حميمة مع الملك حسين وكان يناديه «ابن العم» وكان يكره الرئيس السوري حافظ الأسد ويتهكم على العقيد معمر القذافي مردداً «من هو هذا القذافي؟». لم يكن صدام يحب السوفيت. ذات مساء قال للجبوري: مؤامرة ١٩٧٣ مؤامرة كاظم كزار ومؤامرة ١٩٧٩ وراءهما جهاز الـ«كي. جي. بي» السوفيتي وقد شاركت سوريا في الثانية.

الجملة التي لا ينساها الجبوري هي تلك التي سمعها من العاهل المغربي الملك الحسن الثاني في قصر الصخيرات حين قال الملك «بصراحة إذا حضر صدام نبدو كأن على رؤوسنا الطير» وصدور مثل هذا الكلام عن الحسن الثاني ليس بسيطاً.

* * *

كان الغرض مجرد الابتعاد عن لبنان الغارق في حرب أهلية وإقليمية. الابتعاد ولو لبضعة أسابيع. اقترح قريبي وصديقي أن نذهب إلى العراق فلم أمانع. كنا في أول العشرينات وكان لدينا من الوقت ما يكفي لتبديده. عرف صديقي المحامي والكاتب فايز قزي بمشروع الرحلة. طلب مني أن أبلغ تحياته إلى صديقه العراقي وأعطاني رقم هاتفه. كان اسمه علي صالح السعدي. القائد البعثي الشجاع الصاخب المتهور الذي لمع اسمه حين استولى البعث على السلطة في ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣.

وسريعاً سيضيق صدر الرفاق برفيقهم الذي تحوّل وزيراً من دون التنازل عن مبالغات المعارض ومن دون التنازل عن الإسراف في حب الحياة والعيش. افتقار البعثيين إلى الخبرة وقسوتهم المفرطة بحق الشيوعيين سهّلا لعبدالسلام عارف، العسكري الذي شارك عبدالكريم قاسم في صنع ثورة ١٤ تموز(يوليو) ١٩٥٨، الانقضاض على الشريك البعثي والتفرد بالسلطة، خصوصاً بعدما ضاق عسكريو البعث ذرعاً بمراهقة المدنيين فيه.

أعطاني السعدي موعداً مسائياً في منزله في حي المنصور. حاولت الإيحاء أنني جئت لتناول القهوة فرد بلهجة حاسمة «نحن لا نستقبل ضيوفنا بهذه الطريقة» واسترسل في شرح علاقته بلبنان واللبنانيين وبيروت ومقاهيها ولياليها. وشاءت الصدفة أن ينعقد خيط الود سريعاً فراح

يتصل بي يومياً وتكررت اللقاءات الليلية التي كانت فرصة لي للإطلالة على منجم الأهوال العراقي الذي سيزداد ثراء لاحقاً في ظل صدام حسين.

سعى السعدي إلى تبديد قلقي من احتمال تعرضي لإزعاجات بسبب تكرار اللقاءات وبعضها كان في نادي المنصور. قال «لا تقلق لم أعد أقلق أحداً. ولا يريدون قتلي فهم يعرفون أنني أنوب عنهم في هذه المهمة» وكان يشير إلى إفراطه اليومي في الشراب على الرغم من خضوعه لجراحة في القلب. وروى أن سيارة حاولت دهسه ذات يوم لكنها أخطأته. وأن رجال الاستخبارات كانوا يحصون أنفاسه. وأن أحدهم لحق به ذات يوم إلى دكان الحلاق. وقال: «نظرت إلى الضابط الشاب الذي دخل وجلس وقلت له، ابن... هل تمنعون المواطن من قص شعره. سأحطم رأسك بالقندرة. سارع الشاب إلى المغادرة».

قال السعدي «أنت شاب فلا تصدق ما تسمع. حكاية الأب القائد هذه كذبة اخترعها صدام لطمأنة أحمد حسن البكر. إنه يحتاج إليه كغطاء بسبب افتقاره إلى الشرعية في الحزب والجيش والبلد. حين يستكمل خطواته لتطويع الجيش والحزب سيرميه خارجاً كثمرة مهترئة. سيكون البكر محظوظاً إذا اكتفى صدام بدفعه إلى خارج القصر من دون قتله بالسم أو غيره. وأضاف «ليس من عادة العراق أن يتسع لرجلين. نحن بلاد الرجل الواحد. لم يتسع العراق لعبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف. أصيب الأول سريعاً بجنون السلطة. الزعيم الأوحد. تنكر لرفيقه في الثورة. نزع صلاحياته وحاصره. أذله ونفاه وسجنه. الرحمة ليست عادة عراقية».

ينظر إلى الكأس ويعيد تجهيزه ويتابع «عارف كان عصبياً وانفعالياً وثرثاراً. كان عاشق سلطة ومتهوراً. حين استولينا على السلطة اقتيد عبدالكريم قاسم المهزوم إلى دار الإذاعة. كانت الشماتة تفيض من عيني عارف. لم

يرحم رفيقه في الثورة. نظر إليه باستهزاء وحاول أن ينتزع منه اعترافات حول دوره في ١٩٥٨ يريده أن يقر بأن عارف كتب البيان. فضّل عبدالكريم قاسم الموت على تقديم مثل هذه الهدايا لعبدالسلام. أنا لا أقول إنني كنت بريئاً أو رحيماً. أنا أيضاً من عجينة القساة». وقال «صدقنا الشعارات وقتلنا البلد وربما الأمة. كان سلوكنا صبيانياً ولم نعرف معنى السلطة والدولة والمؤسسات. غرقنا في أحقادنا ومخاوفنا. غرق الشيوعيون في دمنا وغرقنا في دمهم».

فجأة توقف عن الكلام وراح يضرب يده بعصبية على رجله. كان الوقت قريباً من منتصف الليل. نهض الرجل متثاقلاً لتغيير الأسطوانة. ولم يكن آخر ما يريد سماعه غير ترتيلة بصوت فيروز عن صلب المسيح تقول فيها «أنا الأم الحزينة وما من يعزيها...» بدا واضحاً أن ذاكرة السعدي تعذبه وأن ذاكرة العراق تعذبه أيضاً.

لم يكن الماضي وحده ما يقلقه فقد كان يخشى أهوال الآتي. قال «كل ما رأيناه ليس شيئاً أمام ما سنراه حين سيكمل صدام بسط سلطته ويصبح الزعيم الأوحد. أنا أعرف هذا الرجل، سيقود البلد الى الهاوية.. جائع الى السلطة ولا يقبل شريكاً. لا يقبل بأقل من أن يكون الآمر الناهي. يريد أن يكون زعيم العراق وزعيم الأمة لكن بالبطش والبلطجة. عقدة جمال عبدالناصر تلازمه مذ فرّ الى القاهرة وأقام فيها طالباً. متآمر يعرف اخفاء مشاعره ويسدد ضرباته بلا رحمة. يريد أن يثأر من طفولته وظروفه العائلية. معه سيغرق العراق في الدم. ومن يدري فقد تغرق المنطقة أيضاً».

أرشدني كلام السعدي الى منجم الآلام العراقي. لكن رغبتي الفعلية في استكشاف هذا المنجم لن تبدأ الا بعد عقدين. تحوّل السؤال عن صدام حسين جزءاً ثابتاً من اهتماماتي. لهذا السبب التقيت في دمشق عزيز

محمد السكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي. استمعت منه الى قصة الشيوعيين العراقيين. روى أشياء كثيرة بينها أن ناظم كزار مدير الأمن العام في السنوات الأولى من عهد البكر - صدام كان يأكل الكباب ورجله تضغط على عنق سجين يحتضر.

وبين كردستان العراق وعواصم عربية واوروبية استمعت الى روايات الرئيس جلال طالباني ورئيس اقليم كردستان مسعود برزاني والفريق أول ابراهيم الداوود وزير الدفاع العابر الذي أُبعد بالتزامن مع ابعاد النايف. استمعت الى عبد الغني الراوي وعشرات العسكريين والمدنيين. كنت أسأل عن صدام وعن عراق صدام.

لم يكن الغرض محاكمة صدام. تجريمه أو تبرئته. استوقفتني قصة الرجل التي انتهت بمأساة له ولعائلته وبلاده والمنطقة. لم يكن هناك ما يرشح الطفل الذي ولد في ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٣٧ لمثل هذا الدور. لم يجد في استقباله غير أمه والفقر واليتم. عطف خاله الضابط المتقاعد خير الله طلفاح مكّنه من التوجه متأخراً الى المدرسة في تكريت وبعدها في بغداد. باكراً سيجرّب صدام السجن. حفنة شهور انتهت بالافراج عنه لنقص الأدلة في جريمة اغتيال استهدفت تكريتياً ذا ميول شيوعية وقيل ان الخال كان المحرض.

بعدها سيتدخل القدر.. محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم والفرار الى دمشق ومنها الى القاهرة. عاد صدام الى بغداد بعد استيلاء البعث على السلطة في ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ واثر نجاح عبدالسلام عارف في ازاحة البعث بعد تسعة أشهر سينتقل الى العمل السرّي وسيدخل السجن ليفرّ منه لاحقاً بعدما عُيّن في القيادة القطرية اثر نجاحه في الفوز باهتمام «القائد المؤسس» للبعث ميشيل عفلق.

الأحداث التي أعقبت عودة البعث الى السلطة تحمل بصماته. اتفاق الحكم الذاتي مع الملا مصطفى برزاني ومحاولة اغتيال الأخير بعده. قرار تأميم النفط ومعاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي. حملة محو الأمية. انهاء حركة ناظم كزار. القتال مع الأكراد واتفاق الجزائر مع شاه ايران. وفي ظل البكر كان يواصل تطويع الجيش والحزب وشطب المشكوك في ولائهم الى أن حانت في ١٦تموز (يوليو) ١٩٧٩ساعة استقالة البكر. بدأ عهد صدام بوليمة حزبية دامية، وسينتهي العهد في ٩ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣، وسينتهي الرجل لاحقاً على حبل المشنقة. خسر نظامه وولديه عديّ وقصيّ وحفيده وتبددت عائلته ثم خسر كل شيء..

كان الغرض من المحطات العراقية في سلسلة »يتذكر« اشراك القراء في ما يعيشه العراق مع تسليط الضوء على الظروف التي سهّلت قيام نظام صدام حسين. لم يكن هاجس الكتاب حاضراً . لكنني حين عدت الى أوراقي قبل شهور شعرت أن جمع بعض هذه الشهادات قد يكون مفيداً لمن سيتولى لاحقاً تأريخ تلك المرحلة. انها شهادة من داخل المؤسسة العسكرية على لسان الخزرجي، ومن المؤسسة البعثية على لسان صلا ح عمر العلي، وشهادة من العدوّ الأول لصدام واسمه أحمد الجلبي. أما حازم جواد صاحب التجربة الثمينة في ١٩٦٣ فقد اكتفيت من ذكرياته الغنية بما يتعلق هنا بموضوع الكتاب وهو صدام.

غسان شربل - 2010

حازم جواد

الرجل الذي قاد البعث العراقي إلى السلطة في ١٩٦٣ يكسر عقوداً من الصمت ويفتح
خزنة أسراره عبر سلسلة نشرت في جريدة الحياة في ٢٠٠٤

ولد حازم جواد في أيار مايو ١٩٣٦ في مدينة الناصرية جنوب الفرات الأوسط في عائلة تنتمي إلى عشيرة بني عارض، أو العارضيات، التي شاركت في الثورة العراقية الأولى عام ١٩٢٠ وقدمت شهداء بينهم اثنان من أعمامه. كانت السياسة جزءاً من الهم اليومي للعائلة بمن فيهم والدته فخرية التي كانت ترحب بزائرين توزعوا لاحقاً في مواقع القرار، ومنهم عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر وعلي صالح السعدي، فضلاً عن شاب نحيل مهذب اسمه صدام حسين.

اجتذبت كتابات ميشال عفلق، مؤسس حزب "البعث"، الشاب الصغير الذي انتسب إلى الحزب في انتفاضة ١٩٥٢ ليوكل إليه الحزب بعد أربع سنوات قيادة فعاليات انتفاضة ١٩٥٦.

اعتقل أربع مرات في العهد الملكي، لكنه سيدخل أيضاً سجن نظام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. اعتقله نظام عبد الكريم قاسم في تشرين الثاني ١٩٥٨، لكنه فرّ في أواخر كانون الثاني يناير ١٩٥٩ إلى سورية. عاد إلى العراق في نهاية أيلول سبتمبر ١٩٥٩، لكنه سيغادره سراً بعد أسابيع إثر قيام الحزب بمحاولة لاغتيال قاسم في ٧ تشرين الأول. وغداة صدور الحكم على المشاركين في المحاولة تسلل إلى العراق، آتياً من سورية، بعدما كلفته القيادة القومية وقيادة القطر العراقي الموجودة في دمشق قيادة الحزب في العراق وإعادة بنائه. وبعد شهرين انحلت القيادة العراقية في دمشق وصارت القيادة الموجودة في العراق قيادة قطرية وحازم جواد أمين سر لها.

في أواخر ١٩٦٠ اعتقل جواد مجدداً ليفرج عنه في نهاية ١٩٦١ بعدما أصدر قاسم عفواً عن عبدالسلام عارف. خلال وجوده في السجن تولى علي صالح السعدي قيادة الحزب. وبعد خروجه سيعيش الحزب في ظل صيغة غامضة، لكن في ١٩٦٢ سيمسك جواد بأبرز المواقع وسيقود

الحزب إلى السلطة في ٨ شباط ١٩٦٣ وهي الحركة التي سميت "ثورة ١٤ رمضان".

في ١٣ تشرين الأول ١٩٦٣ وبفعل التمزقات الحزبية وتمرد البعض من الحرس القومي سيرغم على المغادرة إلى لبنان في إطار "تسوية" وبعد خمسة أيام سيسدد عبدالسلام عارف ضربته ليتفرد بالسلطة. في ٨ شباط ١٩٦٤ وصل جواد فجأة إلى مطار بغداد متحدياً قرار ابقائه في المنفى، لكن عبدالسلام عارف سيرغمه على المغادرة إلى القاهرة هذه المرة حيث سيوضع في الإقامة الجبرية. بعد مقتل عبدالسلام عاد إلى العراق في تموز ١٩٦٦ وأقام هناك رافضاً العودة إلى الحزب الذي سيستولي مجدداً على السلطة في ١٧ تموز ١٩٦٨، ليبدأ نظام البكر - صدام. في ١٩٧٨ غادر العراق، لكنه سيزوره مرتين كانت الثانية في ١٩٩٨ لتشييع أمه.

يقيم في بريطانيا منذ ١٩٧٩. لم يقبل أي منصب حزبي أو رسمي في نظام البكر - صدام، ولم يشارك في نشاطات المعارضة في الخارج. يناديه الرفاق أبو سفانة، نسبة إلى ابنته الوحيدة من زوجته السابقة السيدة معينة نايف، وهي من أوائل العاملات في الحزب منذ أيامه الأولى.



حازم جواد

مقدمة

في مثل هذا اليوم قبل ٤١ عاماً قاد شاب في السادسة والعشرين حزب "البعث" العراقي الى السلطة وأذاع "البيان الرقم واحد" الذي أعلن نهاية حكم "الزعيم الاوحد" عبدالكريم قاسم. كان اسم ذلك الشاب حازم جواد. واليوم في ذكرى "ثورة ٨ شباط فبراير١٩٦٣"، وهي سُميت ايضاً "ثورة ١٤ رمضان" يخرق جواد اربعة عقود من الصمت مفسحاً امام قراء "الحياة" فرصة الدخول الى "خزنة اسرار" البعث العراقي بتشابكاتها الداخلية والعربية. فمن تلك التمزقات الداخلية التي عصفت بالحزب وسهّلت للرئيس عبدالسلام عارف اقصاءه عن السلطة سيولد مشروع مخيف ولاعب مخيف اسمه صدام حسين.

روى حازم جواد لسلسلة "يتذكر" قصة ٨ شباط ١٩٦٣ بدءاً بإعدام قاسم والمواجهة مع الشيوعيين وقصة "قصر النهاية" ووصول البعث الى السلطة في سورية بعد شهر من وصوله في العراق. وتحدث عن مفاوضات الوحدة الثلاثية المصرية . السورية . العراقية معترفاً بأن "البعث" او بعضه على الاقل، طعن جمال عبدالناصر الذي كان الأصدق في السعي الى الوحدة.

كان جواد "بريئاً" من عودة "البعث" الى السلطة في ١٧ تموز يوليو١٩٦٨ لكنه كان يعرف ما يدور في الحلقات الضيقة للنظام الذي "خطف البعث وخطف الدولة". فكبار اللاعبين في النظام الجديد جاؤوا من الحزب الذي كان بقيادته او من المكتب العسكري فيه وهو كان يرأسه قبل ١٩٦٣.

في ١٩٥٩ اثر المحاولة الفاشلة لاغتيال قاسم، فرّ امين سر القيادة القطرية للبعث فؤاد الركابي ومعه عضو القيادة حازم جواد الى سورية، بمساعدة من الضابط الطيار منذر الونداوي الذي سيكون هو الآخر في قلب الاحداث لاحقاً. انتظر الركابي وصول صدام الذي شارك في محاولة الاغتيال واصيب خلالها ولم يجد تكريماً له افضل من قبوله عضواً كاملاً في "البعث".

وامام الركابي وجواد وآخرين اقسم صدام يمين الانتساب. ويقول جواد: "لم يخطر ببال احد ان ذلك الشاب النحيل الخجول سيستولي على كل شيء بعد تسعة اعوام" ولم يخطر ببال الركابي الذي احب صدام في البداية، ان الشاب الذي دخل الحزب رسمياً على يديه سيرغمه لاحقاً على جمع القاذورات وراء القضبان وسيرسل "سجيناً" يذبحه من الوريد الى الوريد.

ويكشف جواد نقلاً عن مصادر ثقة ان صدام حسين قام بزيارة غامضة في ١٩٦٤ للقنصل البريطاني في البصرة يرافقه "رجل غامض" اسمه علي عبدالسلام ربطته علاقات بكبار الحزبيين والعسكريين. ويضيف ان احد الذين رافقوا الرجلين الى البصرة واسمه حاتم حمدان العزاوي كتب تقريراً كشف فيه الزيارة وسلّمه الى قيادة جناح علي صالح السعدي الحزب اليساري.

ويضيف ان السيدة هناء العمري، زوجة السعدي، اتلفت التقرير مع وثائق اخرى بعد قيام نظام البكر . صدام خوفاً من وقوعها في ايدي رجال الامن.

ويقول جواد ان نظام البكر . صدام اعتقل علي عبدالسلام وعذّبه تعذيباً شديداً في قصر النهاية. ويشير الى انه زار الرجل بعد خروجه من

السجن فاكتشف أنهم كسروا جميع اسنانه. وبعد ثلاثة ايام فقط اعتُقل "الرجل الغامض" مجدداً ثم رُميت جثته امام منزله.

ويؤكد جواد ان الفريق صالح مهدي عماش، وزير الدفاع في ١٩٦٣، خاض في دعم الشيوعيين خلافاً لإرادة قيادة الحزب، مشيراً الى ان عبدالسلام عارف واحمد حسن البكر أيّدا "مذبحة عماش".

ويروي ايضاً قصة الحوار المحاكمة الذي سبق إعدام عبدالكريم قاسم في مقر الاذاعة. كما يروي قصة لقائه السجين سلام عادل، زعيم الحزب الشيوعي، قبل اعدامه.

الحلقة الأولى:

يمين الانتساب

قبل ما يزيد على السنة قال لي سياسي عراقي: "قصة البعث في العراق لا يمكن اختصارها بعودته إلى السلطة في ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨ على يد أحمد حسن البكر وصدام حسين. سيبقى عملك ناقصاً ما لم يشمل وصول البعث إلى السلطة للمرة الأولى في ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ وهو ما يعرف بـ"ثورة ١٤ رمضان" التي أنهاها الرئيس عبدالسلام عارف بعد تسعة أشهر". وأضاف: "خزنة أسرار تلك التجربة موجودة لدى قائدها ومهندسها حازم جواد. لكن الرجل للأسف اختار العزلة والصمت منذ ذلك التاريخ". شعر السياسي بما يدور في ذهني فسارع إلى القول: "لا تتعب نفسك. حاول مع آخرين. حازم جواد رجل صعب. لا يلتقي السياسيين ولا الصحافيين. لا يبحث عن مستقبل أو دور ولا يحب الإعلام والأضواء. رفض عروضاً عربية وغربية لكتابة مذكراته كأنه ينوي أن يأخذ أسراره معه". تظاهرت بالاستسلام وغيّرت مجرى الحديث لكنني سجلت الاسم الكبير في الدفتر الصغير. رجعت إلى الارشيف والانترنت والكتب التي تتناول تلك المرحلة. كان الصيد محدوداً، ذلك أن الرجل الذي تعاقد مع الصمت احترم تعهده فلم يتدخل لرفع غبن أو تلميع صورة. لا شيء يستفز الصحافي كتلك الأسرار النائمة في عهدة مطلوبين أو صامتين لا تغريهم الصفحات الأولى أو الشاشات.

بعد فترة وفي زحمة الانفجارات العراقية، وفي المقهى المقابل لـ"الحياة"، كنا نتداول، زميلي حازم صاغية وأنا، الهموم العراقية والأسماء التي

يمكن أن تقول جديداً حول تجربة البعث وأوضاع العراق. وكان رأي الزميل المنشغل هو الآخر بالمأساة العراقية وجذورها ان مشاركة حازم جواد في سلسلة "يتذكر" يمكن أن تقدم شهادة غير مسبوقة. وقررنا البحث عن هاتف جواد عبر مكتبة عربية يرتادها وهكذا كان.

اتصلت بجواد وبادرته مازحاً: "احترم قرارك بالصمت لكنني اعتقد بأنه لا يمنع أن نتناول القهوة لديك؟". لم أطلب شيئاً في اللقاء الأول، وكان همي أن تترك جولة الافق في الشأن العراقي خيطاً من الثقة يفتح الباب للقاءات مقبلة. تكررت اللقاءات وكان الرجل صعباً. يعترف بفشل جيله ويسألني: "هل تريدنا أن ننشر غسيل فشلنا وأخطائنا وخيباتنا. لو نجحنا لما كان العراق على ما هو اليوم".

في إحدى الزيارات لاحظت وجود أعداد من "الحياة" بين أكداس الصحف في غرفة الجلوس، فالرجل يقرأ خمس صحف يومية. سألته عن طبيعة أعداد "الحياة" التي يحتفظ بها، وحين أخرجها وجدتها أعداداً تتعلق بتطورات عراقية وأخرى تحوي حلقات من الشق العراقي في سلسلة "يتذكر". وحين تصفحت بعضها وجدته وضع سطوراً تحت مقاطع وعلامات استفهام أو تعجب قرب أخرى، وكانت الحلقات تخص صلاح عمر العلي وإبراهيم الداود وعبدالغني الراوي. رأيت الفرصة سانحة فقلت له: "دعك من رغبتي في البحث عن موضوع صحافي ناجح. بلدك يعيش مأساة وأنا أعتقد بأن الواجب يفرض عليك أن تتحدث، فمن حق العراقيين والعرب أن يعرفوا قصة "البعث" في ١٩٦٣ وكيف خطفه صدّام لاحقاً ليصنع مأساة الحزب والشعب والبلد".

في نهاية الحوار اتفقنا أن يكسر صمت "أهل الكهف" على حد تعبيره. لم يشترط شيئاً ولم يطلب شيئاً. قال: "سأتحدث مرة واحدة. سأروي القصة بكاملها من دون زيادة أو نقصان. لن أضيف ولن أحوّر. وتعذرني

إذا خانتني الذاكرة أحياناً لكنني لن أتعمد اسقاط أي شيء. ومن هذه الرواية تنتقي ما تريد لنشره في "الحياة"، لكنني أطلب أن يبقى عملنا سراً إلى موعد ظهوره".

بدأنا رحلة التسجيل. وحين أفاقت ذاكرة جواد، المسكون بهاجس الدقة والأمانة، وجدت نفسي أمام كنز من المعلومات والوقائع السياسية والأمنية. تخطى الحوار الحدود التي رسمتها له، بفعل كثافة الأحداث وأهمية الرواية، وكانت الحصيلة عشرات الجلسات وتسجيلات تزيد على ٥٥ ساعة.

تحدث جواد عن بدايات "البعث" في العراق وبداياته في البعث ودور الحزب ودوره في الانتفاضات والاضطرابات التي سبقت ثورة ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨. وتطرق إلى الطلاق السريع بين الزعيم عبدالكريم قاسم و"أسد الثورة" رفيقه عبدالسلام عارف. روى قصة محاولة اغتيال "الزعيم الأوحد" التي شارك فيها صدام حسين وفرَّ ليقسم يمين الانتساب إلى الحزب في دمشق أمام فؤاد الركابي وحازم جواد ومن كان حاضراً من القيادة. وفي بداية الستينات ستكلف قيادة البعث جواد بإعادة بناء الحزب في العراق، وسيضطلع بالدور الأول رسمياً أو فعلياً إلى موعد استيلاء الحزب على السلطة في ١٩٦٣. فأحمد حسن البكر كان عضواً في المكتب العسكري التابع للحزب برئاسة حازم جواد. والأمر نفسه بالنسبة إلى حردان التكريتي وصالح مهدي عماش. علي صالح السعدي، رفيق جواد ومنافسه في القيادة، كان في السجن ساعة التنفيذ. وعبدالسلام عارف، الموضوع قيد الرقابة، كان يستقبل سراً شاباً عيّنه الحزب مسؤولاً عنه مكلفاً بتثقيفه واسمه حازم جواد. وبعد نجاح الضربة الأولى سيرسل جواد من يحضر عارف لتنصيبه رئيساً للجمهورية، فقد كان البعث يحتاج إلى رمز وافد من ثورة ١٩٥٨.

روى جواد قصة التجاذب داخل البعث العراقي وبينه وبين البعث السوري، وحكاية المفاوضات الثلاثية للوحدة والعلاقة الصعبة بين البعث وجمال عبدالناصر. تحدث تفصيلاً عن المحطات والرجال والأدوار. عن إعدام قاسم وقتل الشيوعيين والتعذيب والخلاف بين "الحرس القومي" والجيش وصولاً إلى خروجه من السلطة والبلاد وانقلاب عارف على "رفاقه" في ١٨ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٣ وتفرده بالسلطة وإبعاد الحزب. تحدث عن ميشال عفلق و"القيادة السورية" ومسؤوليتها في افشال الوحدة.

> في أواخر ١٩٥٨ كان حازم جواد معتقلاً في مركز شرطة السراي في بغداد، وهو المكان نفسه الذي كان معتقلاً للسياسيين في العهد الملكي. بدأت حملة الاعتقالات إثر حادثة ٥ تشرين الثاني من تلك السنة حين اعتقل نظام عبدالكريم قاسم شريكه في ثورة ١٤ تموز عبدالسلام عارف. وإلى ذلك المعتقل اقتادت الشرطة شاباً نحيل القامة ورجلاً في منتصف العمر. لاحظ المعتقلون أن مدير المعتقل مهدي الرفاعي، وهو من تكريت، اعطى المعتقلين الجديدين غرفة منعزلة وأنهما حرصا على عدم الاحتكاك بسائر المعتقلين أو التحاور معهم. وبعد السؤال عن الرجلين جاء الجواب: انهما شاب اسمه صدام حسين وخاله خيرالله طلفاح. الأول متهم باغتيال الحاج سعدون التكريتي الذي يعتقد أنه شيوعي، والثاني متهم بتحريض الأول على ارتكاب الجريمة. وفي تلك الأيام لم يكن ثمة ما يدعو حازم جواد إلى التوقف عند اسم الشاب النحيل أو شخصه، فقد كان صدام حسين شاباً مجهولاً ولم ترشحه الأقدار بعد لمصير استثنائي.

التسلل إلى العراق

فرّ جواد من المعتقل وغادر في اليوم نفسه إلى سورية، أي إلى الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة. وفي دمشق سيتداول البعثيون في مستقبل العراق ومستقبلهم فيه بعدما اختار قاسم الطلاق مع الخط القومي. وفي أول تشرين الأول اكتوبر ١٩٥٩، وبعدما اعدم قاسم كوكبة من ضباط ثورة ١٤ تموز ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ونافع داود وآخرون، سيعود جواد سراً إلى العراق ومعه بعض قطع السلاح التي قد يحتاجها الحزب. بعد تسليمه الأسلحة لرفيقيه علي صالح السعدي وفيصل حبيب الخيزران همسا في اذنه ان زمرة من الحزب ستحاول اغتيال عبدالكريم قاسم في شارع الرشيد. كان فؤاد الركابي، أمين سر القيادة القطرية، وراء هذا القرار، وكانت الخطة تقضي أن يعقب نجاح محاولة الاغتيال تحرك ضباط بعثيين وقوميين للإمساك بالسلطة. وغالب الظن أن الركابي كان اطلع جمال عبدالناصر على هذا التوجه ونال موافقته.

نسي حازم جواد اسم صدام حسين. كانت التقاليد الحزبية تقضي بعدم الخوض في التفاصيل الأمنية الحساسة حتى من جانب أعضاء القيادة. مرّ موكب قاسم وأمطرته زمرة التنفيذ بالرصاص ٧ تشرين الأول ١٩٥٩. اصيب الزعيم الأوحد، لكن الإصابة جاءت طفيفة. عندها سارع الركابي إلى الاختفاء في منزل قريبه جواد. لم يكن الحزب يمتلك أوكاراً سرية أو مخابئ آمنة. اعتقلت السلطات بعض المنفذين وفرّ آخرون. وفي بيت أهله لاحظ جواد أن فؤاد الركابي كان يسأل مساعده عبدالله الركابي كلما جاءه عن مصير شاب اسمه صدام حسين شارك في محاولة الاغتيال واصيب خلال تبادل اطلاق النار. وبعد أسابيع سيفر الركابي وجواد والسعدي وعبدالله الركابي إلى سورية.

هل وصل صدام؟

في سورية بدأ الركابي يسأل عن مصير صدام. لم يخطر بباله للحظة أن هذا الشاب الذي استدرجته الصدفة إلى المشاركة في كمين شارع الرشيد سيحكم العراق بعد أقل من عقد، وأنه سيكون بين أبرز ضحاياه. راح يتصل بالاستخبارات السورية المكتب الثاني إلى أن علم أن صدام وصل بعدما تخفى مع صديق له اسمه فاتك الصافي في منطقة العوجة ثم توجها إلى سورية.

في تلك الأيام سترتسم بداية قصة صدام حسين. يرجع جواد إلى ذاكرته ويقول: "ابتهج الركابي بوصول صدام سالماً. قال لي: أنا أريد أن أكرّم الأخ صدام". فأجبت: اننا لا نملك شيئاً فكيف نكرمه. الطريقة الوحيدة التي نستطيع تكريمه بها هي أن نقبله عضواً عاملاً في حزب البعث. لعبت الصدفة دورها. كان فريق الاغتيال مؤلفاً من ستة أشخاص. خلال عمليات التحضير اعتذر شاب اسمه ياسين السامرائي عن عدم المشاركة، وخوفاً من أن يبوح بما يعرف ارسله الركابي إلى سورية وطلب من الجهاز السري ترشيح بديل منه. اقترح الجهاز اشراك شاب حديث العلاقة بالحزب يبدو شجاعاً ومتحمساً ومستعداً. وهكذا انضم صدام الذي اعتقد أنه كان مجرد نصير إلى فريق الاغتيال".

ويضيف: "اراد فؤاد تكريم صدّام وتجاوز الاجراءات الحزبية التي تقضي بأن يمضي النصير سنتين أو ثلاثاً قبول قبوله عضواً عاملاً. ولأن الأصول تقضي بتأييد اثنين لقبول الشخص الجديد، قال الركابي: أنا ارشح صدام وأنت تثني على اقتراحي. وافقت. فالشاب ساهم في العملية وجُرح. وعلى رغم ذلك نظم بنفسه رحلة فراره إلى سورية.

في شقة تحت الأرض في دمشق، هي عبارة عن قبو، عقد اللقاء برئاسة فؤاد وحضوري، إضافة إلى علي صالح السعدي ومدحت إبراهيم جمعة وعبدالله الركابي وربما أسماء أخرى. ألقى فؤاد كلمة أشاد فيها بـ"الرفيق العزيز صدّام"، وامتدح شجاعته ووفاءه. وقال إنه اقترح قبوله عضواً عاملاً في الحزب وانني ثنيت على اقتراحه. عندها وقفنا جميعاً ووقف قبالتنا الشاب الخجول المنتصب القامة الحاد النظرات الذي تميل سمرة جلده إلى السواد. قال فؤاد القسم الحزبي وردده صدام وراءه. بعدها قبلنا الشاب وجلسنا نتسامر نحو ساعتين حول أكواب الشاي وقالب كاتوه. بعدها استأذن فؤاد في الذهاب إلى القاهرة. وطلب صدام منا السماح له بالذهاب إلى العاصمة المصرية لاستكمال دراسة الحقوق، فوافقنا إذ لم نكن نحتاجه في سورية، ولسنا في وارد إعادته إلى العراق فهو شارك في محاولة اغتيال الزعيم الأوحد".

تكريت والحساسيات

عاد حازم جواد إلى العراق بتكليف من القيادة العراقية ممثلة بفؤاد الركابي ومن القيادة القومية، وأوكلت إليه مهمة إعادة بناء الحزب بعد ما تعرض له بسبب دوره في محاولة اغتيال قاسم. في تلك السنوات لن يكون هناك دور أو أثر لصدّام حسين الذي كان يعيش في القاهرة. بعد أسابيع من نجاح ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ سيعود صدام إلى العراق ليشغل موقعاً في مكتب الفلاحين التابع للحزب. لم يكن اسمه شائعاً ولا متداولاً على صعيد واسع. كانت الأسماء البارزة هي الآتية: عبدالسلام عارف رئيس الجمهورية وأحمد حسن البكر رئيس الوزراء وحازم جواد الرجل الأقوى في الحزب وعلي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء.

ذات يوم اتصل البكر بوزير الداخلية حازم جواد. كان ناقماً وغاضباً على شاب اسمه صدّام حسين. وبدا من لهجته أنه لن يقبل بأقل من ادخاله السجن إذا كان اخراجه من الحزب غير وارد. استدعى جواد الشاب التكريتي وسأله عن المشكلة. تبيّن أن صدام تصرف في تكريت دعماً لأناس في نزاع على أرض على نحو أغضب البكر. أصر جواد على تسوية للأمر لم تعجب صدام، لكن ميزان القوى لم يكن يسمح لهذا الحزبي المنضبط بالرفض، فقبل وقال: "وافقت لأنك أنت طلبت مني ذلك فقط، لكنني غير مقتنع وأنا معارض".

سألت جواد عما إذا كانت لصدّام علاقة بعمليات التعذيب في "قصر النهاية" في ١٩٦٣، خصوصاً تلك التي استهدفت الشيوعيين، فأجاب: "خاض صدام لاحقاً في دم العراقيين وارتكب مجازر. والموضة الحالية تقضي بإلقاء كل شيء على عاتق صدام. احتراماً للأمانة، أقول انني لم اسمع خلال وجودنا في السلطة بدور له من هذا النوع. كانت الأحداث أكبر منه ومن دوره. الدور الكبير في إعدام الشيوعيين لعبه وزير الدفاع صالح مهدي عماش. والحقيقة أن عبدالسلام عارف كان حاقداً عليهم ومؤيداً للتخلص منهم. وهناك في الحزب من غلّب مشاعر الثأر على مشاعر المسؤولية. هذا من دون أن ننسى ما ارتكبه الشيوعيون في عهد قاسم وتصديهم بالسلاح لحركة ٨ شباط".

يعرض خدماته

كان صدام يبحث عن فرصة للتسلل إلى قلب لعبة السلطة. في خريف ١٩٦٣، وبعد تبلور الخلافات بين ما سمي الجناح "اليساري" أو المتشدد في قيادة الحزب ممثلاً بعلي صالح السعدي والجناح "اليميني" أو المعتدل ممثلاً بحازم جواد، حاول صدام اقتناص الفرصة. زار صدام

مكتب جواد وشكا من التجاذبات الحزبية، ولام السعدي ورفاقه. أعرب لجواد عن استعداده لوضع حد لسلوك السعدي ورفاقه، قائلاً: "مثل هذه المشكلات لا تحل دائماً بالمؤتمرات الحزبية والاجراءات الروتينية. تحتاج إلى حسم". ويقول جواد إن العرض كان يبطن نوعاً من الاستعداد للعمل على تصفية السعدي "عارضت الفكرة من أساسها ورفضت أي لجوء إلى القوة وبدت على صدام ملامح الخيبة".

بعد أسابيع سيحاول صدام العثور على دور في النزاع الذي انفجر في الشوارع هذه المرة... ويقول حازم جواد: "في الصراع الداخلي الذي نشب داخل الحزب ووصل الى القواعد في ايلول وبعد الانتخابات الحزبية والتهيئة للمؤتمر القطري، كانت التقارير تقول ان صدام يقف ضد جماعة الحرس القومي وعلى السعدي والآخرين والذين يسمونهم التيار العنيف واليساري. كان ضدهم بصرامة. ونستطيع القول انه انحاز الى ما كان يسمى التيار المعتدل، الذي كنت أمثله مع طالب والبكر وجهات اخرى. في المؤتمر القومي ألقى كلمة معتدلة وجيدة هاجم فيها جناح السعدي، وعندما حدث عصيان الحرس القومي يوم ١٣ تشرين الثاني نوفمبر، لم يمل ولم يكل من الاتصال بمقري في القصر الجمهوري ليطلب الإذن بتصفية العصيان. قال: هذه المسألة لا تقبل المساومة فقط أريد إذنك. فقلت له: لست مستعداً أن أبيح دماً أو قطرة واحدة، نحن تكفينا دماء الشيوعيين في رقبتنا، الآن تريد دماء البعثيين ايضاً. كان يلح في طلبه، وبقي يلح الى الأخير. كان مسيطراً على قطاع الكرخ ومرتاحاً. قال فقط أعطني اذناً ولا شغل لك. وتكلم على الحزبيين بألفاظ غير لائقة، وهو سجل هذه الحادثة كنقطة ضعف علي، وان حازم جواد ضيع الثورة والبلد من أجل توفير دماء عشرة أو ١٥ شخصاً، وهو كان يستهين بهذا العدد. ويقال انه في حركة ١٨ تشرين الثاني، وكنت يومها في بيروت، شارك ايضاً قوات الجيش التي كان قائدها العام

والأعلى عبدالسلام عارف، بتصفية جماعة الحرس القومي. وشارك مشاركة فعلية وبحماسة اذ ان حردان التكريتي كان وزير دفاعها وعبدالسلام رئيس جمهوريتها، واحمد البكر قال لهم على البركة وان شاء الله موفقين وانا في البيت اتصلوا بي، وضباط القطعات جميعهم من ضباط البعث، طبعاً الضباط المحترفون في المؤسسة العسكرية شاركوا ايضاً لأن الأوامر كانت تأتي من رئيس الجمهورية، فهي ليست حركة اجنبية خارجية. هذا كل ما أعرفه عن صدام. وهو تبعني الى بيروت وزارني هناك وعاد عبر دمشق، وفي تلك الأثناء اضيف الى القيادة من قبل ميشال عفلق ليكون الى جانب البكر".

مرة جديدة سيلتقي الرجلان. في ١٩٦٦ سيعود جواد الى العراق، وفي السنة نفسها سيفر صدام من سجنه. وذات يوم سيقرع صدام باب منزل عائلة جواد "استقبلته الوالدة بالترحيب وهي كانت تحبه. جلسنا وتحدثنا. ألح علي للعودة الى الحزب وأشاد بي مستخدماً وصف القائد. أعدت له ما كنت قلته للبكر في موعد سابق. لم أوافق على الدعوة ولاحظت ان الشاب بدأ يتغير وصار يستخدم لغة الاستاذ كأنه يقدم نفسه مشروع قائد".

حاول أحمد حسن البكر اقناع حازم جواد في ١٩٦٧ بالعودة الى الحزب، فرد عليه: "لم اؤمن حتى في ١٤ رمضان ١٩٦٣ بانفراد البعث بالسلطة. سقوط التجربة ضاعف قناعتي هذه". سأله عن اقتراحه فأجاب: "اقترح ان تعقدوا مجلساً قطرياً لحزب البعث وليس مؤتمراً قطرياً، وهكذا يمكنكم دعوة شخصيات من أهل الحل والعقد. لا أمانع في حضور علي صالح السعدي وآخرين. نجلس كلنا ونقوّم تجربة ١٤ رمضان ونبلور سياسة جديدة". لم يعجبه الاقتراح فهو متخلف سياسياً وكان متهالكاً للعودة الى القصر. سألته عن موقفه من آمر الانضباط

العسكري سعيد صليبي الذي كان بمثابة حاكم بغداد في أيام عبدالرحمن عارف فأجاب: "اتعبني هذا الرجل ليتك تساعدني في كسبه. حتى انني قلت له يا سعيد ألا تريد نصف مليون دولار أو قصراً اذا عدنا الى السلطة؟". تكشف البكر لاحقاً على حقيقته، عاشق سلطة وأستاذ في المكر. انه كبير السحرة. يمتلك مواهب التنصل والتآمر. أحمد الله أنني رفضت كل تعاون معهم".

لم يكن عبدالرحمن عارف متنبهاً الى ان الضربة ستأتيه من بيته. كانت "مجموعة الرواد"، كما سميت آنذاك، تبحث عن فرصة للانقضاض على السلطة وتبحث عن شركاء، وهي ضمت مساعد رئيس الاستخبارات العسكرية عبدالرزاق النايف وثلاثة من ضباط الحرس الجمهوري هم ابراهيم عبدالرحمن الداود وكمال جميل عبود وسعدون غيدان. ويروي جواد ان النايف اقترب منه في أحد المطاعم وابلغه ان دولة اجنبية عرضت عليه مبلغاً من المال لإطاحة الحكومة العراقية التي كانت برئاسة ناجي طالب.

ويقول: "لا أتحمل أي مسؤولية عن ١٧ تموز ١٩٦٨. صنعتها مجموعة الرواد بالتعاون مع الذين خطفوا حزب البعث الذي لم تعد له علاقة بالبعث الحقيقي الذي كان في ١٩٦٣".

وعلى رغم اقامته عقداً كاملاً في ظل نظام ١٧ تموز، لم يلتق جواد "السيد النائب" إلا مرة واحدة في ١٩٦٨. ذهب لمراجعته في قصة ضابط اعتقل ظلماً فاستقبله صدام وعانقه وأنهى الموضوع وسأله عن نصيحته، فنصحه بالابتعاد عن التصفيات "سواء ضد البعثيين أو خصومهم". في أواخر ١٩٧٨ غادر جواد بغداد الى فيينا وقادته الرحلة الى لندن حيث يقيم منذ ذلك التاريخ. عاد الى العراق في النصف الثاني

من التسعينات لمواراة والدته. أقام ثلاثة اشهر ثم استأنف غربته البريطانية.

قصة الركابي

< عرفت الركابي عن قرب، هل صحيح انه كان شاباً لامعاً؟

- نعم. لم يكن له نشاط سياسي في الناصرية. عرفته جيداً، جدته لأمه شقيقة جدتي لأمي.

كان الركابي في الناصرية يعد نفسه ومهتما بالدراسة دخل كلية الهندسة في بغداد بتفوق. فجأة في بغداد انقلب هذا الشاب سياسياً محترفاً على مدار الـ٢٤ ساعة وكأنه كان كادراً سرياً في الناصرية. كرس نفسه للعمل السياسي في خط حزب البعث منذ البداية. اعتقد بأنه دخل الحزب عن طريق الطلاب السوريين الذين كانوا يدرسون في جامعة بغداد. عندما دخلت الحزب كان الركابي هو المسؤول الاول واستمر الى نهاية ١٩٥٩ حين عينت انا من دمشق مسؤولاً عن العراق وعدت.

بقي فؤاد عضوا في قيادة الخارج التي حلت بعد وصولي الى العراق بنحو شهرين. حلّت قيادة الخارج تلقائياً واصحبت قيادة الداخل القيادة القطرية في اوائل ١٩٦٠.

< قتل الركابي في خريف ١٩٧١ في ظل حكم البكر وصدام، بأي تهمة اعتقل؟

.في ١٩٦٩ وزعوا الاتهامات وتحدثوا عن اكتشاف شبكات تجسس وزجوا اسماء وطنية بين اسماء المتهمين. اعتقد بأنه حكم بالسجن سنتين. تعرض لتعذيب غير عادي. روى لي العقيد جميل صبري البياتي بعثي كان

مديراً للأمن العام في ١٩٦٣ ان الركابي تعرض لتعذيب لا يطاق وهو كان معتقلا معه. كان البياتي محسوباً علي. من اجله ذهبت الى صدّام وقلت له ان الرجل بريء وانا اكفله. وضعوه في زنزانة بابها مفتوح لهذا كان يعرف ما يدور في الغرف القريبة. قال لي ان ما تعرض له الركابي لم يتعرض له احد. واضاف: "كنت في ساعة متقدمة من الليل اتفقد ما بقي لدي من ماء أو لبن وآخذها متسللا الى قرب الركابي ابو ايمن. وبدلا من ان ارفع معنوياته كان يرفع معنوياتي ويطّيب خاطري. احيانا يطلب مني ان اسقيه ماء كما يطلب ان اسأل معتقلاً معيناً عن معلومة ما. الاخ المرحوم خالد علي صالح اعتقل في الفترة نفسها وكان مناضلا في البعث. اصدر قبل عامين كتابا وصف فيه ظروف اعتقاله وفؤاد. وروى انه رأي في السجن رجلا يدفع عربة ويجمع القاذورات من غرف السجناء وحين التفت الى الرجل عرف انه فؤاد الركابي. كان الغرض من ارغام الركابي على جمع القاذورات اهانته وكسر معنوياته.

حين زرت الركابي في السجن لم ينطق بكلمة عما تعرض له. اكتفى بإبلاغي انهم حاولوا مرات ومرات دفعه الى توريطي في اي قضية وانه كان يجيبهم: "ياريت كان حازم جواد معنا". طبعاً كان الركابي يشير الى المرحلة التي صار فيها خارج الحزب. في ١٩٦١ ويبدو بتشجيع من الرئيس جمال عبدالناصر شكل الركابي "حزب البعث العربي . القيادة الثورية" وكان معه عبدالله الريمادي الذي كان امين سر حزب البعث في الاردن. كان عفلق يكره الريماوي وقد فصل مع جماعته في المؤتمر القومي الثالث الذي عقد في بيروت.

عقد الركابي مؤتمراً صحافياً في بيروت وهاجم الحزب. طبعا الركابي كان محكوماً بالاعدام غيابياً في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم. انا ورد اسمي في محكمة المهداوي لكي لم يكن هناك اي شيء ملموس ضدي.

بعد الخروج من بغداد إثر محاولة الاغتيال كنا في دمشق وصدرت الاحكام وكان الاعدام غيابياً لفؤاد الركابي وعبدالله الركابي وصدام حسين وعبدالكريم الشيخلي. فيصل حبيب الخيزران حكم بالسجن ١٠ سنوات. سمع الحكم وتسلل لاحقا الى العراق. فؤاد الركابي لم يعد الى العراق الاّ بعد سقوط عبدالكريم قاسم والغاء الاحكام القديمة. حاول فؤاد تكتيل جماعة وشق الحزب لكن المحاولة فشلت. تطوّرت محاولته لاحقاً الى تأسيس الحركة العربية الواحدة التي طرحها عبدالناصر بعد فشل اتفاق ١٧ نيسان ابريل. انا اعتقد بأن الاحزاب الاصلية تبقى أما الانشقاقات فسرعان ما تضمر وتزول.

السعدي و"التصرف المشين"

الحقيقة ان فؤاد عاد الى بغداد بعد وصول حزب البعث الى السلطة في ٨ شباط فبراير ١٩٦٣. هنا اقدم علي صالح السعدي وزير الداخلية آنذاك على تصرف مشين اذ ابقى فؤاد معتقلاً في المطار وأعاده الى القاهرة. كان التصرف من علي ومن دون العودة الى القيادة. عاد الركابي الى بغداد بعد انقلاب عبدالسلام عارف في ١٨ تشرين الثاني نوفمبر. طبعاً كان الجو جو تعاون مع القاهرة فاختاره عارف وزيراً للبلديات في احدى الحكومات. هنا تم تشكيل الاتحاد الاشتراكي على غرار ما هو في مصر وكان فؤاد في قيادة التنظيم الجديد... فشلت تجربة الاتحاد الاشتراكي فأسس فؤاد ما سماه "الحركة العربية الاشتراكية" بالتعاون مع حركة القوميين العرب. حين اعتقل في ١٩٦٩، في ظل نظام ١٧ تموز، كان رئيساً لـ"الحركة العربية الاشتركية". اتهم بالتعاون مع الاميركيين. اتهامات وتلفيقات. حكم عليه بالسجن لمدة عامين. زرته في السجن مرة واحدة. قلت له انه لا يزال لدي بعض النفوذ والهيبة، استطيع ان افاتح حردان التكريتي مثلاً وابلغ احمد حسن البكر او عبدالخالق السامرائي،

ويمكن ان اذهب الى صدام واطلب منه بشكل شخصي، واقول له امي تسلّم عليك، فقد كان يعرفها ويجلها بعد مقتل فؤاد واعتقال شقيقي حامد لم تعد ترغب في رؤية البكر وصدام. طلبت من فؤاد الموافقة على صيغة تقضي بمنحه جواز سفر لمغادرة البلاد. واعلمته، في ضوء تجربتي، ان النظام لا يبدو مهدداً. أجاب: "اوافق بشرط واحد وهو ان يلغوا الحكم من اساسه أي ان يتراجعوا عن الحكم ويعتبروه مزورا. هذه الصيغة الوحيدة التي اوافق عليها. اذا لم يكن ذلك فانا افضل اكمال فترة سجني وقد اجتزت خطر ان اقتل في السجن". زرته في السجن في بعقوبة. لم يقبل فؤاد بما طرحته عليه.

< كيف قتل؟

. قبل وقت قصير من موعد الافراج عنه وفيما كنا نستعد لاستقباله ارسلوا اليه في السجن .. ضابطا كان تولى موقعا في الحرس القومي ايضاً. لم يعرف فؤاد التطورات التي طرأت على وضع الرجل اذ حتضنه نظام البكر. صدام وعينه في اكثر من موقع. حمل الرجل على ما يبدو عرضا من السلطة بأن يبعث فؤاد برسالة على ان يتم تسفيره الى خارج البلاد. في تقديري ان فؤاد ذهب بعيدا في الحديث استنادا الى علاقته السابقة مع الرجل وربما ندد بالنظام. هنا صدر قرار بقتل فؤاد. فجأة ادخل الى السجن حيث يعتقل الركابي شخص قالوا انه منقول من سجن في البصرة. قبل ايام من الافراج عنه كان فؤاد يغير محطة الراديو نهض السجين الجديد واستل سكينا وذبحه من الوريد الى الوريد. اسم القاتل ... وقد عين في الخارجية لاحقاً. تأخروا في نقل فؤاد الى المستشفى الذي قيل انه تلقى تعليمات بعدم تزويده بالدم فتوفي. انا رأيت آثار الذبح على عنقه. طبعاً السجين القاتل من الاستخبارات. حين اتصلوا بنا وأبلغونا ان فؤاد توفي ظننت انه قضى بسكتة قلبية على رغم انه

كان في الاربعين. رافقني في تلك الليلة السوداء لفحص جثة الاستاذ فؤاد صديقي غانم نوري المتولي الذي جازف بالذهاب معي الى دار آل الركابي في بغداد الجديدة لفحص جثة القائد المذبوح.

اتمنى ان يقرأ الضابط الذي قيل انه زار فؤاد في سجن بعقوبة قبل ذبحه بأيام هذا الكلام وأن يوضح مالديه خدمة للحقيقة والتاريخ.



فؤاد الركابي



حفل زفاف فؤاد الركابي بحضور جمال عبد الناصر - القاهرة ١٩٦٣



فؤاد الركابي

الحلقة الثانية :

موسم الغدر

الرجل الذي قاد "البعث" الى السلطة في ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ كان "بريئاً" من عودته اليها بعد خمسة اعوام. لم يكن سراً ان احمد حسن البكر وصدام حسين كانا ينتظران اي سانحة للانقضاض على السلطة. ففي اواخر ١٩٦٧ شارك حازم جواد في استقبال ضيف أجنبي والتقى البكر في المطار واصطحبه في سيارته في طريق العودة. وفي الطريق سأله البكر ان كان غيّر رأيه بالنسبة الى العودة الى الحزب، وحين أجابه بالنفي، اشار البكر الى دبابات للجيش، وقال لجواد: "انهم في انتظارك". كان الكلام دعوة الى المشاركة في انقلاب سيتمكن البكر وصدام من تنفيذه في ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨ بفعل تحالف غريب مع "مجموعة الرواد". بعد ١٣ يوماً فقط سيتآمر البعثيون على العسكريين الذين فتحوا لهم ابواب القصر. استدرج البكر رئيس الوزراء المقدم عبدالرزاق النايف الى غداء من لحم الغزال. دخل صدام بالرشاش واقتاد النايف الى المطار ودفعه الى المنفى. وفي الوقت نفسه أبلغ وزير الدفاع الفريق ابراهيم عبدالرحمن الداود الذي كان يتفقد القوات المرابطة في الاردن ان لا طريق امامه غير طريق المنفى فسلكه.

قلت لحازم ان موسم الغدر بدأ باكراً فابتسم وقال: "قصة ١٧ تموز بدأت بالغدر والخيانة والرشوة وانتهت بما بدأت به".

لم يكن جواد شريكاً او لاعباً بعد ١٧ تموز. لكنه كان يعرف اسرار النظام الجديد، فكبار العسكريين وبينهم البكر وحردان التكريتي وزير الدفاع

وصالح مهدي عماش وزير الداخلية كانوا في المكتب العسكري الذي أداره على طريق ٨ شباط ١٩٦٣. والمدنيون جاؤوا من الحزب الذي كان يقوده وان كانت ادوار بعضهم متواضعة في ايامه. لهذا كان على اطلاع على ما يدور حتى في الحلقة الضيقة.

شهد جواد قيام النظام الجديد الذي سارع في بيانه الثاني الى اعلان حجز امواله المنقولة وغير المنقولة على رغم معرفته بعدم وجودها. رأى آلة الرعب تنطلق وتصطاد اسماء أدت للحزب خدمات كبيرة. لم يأت صدام الى السلطة ليغادرها. سيطحن الحزب والجيش والدولة والشعب.

ستنقض آلة القتل على من تحوم حوله شبهة معارضة او مجرد اعتراض صامت. وجود البدائل محظور.

ذات جلسة فتحت مع حازم جواد حديث الاغتيالات، فانهمرت الجثث. ناصر الحاني وزير الخارجية العابر غداة ١٧ تموز، والعقيد عبدالكريم مصطفى نصرت الذي قاد الهجوم في ١٩٦٣ على عبدالكريم قاسم المتحصّن في وزارة الدفاع، والفريق حردان التكريتي الحاضر في المحطات الكبرى وتحديداً ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ وانتهاء بـ١٧ تموز ١٩٦٨، وعبدالكريم الشيخلي وزير الخارجية وشريك صدام في محاولة اغتيال قاسم. ادار صدام آلة القتل لكن جواد لا يبرئ البكر "الماكر الكبير" الذي كان يفتعل البراءة احياناً محاولاً غسل يديه.



حردان التكريتي



البكر وصدام

نص الحلقة الثانية

< ما هي ابرز الاغتيالات في عهد البكر - صدام؟

- الاغتيالات ملازمة لتاريخ العراق. في فترة العهد الملكي الطويلة، يمكن تسجيل حادثتين او ثلاث. لكن في عهد البكر. صدام، اصبحت قاعدة وليست استثناء، فهما مارساها من اليوم الاول، واستطيع القول، استناداً الى مصادر ثقة، ان الرئيس احمد حسن البكر، وهذا سر قد تكون تسمعه للمرة الاولى، وفي ليلة التواطؤ لاحتلال القصر الجمهوري في ١٧ تموز ١٩٦٨ خاطب حردان التكريتي قائلاً: "يا حردان هذا الولد صدام لم يدخل في عقلي فهل تخلصنا منه الليلة". رفض حردان تنفيذ هذا الطلب. وكان حردان رفض في مرة سابقة يوم ١٩ تشرين الثاني نوفمبر١٩٦٣ طلباً من الرئيس عبدالسلام عارف لاغتيال ميشال عفلق وامين الحافظ وجميع اعضاء الوفد القومي الذي كان موجوداً في بغداد يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ يوم حسم عبدالسلام عارف الصراع على السلطة لمصلحته مخرجاً البعث منها.

< هذه الرواية موثوقة؟

- الرواية عن طلب اغتيال ميشال عفلق وامين الحافظ وايضاً صلاح جديد موثوقة مئة في المئة، وحردان رفض تنفيذها. اما الرواية الاخرى فأنا انقلها من مصدر ثقة، وقد ضمنها حردان في مذكراته التي لم يعثر عليها. وكان هدفه اثارة الشقاق بين البكر وصدام، لأن حردان حقد على البكر اكثر من حقده على صدام. قصة الاغتيالات حاضرة في عقلهم من الاساس وهي ليست شيئاً جديداً او ان الظروف اضطرتهم اليها. قتلوا يوم ١٧ تموز حزبياً من آل شوكت، وهو ابن شخصية عراقية معروفة، وقيل ان صدام ائتمنه على بعض اموال الحزب، وهي مبالغ بسيطة،

وانكرها عليه عندما هرب من سجن عبدالرحمن عارف، فبيت له كميناً يوم ١٧ تموز، اي انه كان يمكن ان ينتظر ويعتقله. وهذا يعكس حبه للقتل.

< هل علم صدام ان البكر طلب من حردان قتله؟

- الصديق الذي نقل القصة قال ان صدام علم بها، وان ذلك كان من جملة اسباب الصراع بين الرجلين، وعدم الثقة الذي ساد بينهما منذ بداية السبعينات الى ان صفي البكر عام ١٩٧٩. هل علم صدام بالحادثة بعد سرقة المذكرات؟ لا أعرف بدقة لكن هناك اجماع ان حردان ذكر الحادثة فيها وكانت المذكرات معه في الجزائر. اما العملية الثانية بعد حادثة شوكت، فكانت مصرع الدكتور ناصر الحاني الذي جاءوا به وزيراً للخارجية لفترة قصيرة ثم أُعفي من منصبه في ٣٠ تموز وعين مستشاراً لاحمد حسن البكر. لماذا أتوا به ثم اعفوه؟، لا ندري، ولكن الخبر الاكيد، ان البكر كان يتظاهر امام الحاني بأنه هو المهدد من قبل "الاولاد" كما كان يسميهم، ويقصد صدام ومجموعته في العلاقات العامة، الذين هم ناظم كزار وعلي رضا ومحمد فاضل وسعدون شاكر وطاهر محمد امين وغيرهم. كان البكر عندما يأتيه الحاني الى غرفته ليتكلم في موضوع ما، يأخذه الى حدائق القصر ويقول له "أخشى ان يسمعنا الاولاد ويؤذوك". ويبدو ان الحاني كان مطمئناً الى رئيس الجمهورية، الى ان ذهب ثلاثة من مكتب العلاقات العامة واقتادوه في احدى الليالي وقتلوه ورموا جثته في احد شوارع بغداد في مكان محاذ لقناة الجيش، وسببت هذه الحادثة صاعقة لأهل بغداد، ليس لنوعية الدكتور الحاني وانما فقط لبداية ممارسات هذا النظام، لأنهم ادعوا في بياناتهم ان ١٧ تموز انقلاب ابيض او ثورة بيضاء، ثم ان المعروف عن الحاني انه شخص ديبلوماسي وليست له يد في العمل السياسي

والتآمري اليومي. قد تكون عليه سمعة وارتباطات اخرى لا يعلمها الا هو والله، ولكن المعروف عنه انه من السلك الديبلوماسي العراقي وتعاون مع عبدالكريم قاسم وتعاون مع بعث ١٩٦٣.

اما الحادثة الثالثة التي اصابت حزب البعث بصاعقة هي مصرع العقيد الركن المظلي عبدالكريم مصطفى نصرت، الرجل الذي قاد الهجوم على ثكنة وزارة الدفاع يوم ٨ شباط ١٤ رمضان، هذه الجريمة لا تقبل الجدل فهي كانت مرتبة، والسبب في ذلك، واذكرها للمرة الاولى، انني كنت طرفاً فيها. ففي احد ايام اواخر سنة ١٩٦٨، وصل الى بغداد الصديق طلعت صدقي السوري الاصل، وكان يشغل في ذلك الوقت مكتب الشؤون العربية في رئاسة الجمهورية العربية المتحدة، وكان بيته ومقره قريبين من بيت الرئيس عبدالناصر، وكان مبعوثاً للاستطلاع او لكتابة تقرير، وهو صديق شخصي لي ويعرف عبدالستار عبداللطيف منذ ايام ثورة ١٤ تموز وثورة ١٤ رمضان، وله علاقات ايضاً مع صالح مهدي عماش والبكر وعلي صالح السعدي، وعلى رغم انه شخصية ناصرية الا ان له علاقة متشابكة مع البعث العراقي، هي علاقة ود ان لم تكن علاقة تعاطف. دعاه عبدالستار عبداللطيف، الذي كان متقاعداً في ذلك الوقت، الى عشاء في الساعة السابعة والنصف. وكان من المدعوين انا وعبدالكريم مصطفى نصرت وضابط او اثنان من معارفه. نصرت معروف بين اصدقائه وزملائه بدقته في المواعيد الى درجة عجيبة، فاذا كان موعده في السابعة، فلا يمكن ان يأتي بعدها بدقيقة او قبلها بدقيقة، وهو يسكن قريباً من بيتي، فأنا كنت اسكن في المنصور وهو في مدينة اليرموك. وكان من المفروض ان يمر علي، ونذهب الى الجانب الشرقي من بغداد الى بيت عبدالستار عبداللطيف، وعند الساعة السابعة بالضبط تلقيت هاتفاً من عبدالستار عبداللطيف يتوسلني كي اذهب الى فندق بغداد لجلب طلعت صدقي الى داره، ويبدو

انه لم تكن هناك سيارة رسمية مخصصة لطلعت صدقي، قلت له وماذا عن عبدالكريم؟ قال اترك له خبراً عند السيدة الوالدة ليتوجه مباشرة الى هنا. حاولت الاتصال به مرتين وثلاثاً ولم يكن هناك اي رد منه، عندها تركت له رسالة عند امي، ان يلحق بنا. ذهبت الى فندق بغداد واخذت معي طلعت صدقي، وتوجهنا بعدها الى بيت عبدالستار عبداللطيف الكائن في منطقة الصليخ المشهورة، وبدأنا نتسامر مع بقية المدعوين والآخرين، وفجأة انتبهنا الى ان عبدالكريم تأخر على غير عادته، فاتصلنا به في بيته الا ان الهاتف بقي يرن ولا من يجيب. فاتصلنا بأمي نسألها ان كان قد جاء، فقالت لا، وبقينا الى حد الساعة العاشرة ننتظره ليأتي ويتعشى معنا، ولكن الهاتف ما زال يرنّ بلا جواب، عندها اعتقدنا ان شيئاً ما قد حدث قطعاً. تناولنا العشاء وغادرنا بيت عبدالستار بحدود الساعة الثانية عشرة، على امل ان نفهم في اليوم التالي ما حدث لعبدالكريم ودعاه الى الغياب. عاد معي طلعت لأوصله في طريقي الى فندق بغداد، وصلنا الى ساحة التحرير المشهورة، واذا بها محتلة من قبل عدد من المدنيين ورجال الشرطة والجيش وقد اختلط الحابل بالنابل، وكأن هناك مسيرة او تظاهرة. حتى تلك اللحظة كنت لا أزال معروفاً واسمي متداولاً، فوقفت لأنهم لم يسمحوا للسيارة بالمرور الى ساحة التحرير، سألت اثنين او ثلاثة مدنيين وقلت لهم انا فلان، ما الخبر؟ فقالوا ألم تعلم يا سيدي؟ قلت لا، فأجابوا: الليلة سيتم اعدام مجموعة من جواسيس اسرائيل، وستعرض جثثهم في ساحة التحرير، ولذلك فالطريق الوحيد هو ان تسلك شارع ابو نواس. استغربت وقلت ما هي قصة هؤلاء الجواسيس، اما طلعت صدقي فقد اصفرّ وجهه ولم يكن مرتاحاً للعملية، وكانت لديه حركة مشهورة عندما تخطر له فكرة او كذا كان يضرب على جبينه، ففي تلك اللحظة ضرب على جبينه بيده بشكل عجيب، فقلت له ما الامر، فقال بدأت الان اقلق على صديقك.

طبعاً طلعت كان امضى حياته في الاستخبارات المصرية، وفي المكتب الثاني السوري، قلت له ولماذا؟ قال قلبي يقول لي ذلك، فأنتم تقولون عن هذا الرجل انه مضبوط المواعيد، واتفقتما ان يمر عليك، فما هو الهدف من هذا التوقيت؟ فقلت له ان هذه مجرد ظنون. على كل حال اوصلته، وذهبت انا الى البيت. في صباح اليوم التالي اتصل بي احد الاصدقاء هو الضابط عزيز شهاب وهو صديق قديم لعبدالكريم نصرت وللاسرة، وقال البقية بحياتك، عبدالكريم نصرت قُتل... فقلت له اعوذ بالله هل تتكلم بصدق؟ قال نعم. لقد اتصلت بي اخته في الصباح، وانا سأمر عليك.

اخذتني المفاجأة، من الذي يريد قتله، وفوراً ربطت المسألة مع حادثة البارحة. اذاعة بغداد والتلفزيون باشرا منذ الصباح الباكر بالحديث عن اعدام ١٠ او ١٢ بينهم عدد من اليهود وجنود واصحاب مخابز، وهناك معلومات علمتها متأخراً من احد منظمي هذه العملية هو السيد علي رضا، ان هذه كانت كلها تمثيلية، وان هؤلاء كانوا معتقلين لدى عبدالرزاق النايف ايام عبدالرحمن عارف، وقيد التحقيق. استدعوهم من الاستخبارات العسكرية الى قصر النهاية، وبعد ذلك قاموا بهذه التمثيلية والغرض منها كما قال لي علي رضا الارهاب فقط.

< هذا يعني ان هؤلاء لم يقوموا بأي مؤامرة؟

- لا. فقد كانوا معتقلين من ايام عبدالرزاق النايف عندما كان مساعداً لرئيس الاستخبارات العسكرية. واعتقد انها القصة نفسها التي ذكرها لك المقدم ابراهيم الداود، في سلسلة "يتذكر"، حين قال انه بعد حزيران امسكنا بجماعة، فربما كان يقصد هؤلاء. كلّمت صديقاً او اثنين من اصدقاء عبدالكريم في وزارة الدفاع، وذهبت الى بيته. كان البيت مغلقاً، والشرطة العادية تتولى الامر، اي ليس الاستخبارات او اجهزة

اخرى علماً ان الرجل شخصية بارزة من شخصيات حزب البعث وكان معتقلاً طيلة فترة عبدالسلام عارف وعبدالرحمن عارف، وعُذب وهو كان بطل محاولة الخامس من ايلول ١٩٦٤ التي القي القبض فيها على صدام، فهو كان الرقم واحد. لم نستطع ان نفهم شيئاً، ولكن عرفنا من احد افراد عائلته ان الدخول ممنوع، وان الدولة وضعت يدها على البيت وان المغدور كان مصاباً بأكثر من طعنة بالسكين.

< وهل كانت له علاقة بأحداث ١٧ تموز ١٩٦٨؟

- لا اعرف انا شخصياً، فقد ظهر لنا انه كان رئيس التنظيم العسكري الذي يتبع الفرع البعثي المؤيد لسورية بعد الانشقاق، وان احمد حسن البكر وصدام، بذلا معه جهوداً كبيرة قبيل ١٧ تموز لينضم اليهما، وكان عنيداً ويرفض عروضهما، ويقول لهما "انا لا اشتغل معكما او مع عماش وغيره، انا حزبي حقيقي". شاع الخبر في بغداد. نظمنا له تشييعاً في اليوم التالي وقراءة فاتحة في جمعية الاداب الاسلامية، وجاء ممثلون عن السلك العسكري العراقي، فقط غاب البعثي الرسمي الحكومي، اذ لم يأت احد منهم. الغريب انه اطلقت اشاعة في اليوم التالي في وزارة الدفاع وعلى عموم الحزب الرسمي ان عبدالكريم مصطفى نصرت كان رجلاً مخادعاً للحزب وللجميع وشاذاً جنسياً، وكان معه احد الصبيان عندما قتل، ويبدو ان هذا الصبي هو الذي طعنه وقتله وهرب بسيارته، لأن سيارة عبدالكريم لم تكن موجودة. طبعاً هذه عملية خسيسة، فهو كان في الجيش ولم يثر احد هذا الموضوع ولم نكن نسمع عنه هذه السمعة عندما كان في الخدمة العسكرية.

كان نصرت أحيل الى التقاعد منذ ايام عبدالسلام عارف، اي بعد عملية ٥ ايلول ١٩٦٤ اذ اعتقلوه واحالوه الى التقاعد.

وخرج الجميع من السجن قبله. عذبوه تعذيباً شديداً للبوح بأسرار التنظيم، وصمد صموداً عجيباً وغريباً، حتى انه كان يسحل، اذ يربط بسيارة جيب وتجره على طريق قناة الجيش، وكان ذلك في عهد عبدالسلام عارف، ورفض اعطاء اي كلمة، وكان صموده رمزاً لجميع البعثيين، لم يعترف مثل الآخرين كصدام الذي كشف ان الدراسة التي ضُبطت عنده وضعناها في القاهرة انا وطالب شبيب.

< وماذا عن الولد؟

- كانت اشاعة، وكنا نرد عليها بانها كذبة وافتراء. وفجأة قالوا امسكنا القاتل، وظهر على التلفزيون بعدما ضجت بغداد. بعد خمسة ايام من الحادث اذيع بيان يقول، ان القاتل اعتُقل في مدينة النجف ومعه سيارة عبدالكريم نصرت. وظهر شاب صغير، لم يتعرف عليه اي من المقربين من عبدالكريم نصرت، وادعى انه خادم نصرت، وانه قتله، ولمح الى شذوذه الجنسي، وانه كان على خلاف معه وطمع بسيارته. كان واضحاً ان الامر مرتب، واضطروا الى اعلان هذا البيان. والاذاعة السورية فتحت النار على بغداد بعدما اثارت قصة نصرت ضجة. وبقي هذا الولد معتقلاً بانتظار تقديمه الى محاكمة عادية، ثم اختفت آثاره. لم يقدم الى محاكمة ولم يُعرف شيء عن مصيره، وانقطعت اخباره الى اليوم.

< واغتيال حردان التكريتي؟

. الآن قصة الفريق الطيار حردان عبدالغفار التكريتي، وهذا من تكريت اي من بلدة صدام، وهو ضابط مغامر، كان القاسم المشترك الابرز في الأحداث منذ يوم ١٤ تموز الى يوم مقتله، في كل المحاولات والمؤامرات التي حدثت في العراق، الناجحة والفاشلة . يبدو ان احمد حسن البكر كان يخاف منه. فجأة بدأ البكر وصدام في عقد ندوات للنخب العسكرية

الموجودة في العاصمة. تلميحات الى تآمر على الحزب وبدا ان حردان هو المستهدف. كان حردان في الجزائر ويقال ان سعدون غيدان وضباطاً آخرين استدرجوه الى الكويت بذريعة انهم يهيئون لعمل انقلابي ويريدونه قريباً. يبدو انه تعذّر عليهم اغتياله في الجزائر فاستدرجوه الى الكويت.

اصطحب السفير العراقي في الكويت مدحت ابراهيم جمعه الفريق حردان التكريتي الى المستشفى. وقبل ترجّل الاخير من السيارة عاجله مسلحون بالرصاص فقتل. الفضيحة هنا ان وزير الخارجية عبدالكريم الشيخلي توجه الى الكويت واصطحب المنفّذين معه في رحلة العودة.

نحن قتلناه

< وسيلاقي الشيخلي المصير نفسه لاحقاً؟

. شارك الشيخلي مع صدام في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم وانعقدت بينهما صداقة حميمة. صادفتهما معاً اكثر من مرة بينها واحدة قبل انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨. ذات يوم كان الشيخلي في طريقه لدفع فاتورة كهرباء في بغداد ومعه عائلته في السيارة. أمطروه بالرصاص وقتلوه. في هذه الجريمة دخل صدام الى اجتماع مجلس قيادة الثورة وقال: "هذه المحاولة لا تنفوها. اذا سئلتم قولوا نحن تشتلناه قتلناه فهو يستحق القتل". وتابع المجلس اجتماعه برئاسة الأب القائد.

استمرت آلة الاغتيالات تعمل في الداخل والخارج. قتل النظام عسكريين ومدنيين. قتل آية الله محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى. وقتل عبدالرزاق النايف في لندن في ١٩٧٨. لا يتسع المكان لسرد كل التصفيات والاعدامات.

> ماذا عن قصة زيارة صدام للملحق العسكري البريطاني ومعه الشخص الغامض؟

. هذه القصة سمعتها من ثلاثة او اربعة مصادر ثقة، اي اثق في نزاهتها لأن الرواة لم تكن لديهم مشكلة مع صدام. اولاً علي عبدالسلام من الشخصيات الغامضة في تاريخ الاربعين سنة الماضية. ثلاثة اطلق عليه الشخصيات الغامضة، الاول يدعى رشيد مطلق صديق عبدالكريم قاسم، وكان صاحب مطعم او له علاقة به واسمه "مطعم شريف وحداد" في بغداد، وهو مطعم منذ العهد الملكي، ويقال انه من كتلة "جماعة الاهالي" القديمة في الثلاثينات، ولكنه شخص لا تقرأ عنه ولا تسمع عنه. فجأة بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ بدأ

يتبادل الزيارات مع عبدالكريم قاسم، وقيل انه الشخص الذي ارسله عبدالكريم قاسم لإبلاغ الحزب الشيوعي وكامل الجادرجي ان الثورة قريبة، بعد يومين او ثلاثة، واسموه مرة او مرتين "رسول الثورة"، وظل غامضاً الى ان عيّنه عبدالكريم قاسم في الايام الاخيرة لحكمه مدير السياحة والاصطياف، ولم يعيّنه في الاشهر الاولى وانما في نهاية السنة الاخيرة وسلّمه "قصر النهاية" ليكون مقراً للسياحة والاصطياف. والغريب مع رشيد مطلق انه في عام ١٩٦٣ اعتقل وافرج عنه خلال شهر، فمن اخرجه؟ لا احد يعرف. اما الشخص الثاني، فهو عبدالجبار حمزة، الذي لم يُعرف ايضاً ما هو عمله، وهو من سكان الكرخ. وراجت اشاعة عنه انه مدير "استخبارات الحق"، وهذه تابعة لعبدالكريم قاسم كجهاز استخباراتي شخصي، وهذه قرأتها في لندن في كتب رموز الشيوعيين، فلقد وصلتهم الاخبار كما وصلتنا. وجند حمزة جماعات لخدمة عبدالكريم قاسم، وأحد الوشاة في تحرك الحزب الاخير رمزه "ع. ب" وهو قريب الى احد المنفذين، فهذا تطوع للذهاب الى عبدالجبار

حمزة شخصياً وقال له ان هناك حركة ضد قاسم. وكان هذا يوم الخميس عشية ٨ شباط. ولم يتمكن حمزة من ايصال الرسالة. قبل ذلك كان الرجل نفسه اخبر قوى الامن بالاجتماعات التي تعقد في منزل طالب شبيب ما ادى الى دهمه واعتقال بعض القادة وقد علمنا بها من احمد صالح العبدي.

و"ع. ب" كان طلب انتقاله من سامراء الى بغداد. وكان يعلم بالحركة نتيجة ثرثرة احد الضباط المنفذين الذي يعرف عائلته. واعترف لي بذلك رئيس اركان الجيش احمد صالح العبدي الذي وجدته سجل اسمه بالصدفة فأخبرنا. فعبد الجبار حمزة خطر ايضاً. والشيوعيون يشتكون منه. ونحن امسكناه كجاسوس فمن المفترض ان يعدم. اعتقل واختفت قصته ثم أُفرج عنه. والشخص الثالث هو علي عبدالسلام. وهو من منطقة منصورية الجبل شمال شرقي بعقوبة. وهي منطقة تعج بمعسكرات الجيش. وهو يعمل اما مزارعاً او راعي اغنام ومهرباً. وله علاقات وطيدة مع ضباط الجيش العراقي ويعرف كثيرين منهم. فجأة برز اسمه في حركة عبدالوهاب الشواف. وفي محاكمات المهداوي التي تلت الاعتقالات. وجاء لاجئاً هارباً الى سورية. تعرفت اليه هناك. فهو كان مع الشواف ومن قادة الحركة وساهم في تهريب بعض الاسلحة وايضاً اجهزة الارسال التي زودت الجمهورية المتحدة العقيد الشواف بها. وعندما جاء الى سورية جاء كزعيم سياسي.

جلست معه للتعارف فرأيته اكبر من حجمه بكثير. فمن هو وما هي كفاءته؟ لم نسمع بإسمه من قبل. ابتعدت عنه. وظل هو في سورية ويعتمد عليه "المكتب الثاني" الى ان عاد مع ثورة ١٤ رمضان. واذا بـ"ابو ربيع" يعرف رئيس اركان الجيش طاهر يحيى واحمد حسن البكر. وطبعاً في هذه الاثناء وبصفته لاجئاً في الجمهورية العربية المتحدة تعرف الى

صدام وعلي السعدي وفيصل حبيب الخيزران وجميع البعثيين، وهو اجتماعي ويتنقل من بيت الى بيت، فصار شخصية معروفة. وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ يقال انه كان يرتدي بزة رائد، ومع طاهر يحيى وايضاً مع مجموعة صدام حسين التي واجهت الحرس القومي عندما قرر عبدالسلام عارف مواجهتهم.

علي عبدالسلام كان مشتركاً متطوعاً. وبعدما استقر الوضع لعارف لم يقبل "ابو ربيع" الذي يرتدي بزة رائد. طرده، وطلب منه نزع البزة والرحيل وإلا سجنه. فنقم علي عبدالسلام على الرئيس عبدالسلام عارف، لكنه ابقى على علاقته بطاهر يحيى الذي عيّنه عبدالسلام عارف رئيساً للوزراء، ويبدو ان صدام في تلك الفترة كوّن علاقة معه، وكلّفه نقل بعض المعلومات او غير ذلك. لكن الحادثة التي نحن بصددها نرويها نقلاً عن حاتم حمدان العزاوي الذي كان هو ايضاً أحد اعضاء زمرة تنفيذ اغتيال عبدالكريم قاسم وكان هارباً الى القاهرة. يقول انه مطلع عام ١٩٦٤ "فاتحني صدام لمرافقته الى البصرة مع علي عبدالسلام لأنهما يريدان مقابلة القنصل البريطاني وهو رافقهما وذهب متطوعاً. يبدو ان صدام كان يبغي طلب الحماية او وجود شهود، اذا حدث شيء. لا ادري لماذا لم يحضر العزاوي المقابلة.

بعدها انشق الحزب الى جناح يساري والى الحزب القومي الموالي للقيادة القومية، وهو الاصلي. وقسم من جماعة علي السعدي انشقوا واطلقوا على انفسهم الحزب اليساري وانضم اليهم حاتم حمدان العزاوي، وكتب تقريراً لقيادة الجناح عن تلك الحادثة. اخبر عنها قيادة تنظيم القطر، اي جناح علي السعدي، وعلم اعضاء هذا الجناح بهذه الواقعة، وسُجلت نقطة ضد صدام. عرفت هذه القصة متأخراً في عام ١٩٦٨ او ١٩٦٩. سمعتها من هاني الفكيكي ومن حميد خلخال الذي كان ايضاً

متعاطفاً مع علي السعدي على رغم انه تركه بعدئذ وعاد الى الحزب القومي، وسمعتها ايضاً من عبدالستار الدوري، وعلمت ان الرسالة التي كتبها حمدان كانت محفوظة عند السيدة زوجة علي السعدي، ولسبب ما ولظروف الارهاب، أتلفت الرسالة مع وثائق التنظيم الاخرى، خوفاً من ان تقع في يدي صدام وجماعته، وهذه الرسالة عقوبتها الاعدام. الذي لم استطع فهمه في كل هذه القصة ان حاتم حمدان عاد الى التعاون مع صدام وعيّنه في فترة رئيس ديوان رئاسة الجمهورية.

< هل يمكن ان يكون صدام اجتمع بالقنصل البريطاني مع علي عبدالسلام؟

. نعم، ويبدو ان علي عبدالسلام هو القائد او المدبّر وهنا الغموض. فعلي عبدالسلام ابو ربيع يعرف الضباط ويشترك في عملية الشواف ويذهب الى الجمهورية المتحدة ويعود. في بعض العمليات تكون الامور متشابكة. طبعاً هو لم يذهب الى الشواف بصفته عميلاً بل بصفته قومياً ضد عبدالكريم قاسم ومع عبدالسلام عارف، فماذا تسمي هذا؟

على كلٍ، بعد عام ١٩٦٨ وفي حملة الارهاب التي بدأت، اعتقل علي عبدالسلام، وكان من جملة ضحايا قصر النهاية، ولم يعرف سبب هذا الاعتقال، وقبل عام ١٩٦٨ كان علي عبدالسلام لولب هذه الحركة، وكان يدعو بعض الضباط الى داره، حتى انه في يوم ما كان حماد شهاب قطب المؤامرة وآمر اللواء المدرع العاشر، في دار علي عبدالسلام.

رجل بلا اسنان

< في اي عام اعتقل علي عبدالسلام؟

. اعتقل بشكل مبكر في عام ١٩٦٩، وعُذب تعذيباً شديداً. لم يُقتل وأُطلق سراحه بعد فترة. ولسبب ما زرته حتى التقط ماذا يحدث في قصر النهاية. فشكا لي وابرز فمه بلا اسنان. وقال لي: "هل تقبل بهذا. انا ماذا فعلت لهم؟ كنت دائماً اخدمهم". لم يصدق ما حصل له. فقد كسروا اسنانه ويديه ورجليه. سلّمت عليه وقلت له "انساها والحمد لله انك خرجت سالماً". وبعد يومين او ثلاثة من ذلك اليوم قرأت في الصحف عن اقامة الفاتحة على المرحوم علي عبدالسلام الذي توفي في حادث مؤسف. فسألت عنه فقالوا لي انهم أعادوا اعتقاله واطلقوا عليه طلقتين او ثلاث في الجمجمة ورموه قريباً من بيته. فكان اخراجه من السجن اما خطة او لتطمين جهة ما.

فهذه قصة أحد الاشخاص الغامضين في مدة اربعين سنة.


عبد الكريم نصرت


ناصر الحاني



عبد الكريم الشيخلي

الحلقة الثالثة:

البيان رقم واحد

ليلة ٧ - ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ امضى اهالي بغداد ليلة عادية من ليالي شهر رمضان المبارك. لم يخطر ببالهم ان حزب البعث سيستولي بعد ساعات على السلطة وان الزعيم الأوحد سيتحول جثة في اليوم التالي.

لعبت الصدفة دورها في تلك الليلة. فجأة قرر عبدالكريم قاسم، في الثانية فجراً، الذهاب لتناول السحور في منزل يحيى الجدة شقيق عبدالكريم الجدة آمر الانضباط العسكري. ومن شرفة ذلك المنزل أطلّ قاسم على المنزل المقابل الذي يقطنه رفيقه الاول في ثورة ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨ والذي تحول سريعاً عدوه الاول. كان منزل عبدالسلام عارف هادئاً ولا شيء يدعو الى الريبة. وفي تلك الليلة سهر عارف ونام بعد تناول السحور. لم يعرف انه سيستدعى بعد ساعات ليتولى رئاسة الجمهورية. وفي الليلة نفسها نام صالح مهدي عماش في سجنه. ونام علي صالح السعدي في سجن آخر. ثمة شاب لم ينم في تلك الليلة. اسمه حازم جواد. فبعد ساعات سيكون الخيار قاطعاً: إما تسلّم السلطة وإما مواجهة الاعدام. تأكد جواد ان كل التبليغات وصلت. سلّم والدته اموال الحزب وكانت ٥٤٠ ديناراً واحتفظ لنفسه بخمسة دنانير. وسلّمته والدته البيانات التي أخفتها وبينها البيان الرقم واحد الذي كتبه بخطه في وقت سابق مع حفنة من اعضاء القيادة.

كاد جواد يرتكب في تلك الليلة خطأ قاتلاً. بعد تأديته الصلاة في جامع الإمام الاعظم خطر له ان يذهب الى بيت عبدالسلام عارف وان

يصطحبه الى منزله لينطلقا معاً في تنفيذ الثورة في ساعات الصباح. شيء ما في داخله نصحه بالإقلاع عن الفكرة. لم يكن يعرف ان قاسم يسهر قبالة منزل عارف وان رؤيته هناك كان يمكن ان تؤدي الى تدمير كل شيء.

نام طالب شبيب تلك الليلة في منزل جواد الذي لم يغمض له جفن. صباح الجمعة ٨ شباط ١٤ رمضان سينتقل جواد الى التنفيذ استناداً الى وعود قطعها ثلاثة عسكريين: حامد جواد شقيقه الضابط في قاعدة الحبانية ومنذر الونداوي الضابط الطيار الذي سيشارك في الغارة الاولى على وزارة الدفاع والقاعدة الجوية في معسكر الرشيد، وعبدالستار عبداللطيف الذي سيلعب دوراً مهماً في السيطرة على كتيبة الدبابات الرابعة وسيكون احمد حسن البكر هناك ساعة التنفيذ.

في التاسعة صباحاً ومن مرسلات ابو غريب سيذيع حازم جواد باسم المجلس الوطني لقيادة الثورة "البيان الرقم واحد" الذي صيغ بعبارات تموزية نسبة الى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وسيعلن في البيان الثاني إحالة عدد من كبار الضباط الموالين لقاسم الى التقاعد بعد ان اعلن بين البيانين ان قاسم قتل في مقر وزارة الدفاع. لم يكن قاسم قد قتل وكان الغرض من الاشاعة إثارة الذعر في صفوف أنصاره.

نفّذ عدنان القصاب، عضو قيادة بغداد في الحزب، ما طلبه منه جواد. فور سماعه البيان الرقم واحد توجه الى منزل عارف القريب وقال له كلمة السر: "حازم يسلّم، الثورة بدأت". ارتدى عارف بزة رمادية مقلّمة وتوجه الى مرسلات ابو غريب ووصلها في العاشرة والنصف. ذلك انه كان اودع قبل كانون الاول ديسمبر الماضي بزته العسكرية لدى شقيقه صاحب متجر لكي الثياب ليستخدمها عند الحاجة. لكن حركة كانون الاول لم تبلغ مرحلة التنفيذ.

نفّذت الخطة بحذافيرها. انضمت قاعدة كركوك الجوية بقيادة حردان التكريتي الذي نفّذ وعوده السابقة. وتوجه الضابط المتقاعد عبدالغني الراوي الى الحبانية ليقود اللواء الثامن.

بعد وقت قصير من البيان الاول تحرك الشيوعيون. وكما كان متوقعاً تحصّن عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع. ومن مرسلات ابو غريب توجه عارف وجواد والبكر وآخرون الى اذاعة الصالحية في بغداد. وفي ذلك النهار سترتسم ملامح السلطة الجديدة بعدما تولت قوة اطلاق علي السعدي وعماش من سجنهما. وسيتولى عارف رئاسة الجمهورية والبكر رئاسة الوزراء وسيعيّن السعدي نائباً له ووزيراً للداخلية، اما جواد فسيُعين وزير دولة لشؤون الرئاسة بناء على إلحاح رفاقه ليكون قريباً من عارف وربما لضبطه. اما المجلس الوطني لقيادة الثورة فقد اتفق على ان تكون رئاسته دورية ولم تعلن اسماء اعضائه.

نترك تفاصيل ذلك اليوم للكتاب الذي نأمل ان يصدره جواد في موعد غير بعيد لننشغل بمصير قاسم.





الحرس القومي في ٨ شباط ١٩٦٣

نص الحلقة الثالثة

< كيف كانت الأجواء لدى عبدالكريم قاسم؟

- تبين لنا في ما بعد انه عاد للمبيت في منزله في منطقة العلوية في بغداد حوالي الرابعة فجر ٨ شباط. حوالى التاسعة صباحاً اتصل به مدير الأمن العام العقيد عبدالمجيد جليل، الذي يبدو انه كان مداوماً في مديرية الأمن منذ الصباح الباكر على رغم ان ذلك اليوم كان عطلة، وأبلغه أن مجموعة من المسلحين استولت على مركز شرطة المأمون وقطعت الطريق الدولي الغربي. بعد دقائق اتصل جليل مرة أخرى، وقال ان عملية مشابهة حدثت في الباب النظامي لمعسكر الرشيد. ورجّح ان تكون هذه اضطرابات طلابية ينفذها بعثيون وقوميون. أحس عبدالكريم بخطورة الوضع، وخلال دقائق انقطع البث الاذاعي ثم سمع أصوات قصف الطائرات في بغداد، فتأكد ان هناك عملية كبيرة. بدأ بعض كبار ضباطه وأعوانه يتقاطرون الى منزله، وقرروا الذهاب الى وزارة الدفاع في موكب سلك طريق شارع السعدون ثم شارع الجمهورية واستدار قبيل باب المعظم ودخل الى وزارة الدفاع. كان المئات من الشيوعيين محتشدين أمام الوزارة يصفقون ويهتفون "ماكو زعيم الا كريم" و"تسقط المؤامرة". حيّاهم وأشار لهم بيده بما معناه ان الامر سيحسم خلال ساعتين. دخل الى مقره في وزارة الدفاع الذي غادره في اليوم التالي مستسلماً، وعقد اجتماعاته في غرفته في الطابق العلوي ثم نزل الى الملجأ الموجود تحت الوزارة، وبدأ إصدار أوامره الى القطعات لأخذ وضع دفاعي حول وزارة الدفاع واطلاق النار على الطائرات المغيرة. استمر قصف الطائرات وتحليقها المتواصل وبدأ وصول دبابات الثوار وأطلقت بعض الطلقات في اتجاه الوزارة. الا ان الحشود ازدادت حول المبنى بعدما سرت أنباء ان عبدالكريم لا يزال حياً. وهاجم المتظاهرون

دبابتين وأخرجوا الضباط منهما وسحلوهم في الشارع، فاضطر عبدالكريم مصطفى نصرت الى اطلاق النار فوق رؤوسهم.

اتصل عبدالكريم قاسم بآمر اللواء الـ١٩ العقيد فاضل عباس حلمي في معسكر الرشيد يسأله عن الوضع، فأخبره ان هناك مجموعة غير معروفة توقف السيارات في الطريق الى المعسكر وتطلق النيران. فطلب قاسم إرسال سرية لسحق هؤلاء وتحضير اللواء للتحرك عند الحاجة. أرسلت سرية بقيادة الرئيس الأول شاكر ياس، وهو ضابط قومي، لاستعادة السيطرة على الباب النظامي. حاول ياس، بحسب ما اعترف بعدئذ، ايقاف الرمي من جانب "الحرس القومي" لكن هؤلاء كانوا مستبسلين وسقط منهم نحو ١٢ شهيداً.

اتصل عبدالكريم قاسم مرة أخرى بفاضل عباس، فيما كان ضباطنا في اللواء بدأوا تحركهم، فلاحظ ان آمر اللواء كان متردداً، سأله: ما بك فاضل، أراك متردداً؟ فأجاب: سيدي، الموقف حرج بعض الشيء، فقال له: اذاً تنح وأعطني مقدم اللواء عزيز الصندوق. والاخير ضابط شيوعي. طلب عبدالكريم من عزيز الصندوق التصرف كآمر للواء، والزحف في اتجاه وزارة الدفاع. استغل الضباط البعثيون هذا الخلل، فاعتقلوا عزيز الصندوق، وقالوا لآمر اللواء: سيدي، نحن مع الثورة ونريد منك ان تقودنا.

بداية التداعي

انتظر عبدالكريم قاسم نصف ساعة أخرى، وعاود الاتصال باللواء الـ١٩ فأجابه هذه المرة على الهاتف شخص آخر، لا آمر اللواء ولا المقدم عزيز الصندوق. سأله عبدالكريم: من أنت، فأجاب: أنا الرئيس الأول الركن طه الشكرجي وهو ضابط من الموصل وعضو في حزب البعث.

فقال قاسم: "أنا الزعيم عبدالكريم قاسم". ردّ الشكرجي بالقول: "نحن لا نعترف بك. وقتك انتهى، وأنت مجرم وخائن، وسنأتي لاعتقالك أو قتلك". فقد قاسم صوابه وعلمنا في ما بعد انه خرج من وزارة الدفاع وهو يشتم راكضاً في اتجاه سيارته يريد الذهاب الى مقر اللواء لتأديب الشكرجي، فلحق به رئيس اركان الجيش ومرافقوه وصديقه عبدالكريم الجدة وهدّأوا من غضبه وأعادوه الى مكتبه. في هذه اللحظة بدأ التداعي يصيب شخصية عبدالكريم قاسم كقائد عام للقوات المسلحة وكوزير للدفاع. اذ أصدر بعد ذلك امراً لأهم سرية في الوزارة تسمى سرية الدفاع والواجبات، وآمرها الرائد عبدالله مريوش، بالخروج من داخل الثكنة وتشكيل خط دفاعي أمام الدبابات التي بدأت تتكاثر. لكن مريوش بدل ان يفعل ذلك طوّق مع جنوده وزارة الدفاع ما أصاب عبدالكريم بانهيار كامل. بعث بمرافقه حافظ علوان وراء آمر الفوج العقيد عارف يحيى الحافظ، وهو قاسمي من الموصل، فلم يلبِ واختفى هو وضباطه. هذا حصل في وزارة الدفاع، فما بالك بالمعسكرات البعيدة. سجل عبدالكريم القاسم نداءين يدعو فيهما الشعب والجيش الى النزول الى الشوارع والساحات للقضاء على عملاء الاستعمار، وكلف أحد مرافقيه محمد سعيد الدوري بثهما من محطة ارسال أخرى في منطقة سلمان باك جنوب بغداد، الا ان الدوري اعتُقل أو سلّم نفسه. الوحيد الذي استبسل في وزارة الدفاع هو الانضباط العسكري وقائده العقيد عبدالكريم الجدة.

المفاوض القتيل

مع خضوع اللواء الـ١٩ لسيطرتنا التحق بمعسكر الرشيد الذي يبعد نحو ٤٠٠ متر عدد من الضباط والجنود قيل ان عددهم نحو ألف بينهم عدد من المتقاعدين، ومع وصول دباباتنا بقيادة طاهر يحيى وأنور

الحديثي كان هؤلاء يهتفون لعبدالكريم قاسم. تقدم الحديثي وطلب منهم انتداب أحدهم للتفاوض، فتقدم رئيس العرفاء وصعد الى برج الدبابة للتفاهم، فما كان من الحديثي الا ان قال: هذا ممثلكم وهو خائن وحكمنا عليه بالاعدام. وأطلق النار عليه أمامهم. ثم أمر باطلاق النار فوق رؤوس المتجمعين فتفرق الحشد هارباً. وتقدمت الدبابات وسيطرت على المعسكر واتخذ العقيد طاهر يحيى من مقر اللواء الـ١٩ مقراً لقيادته.

< كيف كان يتابع عبدالسلام سير الأمور، وهل كان يشعر بالشماتة، وهل كان يقول انه يريد قتل عبدالكريم قاسم؟

- كان متماسكاً ورابط الجأش كعادته، وقال عاجلاً أم آجلاً كل شيء سينتهي. كنا مسيطرين وكانت ثقتنا كبيرة لأن الخطة سارت بحسب ما هو مرسوم. وكنا منصرفين الى المعركة وكانت لدينا ثقة كاملة بأن المسألة باتت مسألة ساعات. ما كان يشغلنا هو معالجة أمر التظاهرات الشيوعية، اذ كانت سيارات مسرعة تمر من أمام الاذاعة في الصالحية وتطلق النار. وجاءتنا معلومات ان الشيوعيين احتلوا وسط مدينة الكاظمين المقدسة لدى الشيعة الواقعة في جوار الأعظمية واستولوا على الأسلحة من مراكز الشرطة. قررنا عدم اشغال أنفسنا بذلك لأنه لم تكن توجد قوات للجيش في المدينة.

كما كنا نتابع تفاصيل المعركة والاتصال بالقطعات خارج بغداد، في بعقوبة وكركوك والموصل وأربيل والبصرة حيث أعلنت قطعات الجيش في هذه المدن تأييدها للثورة، وشهدت البصرة تظاهرات كثيفة للحزب الشيوعي القوي هناك، فنزل اللواء الخامس عشر وسيطر على المدينة وفُرض نظام منع التجول.

بحلول المساء كانت كل المعسكرات في بغداد تحت سيطرة الثورة: الوشاش وأبو غريب والرشيد، بما فيه اللواء الـ١٩ والقاعدة الجوية، والثكنة الشمالية التي تضم مقر قيادة الفرقة الخامسة في باب المعظم، وبقيت وزارة الدفاع خارج السيطرة لكنها كانت تحت الحصار.

< الى متى استمر القصف على الوزارة؟

- حتى غروب الشمس. ووصل اللواء الثامن الذي يضم ثلاثة أفواج بقيادة الراوي، طوّق أحدها بقيادة المقدم محمد يوسف طه وزارة الدفاع استعداداً لاقتحامها، وانتشر الفوجان الآخران ليلاً للسيطرة على الرصافة والكاظمين.

< هل جاء الراوي الى الاذاعة؟

- جاء وقدم نفسه وبارك لنا وخرج. كثير من الضباط جاؤوا يباركون.

< متى حصل أول اتصال مع عبدالكريم قاسم؟

- حدث أول اتصال بينه وبين طاهر يحيى بعد اعلان عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية. يبدو انه علم من أحدهم في اللواء الـ١٩ أن طاهر يحيى موجود في مقر اللواء، فاتصل وقال: أريد أن اتفاوض. أجابه طاهر يحيى المعروف بلسانه السليط: "تأخرت كثيراً وأنت الآن كالجرذ، واذا لم تستسلم، سأفتح الماء عليك وأغرق الملجأ، فمن الأفضل ان تسلّم، ولا تتصل بي بعد الآن. اتصل بصاحبك عبدالسلام وهو في الاذاعة ينتظرك. أنا ليست لدي أي صلاحية".

مع هبوط الليل كانت مرت ١٢ ساعة وازداد ضغط الضباط لاعلان تشكيل الحكومة قبل انهاء المقاومة. كانت نيتي أن أؤجل اعلانها حتى

الانتهاء من العملية، لكنني اقتنعت بأن اعلانها قد يسرع في القضاء على عبدالكريم قاسم. اجتمع المجلس الوطني لقيادة الثورة وقرر باجماع الاصوات انتخاب عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية طيلة الفترة الانتقالية. علي أرادها في شكل موقت، فرفض عبدالسلام وأيّدناه.

< ماذا تعنون بفترة انتقالية؟

- عنينا في انتظار الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

< هل أذعتم أسماء مجلس قيادة الثورة؟

- لا. كنا متفقين منذ البداية، وبإلحاح مني، بألا نذيع اسماء مجلس قيادة الثورة. كان رأيي انه ما دامت النية إقامة دولة وحدة في القريب العاجل، فلماذا اعلان الأسماء.

< ممن تشكلت الحكومة؟

- أحمد حسن البكر رئيساً للوزراء، علي السعدي نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، طالب الشبيب وزيراً للخارجية، صالح عماش وزيراً للدفاع، عبدالستار عبداللطيف وزيراً للمواصلات، حميد خلخال وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، ناجي طالب من الضباط الاحرار وزيراً للصناعة، الدكتور عبدالكريم العلي وزيراً للتخطيط، شكري صالح زكي وزيراً للتجارة، المهندس عبدالعزيز الوتاري وزيراً للنفط، صالح كبه وزيراً للمالية، أحمد عبدالستار الجواري وزيراً للتربية والتعليم، الدكتور عزت مصطفى وزيراً للصحة، العميد محمود شيت وزيراً للبلديات. كما عيّنا بابا علي الشيخ محمود إبن الشيخ محمود الحفيد الثائر الكردي القديم في منصب وزاري لا أذكره وفاء لموقفه في ١٩٥٨ عندما استقال مع الوزراء القوميين.

وأود الاشارة هنا الى ان وزارة الدفاع كانت أساساً معروضة على عبدالستار عبداللطيف الذي فضل المواصلات لأنه في فرع الهندسة الآلية في الجيش، وتنازل عنها لصالح عماش الذي بدأ عمله بالأخطاء القاتلة، ولم يكن جيداً بعد استقالته من المكتب العسكري وتخاذله، تسليمه أهم وزارة في الدولة وهي وزارة الدفاع. هذه غلطة اعترفت بها فوراً بعد أيام عندما رأيت سلوكه كوزير وشعرت بالندم.

< هل حصل نقاش حول تولي علي منصباً وزارياً؟

- حصل نقاش قبل الحركة خارج الاجتماعات. هاني الفكيكي لم يكن موافقاً وقال لي قبل شهور: علي لا يصلح، وهو سينكب الثورة، كما نكب الحزب، لكنني لم أوافق.

< ألم تشارك في الحكومة؟

- بحسب الاتفاق المسبق لم أكن فيها، لأن الاتفاق كان يقضي بأن أصبح أمين سر القيادة منذ اليوم الأول للثورة وأن أمين السر لا يتولى حقيبة وزارية. لكن الجميع ألحوا عليّ بتولي منصب وزاري ليخولني ذلك حضور اجتماعات مجلس الوزراء، فاقتنعت وأضفت اسمي في ذيل القائمة وزيراً للدولة، بعد وزير الدولة الكردي فؤاد عارف. وأذيعت البيانات.

< هل تحسس علي من كونك أصبحت أميناً للسر؟

- لا. أنا كنت فعلياً أمين السر، وهو كان مطيعاً.

< هذه اللائحة كانت في جيبك؟

- نعم. من قبل شهور، لم يضف اليها الا اسمي على الطاولة التي كنا نجتمع عليها.

< ألم يعترض عبدالسلام؟

- لم يعترض عليها أعطيته اياها في الاجتماع فاستحسنها، وسأل عن انتماءات عدد من الذين لا يعرفهم.

عبدالناصر... وأمير الكويت

فور اعلان الحكومة، بعث الرئيس جمال عبدالناصر ببرقيته الشهيرة الى الرئيس عبدالسلام عارف للتهنئة بأحداث "اليوم المجيد" في تاريخ العراق والأمة العربية. استقبلنا برقية عبدالناصر بفرح وأذيعت في ذلك اليوم أكثر من ٣٠ مرة بصوت السيدة هناء العمري. أردنا أيضاً ان نوضح لعبدالناصر اننا لا نحمل عقدة البعث السوري وخلافاته، وأردنا ان نميز نفسنا، لأن يوم ١٤ رمضان أساساً كان دعماً للجمهورية المتحدة. واجبنا على الرسالة فوراً من طريق الاذاعة، وتقصدنا في صياغتها ان نظهر ان المجموعة الانقلابية بعثية، فورد في برقية الشكر من عبدالسلام عارف شكر أعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة وشعار البعث: الوحدة والحرية والاشتراكية.

كما جاءتنا برقية أخرى من شكري القوتلي الرئيس السابق للجمهورية العربية السورية الذي تمت الوحدة في عهده ووقّع على ميثاقها مع الرئيس جمال عبدالناصر، والذي وقف في ما بعد مع الانفصال، وأيّده بحماسة وألقى خطاباً في الراديو. وكان الجواب على برقية القوتلي خشناً وتضمن تقريعاً على موقفه من الانفصال.

كما سمعنا عبر اذاعة الكويت برقية أثارت جدلاً وإحراجاً من أمير دولة الكويت يهئ فيها الرئيس عبدالسلام عارف بزوال نظام الطاغية. رأينا ان اهمال الرد على البرقية سيفسر بأن موقفنا هو موقف عبدالكريم قاسم نفسه من مسألة الضم، واذا اجبنا عليها سيفسر ذلك بأنه بداية لتسوية أو اعتراف، وكان الحل بالرد على البرقية على ان تعنون الى أمير الكويت وليس الى أمير دولة الكويت.

< هل كان عبدالسلام يعتبر الكويت جزءاً من العراق؟

- نعم، وأعتقد ان ٩٠ في المئة من العراقيين حتى الآن يعتقدون بذلك. وهو كان ضد الاعتراف أو شبه الاعتراف الذي تم في ما بعد في تشرين الأول في بغداد.

< هل كنت تعتقد ان الكويت جزء من العراق؟

- أنا كنت أعتقد بأن وحدة ستقوم، وان الكويت سترتبط برباط ولو فيديرالي على الأقل مع الجمهورية العربية المتحدة.

< ألم يتصل بكم ميشال عفلق في تلك الليلة؟

- أبداً.

< ماذا حصل اثر اعلان الحكومة، وهل جرى اتصال بينكم وبين عبدالكريم قاسم؟

- حصل في الليل اطلاق نار متفرق من بقايا جيوب الشيوعيين واكتشفنا في ما بعد ان اتصالاتهم كانت مستمرة مع عبدالكريم قاسم لحضه على المقاومة. الاتصال الأول جاء من قيادة قواتنا في وزارة الدفاع بأن يونس الطائي صاحب جريدة "الثورة" لسان عبدالكريم شخصياً يريد ان يرانا.

كان يونس محباً لعبدالكريم قاسم، وهو مقاول بناء، وعندما سمع بأحداث الثورة والانقلاب ذهب الى وزارة الدفاع والتحق بعبدالكريم قاسم. لدى اعلان عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية، طُرح اقتراح، أظنه من قاسم نفسه، بأن يطلب يونس الطائي مقابلة عبدالسلام اذ ان بينهما معرفة شخصية، وفي الحقيقة فان جريدة "الثورة" لم تكن قاسية على عبدالسلام بعد اقصائه، وعندما فضّ عبدالكريم قاسم علاقته مع الشيوعيين كانت متحمسة وتهاجم الشيوعيين يومياً. اعتبرنا العرض محاولة من عبدالكريم لكسب الوقت وهو معروف بأنه مراوغ وغدّار. وافقنا على استقبال يونس، أنا وعبدالسلام عارف فقط، ثم انضم الينا علي صالح السعدي. هنّأ يونس عبدالسلام بالرئاسة وقال له ان عبدالكريم يتجول في وزارة الدفاع ويتمتم: "عبدالسلام أصبح رئيساً"، بما معناه انه تقبل الأمر. طلب يونس الانفراد مع عبدالسلام، فأشار الأخير اليّ بالقول: هذا هو المسؤول، فدهش، لأنني كنت أبدو صغيراً. بادره عبدالسلام بالقول: أبلغ عبدالكريم بأنني لست عبدالسلام الرابع عشر من تموز. أنا الآن شخص مختلف ونحن قيادة جماعية والأمور ليست في يدي.

< ما هو العرض الذي عنده؟

- بأن يسمح لعبدالكريم قاسم بالخروج والعفو عنه في مقابل ان يكف عن المقاومة.

< هل طلب شيئاً لرفاقه؟

- لا، الكلام كان عنه هو فقط. ضمان سلامته وإنهاء الوضع.

بعد أخذ وردّ قال عبدالسلام ليونس: نحن نطلب منه أن يستسلم وبعد ذلك لكل حادث حديث.

< رفض اعطاءه أي تعهد؟

- نعم. قال له: يجتمع مجلس القيادة ويقرر، وأنا لا استطيع أن اعطيه وعداً لأنها ليست قضية فردية. لكننا أردنا أن نعرف منه من كان موجوداً مع عبدالكريم قاسم، فقال: طه الشيخ أحمد وفاضل المهداوي وأحمد صالح العبدي وعبدالكريم الجدة وآخرون.

كرر يونس استعطاف عبدالسلام قائلا: أليس هناك مجال؟ كنتما أكثر من اخوان، وهو يقول الآن: الله لا يوفق الذي كان سبب الخلاف.

< بماذا كان يرد عبدالسلام؟

- قال له: كان ينبغي ان يتذكر ذلك عندما سجنني ثلاث سنوات في غرفة انفرادية وحكم عليّ بالاعدام مكافأة لي على الثورة ١٤ تموز وعلى تنصيبه قائداً لها ورئيساً للوزراء.

< هل كان قاسياً معه في الكلام؟

- لا، بل راعى بعض حقوق عبدالكريم. عجيب كيف ان هؤلاء الديكتاتوريين يبدأون في شكل وينتهون في شكل آخر.

مساء قتل المقدم وصفي طاهر مرافق عبدالكريم الأقدم والوسيط بينه وبين الحزب الشيوعي، يقال انه كان ينقل رسائل الحزب الشيوعي في الأشهر الثلاثة الأخيرة الى عبدالكريم. جيء الينا بوصفي طاهر في الخامسة أو السادسة مساء الى دار الاذاعة، وخرجت أنا وعبدالسلام لنراه. كان مصاباً بطلق ناري في الجهة اليسرى في القلب.

< كان ميتاً؟

- نعم.

< لماذا أحضروه الى الاذاعة؟

- لا أعرف. ولكن كان واضحاً اثر بقعة سواد كبيرة قرب مكان اصابته، فقيل انه من المحتمل ان يكون انتحر.

< ماذا قال عبدالسلام؟

- تأثر وقال: كان صديقي، ومع الأسف هذه نهايته وقرأ الفاتحة. وأنا تأثرت بالموقف لأن وصفي طاهر شهد ضد عبدالسلام في المحكمة وشتمه.

وقرأت أخيراً كتاباً صدر حديثاً عنوانه "عبدالكريم قاسم في يومه الأخير"، يبدو ان احد الشيوعيين ألّفه، وهو محمد عقيل الناصري قال فيه بأنهم أتوا بوصفي طاهر جريحاً الى الاذاعة فأكمل عليه طاهر يحيى لحقده عليه. من أين يأتون بهذه الترهات. أصلاً طاهر يحيى كان في معسكر الرشيد ولم يصل الى الاذاعة.

< أنت متأكد بأنه كان ميتاً عندما رأيته؟

- بالطبع. وطلبت من العقيد صالح الرمضاني أن يأخذ الجثمان ويدفنه بكل تكريم ويخبر أهله في اليوم الثاني أو الثالث بعد هدوء الأوضاع. وبعد اتمام مراسم الدفن أطلقت فصيلة من الجنود طلقات في الهواء تحية وفقاً للمراسم العسكرية.

سذاجة المهداوي

بدأت قوى عبدالكريم تخور بعدما انفض كثيرون من حوله وآخرهم رئيس اركان الجيش أحمد صالح العبدي الذي شعر بأن الأمور انتهت بعدما تفتقت عبقرية فاضل المهداوي عن اقتراح على عبدالكريم قاسم، حوالى منتصف الليل، بالاتصال بسفير الاتحاد السوفياتي وطلب إنزال جوي على بغداد لمساندته ودحر الانقلابيين. فقال العبدي للمهداوي: أما كفاك تخريباً طيلة هذه السنين الخمس؟ كل مشاكل الزعيم ومشاكلنا جاءت منك، والآن تقترح مثل هذا الاقتراح أيها المجنون، وتريد ان تجرنا الى حروب مع دول كبرى. واستأذن عبدالكريم بالمغادرة قائلا: سيادة الزعيم عندما تصل الحلول الى استدعاء قوات سوفياتية فهذا يعني ان الأمور انتهت، وأنا سأستسلم للجماعة. وخرج هائماً في الليل المظلم وكان الطقس بارداً وخاض في نهر دجلة وصعد الى الشارع المؤدي الى المستشفى الجمهوري حيث التقطته احدى دورياتنا وأرسل الى معسكر الرشيد وهو في حال يرثى لها. وغادر الوزارة أيضاً النقيب حافظ علوان مرافق عبدالكريم قاسم.

قاسم يتصل

بعد ذلك رنّ جرس الهاتف في غرفة الاستعلامات في اذاعة الصالحية، فردّ عليه دياب العلقاوي، وكان عبدالكريم قاسم على الهاتف يطلب الكلام مع رئيس الجمهورية. أخذ عبدالسلام السماعة وأنا بجانبه ووضعها بين أذني وأذنه. بعد السلام، قال عبدالكريم: أنا صائم، وحتى الآن لم أفطر، وبدأ يستثير العواطف، فرد عبدالسلام: كلنا مثلك. ماذا تريد؟ قال عبدالكريم: كل شيء انتهى وأنا مستعد للخروج. كرر عبدالسلام ما قاله ليونس: أنا لست عبدالسلام ١٤ تموز، ونحن مجلس

قيادة الثورة. ما اقتراحك وسأنقله اليهم. فقال: في سورية سفّروا النحلاوي حقناً للدماء، في اشارة الى الضابط السوري عبدالكريم النحلاوي كاتم الأسرار الحربية للمشير عبدالحكيم عامر والذي نظم انقلاب ٢٨ ايلول الانفصالي عام ١٩٦١، والذي وافق الانقلابيون الذين أطاحوا به بعد سنة على حل وسط يقضي بتسفيره وجماعته خارج سورية.

استفزني هذا الكلام فقلت لعبدالسلام على مسمع من عبدالكريم: أخبره بأن الجماعة يقولون عيب عليك. أنت رئيس وزراء ثورة ١٤ تموز. كيف تسمح بأن تشبّه نفسك بهذا الانفصالي الجاسوس الذي قبض أموالاً من جهات اجنبية لينفذ انقلاب ٢٨ أيلول؟ سكت عبدالكريم، خجلاً على ما يبدو، اذ لم يكن ينتظر مثل رد الفعل هذا. فقال له عبدالسلام: اذا كنت تريد أن تستسلم فشرط الجماعة ان تخرج وحدك وخلفك جماعتك وتنزعون رتبكم العسكرية. فقال عبدالكريم: هذه إهانة. لماذا هذا الشرط؟ فقال له: أولاً لأن الجماعة يعرفون بأنك غدّار ولا يثقون فيك، وثانياً حتى لا يحدث اطلاق نار عليك. فكّر ثم كلّمنا مرة ثانية.

وضعنا هذا الشرط لأنني كنت أخشى بأنه عندما يخرج بهيئته العسكرية الكاملة مع مرافقيه، فإن شكله قد يؤثر في بعض الضباط والجنود الذين تربوا لخمس سنوات على ان هذا هو الزعيم الأوحد، وربما أخذتهم الحمية وانقلب الموقف.

< عبدالسلام كان حريصاً على إسماعك المكالمة؟

- نعم ومن دون حساسية، وكان في منتهى الانضباط، ثم انه يريد ان يعرف كيف يتصرف لأنه لم تكن له ثقة بعبدالكريم.

الحلقة الرابعة:

ساعة إعدام

الزعيم

وليمة السلطة لا تقبل الشراكة. ولا يتسع العراق إلاّ لزعيم واحد. ولا يستسيغ العراقيون، عسكريون ومدنيون، صفة "الرجل الثاني". يتقاتلون مبكراً على مواقعهم في صفحات التاريخ الذي يتوهمون حضوره في كل شجار بينهم يرصد حركاتهم ويدون العبارات القاطعة. يذهب الحاكم العراقي إلى التاريخ حاملاً جثث رفاقه وشركائه. يقتلهم لارغام الشعب على مبايعة رجل واحد، لإرغام التاريخ على إعداد مقصورة خاصة للاعب الوافد.

إذا كان حازم جواد أذاع البيان الرقم واحد في ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ ثورة ١٤ رمضان، فإن الرجل الذي جاء به وعينوه رئيساً للجمهورية، عبدالسلام عارف، كان أذاع البيان الرقم واحد في ثورة ١٤ تموز يوليو ١٩٦٨ واستولى على الإذاعة وبغداد قبل ساعات من وصول الزعيم عبدالكريم قاسم.

"ماكو زعيم إلا كريم" قال عارف لـ"الضباط الأحرار" قبل ثورة ١٩٥٨. لم يعرف "السيد النائب" ما سينتظره بعد شهور بسبب شجاعته المهورة بالتهور وأسلوبه الفج في التعبير عن طموحاته الوحدوية المتسرعة وشغفه بالانضواء سريعاً تحت زعامة جمال عبدالناصر. لن

يرحم الرجل الأول الرجل الثاني. سيصادر منه ألقابه ووهجه وسيدفعه إلى السجن مع حكم بالإعدام يبقى تنفيذه مرهوناً بإرادته.

بعد خمسة أعوام ستأتي ساعة تصفية الحسابات. لم يرحم من كان الرجل الثاني من كان الرجل الأول. عبثاً سيحاول أن ينتزع منه اعترافاً بأنه كتب وحيداً البيان الأول لثورة ١٩٥٨. ولأن التاريخ كان حاضراً فضل قاسم الإعدام على منح رفيقه وعدوه مثل هذه الشهادة أمام التاريخ.

لم يتوقع منفذو ٨ شباط ١٩٦٣ المشهد. رجحوا أن يقتل قاسم أو ينتحر. تماماً كما توقع كثيرون بعد ٤٠ عاماً أن يقتل صدّام حسين أو ينتحر. غالباً ما يخيب حاكم العراق الرهانات. ثمة خيط من الرصاص والدم يربط بين هذه العقود التي ترشح قسوة وأحلاماً متهورة وشباناً متهورين. لم يقتل قاسم برصاص صدام ورفاقه في ١٩٥٩، لكنه سيقتل بعد أربعة أعوام برصاص البعثيين والضباط القوميين. وحين دوى الرصاص في استوديو الإذاعة في الصالحية، بدأ شاب في القاهرة يعد حقائبه للعودة إلى بغداد، فقد سقط قاسم ومعه حكم الإعدام. وكان اسم الشاب صدّام حسين.

في إذاعة الصالحية تحلقوا حول الزعيم: عارف وجواد وأحمد حسن البكر وعلي صالح السعدي وطالب شبيب وصالح مهدي عماش وحردان التكريتي وآخرون. خافوا من الرجل الذي وقع في قبضتهم. بقاؤه حياً سيعني استمرار المقاومة. التأم المجلس الوطني لقيادة الثورة ولفظ قرار الإعدام ولم يعترض أحد. وقبل شهور قال عبدالغني الراوي لسلسلة "يتذكر" إن محكمة عسكرية برئاسته شكلت في الإذاعة لـ"محاكمة" قاسم وانه أمر بإعدامه مع فاضل عباس المهداوي رئيس "محكمة

الشعب" وطه الشيخ أحمد مدير الحركات والخطوط العسكرية في الجيش وضابط صغير الرتبة اسمه كنعان حداد كان مرافقاً لقاسم.





مقتل عبد الكريم قاسم ورفاقه

نص الحلقة الرابعة

< هل اتصل قاسم مرة أخرى؟

- بعد أقل من ساعة رنّ الهاتف مرة ثانية، وكان عبدالكريم قاسم على الخط. بدأ الحديث هذه المرة بلهجة أكثر خنوعاً وتوسلاً، وقال لعبدالسلام: "أنا أخوك. ماذا فعلت لك. الخصوم والحسّاد تسببوا في المشاكل التي بيننا. أنا حتى الآن صائم ومن دون افطار. أنا لم أعدمك يا عبدالسلام. هل تقبل أن يهان أخوك الأكبر؟". أجابه عبدالسلام: "ليست في هذا إهانة. هذه شروط استسلام، أنت الذي أهنتني. هل نسيت المحكمة المفتعلة التي نصبها ابن خالتك المهداوي بأمر منك، والتظاهرات التي خرجت يوم اعتقالي تطالب برأسي؟ أنت تعرض استسلاماً وهذا شرطنا وعرضنا النهائي، نعطيك مهلة حتى السابعة صباحاً. بعدها ينتهي العرض وستُقتحم وزارة الدفاع".

< في أي ساعة كان الاتصال؟

- حوالى الثالثة فجر ٩ شباط. بعد المكالمة، وبحسب ما علمنا من الشهود بعد ذلك، بدأ اليأس يتسرب الى نفسه وبدا انه فقد الأمل نهائياً. كان يتكلم من قاعة مجاورة للوزارة اسمها قاعة الشعب مخصصة للاحتفالات ولها باب مفتوح على وزارة الدفاع، وهو أمضى معظم ليلته الأخيرة هناك حتى يتجنب القصف الذي استهدف الوزارة التي كنا نظن انه داخلها. بعدها توجه إلى مكتبه، وبدأ يتلف بعض الأوراق وحلق ذقنه ثم عاد الى القاعة.

بقينا ننتظر حتى الصباح عسى أن يستسلم. قبل السابعة بربع ساعة تقريباً، خرق الهدنة، اذ أطلقت جماعته النار على الرئيس الأول محمد

علوان فأردوه. جاءنا الخبر، فاعتبرنا ذلك خرقاً، وبدأت الدبابات والمدفعية هجوماً كاسحاً على وزارة الدفاع الى ان توقف اطلاق النار منها تماماً. دخل جنودنا المبنى، فلم يجدوه في الملجأ أو في الغرف، الى ان تبين انه ورفاقه في قاعة الشعب حيث كان الجميع تقريباً وبينهم المهداوي مختبئين تحت الكراسي، فيما كان عبدالكريم جالساً في الغرفة التي يوجد فيها الهاتف ومعه مرافقه الرئيس الأول الركن قاسم أمين الجنابي، فسلم نفسه.

< هل وضعوا قيوداً في يديه؟

- أبداً. هذا كذب. استسلم وهو يمسك الراديو الصغير الذي يحمله دائماً للاستماع الى اذاعة بغداد في يده اليسرى، وسيدارته قبعته العسكرية في يده اليمنى. وضع في دبابة هو والمهداوي وطه الشيخ أحمد وقاسم الجنابي وسُلموا الى العقيد الركن العقيد عبدالكريم مصطفى نصرت.

< هل أهين؟

- لم أسمع أبداً أنه أهين. كنا نجلس في غرفتنا في الإذاعة في الصالحية عندما دخل عبدالكريم مصطفى نصرت، وأدى التحية وقال: "عبدالكريم قاسم معي في الخارج، وهو يطلب بأن يأتي المقدم عبدالستار عبداللطيف لإنزاله ومرافقيه الى هنا". يبدو انه كان خائفاً من الإهانة أو من تنفيذ اعدام فوري في حقه، وكان يعرف عبدالستار الذي كان ضابط ركن في قيادته. فوجئت بالخبر اذ كنت أتوقع أن يقدم على الانتحار. خرجنا أنا وعبدالسلام عارف وعبدالستار عبداللطيف وآخرين لنرى المشهد التاريخي، وضجت الاذاعة وساحتها الأمامية باطلاق النار ابتهاجاً. لم يستطع عبدالستار عبداللطيف اللحاق به لانزاله، إذ انزل الجميع من الدبابة قبل وصوله.

< هل كان منزوع الأوسمة؟

- لا أذكر. كنت مندهشاً، فهذا عبدالكريم الطاغية الديكتاتور أسيراً. نزل من الدبابة وسار مهرولاً من شدة التدافع، وكان وراءه فاضل المهداوي، وكان صوت اطلاق الناريصم الآذان، إذ اشتعلت بغداد بدوي الطلقات بعدما سرى خبر اعتقاله.

كنت أنا وعبدالسلام نقف على السلّم المؤدي الى الاذاعة ننتظر، فيما كان عبدالكريم يهرول من شدة التدافع وهو يمسك الراديو. في باحة الاذاعة الداخلي، رأيت يداً في الزحام تضربه على رأسه. دفعوه مع أعوانه وأدخلوهم الى أول غرفة صادفوها وهي قاعة الموسيقى، ثم دخلنا نحن بعد ذلك. كانت الغرفة صغيرة وكان عبدالسلام عارف وأنا وأحمد حسن البكر وعلي صالح السعدي وحردان التكريتي وطالب شبيب وخالد الهاشمي وذياب العلقاوي وصالح عماش وعبدالله مجيد ونحو سبعة ضباط آخرين. كانت آثار الضرب المبرح بادية بوضوح على وجه المهداوي الذي يعتبره كثيرون سبباً رئيسياً في تحريض عبدالكريم قاسم.

< في البداية ماذا حصل؟

- كانوا وقوفاً وكان قاسم يقف في زاوية ويحاول ان يحتمي خلف عبدالسلام بالوقوف وراءه أو الى جانبه توسلاً وطلباً للحماية وكان وضعه محزناً. أخرج عبدالسلام عارف قرآناً صغيراً من جيبه وقال: "الآن كل شيء انتهى يا عبدالكريم. أنا صائم وأنت صائم، وهذا القرآن بيننا. أتقسم انه كانت لك علاقة بالبيان الأول أو كتبت حرفاً فيه؟". لم يجب. عندها قال عبدالسلام للموجودين: "هل رأيتم. منذ خمس سنوات وهو يصيح قال البيان وحكى البيان الأول". ثم سأله ثانية: "أتقسم بشرفك

العسكري وشرفك المدني وهذا القرآن أيضاً بيننا، اننا لم نتفق، بناء على اقتراح منك، باعلان الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة خلال شهر؟". ومرة أخرى لم يجب عبدالكريم قاسم فيما زاد وجهه اصفراراً وشحوباً. ثم قال له عبدالسلام: "أنت أعدمت رفعت الحاج سري بحجة ان هناك هاتفاً سرياً بينه وبين الملحق العسكري عبدالمجيد فريد في سفارة العربية المتحدة. هذا القرآن بيننا، ألم تأمر أنت بوضع هذا الهاتف بين الاستخبارات وبين الملحق العسكري لتنفيذ طلبات الجيش السريعة والاتصال بالجمهورية المتحدة إذا حصل عدوان؟". لم يجب عبدالكريم. كان الوضع متوتراً فرأيت ان ألطف الجو قليلاً، فقلت: "سيادة الزعيم، خلال خمس سنوات ألقيت خطباً كثيرة، وكنت دائماً تتغنى بالمباغتة، فما رأيك بهذه المباغتة التي فعلناها لك؟ يوم جمعة، التاسعة صباحاً، في شهر رمضان، وضباط متقاعدون ومدنيون. وسأخبرك سراً هو انك لو أرسلت قوة صغيرة الى المرسلات في أبو غريب لكنت قضيت على كل شيء، لأننا ولساعتين لم تكن معنا قنبلة واحدة، فما رأيك بهذه المباغتة؟". ابتسم وقال: "صانع الأستاذ استاذ ونصف، وصانع الأسطة أسطة ونصف". فضحك الجميع. أمرت باحضار الماء له، وكان التعب بادياً عليه. ثم سأله أحمد حسن البكر قائلاً: "سيادة الزعيم، كانت عندنا محاولة قبل شهرين، وأنت القيت خطاباً في اللواء الـ١٩ أوحيت فيه بأنك تملك معلومات عن المحاولة، فمن أخبرك بذلك؟ هل هو العقيد خالد الهاشمي؟". وكان الهاشمي موجوداً، فقال عبدالكريم: "لا، أقسم بشرفي أن الذي جاء بالخبر ضابط آخر". واكتشفنا أن الضابط هو المقدم الركن جابر علي كاظم من جماعة عماش ولم يعرف بموعد حركتنا لاحقاً بسبب اعتقال عماش.

تحدث عبدالستار عبداللطيف فوبخ قاسم الجنابي مرافق عبدالكريم، وهو صديقه وزميله في سلك الهندسة وشاركا معاً في ١٤ تموز، وقال له:

"يا قاسم، هل قمنا بثورة ١٤ تموز حتى تفتح الباب لعبدالكريم قاسم وتغلقه وتقف وراءه وتحمل له علبة كلينكس؟"، كان الجنابي مرعوباً وكانت عيناه جاحظتين من شدة الخوف، فأخرجه عبدالستار وحردان وهما صديقاه الى غرفة ثانية وخلّصاه من القتل.

"يا يهودي يا ابن اليهودي"

< هل صحيح ان علي صالح السعدي قال كلاماً قاسياً لعبدالكريم قاسم؟

- لا أعتقد. ولكن عبدالسلام وجه كلاماً قاسياً وسباباً الى طه الشيخ أحمد، لأنه كان الحاكم الحقيقي عام ١٩٥٩، فقال له: "يا يهودي يا ابن اليهودي، أصبحت شيوعياً، وتعتقل مئة ألف بعد ثورة الشواف". فقال طه: "كل البلاء من هذا المجرم المهداوي". رد المهداوي: "أنا قومي، وكل المشاكل والاعدامات من عبدالكريم قاسم، حتى انه كان يتصل بي ويطلب اصدار أحكام الاعدام، وكل ما كان يجري في المحكمة كان بعلمه وتوجيهاته".

أثناء الحوار دخل ضابط شرطة لا أعرفه، أدى التحية، ووجه حديثه الى عبدالكريم قاسم قائلاً: "يا مجرم يا قاتل هل تعرفني؟"، فقال له: "لا"، فرد الضابط: "أنا شقيق الشهيد ناظم الطبقجلي الذي أعدمته ويتمت أطفاله". فقال عبدالكريم: "أنا حكمته بمحاكمة والجماعة الآن يحاكمونني من دون محاكمة". قال له أحد الحاضرين: "أتعتبر تلك محاكمة، والمهداوي، ابن خالتك، يقول انك كنت تصدر احكام الاعدام من عندك". فقال عبدالكريم: "على أي حال هذه مسائل نتركها للتاريخ".

في الأثناء انسحبنا من الغرفة، فيما دخل أحد الضباط لعصب عيون عبدالكريم وجماعته، فرفض، وقال: "لن تعصّب عيوني. أنتم حكمتم عليّ من دون محاكمة". عندما خرجنا بدأ فصيل من الضباط باطلاق الرصاص.

< من الذين أعدموا؟

- عبدالكريم قاسم وفاضل المهداوي وطه الشيخ أحمد، وضابط صغير الرتبة اسمه كنعان حداد، لم أسمع بإسمه من قبل، كان مرافقاً لعبدالكريم.

< هل كنتم متفقين على الإقدام على إعدامه؟

- نعم. كانت أعمال المقاومة مستمرة، وإن كانت ضعيفة، لكن يبدو أن الجيش كان متطيراً منها، وكنا نعرف أن المقاومة لن تنتهي طالما ان عبدالكريم موجود.

لم يعترض أحد

< من اقترح اعدامه في البداية؟

- لا أذكر. أحدهم قال يُعدمون ولم يعارض أحد.

< هل اتفقتم على مصير قاسم قبل الحركة؟

- كلا. كنا نعتقد بأنه اما سيقتل أو ينتحر.

< يعني لم يكن هناك قرار سابق بإعدامه؟

- كلا. لا أظن اننا بحثنا في ذلك. تركنا الأمر للظروف، ورجحنا انه سيقتل. ولا أستطيع الجزم في هذا.

< ماذا قال عبدالسلام عارف عندما سمع اطلاق الرصاص؟

- اعتقد بأن عبدالسلام كان شامتاً وغير آسف.

< ماذا فعلتم بعدما أعدم؟

- بعدما أعدم اقترح أحد الحاضرين من القيادة، وأظن انه من العسكر، عرض صوره على التلفزيون، لأن الشيوعيين والمقاومين عندما يشاهدونه مقتولاً تنتهي المقاومة. وبالفعل هذا ما حدث.

< عبدالغني الراوي يقول أنه هو من أمر باطلاق النار؟

- أذكر ان الراوي جاء عندما كنا في الغرفة مع عبدالكريم قاسم، فسألته: "هل تذكر عبدالغني الراوي"، وأجاب: "نعم أذكره".

< يقول الراوي أنكم دخلتم الى غرفة وتداولتم في مصير عبدالكريم قاسم، وكان الراوي موجوداً، فقال لنحكم عليه بالاعدام، ونؤجل التنفيذ لشهر ونجري له محاكمة.

- لا. نهائياً، هذه قصة ليس لها أساس من الصحة.

< وماذا عن المحكمة الخاصة التي حاكمت قاسم، والتي يقول الراوي انها برئاسته وتضم ضابطين؟

- هل أذيعت أسماء محكمة؟

< هو يقول هذا.

- فليحضر الجريدة التي نشرت فيها. بيان الحاكم العسكري العام قال أمام محكمة خاصة من دون ذكر اسماء، لأنه لا توجد محكمة. نحن اعتبرنا أن مجلس القيادة هو المحكمة، لكننا لم نقل في بيان الحاكم العسكري مجلس القيادة لأن ليست لديه سلطة قضائية. يجوز ان الراوي بقي في القاعة مع الضباط الذين أطلقوا النار.

< هل صحيح أن عبدالسلام عارف قال مرة لعبدالناصر أن عبدالكريم يكلفني ٢٠ فلساً اذا لم يسر بالوحدة؟

- كذب. أنا كذّبت لك بالوقائع حادثة البرقية المزعومة التي أرسلها القائم بالأعمال يوم ١٨ تموز. الذي يزوّر هذه البرقية ألا يزوّر كلاماً شفهياً. كل هذه كانت من صنع الحزب الشيوعي وبقايا السفارة البريطانية في بغداد لمنع الوحدة وتحريض عبدالكريم قاسم وإحداث الانشقاق.

< انتهت قصة الاذاعة؟

- المقاومة استمرت الى اليوم التالي وانتهت يوم ١٠ شباط. بعد القرارات المهمة التي اتخذت في اليومين الثامن والتاسع من شباط في دار الاذاعة وتشكيل الحكومة، أديرت المعركة يومي ٨ و٩ بطريقة نالت اعجاب جميع القادة المدنيين والعسكريين للبطولة التي رافقتها والشجاعة والمباغتة ولتصميمها وقيادتها من قبل مدنيين وليس عسكريين. وهذا هو سر الإعجاب والطاعة والانضباط المنقطع النظير من الجهاز العسكري البعثي ومن المؤسسة العسكرية العراقية الرسمية. كثيرون زاد احترامهم وتقديرهم للقيادة المدنية حيث تبين لهم في دار الاذاعة ان المدنيين هم القيادة وليس العسكر.

< هل كان هناك اتفاق مع عبدالسلام على أن يراعى موضوع المدنيين وألا يتفرد أحد بالسلطة وأن تكون القيادة جماعية؟

- المكتب العسكري للحزب منذ البداية كان مسؤولوه مدنيين، وعبدالسلام عارف أيضاً وكنت أنا المدني عقله المفكر. وعلى هذا الأساس، ظلت القيادة في البدايات في يد المدنيين.

لكن أول قرار خاطئ تم في دار الاذاعة ولم تكن نتائجه لمصلحة الثورة كان توسيع مجلس قيادة الثورة. اذ كنا اتفقنا قبل الحركة على ان يتألف المجلس من ثلاثة مدنيين هم: حازم جواد أمين السر الرسمي وعلي صالح السعدي نائباً لأمين السر وطالب حسين الشبيب، مع العسكريين الآتية أسماؤهم: رئيس الجمهورية عبدالسلام عارف ورئيس الوزراء أحمد حسن البكر ووزير الدفاع صالح مهدي عماش والعقيد عبدالستار عبداللطيف وقائد سلاح الجو المفترض حردان عبدالغفار التكريتي والعقيد الركن خالد مكي الهاشمي المفترض ان يكون رئيساً لأركان الجيش.

لكن الذي حدث في الاذاعة ان جاءني البكر وعلي على انفراد ومن دون علم الآخرين، واقترحا توسيع المجلس ليضم أعضاء آخرين خصوصاً من العسكر الذين أظهروا شجاعة في التنفيذ وليكون المجلس ممثلاً لمختلف صنوف الجيش، واقترحا بعض الأسماء كالعقيد الركن عبدالكريم مصطفى نصرت الذي عين قائداً لرتل الهجوم على وزارة الدفاع صباح يوم ٨ شباط، والعقيد دياب العلقاوي والمقدم أنور عبدالقادر الحديثي سكرتيراً للمجلس. لم أتردد في القبول وكنت متساهلاً، وهذا أسجله خطأً على نفسي، كما اقترحت اضافة منذر الونداوي الذي قاد الهجوم الجوي في ٨ شباط على رغم رتبته الصغيرة. كما اقترح البكر بالاتفاق مع عبدالسلام عارف اضافة اللواء طاهر يحيى

الذي تسلم رئاسة اركان الجيش، فوافقت مشترطاً انتسابه الى الحزب. ولكن ثبت بعدئذ ان هذه الاضافات لم تكن لها ضرورة، اذ وسّعت المجلس من دون اضافة شيء مادي محسوس، فكري أو سياسي الى قدرته، بل على العكس كبّرته وجعلت النقاشات تطول أحياناً أكثر من اللازم. هذا أول خطأ ارتكبته القيادة المدنية.

الخطأ حدث أيضاً في شخصين، اذ ان خالد مكي الهاشمي تساهلنا معه ولم يكن مفروضاً ان يكون في المجلس بعدما عرفنا تفاصيل أكثر من أعوان عبدالكريم قاسم وعن دوره المثبط. والثاني كان صالح مهدي عماش بتسليمه وزارة الدفاع بعدما قدم استقالته وتخاذل أيضاً. وثبت في ما بعد ان تعيينه في هذا المنصب كان كارثياً للحزب ولمجلس قيادة الثورة وللعراق أيضاً.

< لماذا؟

- لأنه متخاذل ومتردد وغير حاسم ويفتعل قصصاً كثيرة ليس لها أي اساس. هذه الخصال لاحظناها فيه قبل الثورة لكنها زادت بعدها، حتى أحمد حسن البكر بات في الاجتماعات عندما يبدأ صالح عماش بالتمهيد لاقتراح، يسأل: هل هذه غزالة جديدة؟ والغزالة معناها شيء مفتعل لا يمكن التقاطه بسهولة، ولذلك كان يلقّب ب"أبو الغزالات". ولهذا لم يوافق أي عسكري بعد الانقلاب السهل في ١٩٦٨ على ان يكون صالح عماش وزيراً للدفاع. اذ تعلموا درساً من تجربتهم معه في ١٩٦٣. عينوه وزيراً للداخلية، في حين ان طموحه وهو يرتدي بزته العسكرية برتبة فريق ان يعود مرة أخرى الى وزارة الدفاع، لأنه أخرج منها في شكل مهين في ١٨ تشرين الثاني نوفمبر١٩٦٣ على يد سكرتيره البعثي علي عريم وضباط المقر البعثيين، وطلبوا منه أن ينام في غرفته ولم يخرج ولم يبد أية معارضة الى ان سُفّر الى القاهرة سفيراً. الجميع فضح أمره ليس

فقط قبل ثورة رمضان وإنما حتى أثناء ادارته للدفاع. لم يقبل به أحد، بمن فيهم البكر، وعيّنوا حردان عبدالغفار التكريتي.

البيان الشهير المكلف

< هل كان حردان شجاعاً؟

- قطعاً أشجع من صالح، وليست عنده هذه التي نسميها في العراق "الكلاوات" الألاعيب، الأكاذيب.

< كيف قررتم التعاطي مع الشيوعيين؟

- ارتكبنا قبل تشكيل الحكومة غلطة، ويا للأسف، كان المسؤول عنها طالب الشبيب أكثر المسؤولين وعياً وليبيرالية. فعندما اشتدت أعمال المقاومة قبل اعلان الحكومة، اقترح أن نصدر انذاراً هو البيان الرقم ١٣ الذي يدعو الى اطلاق النار على الشيوعيين المقاومين من دون سابق انذار. أنا اعترضت على لفظة الشيوعيين. قلت له ضع مكانها الفوضويين، فأصرّ طالب اصراراً عجيباً وقال: لا. نسميهم بالاسم حتى تفهم الناس. أنا اعتبرت ان لا داعي لذلك لأنه سيسبب لنا ضجة في المستقبل، وكان طالب يتندم دائماً على ذلك.

في الأشهر الأربعة التي سبقت العملية، كان الشيوعيون يدأبون على تحريض عبدالكريم قاسم على ما يسمونها المؤامرة المزعومة، حتى ان جريدة "طريق الشعب" السرية كتبت في أحد مقالاتها ان هناك تآمراً في معسكري أبو غريب والرشيد، وان آمري كتائب دبابات بين المتآمرين وان الساعة الصفر حددت. في ما بعد، تبين لنا انه كانت هناك ثلاث كتل داخل المكتب السياسي للحزب الشيوعي، واحدة متطرفة يقودها سلام عادل منذ ١٩٥٩ تطالب بمشاركة الحزب الشيوعي بنسبة معقولة في

حكم عبدالكريم قاسم، وأخرى مع الانبطاح التام لقاسم وتأييده من دون قيد أو شرط يمثلها بهاء الدين نوري وعامر عبدالله، واتجاه ثالث في الوسط يمثله زكي خيري. وكانت مراكز القوى تتبدل في شكل دائم، فأُبعد سلام عادل الى موسكو مرة ثم عاد وأُبعد بعدما أبعد اليها نوري وعبدالله. عند اعلان الاضراب الطلابي ساد التململ داخل قواعد الحزب بسبب الاعتقالات وأحكام الاعدام الكثيرة ضد الشيوعيين واغلاق صحفهم ونقاباتهم. نحن ناقشنا ماذا سيكون عليه الموقف الشيوعي وكيف سنتعامل معهم، وكان تقويمي شخصياً انهم سيكتفون بإصدار بيان شجب وإدانة لأن من غير المعقول ان يبدلوا موقفهم ١٨٠ درجة ويؤيدوا انقلاباً قومياً أو بعثياً، وفي أقصى التقديرات قد ينظمون تظاهرة محلية صغيرة لتسجيل موقف. لذلك عندما جرت التظاهرات في ٨ شباط واليومين اللذين أعقباه، عُيّرت من قبل العسكريين، لأن هذا التقدير كان خاطئاً مئة في المئة.

< ممن عُيرت؟ البكر مثلاً؟

- البكر وعماش والى حد ما عبدالسلام عارف. عندما كنت أحتج على بعض التجاوزات أو حملات الاعدام، كانوا يردون بالقول: أين كان تقديرك للموقف؟

< هل فكرتم بالعفو عن المعتقلين الشيوعيين؟

- كان الرأي ان جميع المحكومين بالاعدام من قبل المحاكم في عهد عبدالكريم قاسم تُنفذ فيهم الاحكام.

< بما فيها محكمة المهداوي؟

- لا. محكمة المهداوي كانت مختصة بمحاكمة القوميين ولم تحاكم شيوعيين، وهي كانت مجمدة في ذلك الوقت. اتفقنا على تنفيذ الاحكام لأنها كانت مطلباً شعبياً، ومطلباً من الجيش أيضاً، بعد مجازر كركوك والموصل والبصرة وما تضمنته من حوادث سحل وقتل. لكننا قررنا ان تعتقل القيادات السياسية في الحزب بما فيها سلام عادل وتسفّر الى خارج العراق خصوصاً ألمانيا الديموقراطية الشعبية، لأننا لم نرد الدخول في مشكلة مع السوفيات.

< لماذا المانيا الديموقراطية بالذات؟

- لأنها لم تكن لها علاقات ديبلوماسية مع كل دول العالم، ولأنها ليست ناشطة كثيراً في الاطار الشيوعي الأممي كما كانت الحال في براغ وصوفيا. لكننا وضعنا احتمال ان يعطى الحزب الشيوعي في ما بعد صحيفة للتعبير عن آرائه.

< ويُسمح للحزب بنشاط؟

- هذا كان يتوقف على تطورات الجمهورية العربية المتحدة العتيدة إذا قامت الوحدة. نحن دائماً كنا نتصرف على أساس ان الحكم المقبل هو حكم موقت، وكنا واثقين بأن انقلاباً سيحصل في سورية. وكنا طرحنا في المؤتمر القومي الأخير الوحدة الاتحادية وتجديد الجمهورية العربية المتحدة على اساس اتحادي، ولم نكن ننظر على أساس ان حكمنا سيكون قطرياً وإنما عاجلاً أو آجلاً وبإجماع القيادة كنا سنقيم وحدة اتحادية مع سورية ومصر. وكان هذا القرار اتخذ في المؤتمر القومي الخامس الذي عقد في حمص عام ١٩٦٢، وكانت جريدة "البعث" السورية تبشّر بهذا الشعار.

مشروع انقلاب في دمشق

< هل كانت لديكم معلومات عن انقلاب في سورية؟

- كانت لدينا تفاصيل وكان يبلغني بها حمدي عبدالمجيد الذي تولى المساهمة في التنظيم المدني وكان يحضر اجتماعات اللجنة العسكرية السورية في دمشق.

< ما كان موقع حمدي في الحزب؟

- انتُخب في القيادة القطرية العراقية، وسفّرناه مع علي وهاني لحضور المؤتمر القومي وبقي هناك بطلب من الأستاذ عفلق، ويبدو ان العسكريين السوريين ارتاحوا اليه والى الفرع العراقي، فبدأ يحضر كمراقب ويطلع على كل صغيرة وكبيرة، الى درجة انني، على رغم وجودي في بغداد، كنت على علم بأن زياد الحريري سيقود الانقلاب، وكنت مطلعاً على أعضاء اللجنة العسكرية، وكانت لدينا معلومات عن تواريخ حددت للتنفيذ بعضها كان مقرراً قبل حركتنا، لكنها أجلت. وحركة ١٤ رمضان عجّلت في قيام ٨ آذار بعد شهر واحد. وكان حمدي عبدالمجيد في تلك الأيام يميل الى صلاح جديد.

< كان عمرك ٢٦ عاماً وجئت بعبدالسلام عارف. ألم تخف ان يسرق الاتيان بشخص من أبطال تموز دورك ودور الحزب؟

- أبداً. عندي ثقة عالية بنفسي وبحزبي وبالآخرين.

< وعندك ثقة بعبدالسلام؟

- نعم، ليست فقط ثقة بل محبة خاصة واحترام لدوره في ١٤ تموز وليس لفكره. العلاقة معه أصبحت حتى شخصية وليست سياسية، وكنت، مثلاً، مطلعاً حتى على أمور بيته.

< هذه العلاقة الشخصية بينك وبين عبدالسلام أضرت بعلاقتك ببعض الحزبيين، هناك تلميحات الى أنك ضحّيت بمصالح الحزب؟

- أبداً، لم أضحِ بشعرة واحدة. كان في مقدور عبدالسلام عارف التآمر على الحزب لولا وجود حازم جواد. أنا كنت الشخص الوحيد الذي يقف في الاجتماعات ضد جموح بعض اقتراحاته، وهو كان يأخذ ذلك عليّ وأظهر هذه المآخذ بعدئذ ضدي أنا، لأنه لم يكن يخشى الآخرين اذ انه لم يكن مقتنعاً بالعسكر ويعتبر نفسه أعلى منهم، ولا حتى بالمدنيين.

عبدالسلام كان مشهوراً بخصوماته، وهو لعب الدور الأول في ثورة ١٤ تموز لكن كثيرين من ضباط الجيش انحازوا الى عبدالكريم قاسم غيرة منه ومن دوره. وأنا اعتقد ان عبدالسلام في تلك الفترة كان أكثر اخلاصاً لحزب البعث من أحمد حسن البكر وصالح عماش وأمثالهما، ولدي قناعة تامة بأنه لولا بعض التجاوزات من علي صالح السعدي والحرس القومي لبقي عبدالسلام رمزاً للبعث ويقاتل دفاعاً عن البعث حتى الطلقة الأخيرة، لكنهم أساؤوا التعامل معه وبدأت تصله اشاعات عنهم. وعارف صاحب فضل كبير على الحزب بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ وكاد أن يعدم بسبب موقفه هذا. كما أن للبعث أيادي بيضاء كثيرة على عارف. فخلال محنته رتب ناظم جواد محاولتين لتهريبه وكانت والدتي الحاجة أم كاظم تزور عائلته شهرياً وتسلم زوجته أم أحمد ٤٥ ديناراً من الحزب إلى أن خرج من السجن.

السعدي والمسدس وعماش

< هل كان علي خشناً مع عبدالسلام؟

- كان خشناً مع الجميع.

< هل اصطدم معه؟

- اصطدم مع صالح عماش ومع البكر قبل ان يصطدم مع عبدالسلام عارف. جاء يوماً الى مجلس السيادة يحمل مسدسه ويبحث عن صالح عماش لاعتقاله أو قتله، وقال عنه هذا الجاسوس الجبان. كان هذا بعد شهر من الثورة.

< هل حدث في مجلس قيادة الثورة ان جرى تبادل شهر مسدسات؟

- لا، أبداً. في الفترة الأولى كانت العلاقة علاقة مثالية كعلاقاتنا الحزبية، يسودها الود والوئام والاحترام.

< هل كان البكر يكره ان يكون لعبدالسلام الدور الأول؟

- البكر كان يضمر ويمكر أكثر مما يفعل عبدالسلام عارف، والفارق بين الشخصيتين كالفارق بين عبدالسلام عارف وعبدالكريم قاسم. الأول يظهر حبه ويظهر كراهيته وخصومته لأقل سبب، على عكس البكر الذي كان ماكراً ويضمر الغدر في داخله، وهذه الخصال كشفها صدام حسين مبكراً فيه، قبل تسلم السلطة. وأنا قرأت رسالة من صدام من داخل السجن كتبها إلى أحد اصدقائه، وأعتقد انه كان أحمد طه العزوز السامرائي الذي شارك في عملية اغتيال عبدالكريم قاسم، يحذره فيها من هذا الماكر أحمد حسن البكر. والرسالة وصلت الى مدير الأمن رشيد

محسن الذي أعطى نسخة منها الى فؤاد الركابي. أعطاني فؤاد نسخة عنها، وقال: هؤلاء يتهيأون للانقلاب منذ الآن. صدام عرف غدر البكر من سلوكه معنا بعد ١٨ تشرين الثاني، ولدي رسالة من البكر أرسلها لي عندما كنت منفياً في القاهرة تحت الاقامة الجبرية عام ١٩٦٤، يقول فيها: اطلب من أخي ان يعفيني مما بدر من سلوكي تجاهكم أثناء الأزمة. فماذا أفعل؟ لا أدري.



علي صالح السعدي

الحلقة الخامسة: عماش ومذبحة الشيوعيين

يجزم حازم جواد أن قيادة البعث العراقي لم تخطط، خلال الإعداد لحركة ٨ شباط فبراير ١٩٦٣، لتصفية الحزب الشيوعي أو الخوض في دم الشيوعيين، ويقول إنه مستعد للتبرؤ من تلك الحركة إذا واجهه أحد بوثيقة تقول غير ما يقول. ويضيف ان الشيوعيين كانوا البادئين في ممارسة العنف حين قتلوا ضباطاً توجهوا لمحاصرة عبد الكريم قاسم وسحلوا جثثهم وأحرقوها. ويؤكد استناداً إلى ما أظهرته التحقيقات مع المعتقلين، أن ما فعله الحزب الشيوعي فور حصول حركة ٨ شباط لم يكن مقاومة، بل "خطة للاستيلاء على السلطة لكنها خطة بائسة تترك المبادرة في يد الخصم". وقال إن الشيوعيين راهنوا على أن يفتح عبدالكريم قاسم لهم مخازن السلاح، وأن يتولى تنظيمهم في القوات المسلحة السيطرة على المعسكرات، وأن زعيم الحزب سلام عادل حسين الرضي وضع خطة من هذا النوع.

ويقول جواد إن عدد ضحايا الأيام الثلاثة الأولى من الحركة لم يزد على خمسين في صفوف البعثيين والعسكريين المؤيدين لهم، وان عدد الضحايا في الطرف الآخر كان مشابهاً أو قريباً. واعترف أنه اخطأ في تقدير رد فعل الشيوعيين على الحركة، إذ توقع أن يكتفوا ببعض التظاهرات والبيانات. وكشف انه اقترح قبل ٨ شباط إبعاد القياديين السياسيين الشيوعيين إلى المانيا الديموقراطية ولم يبحث أبداً في تصفيتهم، وانه تم الاتفاق على تنفيذ الأحكام التي صدرت في عهد قاسم بشأن مذابح

الموصل وكركوك والبصرة والناصرية "وما تخللها من سحل وتعليق جثث".

ويعترف بأن تحضيرات حزب البعث كانت تتسرب إلى الحزب الشيوعي عبر السيدة ... التي كانت على علاقة شخصية مع الرائد ... المتعاون مع الحزب، وكانت السيدة تنقل معلوماتها إلى سلام عادل شخصياً وقيادة الحزب الشيوعي. كما يعترف أن المقدم ... العامل في وزارة الدفاع تسلل إلى الحزب عبر صالح مهدي عماش، وكان ينقل المعلومات إلى قاسم، وان اعتقال عماش قبل ٨ شباط حرمه من معرفة الموعد المحدد للتنفيذ. كما كان قاسم يستقي معلوماته عبر شخص يدعى ... وكان يصل إليها لأن صلات عائلية كانت تتيح له الاجتماع بأحد المنفذين.

بعد أربعة عقود من الصمت سيتحدث جواد عن المواجهة مع الشيوعيين، وسيعترف بحصول مذابح في حقهم وسيحدد المسؤول عن الإعدامات. وسيروي جواد أيضاً قصة اللقاء في قصر النهاية بين "السجين والسجان"، أي بينه وبين زعيم الحزب الشيوعي سلام عادل الذي سيُعدم بعد يومين فقط. لا يتسع المجال هنا للخوض في كل التفاصيل التي سيكون باستطاعة القارئ متابعتها حين يصدر جواد مذكراته في كتاب، لكننا سنسجل هنا أبرز المحطات.

صالح مهدي عماش





سلام عادل وعبد الرحيم شريف و عبدالقادر إسماعيل البستاني

نص الحلقة الخامسة

< كيف تكشفت مخابئ القادة الشيوعيين بعد ٨ شباط؟

- كنا في اجتماع للمجلس الوطني لقيادة الثورة حين قال علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية أن لديه أخباراً سارة وأبلغنا باعتقال هادي هاشم الاعظمي عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي عضو المكتب السياسي مساعد الأمين العام، أي الشخصية الثانية بعد سلام عادل. وهو رجل كانت تنسج الاساطير في العهد الملكي حول صموده في المعتقلات، وأفرج عنه اثر ثورة ١٤ تموز يوليو بعدما حكم بالسجن عشرين عاماً. ألقى القبض على الأعظمي صدفة أثناء حملة اعتقالات، وطلب فور اعتقاله مقابلة السعدي لأن بينهما معرفة قديمة، فأُخذ الى مكتب السعدي في وزارة الداخلية، وقال له: أريد ان اتطوع لتحطيم هذا الحزب القذر الذي لم يخدم إلا الاستعمار واعداء الشعب العراقي واعداء الامة. وقال ان سلام عادل يحضر لانقلاب وأخشى عليكم لأن للحزب تنظيمات قوية. وأبلغنا علي انه أعد لحملة يقوم بها الحرس القومي ستبدأ منتصف الليلة بعد منع التجول بقيادة هادي هاشم الاعظمي لدهم البيوت والأوكار الشيوعية التي يعرفها جميعاً. وبالفعل دوهم في تلك الليلة ٣٥ مقراً سرياً للحزب الشيوعي جميعها في مناطق الطبقة المتوسطة وما فوق في بغداد. والخطأ كان في ايكال هذه المهمة الى الحرس القومي وليس الى أجهزة الأمن خشية ان تكون مخترقة. وكنا نعتقد ان هؤلاء بعد اعتقالهم سيسلمون الى الدولة. لكن ثبت في ما بعد ان القرارين اللذين اتخذناهما في ذلك الاجتماع، ذهاب علي السعدي الى مصر والحملة ضد الشيوعيين، جلبا لنا المشاكل والعثرات والاخطاء كما لم يجلبها لنا اي من اعدائنا، وبدلاً من ان يبتلع الحزب والحرس القومي الحزب الشيوعي، ابتلع الشيوعيون

حزب البعث والحركة القومية عبر شغل الجهاز البعثي لتسعة اشهر قادمة بقضية واحدة، هي قضية الحزب الشيوعي، وأصبحت هذه القضية الشاغل الرئيس للحزب، وفقدنا السيطرة كقيادة على هذا الأمر على رغم اننا حاولنا مرات عدة ابعاد الحزب عن هذه الدوامة واحالتها الى جهات اخرى. لكن الفشل والتعثر واسباب اخرى لا أعلمها وأيدي مجهولة، ابقت الوضع على ما هو عليه حتى رحيلنا في ١٨ تشرين الثاني نوفمبر.

< كيف سارت الحملة على الحزب الشيوعي؟

- تمت بنجاح، إذ اعتقل عدد كبير تجاوز المئة من قادة الحزب، وبعضهم ممن كان طواه النسيان لطول اختفائه منذ أيام نوري السعيد، كما فكّكنا شبكات كبيرة تابعة للحزب معظمها في مناطق الطبقة الوسطى كالعلوية والكرادة والسعدون وعرصات الهندية والمسبح وفي مناطق شعبية، وضبطنا وثائق كثيرة من ضمنها نشرتان كتبهما سلام حول الجهاز الحزبي وخططهم المستقبلية ونياتهم للقيام بعمل مسلح لرفع معنويات الحزبيين، اضافة الى اشادة بعبدالكريم قاسم وتشهير بالبعثيين ووصفهم ب"ايتام نوري السعيد" وتشبيه الحكم الجديد بأنه "عرس واوية" وهو مثل شعبي معناه انه سينفض بسرعة.

وزع المعتقلون الشيوعيون على معتقلات عدة، ومع ارتفاع عددهم اقترح علي السعدي الاستيلاء على "قصر الرحاب" وتحويله الى معتقل، وكان القصر مهجوراً منذ مقتل العائلة المالكة في ١٤ تموز ١٩٥٨، وغيّر عبدالكريم قاسم اسمه الى "قصر النهاية" اشارة الى نهاية العهد الملكي ووضعه في الشهور الأخيرة في تصرف مديرية السياحة والاصطياف التي استحدثها أخيراً وعيّن على رأسها صديقه رشيد مطلق وهو من الشخصيات الغامضة في تاريخ العراق وتعود علاقته بقاسم الى

الثلاثينات وتردد ان عبدالكريم أرسله الى الحزب الشيوعي ليلة ١٤ تموز ليبلغهم بقيام الثورة.

طلب علي السعدي من مجلس الثورة السماح بتحويل "قصر النهاية" الى معتقل للشيوعيين لأن عددهم كان كبيراً، وكانوا جميعاً من قيادات الصفين الأول والثاني وينبغي ان يخضعوا لتحقيق مركزي يتطلب مواجهة بعضهم بعضاً. كما أردنا ان نستفيد من الأمر دعائياً بالترويج ان البعثيين أسكنوا خصومهم الشيوعيين، وبين الطرفين ما صنع الحدّاد، في قصر العائلة المالكة. لكن، للاسف، تحول "قصر النهاية" بعد ذلك الى رمز للظلم، الى درجة ان أخي حامد الذي اعتقل في هذا السجن قال عن معتقل أوشفيتز عندما زاره للسياحة ان هذا يعتبر فندق خمس نجوم مقارنة بـ"قصر النهاية".

وضعنا المعتقل تحت اشراف مدحت ابراهيم جمعة وهو بعثي مدني كان في قيادة فؤاد الركابي وشكلت لجان تحقيق مختلطة من الامن العام والجيش والحرس القومي. لكن اليد العليا كانت لحزب البعث.

< على ماذا تركزت التحقيقات مع الشيوعيين؟

- استخلاص معلومات والتركيز خصوصاً على الخط العسكري والشبكات السرية في الحزب. بدأت الاعترافات وتبيّن لنا الانقسام في صفوفهم بسبب علاقة الحزب المتذبذبة بعبدالكريم قاسم منذ ١٩٥٨ الى ٨ شباط ١٩٦٣، وما تخلل هذه الفترة من تعبئة القواعد الحزبية بعبادة الزعيم الاوحد على طريقة اوروبا الشرقية. انهار قسم كبير من المعتقلين. وخلال زيارة لي الى المعتقل قابلت عبداللطيف الحاج الذي كنت معتقلاً واياه قبيل ١٤ تموز، وهو شقيق عزيز الحاج الشخصية الشيوعية المعروفة. كانت آثار الضرب واضحة على وجهه، اذ اعتقل مع

المقاومين في منطقة تبة الكرد. سألته هل من داع لهذه المقاومة؟ فقال: "انت حزبي وتعرف اننا ننفذ التعليمات رغماً عنا. لكن علاقتي مع هذا الحزب الذي ليس منه فائدة انتهت منذ الآن، وأنا مستعد للتعاون".

< من كان أبرز المعتقلين؟

- سلام عادل وعبدالرحيم شريف وعبدالقادر اسماعيل الذي انهار في الساعات الاولى وبدأ يشتم سلام عادل وعامر عبدالله واتهمهما باليمينية وبأنهما سبب الكارثة.

< كيف كان سلوك سلام عادل في قصر النهاية؟ هل انهار؟

- لا لم يعترف. اعطى بعض المعلومات غير المهمة، وأعتقد انه كان يحاول ايجاد مخرج من هذه الورطة بأقل ما يمكن من الخسائر. لم يعتدَ عليه خصوصاً في الايام الاولى، اذ كانوا جميعاً في قاعة واحدة أما الذين اعترفوا فعزلوا في قاعة اخرى لتوخي تعرضهم للمضايقة من زملائهم.

< من كان يطلعكم على ما يجري في "قصر النهاية"؟

- كانت أبوابه مفتوحة ولذلك كانت الأخبار تتسرب بسرعة، ليس كما تحت حكم صدام حسين. كان أشبه بمعتقل علني ويزوره الحرس القومي ووزراء وضباط.

نار الحقد

< متى علمتم بوجود تعذيب وهل ناقشتم ذلك في مجلس قيادة الثورة؟

- لا لم نناقش الأمر لأنه كان هناك حقد كبير على الشيوعيين أججته المقاومة التي ربما لو لم تحدث لكان رد الفعل اخف وربما لم نكن

لنعتقلهم. لكن المقاومة العنيفة أججت نار الحقد، لأننا اكتشفنا ان الحزب يملك قوة كبيرة كنا نستهين بها خصوصاً داخل القوات المسلحة. ولذلك عندما حاولت في احدى المرات مناقشة هذا الموضوع ثار الجميع عليّ بمن فيهم طالب الشبيب المعروف باعتداله.

< متى حصلت أول عملية اعدام؟

- بدأت بعد اسبوعين او ثلاثة. كانت تصدر بلاغات من الحاكم العسكري العام بأسماء المقرر إعدامهم. أعدم الجيش العسكريين وعلى رأسهم العناصر التي اشتهر عنها تعذيب الضباط في ١٩٥٩ في سجن كتيبة الدبابات الثانية وفي ابو غريب.

< هل كان الحاكم العسكري العام عضواً في مجلس قيادة الثورة؟

- الزعيم رشيد مصلح لم تكن له علاقة بالمجلس، وكان يمينياً الى حد الرجعية، وأعدمته جماعة ١٧ تموز سنة ١٩٧٠ في ما بعد. عيّناه بعد تأكيدات بأنه كفاءة ادارية، لكنني لم أجده كذلك. ولكن، للتاريخ، راجعني الرجل في حزيران يونيو أو من تموز محتجاً على لجان التحقيق والاعدامات الكيفية والسرية.

< هل التقيت سلام عادل أثناء اعتقاله؟

- اتصل بي مدحت جمعة نهاية آذار مارس وأبلغني أن سلام عادل يطلب الاجتماع بي أو بعلي السعدي الذي كان في مصر. ارتحت للطلب اذ اعتقدت بأنه يريد تزويدنا معلومات والتوصل الى تسوية خصوصاً ان الحملة السوفياتية تصاعدت ضدنا. ذهبت وبرفقتي طالب الشبيب، والتقيته في غرفة مدير المعتقل في قصر النهاية.

< هل كانت آثار التعذيب بادية عليه؟

- لا. ابداً. سألته لماذا طلبني، فقال انه يريد الاحتجاج على التعذيب والمعاملة السيئة للمعتقلين. فقلت له: "أدلوا بما لديكم بمعلومات وينتهي التعذيب. أنتم حاربتم الحزب والقومية العربية والجمهورية المتحدة خمس سنوات واعدمتم كثيرين، وفي اللحظات الأخيرة حملتم السلاح وقاتلتمونا. هل من دولة، وحتى الاتحاد السوفياتي، لا تمارس التعذيب؟ أعطونا، وخصوصاً أنت، المعلومات وتفاصيل الخط العسكري للحزب فينتهي الأمر. المسألة بيدك. هذا قرارنا والا فلكل حادث حديث. اقترح ان نصدر بياناً سياسياً مشتركاً يؤكد الحفاظ على سيادة الدولة والاستقلال الوطني والعمل الوطني المشترك ونسيان الماضي، فقلت له ان هذا لا يمكن ان يحصل لأن بيننا وبينكم بحراً من الدم. لاحظت انه يحاول ان يكسب الوقت، فقلت له: "أنت سجين وانا السجان، وأنصحك باعطاء ما لديك من معلومات، وبعدها نبحث في اقتراحك". وقبل ان أنهي اللقاء قال لي: "لدي ثلاث نصائح لكم كبادرة حسن نية. أولاً، اياكم وعقد الوحدة، إذ انها ستحارب وتسقط في اليوم الاول لأن هذه المنطقة مقرر لها التقسيم. ثانياً، اياكم وتأميم النفط والا لن يتركوكم وشأنكم، ثالثاً، اياكم وتطبيق الاصلاح الزراعي الذي كان الشيوعيون والبعثيون آنذاك يزايد بعضهم بعضاً على ضرورته". فوجئت بنصائحه وتساءلت في قرارة نفسي هل يكون الرجل عميلاً لبريطانيا؟ ثم قلت له: وفود سورية والعراق موجودة الآن للتفاوض مع جمال عبدالناصر وقريباً يوقع ميثاق الوحدة وتعلن الجمهورية المتحدة، وبعد ذلك سيأتي عبدالناصر الى العراق ويعلن من كركوك تأميم النفط.

< ماذا شعرت بعد اللقاء؟

- لم اطمئن للرجل. احترمت كثيراً من رفاقه، لكنني لم احترمه. كنت اتصوره شخصية مهمة مما كنت أسمع من جماعته وأصدقائه، ولكن لم ارَشيئاً من هذا في ذلك اللقاء، ربما لأنه كان مكسور الجناح وسجيناً.

< هل أبلغت مجلس قيادة الثورة بالأمر؟

- فعلت، فتعالت الشتائم للشيوعيين من الجميع وعلى رأسهم عبدالسلام والبكر وعماش.

< والمدنيين؟

- كلنا كنا معبأين ضد الشيوعيين خصوصاً بعد المقاومة التي سببت لنا اشكالات. لكن بعد ذلك تغير موقف المدنيين تماماً.

< وبعد ذلك؟

- بعد يومين من هذا اللقاء صدر بيان من الحاكم العسكري العام يعلن تنفيذ حكم الاعدام بسلام عادل واثنين من رفاقه. ولا أعرف ما اذا كان الأمر رُتب قبل لقائي بعادل أم بعده. لكننا اتفقنا على وقف الاعدامات لانشغالنا بقضية الوحدة وبسبب الحملة الاعلامية السوفياتية التي اشتدت بعد تنفيذ الاعدام.

< هل كان مجلس قيادة الثورة يصدق على احكام الاعدام؟

- تعتبر مصادقاً عليها بمجرد اذاعتها ونشرها في الصحف.

< هل تم إعلامكم قبل إعدام سلام عادل؟

- حصلت موافقة رسمية من المجلس الوطني لقرار الثورة على قرار الإعدام. كل اعضاء المجلس وافقوا على اعدام الثلاثة.

< هل كان وزير الداخلية يقول بأن فلاناً سيعدم؟

- لا أتذكر. يجوز.

< هل كان عبدالسلام مؤيداً للاعدام؟

- نعم، وكل العسكر. البكر وعماش وحردان التكريتي وخالد الهاشمي وطه اليحيى ومنذر الونداوي، وكذلك المدنيون في البدايات الاولى.

< هل بحثتم الأمر بعد اعدام سلام عادل في مجلس قيادة الثورة؟

- استمرت الاعترافات بكثرة وكان الشيوعيون يظهرون على شاشات التلفزيون، قبل اعدام سلام عادل وبعده. اذ سمحنا لأي شيوعي مهما كانت درجته انه بمجرد نشر استنكار لمواقف الحزب الشيوعي بعد ثورة تموز ومذابح الموصل وكركوك والمقاومة غير المشروعة لحركة ١٤ رمضان ويدلي باعترافاته يعزل في محل آخر في السجن ويزود بالصحف والراديو.

< طلبتم منهم التبرؤ من الحزب؟

- لا. التبرؤ هذا كنا معقدين منه لأنه كان يطلب منا.

< هل فعلوا ذلك؟

- بدأ عدد من الرموز يظهرون في تلفزيون بغداد مثل عبد القادر اسماعيل الذي تعتبره الدعاية الشيوعية اسطورة، لأن جنسيته

العراقية اسقطت عنه سنة ١٩٣٧ فغادر الى لبنان وانضم الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني، وعاد الى العراق في ثورة ١٤ تموز. ظهر على التلفزيون في ندوة استمرت ساعتين واستنكر مواقف الحزب الشيوعي من قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية، وبدأ آخرون يحذون حذوه ما كسر المقاومة عند المعتقلين. لكن قسماً من هؤلاء بقي صامداً حتى النهاية.

< منهم سلام عادل؟

- هو وآخرون. وهناك من تعرض لتعذيب اشد مما تعرض له سلام عادل. ومع اعدام الأخير اشتدت الحملة الاعلامية في الصحف الغربية والسوفياتية ضدنا. في هذه الأثناء، نهاية آذار أو بداية نيسان ابريل، زارني في بغداد عضو القيادة القطرية في لبنان جبران مجدلاني، وبرفقته الصحافي الفرنسي جيل مارتينيه الذي يعمل في احدى صحف اليسار، طلب جبران مني السماح لمارتينيه بزيارة "قصر النهاية" للاطلاع على ظروف المعتقلين. وافقت فوراً ووجدتها فرصة لتكذيب الاشاعات المضخمة، ولم يكن هناك ما أخشاه. فالمعتقلون الذين اعترفوا في "قصر النهاية" يقرأون الصحف ويستمعون الى الاذاعات ويشربون الحليب ويأكلون الفاكهة.... اما الآخرون فلم تكن ظروفهم على أي حال أسوأ من ظروف أي سجن آخر. في المساء ابلغت، مزهواً، مجلس قيادة الثورة بالأمر. وطبعاً كأي مبادرة نحو الشيوعيين كان العسكر يقابلونها بامتعاض.

بعد يومين اتصل بي مدير المعتقل مدحت ابراهيم جمعة هاتفياً وقال بصوت خافت: ما هذه الورطة التي ورطتني فيها. سألته عن أي ورطة يتحدث؟ فقال: جبران والصحافي الفرنسي. اعتقدت انه يحتج على زيارتهما، فأكدت عليه ضرورة تسهيل مهمتهما والسماح لهما بمقابلة

المعتقلين الذين أدلوا باعترافاتهم مثل عبدالقادر اسماعيل ولطيف الحاج وغيرهما، وكان هؤلاء نحو ٣٠ شخصاً. فأجابني: ألا تعلم ان هؤلاء أعدموا أمس؟ عندها جن جنوني، وبدأت أشتمه وأعنفه كيف يعدم هؤلاء بعدما اعطيناهم الامان. كانت هذه كارثة. جاءني جمعة الى المكتب وهو مكفهر الوجه وبدأ بشتم الحزب والثورة والدولة. وأبلغني ان الضابط البعثي م.م، وهو سكرتير وزير الدفاع، جاء برفقة ضباط وجنود الى المعتقل وطلب تسلم المعتقلين بأمر من وزير الدفاع لأن مجلس قيادة الثورة قرر اعدام هؤلاء. عنّفته لأنه لم يتصل بي وقلت له: اعتبر نفسك معتقلاً. واستدعيت م.م، وسألته: من خولك ارتكاب هذه المجزرة؟ فقال ان وزير الدفاع أمره بذلك لأن مجلس قيادة الثورة قرر اعدام هؤلاء. أسقط في يدي. كان الحل الوحيد هو اعتقال وزير الدفاع، لكن هذا لم يكن ممكناً. اجلت الموضوع الى جلسة المجلس مساء.

حان القطاف

اعتبرت ان الأوان آن لقطاف رأس صالح مهدي عماش، وقررت ان أطلب اعفاءه من منصبه، خصوصاً ان آثامه أصبحت متراكمة منذ تخاذله قبل الثورة. لكنني ارتكبت خطأً تكتيكياً اذ كان المفروض ان اجمع القيادة القطرية ونتخذ قراراً بطرده ثم اذهب الى مجلس قيادة الثورة بهذا القرار. الا انني لم أفعل، وطرحت الموضوع على مجلس قيادة الثورة الذي كنت أصبحت رئيسه، بعدما أبلغت علي السعدي وطالب شبيب هاتفياً بالأمر. توقعت ان يؤيداني الا انهما لم ينبسا ببنت شفة. فبدأ الأعضاء العسكريون واحداً تلو الاخر يشنون هجوماً عليّ ويتساءلون عما اذا كنت استمرأت التعاون مع الشيوعيين بعد لقائي سلام عادل. حردان التكريتي نزع سترته ليعرض آثار التعذيب الشيوعي على جسمه، وقال لي: "تريد الدفاع عن هؤلاء الاوباش؟". أحمد حسن

البكر سألني: "ألم يكن تقويمك قبل الثورة بأن الحزب الشيوعي سيكتفي ببيان او تظاهرة في ١٤ رمضان خاطئاً؟ هل تريد الآن ان تأتينا بتقويم جديد؟ هؤلاء مجرمون". وكرت السبحة. ثم خاطبني عبدالسلام قائلاً: "أراك تتبنى قضايا الشيوعيين الآن"، فحاولت ان استثير اسلاميته، واستشهدت بآية قرآنية تقول: "ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً". وقلت له: "لولي هؤلاء الحق ان يأخذ بثأرهم، وأنا وليهم لأنني مسؤول عنهم اذ كانوا سجناء عندي وعند الدولة". فقال لي: "هؤلاء مجرمون وقتلة وقبل شهر سحلوا الناس في الشوارع وكادوا يسحلوننا نحن، ولو فشلت الثورة لما كانوا رحمونا أو رحموا بناتنا ونساءنا". كان الهجوم كاسحاً وأقوى من ان أتصدى له، فقلت: "أعلن أمامكم ان الحزب بريء من هذه الجريمة ولا علاقة له منذ الآن بالتحقيقات، وسأمنع كل اعضاء القيادة من الذهاب الى أي معتقل". عندها وقف طالب وقال: "هذه جريمة نكراء وغبية لأن لا مبرر لاعدام هؤلاء، وانا اعلن امامكم من الآن انني مسؤول فقط عن اعدام عبدالكريم قاسم، وكل دم آخر يراق لا علاقة لي به". الآن ثم تحدث علي السعدي مستنكراً ولكن ليس بحدته المعهودة. وتبخر الأمل بإقصاء صالح مهدي عماش بعدما أكده الجميع.

< حتى علي منذ ذلك الحين لم تكن له علاقة بالتحقيق؟

- عدا ما يتعلق بالأمن وغيره كوزير داخلية.

< هل تمكن تسميتها مجزرة عماش؟

- بالتأكيد، وحُمّل الحزب مسؤوليتها. لكنني بعد ٤٠ سنة أؤكد انها مجزرة خسيسة ودنيئة دبرها صالح مهدي عماش ونفذها هو بواسطة جهاز وزارة الدفاع، ومنذ ذلك اليوم لم تعد لنا علاقة نهائياً بشؤون

التحقيق. ولكن بعد هذه الجلسة الصاخبة خفتت موجة الاعدامات والقتل، واستمرت الاعتقالات والتحقيقات لمدة ثلاثة أشهر ولكن من دون اعدامات، وأعطيت تعهداً رسمياً للسفير السوفياتي بالافراج عن كل المعتقلين الشيوعيين في ايلول، واخترت هذا الشهر لأنه سيكون موعد الاستفتاء على الوحدة الثلاثية. وبقيت الأمور هادئة الى ان تأججت مرة اخرى بحادثة حسن السريع في ٣ تموز.

ومتى كان رجل دولة؟

< هل تعتقد ان عبدالسلام عارف لم يتصرف كرجل دولة؟

- ومتى كان رجل دولة. لم يكن كذلك في ١٤ تموز ولا في أيامنا برئاسته المقيدة. والبكر أيضاً من هذه الطينة. هؤلاء تحكمهم العقلية الثأرية بسبب ما لاقوه من الشيوعيين. قلّما رأيت بين ضباط الجيش مفكرين وايديولوجيين. كل منتسبي المؤسسة العسكرية العراقية من ضباط كبار وقادة وصغار كانوا معادين للشيوعية، إما لأنهم يمينيون او متدينون. اللهم باستثناء الضباط الحزبيين كالبعثيين والشيوعيين او الاكراد المنتسبين لحزب البارتي، اذ ان هؤلاء كانوا مثقفين ايديولوجياً.

< لماذا فعل عماش ما فعل؟

- اعتقد انه احس بأن هناك اتجاهاً بعد اعدام سلام عادل لدى القيادة المدنية للتخفيف من الشدة في معاملة الشيوعيين. اذ زارتني ثلاث شخصيات معروفة وتحدثت معي في هذا الشأن، كان هاني الفكيكي أحدهم، وهو أكد ضرورة تخفيف القسوة في التعامل مع الحزب الشيوعي وكبح جماح العسكر خصوصاً ان الثورة نجحت وثبتت أقدامها. كما زارني اخي ناظم الذي كان سفيراً في بيروت وتكلم معي في

الموضوع نفسه، وقال ان هناك حملة اعلامية ضخمة على النظام بسبب الملاحقات للشيوعيين وينبغي وضع حد لذلك. وزارني أيضاً ناجي طالب، وهو من "الضباط الاحرار" وكان وزيراً في ثورة ١٤ تموز واستقال مع الضباط القوميين، ونصحني بالحذر لأن الحملة على الشيوعيين توسعت وبدأ الحرس القومي بالتضخم مما يثير تذمراً بين الناس، واقترح عليّ سحب الحرس القومي من الشوارع ووضعه في معسكرات خاصة، وانزاله وقت الحاجة. وشجعتني هذه المواقف على طرحها في مجلس قيادة الثورة بأن هناك رأياً عاماً داخل الحزب وخارجه يضغط لتخفيف الحملة على الحزب الشيوعي تدريجاً. وأيدني طالب الشبيب وعلي صالح السعدي، وطالب الأول بإجراء محاكمة سياسية للحزب الشيوعي تنقل الى الناس بواسطة التلفزيون والاذاعة حول مواقفهم من فلسطين والوحدة ومع عبدالكريم قاسم، على ألا تكون على شاكلة محكمة المهداوي. كان هذا منطقاً معقولاً وبدأت الندوات التلفزيونية مع من اعترفوا من الشيوعيين ومنهم عبداللطيف الحاج وعشرات من اعضاء اللجنة المركزية وأعضاء قيادة بغداد. وتظاهر الجميع بالموافقة. وبعد زيارة جبران مجدلاني وجيل مارتينيه الفرنسي يبدو ان عماش اراد ان يحبط هذا الاتجاه وربما بتحريض من عبدالسلام او احمد حسن البكر او طاهر يحيى. العسكر كانوا يلتقون في ما بينهم اكثر منا نحن المدنيين.

المشير والفريق

> كيف كانت علاقة عبدالسلام عارف مع عماش؟

- عماش وعبدالسلام تواطآ منذ بداية الحركة من خلف ظهر المجلس الوطني لقيادة الثورة. فوجئنا بعد أيام قليلة من ٨ شباط، في الاجتماع

الثالث أو الرابع للمجلس، بطرح مرسوم جمهوري على النقاش للموافقة عليه يقضي بترفيع عبدالسلام عارف الى رتبة مشير نظراً للدور الذي قام به في ثورة ١٤ تموز ولدوره ايضاً في حركة ١٤ رمضان، وترفيع المقدم الركن صالح عماش الى رتبة فريق ركن، وصرف الرواتب المستحقة للرئيس عارف كنائب قائد عام للقوات المسلحة من يوم اعفائه في ١١ أيلول سبتمبر١٩٥٨. في الواقع شعرت بالاشمئزاز من كلمة المشير لأنها في ذلك الوقت كانت مرتبطة بعبدالحكيم عامر، كما ان عبدالله السلال اصبح مشيراً، وكنت اعتقد ان عبدالسلام ارفع منزلة من هؤلاء الذين كان الناس يؤلفون نكاتاً عنهم، خصوصاً بعد الانفصال الذي تم على يد عامر. رأيت في ذلك انتقاصاً من مكانة عبدالسلام. كما ان صرف الرواتب المستحقة له كنائب قائد عام للقوات المسلحة من يوم اعفائه كان رداً انتقامياً على عبدالكريم قاسم وللقول بأنه استمر نائباً للقائد العام.

< ماذا كان رأي المجلس؟

- اول المعترضين بشدة كان رئيس مجلس القيادة في تلك الجلسة عبدالستارعبداللطيف. قال ان الرئيس عبدالسلام عارف رئيسنا وقائد ١٤ تموز المعترف به ويستحق اكثر من هذا، اذ انه القائد الاعلى للقوات المسلحة ولو بقي في الخدمة لكان وصل الى هذه الرتبة، لكنه تساءل عن الضرورة المهمة لترفيع عماش الى رتبة فريق خصوصاً ان الأمر سيثير الكثير من ضباط المؤسسة العسكرية والحزب. أجاب أحمد حسن البكر: لأنه وزير دفاع وهناك ضباط أرفع منه رتبة يراجعونه وهو يرتدي بزة مقدم وفي ذلك احراج له. فقال عبدالستار ان وزير الدفاع منصب سياسي قد يشغله عسكري او مدني. يمكنه خلع البزة العسكرية والحضور الى وزارته كمدني، وضرب امثلة نوري السعيد وسامي فتاح

اللذين كانا وزيري دفاع في العهد الملكي. وتساءل: اذا عيّنا حازم جواد وزيراً للدفاع، فهل نعطيه رتبة عسكرية؟

اكتشفنا في ما بعد ان المرسوم اعده عماش وعبدالسلام عارف واحمد حسن البكر في اليوم السابق لطرحه في الاجتماع. وأعتقد ان عماش هو الذي شجع عبدالسلام على ذلك ليحصل على رتبة فريق. لذلك فإن عبدالسلام عارف بعدما انقلب على الحزب وبات يكره عماش كما لم يكره شخصاً آخر، لم يستطع الغاء رتبته لأن ترقيتهما جاءتا في مرسوم واحد. ونقل لي عندما كنت منفياً في القاهرة انه ندم كثيراً لأنه لم يقترح الترقيتين في مرسومين منفصلين، ما يعني انهما كانا متواطئين في الموضوع.

< هل وافقتم على ذلك؟

- وافقنا بعدما احتد النقاش وبتنا أمام أزمة مع رئيس الجمهورية. هدد عماش بالاستقالة، وأيد احمد حسن البكر المرسوم. وكنا محرجين من عبدالسلام عارف. عبدالستار عبداللطيف كان الوحيد الذي بقي معارضاً.



عبد السلام عارف وجمال عبد الناصر

الحلقة السادسة: بعث السلطة وناصر

كان شتاء ١٩٦٣ شتاء بعثياً بامتياز. في ٨ شباط فبراير قفز حازم جواد ورفاقه إلى السلطة في بغداد. وبعد شهر واحد قفز البعث إلى السلطة في دمشق. كانت مصر تعيش في ظل جمال عبدالناصر وكان الوحدويون يعيشون مع جروح الانفصال. ثمة من كان يحلم بالوحدة وثلاثية هذه المرة. وثمة من كان يهرب إليها لتعزيز وضعه الداخلي. تعقدت اللعبة. في ذلك الشتاء سيعود إلى الواجهة ميشال عفلق مؤسس البعث حاملاً معه هو الآخر مرارات حل الحزب في سورية تسهيلاً لقيام الجمهورية العربية المتحدة التي ستشهد في ١٩٦١ طلاقاً مريراً لن تختفي ندوبه.

في حلقة اليوم يروي جواد قصة الخطاب الذي ألقاه رفيقه في قيادة الحزب نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية علي صالح السعدي أمام عبدالناصر وقصة الألغام التي يتهم عفلق بزرعها فيه. كما يتحدث عن وصول البعث إلى السلطة في سورية في ٨ آذار مارس ١٩٦٣.

نص الحلقة السادسة

< ما هي أبرز المحطات السياسية بعد ٨ شباط؟

- بعد نحو أسبوع من الحركة، كنت في مكتبي قرابة السابعة مساء عندما رن الهاتف. على الطرف الآخر كان ضابط السيطرة في مطار بغداد. أبلغني ان طائرة توشك أن تحط في المطار وعلى متنها الاستاذ ميشال عفلق يرافقه وفد، وان قائد الطائرة طلب الاتصال بحازم جواد لإعلامه. كانت تلك مفاجأة. تذكرت فوراً زيارة عفلق المفاجئة بعيد ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨، والاشكالات التي أثارتها، على رغم ان عفلق كان في ذلك الوقت فوق الشبهات وفوق الشكوك. طلبت من محدّثي تجهيز استقبال رسمي والاتصال هاتفياً بعدد من الوزراء من بينهم علي السعدي وطالب الشبيب وابلاغ قيادة الحرس القومي. ثم توجهت الى غرفة عبدالسلام عارف لابلاغه فوجدته مع أحمد حسن البكر. أخبرتهما بأن عفلق وصل الى بغداد من دون أن ندعوه، ففوجئا، ويمكنني القول إنهما لم يشعرا بالارتياح، وسألاني باستغراب: ألم تكونوا على علم بالزيارة؟ استأذنت للذهاب الى المطار لأكون في استقباله، ولم يعرض أي منهما الذهاب معي. وصلت الى صالة الاستقبال وكان عفلق هناك مع مرافقيه وبينهم جبران مجدلاني عضو القيادة القطرية في لبنان وربما القيادة القومية أيضاً والدكتور جمال الاتاسي أحد القادة البعثيين في سورية وعبدالكريم زهور أحد قادة الحزب السوري أيضاً وأحد نواب حزب البعث في المجلس النيابي القديم ومدير تحرير جريدة "البعث" التي صدرت اثناء الانفصال. وكان عدد من الوزراء موجودين من بينهم علي السعدي. عندما شاهدني عفلق هبّ واقفاً للسلام علي وقبلني والدموع تترقرق من عينيه، وخاطب الحاضرين قائلاً: "الرفيق حازم بطل من أبطال الأمة". ويبدو ان هذا الوصف كان يطلقه دائماً

على من يروقون له في وقت من الأوقات، إذ أطلقه على عبدالناصر وعلى أشخاص آخرين، ولكنه لم يطلقه على أي سوري. بعد ذلك قدم التهاني وسأل عن الضحايا، ثم بدأ الصحافيون بالتوافد الى المطار. غادر عفلق المطار الى فندق "امباسدور" على شاطئ نهر دجلة والذي خصص له والوفد المرافق. وعدت الى مجلس القيادة لابلاغ عبدالسلام عارف، فعلّق البكر ممازحاً: "هل شميت الشمامة وارتحت الآن؟".

في الفندق الذي وضعت عليه حماية خاصة من الحرس القومي بدأ عفلق يستقبل وفود البعثيين ووفود العسكريين والسياسيين العراقيين، وعقد مؤتمرات صحافية وأدلى بأحاديث كثيرة لرجال الاعلام الاجانب الذين كانوا موجودين بكثرة في بغداد. كانت تصريحاته فكرية أكثر مما هي سياسية، ونعت الاحزاب الشيوعية العربية بأنها احزاب قطرية واقليمية، وأكد أن البعث كان في حال دفاع عن النفس. وكان يبرر حملة الاعتقالات ويقلل من ضحايا المقاومة. وكانت مواقفه ايجابية من الوحدة مؤكداً انها ستعاد في شكل راسخ بعد تحرر القطر السوري، ولم يوجه أي انتقادات الى الرئيس جمال عبدالناصر عدا التنويه بين حين وآخر بأن الانفصال لم ينجم فقط عن مؤامرة وإنما هناك اخطاء مارسها النظام مكّنت الانفصاليين من النجاح. كنت أزوره يومياً واستمرت الأمور على هذا المنوال الى يوم ٢١ شباط عندما اكتشفت ان عفلق لم يكتف بهذه المؤتمرات وبالاجتماعات العامة مع الحزبيين وانما انتقل ليمارس واجبات الحكومة العراقية السيادية.

خلوة وخطاب

في ظهيرة ذلك اليوم كنت مع أحد موظفي مبنى مجلس قيادة الثورة أتفقد الغرف والقاعات للاطلاع ومحاولة الاستفادة منها، عندما فتحت

باب احدى الغرف لأفاجأ بوجود الدكتور جمال الاتاسي مع شخصين آخرين ربما كان أحدهما عبدالكريم زهور او جبران مجدلاني. هب الجميع وقوفاً فاعتذرت وحاولت الانسحاب، فبادرني الأتاسي انهم كانوا على وشك الذهاب الى غرفتي للحديث عن الخطاب الذي اعدوه للاستاذ علي صالح السعدي. سألتهم عن أي خطاب يتحدثون، فأبلغوني ان ميشال عفلق طلب منهم الليلة الماضية اعداد خطاب عقائدي رسمي ليلقيه علي صالح السعدي في حضور الرئيس جمال عبدالناصر في القاهرة في اليوم التالي، ٢٢ شباط، عيد الوحدة.

في مساء اليوم نفسه انعقد المجلس الوطني لقيادة الثورة كالعادة حوالي السادسة، وفوجئت بطرح موضوع تشكيل وفد للذهاب الى القاهرة برئاسة علي صالح السعدي وعضوية وزير الخارجية طالب حسين الشبيب ووزير الدفاع صالح مهدي عماش، وطلب هؤلاء تعيين من ينوب عنهم أثناء غيابهم. الأمر لم يطرح حسب الأصول، أي قبل يومين أو ثلاثة حتى لا نفاجأ. اعترضت وقلت انه عند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ قررت الجمهورية العربية التعبئة العامة، ومع ذلك لم يرسل الرئيس عبدالناصر وفداً للتهنئة واكتفى بارسال برقية والقاء خطاب في الشام، علماً ان الطائرة التي اقلته من الاتحاد السوفياتي حلقت فوق ايران والعراق وكان يمكنه النزول في بغداد، لكنه لم يفعل ربما حتى لا يثير حساسية القوى الغربية ومراعاة لحساسيات القائمين بالثورة. والآن حدثت ثورة ١٤ رمضان، وعلى رغم ان الجمهورية العربية لم تكن لها علاقة مباشرة بها، إلا أنها كانت أحد أسباب تفجيرها، لذلك كان من اللياقة ارسال وفد مصري للتهنئة. وتساءلت هل يعقل وبعد كل ما حدث في العراق ان نرسل نحن وفداً الى مصر؟ في ١٤ تموز ١٩٥٨ ذهب عبدالسلام بعد يومين الى دمشق، والآن بعد اسبوع من الحركة نرسل وفداً إلى القاهرة؟

< ماذا كان موقف عبدالسلام؟

- الجميع وافق على صحة وجهة نظري، لكنهم قالوا إن الأمر أصبح متأخراً جداً وان عيد الوحدة غداً. واعتبروا ان هذه المبادرة تحرج النظام الانفصالي في سورية وتعجّل في اسقاطه، كما انها مناسبة لاعادة الدفء الى العلاقات الباردة بين البعث وجمال عبدالناصر منذ الانفصال في أيلول سبتمبر ١٩٦١.

< هل بحثتم في فحوى الخطاب الذي كان سيلقيه علي في القاهرة؟

- قالوا انهم أعدوا خطاباً جيداً. ونحن لدينا ثقة في أي خطاب يعده بعثيون، سواء حازم جواد أو علي السعدي أو عفلق أو جمال الاتاسي، وخصوصاً الاتاسي وعبد الكريم زهور اللذين لا تشوب فكرهما القومي شائبة. فزهور من المبشرين بتجديد الوحدة على أساس اتحادي والاتاسي من منظري البعث، والاثنان في فكرهما القومي والاشتراكي اكثر صفاء وتقدما من عفلق بعشرات المرات وربما كان يغار منهما، ولهذا أخرجا بسرعة من الحزب. إذن كنا واثقين من ان الخطاب لن يخرج عن الخطوط العامة التي ينادي بها الحزب.

< ماذا حصل في مصر؟

- بعدما أنهى علي السعدي الترتيبات الأمنية والاعتقالات غادر صباحاً مع بقية اعضاء الوفد الى القاهرة. وربما لو كانت رئاسة الوفد لشخص غيره لما حصلت الاشكالات التي حدثت. كانت هذه تجربته الأولى وفشل فيها فشلاً ذريعاً يتحمل تبعاته على رغم المسؤولية الخفية لـ"القيادة السورية" للحزب عن هذا الاخفاق. مساء ٢٢ شباط كنت في غرفتي للاستماع الى خطبة الرئيس عبدالناصر وعلي صالح السعدي بعدما

دمجت اذاعة بغداد موجتها مع موجة القاهرة لنقل الاحتفال على الهواء مباشرة. بدأ علي صالح السعدي بعدما قدّمه الرئيس عبدالناصر واعتبره ممثلاً للثورة. وإذا بي أفاجأ بهجوم قاس وفج مليء بالايحاءات عن حكم الفرد واخطاء الوحدة. كان الخطاب في الواقع هجوماً على التجربة الناصرية اثناء الجمهورية العربية المتحدة اكثر منه احتفالاً بعيد الوحدة.

بعدها ألقى عبدالناصر خطاباً أشاد فيه بالثورة وحمد الله مرات عدة وهاجم حكم الانفصال. لكن كان واضحاً في لهجته ان هناك شيئاً ما. أحس عبدالناصر أننا ذهبنا لإحداث مشاكل، واننا نردد مطالب عفلق وأكرم الحوراني وصلاح البيطار أيام الوحدة. وفي ما بعد فهمت من المقربين منه مثل طلعت صدقي ومحمد كبول اللذين كانا حاضرين في الاحتفال. إن عبدالناصر كان هيّأ خطاباً اعتذارياً اشبه ببيعة كاملة لحزب البعث العربي الاشتراكي ودعوة الى تناسي الماضي. لكن هذه الفرصة الثمينة ضيّعتها "القيادة السورية" ممثلة بميشال عفلق.

ووصلتنا في ما بعد أخبار عن تصرفات قام بها الوفد العراقي في القاهرة لم تكن تليق بأناس خرجوا للتو من ثورة قدمت شهداء وما كان ينبغي لهم الانغماس في الملذات والحفلات التي كانت تقام لهم في منازل الفنانين كفريد الأطرش ونادية توفيق.

عاد الوفد وغادر عفلق الى سورية بعدما حقق أمرين: الأول انه جاء الى العراق واستقبل استقبال الابطال، والثاني ارسل علي صالح السعدي الى القاهرة بخطاب ملغوم وحتى يُفهم عبدالناصر انه قوي في بغداد.

بعد بث الخطاب، طلبت من إذاعة بغداد عدم تكراره، لكن للأسف ستكون مناورات "القيادة السورية" مكلفة أكثر لاحقاً.

< عندما نفذتم حركة ١٤ رمضان هل كنتم تتوقعون تغييراً في سورية أيضاً؟

- بعد المؤتمر القومي الخامس في حمص الذي حضره علي صالح السعدي وحمدي عبدالمجيد وهاني الفكيكي بقي الأخيران في سورية وكلفا المساهمة في تنظيم الحزب السوري الذي حل لثلاث سنوات وكانت تسوده الشللية، اذ ان الرفاق السوريين كانوا يعتقدون بأن لنا خبرة في التنظيم الثوري المركزي اكثر منهم. ووثق العسكريون السوريون البعثيون بحمدي فكان يحضر بعض اجتماعات اللجنة العسكرية السورية التي بقي اعضاؤها يجتمعون بعد حل الحزب.

< من كانت تضم هذه اللجنة؟

- كان لولبها المقدم صلاح جديد وتضم العقيد الركن محمد عمران والنقيب الطيار حافظ الاسد والمقدم الركن عبدالكريم الجندي والنقيب سليم حاطوم والمقدم احمد المير وحمد عبيد. ربما كان هناك اعضاء آخرون لا أذكرهم، لكن هؤلاء كانوا النواة الحقيقية. أبلغهم حمدي اننا في مرحلة متقدمة من العمل واننا في أي وقت قد ننقض على النظام. وهم كانوا يعملون على اسقاط النظام الانفصالي خصوصاً بعد سلسلة الانقلابات التي تعاقبت اثناء حكم الانفصال لمدة في ١٩٦١ و١٩٦٢، والتي لم تؤثر في تماسك الكتلة الرئيسية من الضباط الوحدويين بمن فيهم البعثيون داخل الجيش السوري. وكان العسكريون السوريون مستبشرين بإعادة تنظيم الجهاز المدني على غرار العراق، لأنهم كانوا يريدون حزباً ليحكموا تحت لافتة حزبية. آنذاك، كان اكرم الحوراني ومجموعته خارج الحزب، ولم يتبق من القيادة القديمة سوى ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار. والأخير وقع البيان الذي يؤيد حركة ٢٨ ايلول الانفصالية مع الحوراني، وكانت تلك طعنة للوحدة

وللجمهورية المتحدة وللحزب. وهذا البيان قلّل من حماسة عبدالناصر للتدخل العسكري في سورية آنذاك خصوصاً انه جاء بعد سقوط اللاذقية التي عصت على الانفصال، وهو حاول اتخاذها قاعدة لانزال الجيش والمظليين. لكن سقوطها في ٣٠ ايلول وتوقيع هذا البيان في الثالث من تشرين الأول اكتوبر، دفع عبدالناصر بعد يومين الى اصدار بيانه الشهير بالاعتراف بالأمر الواقع، لكنه أبقى على علم الجمهورية واسمها ونشيدها حتى وفاته. اذن هؤلاء المدنيون كانوا محروقين لأن الجيش السوري جيش وحدوي، واللجنة العسكرية السورية كانت تريد تجديد الوحدة ولكن ليس على الطريقة التي تمت عام ١٩٥٨ بالتوقيع على بياض لعبدالناصر لتنتهي الأمور بتسليم عبدالحميد السراج وعبدالحكيم عامر شؤون القطر السوري. لذلك كنا نتوقع ان يتحرك هؤلاء في أي لحظة، منذ ما قبل ١٤ رمضان، لاسقاط حكم الانفصال، وكان حمدي يبلغني في رسائل دورية تفصيلية بتطورات الموقف المدني والعسكري في سورية.

طبعاً بعد ٨ شباط حاول اكرم الحوراني وجماعة الانفصال محاباة الحركة وجس النبض لاقامة علاقات معها، فحركوا شكري القوتلي ليبعث ببرقية الى عبدالسلام عارف أجبنا عليها بخشونة. وفي مساء ٨ أو ٩ شباط اتصلت بنا حامية الموصل لتبلغنا ان وفداً من قيادة الجيش السوري ينتظر على الحدود السورية - العراقية في منطقة الجزيرة السماح له بدخول العراق لتقديم التهنئة باسم الحكومة السورية وقيادة الجيش فأمرنا قيادة الموصل بابلاغهم ان لا داعي للزيارة. ويقال ان الحوراني قال لجماعته في ذلك اليوم: توقعوا الآن انقلاباً ناصرياً أو بعثياً في سورية في اي لحظة وان الانفصال اصبح في حكم المنتهي.

تظاهرة وانقلاب

في الثامن من آذار مارس قررت قيادة البعث في العراق لمناسبة الذكرى الرابعة لحركة الشواف في ٨ اذار ١٩٥٩ ومرور شهر على ٨ شباط ١٩٦٣، تنظيم مسيرة استعراضية تظهر قوة الحزب والحركة القومية في العراق ولتكريم الشواف ورد الاعتبار له ولثورة الموصل وكسر ما تبقى سياسياً من الانفصاليين العراقيين والاقليميين والشيوعيين. وبالفعل كانت مسيرة ضخمة ضمت مواكب من كل محافظات القطر تعاقبت على المرور من امام مقر مجلس قيادة الثورة منذ الصباح الباكر وحتى الليل، وكان عبدالسلام والبكر وانا وعلي السعدي وعبدالستار عبداللطيف وصالح عماش نحيي بالتناوب الجماهير التي كانت ترفع اعلام الجمهورية المتحدة وصور عبدالناصر والشواف. أثناء استعراضنا المسيرة سلمني احد المرافقين ورقة فيها ان انقلاباً حدث في سورية وان اذاعة دمشق تبث بياناً باسم المجلس الوطني لقيادة الثورة يعلن سقوط الحكم الانفصالي، وان البيانات تتوالى حول تجديد الوحدة وتعيينات واحالات على التقاعد. بشرّت عبدالسلام والبكر والحاضرين بالخبر وطلبت من الاذاعة اعادة اذاعة البيانات السورية، وسربت الخبر فوراً الى المسيرة لتنطلق شعارات مساندة لسورية الى جانب الشعارات الاخرى، فبدأت الجماهير "تهوّس" تهتف "يا سورية يا بطلة مجلس الثورة يساندك" و"يا سورية يا بطلة شعب العراق يساندك". وبدأت وسائل الإعلام العراقية التي تنقل أخبار المسيرة إذاعة أخبار الانقلاب في سورية، ما أثار الحماسة. ولاظهار مساندتنا اصدرنا بياناً كتبته انا باسم مجلس قيادة الثورة يهنئ مجلس قيادة الثورة في سورية ويؤكد ان شعب العراق وجيشه جاهزان لانزال ضربة قاصمة بأي معتد. كانت الأخبار تأتينا عبر اذاعة دمشق فقط، وغمرنا السرور عندما أعلن تكليف صلاح الدين البيطار تشكيل الحكومة السورية لأن هذا معناه ان السيطرة كاملة

للحزب، اذ ان التيار الناصري الوحدوي كان قوياً في سورية شعبياً وحتى داخل الجيش.

< لماذا كلف صلاح البيطار علماً انه وقع بيان الانفصال مع الحوراني؟

- كانت هناك نقمة عليه من الضباط بسبب ذلك. لكن كانت هناك كراهية شديدة لأكرم الحوراني في نفوس الضباط لأنه كان قريباً من المؤسسة العسكرية سابقاً ويتهم بأنه مراوغ. البيطار تبرأ من البيان في ما بعد، وأقر بأنه أخطأ بتأثير من اكرم، وهو حاول طوال ١٩٦٢ ان يصحح هذا الخطأ، فأصدر جريدة "البعث" وكتب مقالات تبرأ فيها من البيان، وربما ساهم ذلك في غض العسكريين الطرف عن هذه القضية. كما انه لم يكن يوجد مرشح أفضل منه لرئاسة الحكومة، فهو وزير خارجية سابق وعينه عبدالناصر وزيراً للارشاد القومي على مستوى الجمهورية المتحدة، وهو كان في المجلس النيابي ومن مثقفي الحزب. ونجح البيطار في تشكيل الحكومة، بعد جهود مضنية مع الفئات الوحدوية والناصرية، من مجموعة من البعثيين والناصريين، الذين كانوا مقسمين الى اتجاهات عدة في ذلك الوقت، ومن العسكر. وعلمنا في ما بعد ان اللواء الركن زياد الحريري قائد قوات "الجبهة السورية" جبهة الجولان قبل الاحتلال لعب دوراً رئيساً وحاسماً في الحركة، وهو لم يكن بعثياً بل كان ضابطاً قومياً ويتعاطف مع بعض أعضاء اللجنة العسكرية وله علاقة ببعضهم خصوصاً محمد عمران الذي كانت له سمعة كبيرة في الجيش وكان صارخاً في وحدويته آنذاك اذ قاد حركة حلب سنة ١٩٦١ التي فشلت واعتقل وحوكم مع المقدم حمد عبيد الذي أصبح في ما بعد قائد الحرس القومي في سورية، وضابط اخر من آل العلي. وهناك ضباط قوميون ووحدويون كثيرون آخرون شاركوا في الانقلاب مثل فهد الشاعر. وبعد الانقلاب عين زياد الحريري رئيساً

لأركان الجيش وجيء بلؤي الاتاسي، الذي حوكم في حركة حلب، رئيساً للمجلس الوطني لمجلس قيادة الثورة، وكان في مقام رئيس الجمهورية.

< من أبرز اعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة في سورية؟

- أعضاء اللجنة العسكرية كانوا مجلس قيادة الثورة وانضم اليهم من خارجهم لؤي الاتاسي رئيساً وزياد الحريري وفهد الشاعر، ومن المدنيين صلاح البيطار وميشال عفلق وامين الحافظ الذي أبعده حكم الانفصال ملحقاً عسكرياً في الأرجنتين وعاد وزيراً للداخلية.

< كيف كانت نتائج الانقلاب السوري عليكم؟

- نجح الانقلاب وبدأت منذ الأيام الأولى مشاكل سورية التي اثقلت كاهل العراق. اذ ان التيار الطاغي في شوارع دمشق وحلب كان التيار المنادي بالوحدة الفورية واعادة سورية فوراً كاقليم شمالي الى الجمهورية العربية المتحدة، حتى ان الجماهير طوقت القصر الجمهوري ومقر رئاسة الوزارة وقيادة الجيش ليلاً ونهاراً وكانت تهتف "بدنا الوحدة باكر باكر مع الاسمر عبدالناصر".

القيادة البعثية السورية اعتمدت على قوتها الجيدة نسبياً في الجيش، لكنها كانت ضعيفة في شكل واضح في الشارع السوري الذي كان مطلبه اعادة الوحدة الفورية. وكعادة المؤسسة السورية، عندما تشعر بالضيق تلقي حملها على العراق، كما فعل اكرم الحوراني عندما اختار محاكمة البعثيين ايام المهداوي ليقدم استقالته حتى يحمي نفسه من غضب عبدالناصر، وكما فعل عفلق بعد تموز بتشجيعه لنا على طرح الوحدة الفورية لتحسين موقعهم. والآن استلموا الحكم ويعرفون اننا اقوياء في العراق، لذا اصبحت لدينا مشكلتان: ترسيخ الوضع في العراق

وتقويته، ومساندة الجماعة في سورية لعدم تضييع الفرصة من أيديهم. والمشكلة كانت ان اعلان الوحدة الفورية بين سورية ومصر، على رغم انها خطوة عظيمة، ستشكل احراجاً للقطر العراقي، اذ كنا غارقين في مشكلتين: الحزب الشيوعي وحملة الاعتقالات الواسعة في صفوفه والوضع الكردي. وكان ينبغي انهاء هاتين المشكلتين قبل الانضمام الى الوحدة الثنائية او الثلاثية، لاننا لم نرد اثقال الوحدة بمشكلتين كبيرتين. فدخلنا في المستنقع السوري منذ اليوم الاول من دون ارادتنا ومن دون معرفة ووعي سابقين بالتركيبة السورية للوضع العسكري واسقطنا قوميتنا الصارخة في العراق وعلمانيتنا على الوضع السوري، من دون فهم منا لفسيفساء هذا البلد. فحتى اثناء حكمنا وعلى رغم الصلات القوية التي أقمناها مع الفرع السوري، إلا أننا في فترة متأخرة فقط، في ١٩٦٤ أو ١٩٦٥، بدأنا نعرف ان هذا ينتمي إلى هذه الطائفة أو تلك، وأن هذا من دمشق وذاك من حمص والثالث من حماه. هذه التصنيفات كانت معدومة لدينا، اذ انني عيّنت معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة واكتشفت لاحقاً ان اكثريتهم من السنة من دون ان التفت إلى ذلك. الأمور في سورية كانت مختلفة وربما كان قسم من الأحداث مبيتاً كما كشف مجراها في ما بعد.

< من تولى العلاقة من جانبكم مع السلطة الجديدة في دمشق؟

- كان حمدي عبدالمجيد في الأيام الأولى اذ كان مقيماً هناك ثم عاد الى العراق بعد اسبوعين او ثلاثة. كان التعامل معي على اساس انني امين سر الحزب والقائد. كما تعاملوا مع علي السعدي الذي ذهب الى دمشق على رأس وفد.

< ماذا كان انطباع علي السعدي لدى عودته من سورية؟

- كان متحمساً جداً لجماعتنا على طول الخط ضد الوحدويين الفوريين والناصريين.

< هل قال لك شيئاً عن الاشخاص؟ عن صلاح جديد مثلاً؟

- ما نقله حمدي كان اكثر. علي كان يعتبرهم جميعاً بعثيين من الدرجة الأولى ولا اعتقد انه كان يعرف شيئاً عن تلك التقسيمات الشللية، اذ ظهر في ما بعد ان صلاح جديد له مجموعة، وحاطوم له مجموعة، والمير مع مجموعة. الشللية التي كانت في الجهاز المدني ظهرت في ما بعد في التكتل العسكري البعثي.

جديد... وجديد

< بمن منهم ربطتك علاقة جيدة؟

- زارني في بغداد أول وفد منهم ضم صلاح جديد ومحمد عمران، أهم شخصيتين في الجهاز العسكري في تلك الفترة. كانت زيارة تعارف، وقال لهم حمدي ان هذا هو المعلم. ارتحت لمحمد عمران من الوهلة الاولى وكان حمدي قال لي انه هو القائد الحقيقي فوجدته مثقفاً. ارتكبت في اللقاء هفوة غير مقصودة، إذ عندما قدموا لي صلاح جديد سألته ما اذا كانت له صلة قرابة بغسان جديد، وهو ضابط سوري معروف شارك في حرب فلسطين الأولى على رأس متطوعين وكان عضواً نشطاً في الحزب السوري القومي الاجتماعي في الخمسينات عندما كان هذا الحزب الخصم الرئيس لحزب البعث العربي الاشتراكي. وعندما اغتيل العقيد عدنان المالكي الذي كان يميل لحزب البعث اتهم الحزب القومي بالوقوف وراء العملية بتحريض من حلف بغداد وحكومة نوري السعيد. وجاء اسمه في التحقيق، فهرب الى لبنان وبدأ من هناك يتعاون

مع حكومة نوري السعيد واجهزته السرية وكان يقبض أموالاً منها، وحاول التخطيط لانقلاب مع أجهزة حلف بغداد ضد الحكم الوطني في سورية. اغتاله المكتب الثاني السوري في بيروت، واقيمت مناحة عليه في اذاعة بغداد ايام نوري السعيد. سألت صلاح جديد ما اذا كان يعرف غسان جديد، ولحسن حظي لم أرفق اسمه بنعوت مثل الخائن أو العميل، واذا بصلاح يشحب لونه لثوان ويرتبك، وأجابني: غسان أخي وشقيقي. عندها دهشت وقلت له: طبعاً لا مشكلة في ذلك ولكل اجتهاداته. بعدها بسنوات أبلغني طلعت صدقي الذي كان في المكتب الثاني السوري ان صلاح لم يذرف دمعة واحدة على غسان حين جيء به لدفنه في سورية.

منذ ذلك الوقت لم أرتح لصلاح جديد ولمت حمدي عبدالمجيد في ما بعد لعدم ابلاغي بذلك، فأكد لي أن اتجاهاته مغايرة لاتجاهات أخيه تماماً.

في ما بعد زارنا زياد الحريري على رأس وفد، وأحببناه كثيراً انا وطالب الشبيب وعبدالسلام عارف واحمد حسن البكر. اذ كان شخصية جذابة وصاحب اتجاه قومي صاف، وتبين لنا ان الجماعة كانوا بيتوا له مؤامرة. استمر الضغط وتواصلت التظاهرات في دمشق وباتت الحكومة السورية على وشك الانهيار، اذ كانت الجماهير تطالب بارسال وفد فوري الى القاهرة لاعلان الوحدة فوراً. واذا بإذاعة دمشق تبث فجأة، لتهدئة الجماهير السورية، ان وفداً سورياً على رأسه صلاح البيطار في طريقه الى القاهرة لمقابلة الرئيس جمال عبدالناصر. ثم بثت الاذاعة ان طائرة اقلعت من بغداد تقل وفداً عراقياً الى القاهرة للغرض نفسه، ولم يكن في ذلك شيء من الصحة، فوقعنا في ورطة: هل نذيع بياناً، كأي دولة تحترم نفسها، يؤكد ان الخبر كاذب؟ اخذتنا العصبية الحزبية

للتغطية على هذا البيان الكاذب السخيف. جمعت الموجودين من مجلس القيادة واقترحت ان يذهب علي السعدي وطالب الشبيب وصالح عماش أيضاً. وهو الوفد نفسه الذي ذهب الى القاهرة للتهنئة بعيد الوحدة، اذ لم أشأ الزج بنفسي في الوضع السوري. اتصلنا هاتفياً بسفير الجمهورية العربية المتحدة في بغداد امين هويدي، وأبلغناه ان الوفد في طريقه الى القاهرة حتى لا يبدو الأمر وكأن السوريين يكذبون. وبقي الوفدان في القاهرة بضعة أيام وجرى بحث الوضع السوري.

< ما الغرض الحقيقي من هذه الخطوات العاجلة؟

- كان هدف ارسال الوفود تهدئة الجماهير الهائجة. لكن غير البعثيين في الوفد السوري جاؤوا للضغط على عبدالناصر لإعلان الوحدة. كانت حجة الناصريين السوريين ان العراق لديه مشاكل قد يستغرق انهاؤها ستة أشهر أو أكثر. فلتعد الجمهورية المتحدة كما كانت وينضم اليها العراق في ما بعد.

القيادة السورية السرية، جديد وعمران وعفلق والبيطار الذين بيدهم الأمر، لم ترد الوحدة الثنائية الفورية لأنها تقضي على خططهم السرية. لذلك أعلنوا ان العراق أرسل وفداً من دون علمنا من أجل أن يطرح الوفد العراقي الوحدة الثلاثية. لأن الوحدة الثنائية بين سورية ومصر تشكل احراجاً للعراق، خصوصاً ان الانفصاليين كانوا اقوياء في العراق. كما تغلبت الحزبية على القومية، إذ أن في اعلان الوحدة الثنائية اضعافاً لنا، إذ تعني اكتساح عبدالناصر سورية لأن الشعب والجيش معه وسيضعف موقفنا في العراق ايضاً. لذلك طلب علي السعدي، بناء على توصية منا، من الرئيس عبدالناصر أن تكون الوحدة ثلاثية بدل الوحدة الثنائية.

اقتنع عبدالناصر على مضض باجراء مفاوضات ثلاثية على رغم تفضيله الوحدة الثنائية على ان ينضم اليها العراق في ما بعد. انحنى عبدالناصر أمام عاصفة الضغط، وللتاريخ، ثبت ان عبدالناصر في هذه المفاوضات والتي تلتها كان اكثر قومية من حزب البعث، خصوصاً من المؤسسة الحاكمة المؤثرة في حزب البعث السوري. وافق على عقد جلسات ثلاثية وطلب ان يحضر عفلق والبيطار وغيرهما لتكون الوحدة الجديدة والجمهورية الجديدة خالية من الاخطاء. وعادت الوفود لتتهيأ لعقد مفاوضات الوحدة الثلاثية، لكن هذه الحركة لم تنطل على الشارع السوري فتواصلت التظاهرات.

< هل كان عبدالسلام عارف متحمساً للوحدة الفورية؟

- لا. كان رأيه من رأي البعث العراقي الذي كان مخلصاً في موقفه وليس تكتيكياً. اعتبرنا ان اقامة الوحدة الثلاثية افضل من اعادة الوحدة بين سورية ومصر، لكن السوريين استخدموا هذا الشعار تكتيكياً.

الوثائق والتشهير

نقلت وكالات الأنباء في بداية آذار تصريحاً لعلي صالح السعدي بأنه عثر على وثائق خطيرة في مكتب عبدالكريم قاسم تفضح علاقة اكرم الحوراني به وتؤكد تسلمه مبالغ مالية كبيرة من الزعيم. كانت الوثائق التي عثر عليها عبدالكريم قاسم جميعها موجودة في حوزتي ولم اجد شيئاً فيها من هذا القبيل. اتصلت بالسعدي وسألته عن هذه الوثائق المزعومة، فقال: لا توجد وثائق، لكن الاخوان السوريين يقصد قيادة ٨ آذار، طلبوا مني ان أصرح بذلك للتشهير بأكرم الحوراني. فقلت له اننا لسنا بوقاً لهؤلاء، واذا كانت هناك فعلاً وثائق موجودة فليحققوا بها مع الحوراني ولا ينسبونها الينا. هذا الأمر غير صحيح وسأضطر لتكذيبه.

< وهل كذبته؟

- ليس في شكل واضح. ولكن عندما سألني احد الصحافيين عن الأمر أجبت بأنني لم اشاهد شيئاً من هذا القبيل. وهذا يعطيك مثلاً عن تكتيكات السوريين وتوريطاتهم لنا.

في نهاية آذار او مطلع نيسان وصل الاستاذ عبدالكريم زهور الى بغداد، وكنت استلمت برقية من حمدي عبدالمجيد بأن لدى عبدالكريم آراء تختلف عن آراء اللجنة العسكرية. انا شخصيا احب هذا الرجل واحترمه اذ انه مثقف ونائب وسياسي وذو فكر قومي صاف. استقبلته في مكتبي وكنا نعرض انتقاداتنا وتصوراتنا، فخطر لي أن أعرض عليه البقاء في بغداد اذا كان غير مرتاح في سورية على ان نسلمه المؤسسة الصحافية التابعة للبعث والتي كانت تصدر جريدة "صوت الجماهير" الناطقة باسم الحزب والمطبوعات الاخرى، فرفض وقال إن مكانه في سورية.



احمد حسن البكر وعلي صالح السعدي

أثناء اجتماعنا دخل سكرتيري وسلمني برقية من سورية موقعة من حمدي عبدالمجيد يطلب الابقاء على عبدالكريم زهور في العراق حتى لو اضطررنا الى اعتقاله. تغيرت ملامح وجهي فاستأذن الرجل بالخروج وأبلغني انه سيسافر الى دمشق في اليوم التالي، فذهبت لوداعه في المطار حتى نبعد اي شبهة عنا. ولدى عودته الى دمشق لم يعترضه أحد هناك، اذ انهم أرادوا من العراقيين القيام بذلك. هذا مثل آخر من الأساليب السورية في التعامل مع العراق في الأسابيع الأولى. فالقيادة المدنية السورية لم يكن لديها ذاك النفوذ في الشارع السوري وكانت خاضعة للقيادة العسكرية، والعسكريون السوريون كانوا يعتمدون على القطر العراقي لتحصين موقفهم... لذلك كان العبء ثقيلاً على البعث العراقي، وفي الحقيقة كنا نتحمل عبئين: العراقي والسوري.

الحلقة السابعة:

الوحدة الثلاثية

سألني قارئ عراقي عاتب عن "السبب الحقيقي" وراء نشر حلقات "حازم جواد يتذكّر". قال انه قرأ مقدمة الحلقة الاولى لكنه لم يقتنع تماماً. وتساءل: "لماذا صمت حازم جواد اربعة عقود وتوارى عن المسرح السياسي مختاراً العيش في الظل والعزلة ثم أطلّ فجأة في حوار طويل؟". واضاف: "لماذا تفتح "الحياة" صفحاتها وفي هذه الايام بالذات لقائد بعثي على رغم كل ما ارتكبه البعث في العراق؟ ولماذا تقرر "الحياة" الشروع في النشر في ٨ شباط فبراير اي في ذكرى وصول البعث العراقي الى السلطة في ١٩٦٣؟".

أعدت القارئ العزيز الى ما كتبته في بداية الحلقات فلم يقتنع، وقال انه يشعر بأن اختيار الشخص واختيار التوقيت يزيدان قناعته بأن الامر "ليس بريئاً". ثمة كلمة شعرت انها تدور في ذهن المتحدث وتفادى قولها وهي المؤامرة، لكنه فضّل استخدام تعبير "ليس بريئاً".

بعد ظهور الحلقات الاولى تلقيت عبر الهاتف والبريد الالكتروني اتصالات ورسائل حمل بعضها الاسئلة التي طرحها القارئ العاتب مبكراً. ولهذا شعرتُ بوجوب العودة الى هذا الموضوع. اذا كانت هناك من "مؤامرة" في الحوار الذي تنشره "الحياة" حالياً فهي مجرد "مؤامرة" صحافية ترمي الى اظهار بعض غوامض الماضي القريب الذي انبثق منه الحاضر الذي نعرفه. اما الشق الآخر من "المؤامرة"، وهو ما ترمي اليه

سلسلة "يتذكّر"، فهو دفع اللاعبين الصامتين الى البوح برواياتهم ليتسنى للقارئ ان يتابع ويقارن.

ما ننشره هو رواية سياسي قاد حزبه الى السلطة، و"الحياة" التي تنقل هذه الرواية بأمانة ترحّب بأي توضيح او تعليق يغني الرواية ويفيد القارئ.

في حلقة اليوم يتابع حازم جواد حديثه عن مفاوضات الوحدة الثلاثية العراقية . السورية . المصرية وما رافقها من أفخاخ ومناورات.



جمال عبدالناصر وعلي صالح السعدي وشبيب والبزاز والقاسم واخرون

نص الحلقة السابعة

< ذهب الوفد العراقي لتهنئة الرئيس جمال عبدالناصر بعيد الوحدة، ماذا حصل؟

- أثناء زيارة الوفد العراقي الذي ضم علي السعدي وطالب الشبيب وصالح عماش للتهنئة طلبت من أعضاء الوفد ان يسألوا عبدالناصر رأيه عما سيكون عليه الموقف بعد الوحدة، التي ستتحقق عاجلاً أم آجلاً، من قضية الكويت التي أعلن عبدالكريم قاسم ضمها. علماً اننا كنا نعتقد بصحة الاسباب الموجبة التي دفعت عبدالكريم قاسم في موقفه من الكويت ونختلف على الاسلوب، اذ ان الكويت كانت جزءاً من منطقة حائل في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية والتي كانت جزءاً من ولاية البصرة اثناء الحكم العثماني، وضمها ابن سعود بعدما طرد الجيش العثماني منها الى المملكة الناشئة، فيما أخذ الانكليز الكويت ووقع شيخها اتفاقاً مع الحاكم البريطاني لحماية خط المواصلات لشركة الهند الشرقية. وشعب الكويت كان دائماً يتطلع الى الوحدة مع العراق منذ اصبح دولة ودخل عصبة الامم، وكانوا يرسلون عرائض ووفوداً الى متصرف البصرة يدعون الملك للمطالبة بالكويت وضمهم، وأقام الملك غازي اذاعة في قصر الملح لتوجيه نداءات الى اهل الكويت للثورة على الحاكم الانكليزي والانضمام الى العراق. كنا نريد حل هذه المشكلة لعدم اثقال كاهل دولة الوحدة بأوزار الماضي. فقال عبدالناصر لأعضاء الوفد: انسوا خرائط الدولة العثمانية وبريطانيا التي عفا عليها الزمن ولا تصلح لبناء قضية من هذا النوع. ربما الاهواز وعبادان جزء من العراق والاسكندرون جزء من سورية وفلسطين قسمت واعطيت وفق وعد بلفور، لكن الوحدة لا تتم بالضم وانما باقناع الجماهير والشعب. وعلينا ان نشجع حكام الخليج على تنمية

اواصرهم مع الدول العربية الاخرى اقتصادياً وتعليمياً وثقافياً وبحيث يسعون هم الى الوحدة.

كذلك أبدينا رغبتنا بأن يرسل عبدالناصر عبدالمجيد فريد سفيراً، وكان عبدالكريم قاسم ابعده فأردنا ان نرد له الاعتبار. لكن عبدالناصر قال لهم سأرسل لكم شخصاً ترتاحون اليه هو المقدم امين هويدي الذي كان في سفارة بلاده في المغرب.

أحيط هويدي بعناية خاصة من قبل النظام الجديد كما هو التقليد في العراق منذ ثورة ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨ بإحاطة مبعوثي عبدالناصر بعناية خاصة وتمييزهم عن بقية السلك الديبلوماسي والمؤسسات الديبلوماسية للمكانة الخاصة لمصر وللرئيس عبدالناصر في نفوس قادة العراق وشعبه واحزابه الوطنية. عبدالمجيد فريد، مثلاً، أمضى اياماً ينام بجوار غرفة قاسم وعارف في وزارة الدفاع وزوّد خطاً هاتفياً حكومياً خاصاً ليسهل الاتصال به من قبل عبدالكريم قاسم. فريد كان ملحقاً عسكرياً، فكيف اذا أرسله عبدالناصر سفيراً واوصى به؟ لكن، للاسف، فان الاخوان المصريين يتصورون ان هذه المعاملة الخاصة من قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ او حركة ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ هي واجب تجاههم وانهم اعلى من النظام والسلك الديبلوماسي، وتنعكس هذه الأمور على علاقاتهم مع المسؤولين العراقيين وقطعاً في تقاريرهم. يعتب الاستاذ هويدي، في احد كتبه التي اصدرها بعد ٢٠ سنة انه وصل الى بغداد فجراً في اول زيارة له ولم يجد في استقباله اياً من المسؤولين. كنا لا نزال في الايام الاولى من الثورة ولم تكن الامور انتظمت بعد. يبدو انه فسر هذا الأمر، بالعقلية البيروقراطية المصرية، بأنه قلة اهتمام او اهمال وبالتالي عكسه على علاقة البعث العراقي مع الرئيس عبدالناصر، وهذا غير صحيح اطلاقاً بدليل اننا زوّدناه خطاً هاتفياً

خاصاً على البدالة الحكومية السرية التي لا تتجاوز ارقامها الاربعين رقماً.

< كيف كانت علاقته بعبدالسلام عارف؟

- كان عبدالسلام يكلمه باستمرار. وعندما اصبحت مسألة الوحدة جدية وبعد اعلان ميثاق ١٧ نيسان الوحدوي والازمات التي بدأت تثار في وجه البعث السوري ثم البعث العراقي كنا دائماً نطلب منه التدخل او ايضاح نقطة، وآسف ان اقول انه لم يكن مساعداً او منسجماً معنا. عبدالمجيد فريد وطلعت صدقي كانا اكثر انسجاماً ويعملون على تذليل العقبات. عندما بدأت الحملة الصحافية على البعث السوري في الصحافة المصرية وفيها تلميحات الى البعث العراقي استدعاه عبدالسلام عارف الى مقره في حضوري ووزير الخارجية طالب الشبيب، وكان عارف يستقبل من دون رسميات. فاتحه في شأن هذه الحملة، ففوجئنا به يرد بالقول ان الصحافة المصرية حرة ولا أحد يتدخل فيها. فقال له عبدالسلام متعجباً: "هل تقول لنا ان الصحافة المصرية حرة ولا سيطرة عليها؟". واحتد طالب الشبيب قائلاً: "ان كان هذا هو السلوك فكيف سنتمكن من حل المشاكل الاخرى؟ وهل تريد ان تقنعنا بأن جريدة "الاهرام" وجريدة مصطفى امين حرة لا توجيه لها من الرئاسة او من جهات اخرى؟ هذا الكلام معناه اننا لسنا في صدد وحدة ثلاثية".

في ما بعد شكلت الوفود وطلب عبدالناصر من السوريين ان يشكلوا وفداً حزبياً يضم ميشال عفلق لتحصل مكاشفة.

< كيف كانت علاقة عفلق مع منفذي حركة ٨ آذار؟

- لم يكن هناك في البداية اي توتر وهو كان مستقوياً بالبعث العراقي. شكلنا وفداً كبيراً وارتكبنا خطأ في تركيبته، اذ كان برئاسة احمد حسن البكر، علماً ان موضوع توحيد الاقطار الثلاثة معقد وشائك بسبب العلاقة السابقة بين البعث وعبدالناصر وتجربة الوحدة السورية - المصرية، لذلك كان يجب ان يرأس الوفد شخص مطلع على كل التفاصيل.

< لماذا اختير البكر؟

- لان عبدالناصر كان سيرأس مفاوضات مصر.

صاحب المواقف المتهورة

< لماذا لم يختر عبدالسلام؟

- عبدالسلام ما كان ليحظى بموافقتنا لانه لم يكن عضواً في الحزب، كما كنا نخشى من شطحاته المعتادة وتهوره، خصوصاً اننا عرفنا ان عبدالناصر في محادثات دمشق ١٩٥٨ لم يكن مرتاحاً لاسلوب عبدالسلام المندفع على رغم انني اعتقد الآن انه كان يمكن ان يكون افضل بكثير من احمد حسن البكر، لانك اذا دقّقت في محاضر الاجتماعات لن تعثر على كلمة او جملة مفيدة صدرت عن احمد حسن البكر.

< من كان معه؟

- علي صالح السعدي الذي اصبح الرئيس الفعلي للوفد المفاوض وطالب الشبيب وصالح عماش وعبدالستار عبداللطيف واشخاص آخرون، وبقيت انا في بغداد لحماية امن النظام. كان من الأفضل ان

اذهب انا، لكن لم يبق احد من الرؤوس الاربعة او الخمسة من الحزب في العراق فبقيت مع عبدالسلام عارف. الوفد السوري رأسه لؤي الاتاسي وضم صلاح البيطار وميشال عفلق ونهاد القاسم وزياد الحريري وآخرين. استمرت المفاوضات عشرة ايام بلياليها بين مد وجزر، وتوضح محاضر الجلسات ان السيطرة النظرية كانت لعبدالناصر وان الجماعة كانوا في موقف دفاعي على عكس ما هو متوقع.

< هل حصلت احتكاكات؟

- طبعا. لكن كان يتم تبريدها.

< كيف كان اداء علي؟

- اداء البعث عموماً كان يفترض ان يكون افضل بكثير، خصوصاً ان ألسنة البعثيين كانت طويلة على النظام المصري.

< هل كان الوفد يطلعكم على ما يحدث هناك؟

- كانوا يقولون ان الامور ماشية. كنت اتابع الاحداث عن طريق البرقيات ووكالات الانباء وبعض التسريبات عن طريق المصريين، وكنت أعلم ان هناك عقبات عدة وكنت اخشى انهيار المفاوضات، لذلك كانت لدي خطة جاهزة في حال تأزم الموقف في الساعات الاخيرة.

< ما هو هذا الحل؟

- كان آخر حل اذا شعرنا ان المفاوضات ستنفض من دون اتفاق ان أسافر مع عبدالسلام عارف الى القاهرة، وان يقابل عبدالناصر مركز القوة الحقيقية العراقية. العقبة لم تكن مع البعث العراقي، وعبدالناصر أدرك ذلك منذ بداية الجلسات، وهو قال في هذه

الاجتماعات وقبلها: لا مشكلة لدي مع البعث العراقي ولو خيّرت للانتساب الى حزب فلن اختار الا حزب البعث العراقي. مشكلته كانت مع البعث السوري. المفاوضات تطرقت الى النقد والاتهامات المتبادلة بين عبدالناصر والبعث السوري، خصوصاً ميشال عفلق وصلاح البيطار واكرم الحوراني. عاتب عبدالناصر البيطار لتوقيعه بيان تأييد الانفصاليين.

لم نرد للمفاوضات ان تفشل، وأرسلت برقيات عدة الى الوفد العراقي، كان عبدالسلام عارف يطلع عليها، نؤكد فيها ان الفشل ممنوع وان العودة ممنوعة الا بعد التوقيع على ميثاق الوحدة، وقدمنا تنازلات في هذا الصدد. فبعدما كنا نؤكد ان قيادة الثورة والقيادة السياسية في العراق يجب ان تكونا للبعث فقط من دون منازع، قبلنا بوجود عناصر قومية في مجلس قيادة الثورة اذا رأى عبدالناصر ذلك. ووقع الميثاق بعد مخاض عسير.

< على اي أمر اختلفوا اكثر؟

- كان عبدالناصر يفضل في البداية اعادة الجمهورية المتحدة كما كانت ثم تدخل في مفاوضات مع العراق بعد تصفية مشاكله مع الشيوعيين والقضية الكردية. الخلاف كان على الوضع السوري. كان عبدالناصر يريد ان تكون سورية في يد قوية وان لا تترك للبعث لينفرد بها وهو وقال في المفاوضات: لا اريد ان اعيد المثل البدوي انا واخي على ابن عمي، وانا واخي وابن عمي على الغريب. وفي النهاية قبل بأن تكون مصر له والعراق للبعث، وتم الاتفاق ضمنا ان تكون سورية مناصفة للبعث وللقوى الوحدوية الاخرى من دون غلبة لطرف على آخر. وعلى هذا الاساس أعلن الميثاق في صباح ١٧ نيسان بعد جلسة مسائية طالت حتى الثانية ليلاً وكادت ان تنفض من دون اتفاق، لأن عبدالناصر عندما قرأ الميثاق

بصيغته النهائية قال: "نسيتم ان تضيفوا مادة اخرى للدستور وهي ان لكم الحق باعتقال رئيس الجمهورية العربية المتحدة"، في اشارة الى مدى التنازلات التي قدمها.

< هل اصطدم عبدالناصر مع عفلق أثناء المفاوضات؟

- حصل نوع من المماحكة في النقاش.

< هل كان عبدالناصر يكره عفلق؟

- اعتقد انه يكره بدرجات. كان، واضحاً انه لا يكن وداً لأكرم الحوراني خصوصاً بعد توقيعه بيان الانفصال. الحوراني معروف بتقلباته وعبدالناصر لا يحب هذا النوع من السياسيين. كان يود صلاح البيطار، لكن استقالته الملغومة مع الحوراني في القطار وتوقيعه ميثاق الانفصال تركا أثراً في نفس عبدالناصر، ولذلك كان البيطار اضعف الموجودين اثناء المفاوضات. ويأتي عفلق في الدرجة الثالثة لانه لم يتسلم مركزاً حكومياً بل كان زعيماً للحزب القومي، الا انه كانت له تكتيكاته.

هواجس عفلق

قبل ١٧ نيسان، دخل سكرتيري ليبلغني ان عفلق ينتظر السماح له بالدخول. فوجئت بالزيارة، فتركت مكتبي وهرعت الى غرفة السكرتير واستقبلته بحفاوة. لاحظت انه قلق. قال لي: "أريد ان أصارحك بأمر لا استطيع التكلم به لغيرك". وبعدما كال لي المديح، بدأ بالبكاء وقال: "لاحظت تغيراً في تعاملكم معي. أنا هنا منذ فترة ولم أرَ حتى صورة لي منشورة في صحفكم، مما يعكس عدم اهتمام الصحافة على عكس ما كانت عليه الأمور في زيارتي الاولى". فقلت له مستهجناً: "هل شاهدت في

صحفنا اي صورة لعبدالسلام عارف أو لي؟" انا طلبت من الصحف التقليل من الصور قدر الامكان وان تنشر صور المسؤولين في أماكنها وأحجامها بحسب الاهمية الرسمية للمسؤولين. فقال: "اخشى ان هناك اتفاقاً بينكم وبين عبدالناصر عليّ... لأن عبدالناصر معقد من القيادة السورية، خصوصاً مني ومن صلاح البيطار". أكدت له ان هذه مجرد اوهام وان الجميع يقدره ويحترمه، فتغيرت ملامح وجهه وانفرجت أساريره.

أعتقد ان عفلق أراد ان يجس النبض حول ما اذا كانت هناك علاقة خاصة بيننا وبين عبدالناصر، وكان يدرك انه ستكون هناك معركة حول الوحدة مع عبدالناصر، فأراد ان يتأكد مما اذا كنا سنضحي به. كما ان وجوده في بغداد فيما سورية تعيش أجواء الانقلاب ربما كان بسبب خشيته من ان تعمل القيادة السرية السورية على تحجيمه فأراد ان يكتشف موقعه في العراق. في ما بعد ذكرت القصة لهاني الفكيكي الذي أقام في سورية فترة وخبر خفاياها، فقال لي: السوريون معظمهم متعب.

< هل كان لجمهورية الوحدة الثلاثية رئيس واحد؟

- رئيس واحد للجمهورية مع استحداث منصب رئيس لكل قطر، وليس الاقليم كما في الوحدة الاولى. رئيس القطر بمثابة رئيس المجلس التنفيذي اورئيس المجلس المحلي، وكان عبدالسلام يضحك فرحاً عندما قرأ الميثاق، ويقول: ميثاق جيد. يبدو انني سأبقى رئيساً.

< هل كان عبدالسلام يحب عبدالناصر؟

- من دون شك. كاد يضحي بحياته في سبيل عبدالناصر. التهمة الرئيسية ضده في محاكمته في عهد عبدالكريم قاسم كانت مخاطبته الجماهير بالقول: "أحييكم باسم اخي الرئيس جمال عبدالناصر" بدلاً من القول احييكم باسم عبدالكريم قاسم.

< هل بقي هذا الشعور بين عارف وعبدالناصر؟

- نعم بقي الى حد ما طيلة فترة وجودنا، وفي ما بعد بدأ يخف. لكنه بقي على ولائه لعبدالناصر وان كان ينتقده أحياناً. كان عبدالسلام ورقة بالنسبة الى عبدالناصر، وكان الأخير الحامي الأكبر لعارف خصوصاً عندما اختلف مع البعث وحصلت أحداث ١٨ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٣.

< هل أيد عبدالناصر ضرب البعث؟

- ليست له يد في الموضوع. كان ذلك انقلاباً داخلياً، الا انه بالتأكيد كان مرتاحاً، لأن ذلك حجّم سورية التي بقيت وحدها واصبحت اسهل عليه.

< في النهاية أمكن اعلان الميثاق؟

- أعلن يوم توقيع الميثاق عطلة رسمية وخرجت الجماهير الى الشوارع في صورة عفوية وذبحت الذبائح في الشوارع لعودة العروبة الى بغداد وللوحدة بين عاصمة العباسيين وعاصمة الامويين وعاصمة الفاطميين، وكانت هذه الوحدة الثانية او الثالثة في تاريخ الامة. وكان الهتاف الرئيسي للمتظاهرين "الميثاق بالقاهرة والبعث عينه ساهرة". وارسل عبدالسلام برقية تهنئة الى عبدالناصر والاتاسي. وجرى استقبال كبير للوفد العراقي الذي عاد من القاهرة شارك فيه في المطار عبدالسلام الذي رفع علم جمهورية المتحدة على سيارته بدل العلم العراقي. كنا

نريد اثبات صدق نياتنا، لكن هذه سجلت مآخذ علينا واتهمنا الاستاذ محمد حسنين هيكل لاحقاً بالاستعراض الكاذب لاخفاء خطة البعث لتدمير الوحدة. يبدو اننا استعجلنا في الموضوع فيما كان المصريون يريدون انتظار موعد الاستفتاء على الوحدة والميثاق في ايلول.

مع توقيع الميثاق بدأت المعركة بين القيادة السورية وبين جمال عبدالناصر وبينها وبين الوحدويين في الوطن العربي لافشال الميثاق. واقول براحة ضمير ان النية كانت مبيتة لافشال الميثاق عن طريق توقيعه الذي كان تكتيكيا، لانهم كانوا محاصرين من قبل الشعب السوري.

أقصد بالقيادة صلاح جديد ومحمد عمران وسليم حاطوم وعبدالكريم الجندي وحافظ الأسد. هؤلاء كانوا اصحاب الحل والعقد في سورية وان تفاوت حجم الادوار. كان هناك آخرون في مجلس القيادة مثل امين الحافظ وزياد الحريري.

بدأت المعركة بالتدريج. كان عدد من الضباط والوزراء من الاقليم الشمالي أي الاقليم السوري موجودين في القاهرة منذ الانفصال، من بينهم اكرم ديري وعبدالحميد السراج وطلعت صدقي. وبعد توقيع الميثاق أراد هؤلاء العودة الى سورية فاعتقلوا في المطار وأعيدوا الى القاهرة. ويبدو ان هذه الحادثة كانت بمثابة جس نبض لجدية السوريين في التزام ميثاق ١٧ نيسان. كان هذا الشرخ الأول.

الشرخ الثاني حدث عندما عاد فؤاد الركابي رئيس حزب البعث الاقدم والمحكوم بالاعدام في عهد عبدالكريم قاسم الى دمشق في طريقه الى بغداد. لا اعلم حتى الآن كيف التقى علي السعدي بالركابي في العاصمة السورية، فأغلظ له بالكلام وهدده بأنه لن يسمح له بالعودة الى

العراق. وفي احدى الليالي كنت وطالب الشبيب في فندق "امباسادور" عندما دخل علينا مدير امن بغداد المقدم محمود الحلو وأبلغنا ان فؤاد الركابي وصل الى مطار بغداد، وأن علي السعدي اصدر امراً باعتقاله وتسفيره في اليوم التالي الى القاهرة. عقدت الدهشة لساني، فقبل يومين كان وزير التجارة العراقي شكري صالح زكي في مكتبي برفقة وزير التجارة البريطاني الذي كان يزور العراق، وأبلغني بنية فؤاد الركابي العودة الى العراق وما اذا كان هناك مانع دون ذلك، فأكدت له انه مرحّب به كونه مناضلاً ورئيساً سابقاً للحزب. فكّرت باصدار أمر مضاد لأمر علي وأن أطلب منه طرح الموضوع في القيادة، لكن طالب نصحني بألا أثير ازمة مع علي السعدي لأن مرؤوسيه لن يأخذوه على محمل الجد بعد ذلك. وأعيد فؤاد الركابي الى القاهرة.

< ماذا كان تعليق عبدالسلام على الموضوع؟

- لم يقبل احد بهذا العمل المشين.

< كان شهر العسل قصيراً؟

- شهر العسل بعد الميثاق دام اسبوعاً. فبعدما أرسلوا ضباطاً الى بغداد واقالوهم، فوجئنا ببيان اعفاء اللواء زياد الحريري من رئاسة اركان الجيش اثناء وجوده في الجزائر على رأس وفد رسمي للتهنئة بعيد استقلال الجزائر، وعيّنوه سفيراً في اسبانيا او النمسا. عندها رأيت ان الامور لم تعد تطاق، واقتنعت بضرورة ابلاغ هؤلاء بالموقف الرسمي العراقي الحاسم.

كان الحريري قائد الجبهة المواجهة لاسرائيل وقواته زحفت الى دمشق. كان رجلاً نظيفاً وقومياً، لكن اعضاء اللجنة العسكرية السورية أرادوا

الحيلولة دون كل من ليس من المجموعة التي ينتمون اليها، والتسلل الى مراكز السلطة، والا فما هو سبب اخراج الحريري بهذه الطريقة الغادرة، ما أثار القاهرة التي عادت الى نعت حزب البعث بالغدر.

كنت أنا وطالب الشبيب في وزارة الدفاع عندما جاءنا الخبر، فكتبت برقية وقعتها انا وطالب وصالح عماش وارسلت نسخة الى رئيس مجلس قيادة الثورة في سورية لؤي الاتاسي وأخرى الى رئيس الوزراء صلاح البيطار. كانت رسالة شديدة اللهجة اعتبرنا فيها اعفاء الحريري غير شرعي وغير صحيح وغير قانوني، ومسيئة الى سمعة الحزب في العراق وسورية وتثبت تهمة الغدر على الحزب. وحتى الآن لا اعرف كيف وقعها صالح عماش، لأنه في العادة لا يأخذ مواقف حاسمة، وربما كان دافعه الى ذلك الدس او اثارة الحرائق لأن الرسالة سجّلت نقطة ضدي لدى "القيادة السورية السرية".

لا شك في ان اللجنة العسكرية كانت وراء القرار. بيان الاقالة أذيع باسم مجلس قيادة الثورة الذي لا يتخذ قراراً من دون موافقة اللجنة السرية. ويبدو ان صلاح البيطار كان ضد اعفاء الحريري فأثار موضوع برقيتنا في اجتماع المجلس في اليوم نفسه وطلب التراجع عن القرار. لكن قرار اعفاء الحريري مرّ، وبدأت صحف القاهرة واذاعاتها تعلن ابعاد رئيس الاركان "بعملية غادرة كما هي العادة". وثبت لنا بعد ذلك ان هذه كانت تمهيداً لحدث مقبل سيفاجئنا بعد اسبوعين او اقل في ١٨ تموز.

< حركة جاسم علوان؟

- سارت الامور في شكل عادي بعد احداث معسكر الرشيد في تموز يوليو في بغداد وذيولها، وبدأ المدنيون في القيادة يظهرون شيئاً من اللين والعودة الى النهج الرفاقي والأخوي، الى ان فاجأتنا سورية مرة اخرى.

ففي صباح ١٨ تموز نقلت وكالات الانباء ان وفداً عسكرياً سورياً برئاسة لؤي الاتاسي رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة وعضوية العقيد محمد عمران وغيره غادر دمشق الى القاهرة لمقابلة الرئيس جمال عبدالناصر. سررت لسماع هذه الأخبار واعتبرتها محاولة من السوريين لرأب الصدع بينهم وبين الرئيس عبدالناصر لأن الحرب الاعلامية بين العاصمتين كانت محتدمة، وزج بنا فيها اذ بدأنا نرد على مقالات هيكل التي كانت تنشر يوم الجمعة وتذيعها اذاعة "صوت العرب" بمقالات أكتبها أنا وطارق عزيز تحت عنوان "حديث الخميس". بقسوة احياناً تتناسب مع مقالاته.

رأيت في ذهاب الاتاسي الى القاهرة خطوة على الطريق الصحيح وكلمت عبدالسلام الذي تفاءل بالزيارة. في منتصف اليوم دخل ضابط الى مكتبي وسلمني برقية وصلت عن طريق اللاسلكي من الملحق العسكري العراقي في دمشق العقيد محمد المهداوي وفيها: "يؤسفنا ان نعلمكم ان هناك تمرداً واطلاق نار يرافقه هجوم على دار الاذاعة السورية وعلى بناية هيئة الاركان، وهي مقر قيادة الجيش السوري، ويبدو ان الفوضويين والذيليين وبعض الانتهازيين وراءها. وسنعلمكم بالتطورات ساعة بساعة". وكلمة "الذيليين" كانت اصطلاحاً لوصف الناصريين او العناصر التي تدعي الناصرية. هذا فيما كان الاتاسي في القاهرة. هاتفت عبدالسلام، فقال لي: "أعتقد ان هذه مؤامرة ضد الوحدة الثلاثية. وان شاء الله تكون هذه فئة اخرى انفصالية او شيوعية".

< هل كان عبدالسلام يكره السوريين؟

- كان يبدي تذمراً لمفاجآتهم الدائمة لنا. وكان يعتبر ان تصرفاتهم تؤثر في علاقتنا مع عبدالناصر.

اتصلت بعلي صالح السعدي لأنه كان على معرفة بالوضع السوري فبحث عنه موظفو وزارة الاعلام ولم يجدوه. اعتقدت بأن ما يحدث اكبر من حركة حسن السريع تمرد شيوعي في احد سجون بغداد لأن الهجوم كان على الاركان حيث قادة الجيش وعلى الاذاعة. جاءت برقية ثانية من المهداوي بأن عمليات الانقلابيين توسعت وأن الملحقية العسكرية العراقية تتعرض لهجوم. لكنه أكد ان الوضع لا يدعو الى القلق. اتصلت بوزير الدفاع صالح مهدي عماش وقلت له: "اذا اسقط الانقلابيون النظام في سورية سيكون لذلك تأثير كبير في العراق وعلى مستقبل الوحدة الثلاثية". وطلبت منه تجهيز الجحفل المظلي والاستعداد لتنفيذ انزال في منطقة دير الزور او البوكمال بسرعة اذا تطور الموقف نحو الاسوأ. ثم اتصلت بوكالة الأنباء وبمديرالاذاعة عبدالستار الدوري وطلبت منهما متابعة اذاعات القاهرة ودمشق التي لم تكن أذاعت شيئاً عن الوضع بعد. وفي كل من هذه الأماكن لم يكن أحد يعرف مكان علي السعدي. ثم كتبت رسالة باسم عبدالسلام عارف موجهة الى لؤي الأتاسي وفيها "اننا نشجب ونستنكر العمل الغادر الذي قامت به زمرة من الانفصاليين والانتهازيين للإجهاز على الوحدة الثلاثية وميثاق ١٧ نيسان. وان ثورة ١٤ رمضان والمجلس الوطني لقيادة الثورة وجيش العراق وشعبه العراقي تحت تصرف القيادة السورية لقمع اي مؤامرة". قرأت نص الرسالة عبر الهاتف على عبدالسلام عارف وبثتها الاذاعة في نشرة الثانية بعد الظهر. ثم بدأ بث أناشيد وطنية ونداءات تندد بالمؤامرة الرجعية. وقفنا بكل قوة الى جانب النظام السوري. ولكن. للأسف. عوتب عبدالسلام بعد ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ اثناء زيارته للقاهرة من قبل بعض الناصريين حول برقيته هذه. فقال لهم: "انا لم ارسل برقية... حازم جواد هو الذي كتبها وأملاها على الاذاعة".

تواصلت برقيات المهداوي الذي أبقانا في الصورة وأبلغنا ان قائد العملية هو العقيد جاسم علوان، وهو ضابط ناصري لا علاقة له بالبعث، عين اثناء الوحدة آمر لواء من المجموعة التي تحيط بالمشير عبدالحكيم عامر، ومعروف بشهامته ومواقفه القومية، وفي ٢٨ أيلول ١٩٦١ استغل بعض الضباط فوجاً او كتيبة دبابات من لوائه لتنفيذ عملية الانفصال، ما ترك لديه عقدة اثم وتأنيب كبيرة، وهو حاول ان يعوض هذا التقصير بانقلاب حلب الفاشل مع محمد عمران عام ١٩٦١، ويبدو انه أعيد الى الجيش بعد ٨ آذار فتزعم هذه المحاولة ضد البعث لاعلان وحدة سورية مع الجمهورية العربية المتحدة فوراً، بعدما جمع حوله بعض الناصريين من المتقاعدين والموجودين في الخدمة وبعض الفدائيين الفلسطينيين، وكان رئيسهم يدعى "ابو عبدالله"، كما شارك معه بعض التابعين لعبدالحميد السراج.

انتقلت الى القصر الجمهوري وحضر احمد حسن البكر وصالح عماش ورئيس اركان الجيش اللواء طاهر يحيى وكنا نعمل على تحضير القوة السريعة، الا انه بعد الثالثة ظهراً بدأت برقيات المهداوي تميل الى التفاؤل وأعرب عن اعتقاده بأن العملية ستقمع بحلول المساء. ونحو السابعة مساء انتهى الأمر، وأعلنت اذاعة دمشق ان امين الحافظ سيوجه خطاباً الى الشعب السوري.

وكان جمال عبدالناصر قطعاً على علم بالمحاولة، وتأكد ذلك من الاعترافات. وثبت لي أيضاً ان الاخوان في سورية خصوصاً المكتب الثاني السوري بقيادة عبدالكريم الجندي، كانوا على علم بالمؤامرة قبل وقوعها. اذ انهم أعادوا كثيرين من ضباط البعث المحالين على التقاعد الى الخدمة وجندوا مجندين بعثيين جدداً، فبات الموقف العسكري البعثي في تموز ١٩٦٣ أقوى مما كان في ٨ آذار بعدما خلت الساحة لهم

تقريباً اثر الاعفاءات وآخرها اعفاء الحريري، ولم يبق أمامهم الا لؤي الاتاسي. وأنا أعتقد ان اللجنة العسكرية السرية تقصّدت ارسال الاتاسي وعمران الى مصر، اذ كانوا يعلمون ان هناك محاولة انقلابية تدبر فأرادوا امساك عبدالناصر بالجرم المشهود، وإظهار انه يتآمر عليهم فيما هم يرسلون اليه وفداً للتفاوض، وعندما يفشلون المحاولة ستكون لديهم حجة للانسحاب من ميثاق ١٧ نيسان وتنتهي الوحدة الثلاثية، واذا لم يفعلوا، سيعلن عبدالناصر حتماً انسحابه لأنه لن يقف مكتوف الايدي أمام حملة الاعدامات التي ستلي افشال المحاولة الانقلابية. هذا تحليلي للأحداث، وأعتقد ان عبدالناصر بلع الطعم كما يقال، ونحن بلعناه ايضاً.



ميشيل عفلق وجمال عبد الناصر

الحلقة الثامنة: اللقاء مع عبدالناصر

في ٨ شباط فبراير ١٩٦٤ هبطت طائرة في مطار بغداد وعلى متنها راكب غير عادي. أراد حازم جواد الذي غادر السلطة والبلاد في ١٣ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٣ ان يتحدى عبدالسلام عارف الذي تفرد بالسلطة بعد خمسة أيام من مغادرته وأقصى حزب البعث. اختار جواد العودة في الذكرى الأولى لتسلم البعث السلطة. أبلغت سلطات المطار الاستخبارات والقصر وجاء الجواب بابعاد جواد فوراً الى القاهرة حيث وضع قيد الاقامة الجبرية باتفاق بين عارف وجمال عبدالناصر.

على رغم تلك الذكريات المؤلمة يقول جواد ان عارف كان صادقاً في تعاونه مع البعث وأن ممارسات الحرس القومي وبعض كبار الحزبيين دفعته الى الابتعاد عن الحزب والانقلاب عليه. وعلى رغم المرارة التي يشعر بها لموافقة عبدالناصر على وضعه في الاقامة الجبرية يقول جواد ان الزعيم المصري كان صادقاً في مفاوضات الوحدة الثلاثية. تبرئته لعبدالناصر دفعتني الى سؤاله عما إذا كان يعتبر أن البعث طعن عبدالناصر في موضوع الوحدة فرد: "الجواب هو نعم وبلا تردد. البعث طعن عبدالناصر. المسؤولية الأولى يتحملها البعث السوري والثانية بعض البعث العراقي. كان الرجل أصدق منا في هذا الموضوع".

في هذه الحلقة يروي جواد قصة اللقاء مع عبدالناصر في حضور عارف وكذلك قصة اللقاء العاصف مع قيادة الحزب والدولة في سورية.



جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف



اليمين حازم جواد، طالب شبيب، أحمد حسن البكر، عبد السلام عارف وطاهر يحيى

نص الحلقة الثامنة

< ماذا كان وقع حركة جاسم علوان في سورية على العلاقات في المثلث المصري - السوري - العراقي؟

- غادرت القصر الجمهوري الى منزلي حيث سمعت خطاب أمين الحافظ الذي أعلن قمع المحاولة واصفاً منفذيها بالمخربين، وتوجه بالشكر الى العراق وجيشه لوقفتهما وللرئيس عبدالسلام عارف لوقوفه الى جانب سورية. طيلة ذلك اليوم لم أرَ أحداً من القيادة المدنية. يبدو أن علي صالح السعدي كان خارج بغداد. وفوجئت مباشرة بعد انتهاء امين الحافظ من خطابه باذاعة بغداد تبث برقية نارية من علي السعدي الذي يعتقد انه وصل لتوه الى الاذاعة، وهي البرقية المشهورة التي تقول: "سحقاً لهم حتى العظم". ولم تكن الجماعة في حاجة الى تحريض اذ ان السوريين شكّلوا محكمة ثورية وبدأوا الاعدامات. ودعا السوريين الى "ألا تأخذكم رحمة بأصحاب الملذات والمصالح". واشتهرت هذه البرقية لأن عبدالناصر رد عليها مباشرة في ٢٢ تموز، ذكرى عيد الثورة، عندما ألقى خطاباً حمل فيه بعنف على القتلة والفاشيست الذين قال انه ليس على استعداد لتنفيذ الوحدة معهم، وروى قصة المفاوضات والخلافات الأولية وأعلن انسحابه من ميثاق ١٧ نيسان.

< هل هاجم البعث العراقي؟

- طبعاً لأن القشة بالنسبة الى البعث العراقي كانت برقية علي صالح السعدي.

< هل هاجم علي بالاسم؟

- قال إن القاهرة وبغداد تعرفان من هم رجال الملذات ومن هو رجل الملذات الذي يطالب بسحق العظم. وعندها أضاف: "أنا أقول ان خلافي ليس مع البعث العراقي وانما مع السوري، فيردون عليّ: بعث واحد لا بعثان... حسناً هما بعث واحد وانا لست على استعداد للوحدة مع هؤلاء الى الأبد".

ربما ابتهج السوريون بإعلانه الانسحاب. لكن بالنسبة الى البعث العراقي كان ذلك كارثة. في اليوم التالي، ٢٣ تموز، أقامت السفارة المصرية حفلتها السنوية بالمناسبة، فرأينا ان نتعامل مع الوضع بروح رياضية وان نعتبر ما حدث مجرد سحابة صيف، أو هكذا اقنعنا انفسنا. وأراد عبدالسلام الذهاب للتهنئة، ونصح علي بالذهاب أيضاً. كان علي شبه ضائع ومثقل الضمير اذ لم يكن يتوقع ما حدث، وعلى رغم انه ليس من النوع الذي يتغلب على مشاعره الداخلية، إلا أنه وافق على الحضور عسى ان يحسن ذلك من صورته، خصوصاً ان الخطأ الاخير الذي ارتكبه كان فادحاً. الا ان الأمور استمرت في التدهور بين البعث والرئيس جمال عبدالناصر يوماً بعد يوم بعد هذا الخطاب، وشنت حملات اعلامية وصحافية من "صوت العرب" واذاعات القاهرة واذاعات سرية وجهت الى سورية ليلاً ونهاراً.

تواصلت الحرب الاعلامية، فنشر الاستاذ محمد حسنين هيكل مقالاً اتهمنا فيه ضمناً بالتعامل مع وكالة الاستخبارات المركزية، إذ أشار الى ان هناك أستاذاً جامعياً اميركياً من أصل لبناني اسمه ايليا زغيب عميل لوكالة الاستخبارات المركزية وله علاقات متينة مع بعض البعثيين، وتساءل عن سبب وجوده في بغداد. وأشار الى انه التقى الملك حسين في فندق "كريون" الباريسي أخيراً، وان العاهل الاردني نبهه الى احداث خطيرة تجري في المنطقة تقوم بها الولايات المتحدة وتستخدم البعث

العراقي فيها، وان وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية كانت تبث في ٨ شباط فبراير عبر اذاعة سرية اسماء الشيوعيين وعناوينهم ليتمكن الانقلابيون من اعتقالهم. كان هذا كذباً وافتراء فردينا عليه، انا وطارق عزيز، بقسوة وألمحنا إلى أن وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية "لا عمل لها في دمشق وبغداد، وان جيفرسون كافري السفير الاميركي الذي كان يتحدث العربية بطلاقة ورافق محمد نجيب الى الباخرة المحروسة لتوديع فاروق وأشرف على تسفيره، لم يكن في دمشق ولا في بغداد عندما قامت حركة ٨ شباط أو حركة ٨ اذار مارس". وأزعج ذكر اسم كافري الرئيس عبدالناصر وعاتبنا على ذلك عندما ذهبنا الى القاهرة. كُتب رد على اتهام البعث بالغدر، فكتبنا: "اذا كنا غدارين فماذا تسمى عملية طرد محمد نجيب وجمال سالم وصلاح سالم وعبدالمنعم أمين وخالد محيي الدين من مجلس قيادة الثورة؟".

< هل سألتم عن ايليا زغيب؟

- سألت طالب الشبيب عنه فقال انه صديق لميشال عفلق الذي اختبأ في منزل زغيب في لبنان عندما انتقل من دمشق الى بيروت عام ١٩٦١ بعد تحذيره من ان المكتب الثاني قد يعتقله. وقال طالب انه وفيصل حبيب الخيزران كانوا يتصلون مع عفلق في منزل هذا الرجل الذي أكد لي انه رجل جيد.

< لماذا أتى زغيب الى العراق؟

- كان استاذ تعاقدت معه الدولة العراقية ايام عبدالكريم قاسم لتدريس الادب الانكليزي او الادب المقارن في كلية الاداب العراقية، وأفترض ان طالب بقي على علاقة معه، اما انا فلم اسمع به الا بعدما كتب عنه هيكل. وبقي طالب مصراً على هذه الافادة حتى منتصف

التسعينات عندما أصدر هاني الفكيكي كتابه "اوكار الهزيمة" وأشار فيه الى ايليا زغيب، فسألت طالب بالتليفون، وكنت لم اره منذ نحو عشرين سنة، وكان غاضباً من هاني وكرر لي ما يعرفه عن الرجل وأعاد الكلام نفسه الذي قاله قبل ٢٠ سنة.

< نفض عبدالناصر يده من أحلام الوحدة؟

- بعد خطاب عبدالناصر وحملة القاهرة على الحزب بدأ بعض الوزراء القوميين بالاستقالة وتدهورت علاقات البعث بالقاهرة، فطرح عبدالسلام عارف، بحماسة، في مجلس قيادة الثورة ان يقوم العراق بمبادرة لرأب الصدع بين سورية والعراق مع الجمهورية المتحدة. وافق الحاضرون على الاقتراح، لكنهم اشترطوا ان أرافقه، فاعتذرت لأن الأمور باتت أصعب من ان تحل بزيارة ووصلت الى مأزق. إلا أنهم اصروا، وأبلغوني خارج الاجتماع انهم غير مطمئنين لذهاب عبدالسلام بمفرده، لأننا لا نعرف ما هي أجواء عبدالناصر وما الذي يمكن ان يدور بينه وبين عبدالسلام، فوافقت. شكّلنا وفداً ضم وزراء من بينهم وزير الخارجية طالب الشبيب والدكتور عبدالكريم العلي وزير التخطيط والزعيم الحاج محمود شيخ خطاب وزير البلديات ورجب عبدالمجيد سكرتير اللجنة العليا. وكتبنا مقالاً نهيئ فيه العراقيين للزيارة لأن الأمور كانت في غاية السوء، عنوانه "كي لا يكون بديل الوحدة جحيم الاقتتال" تضمن خلاصة للأشهر الستة من المد والجزر في علاقات البعث مع عبدالناصر، وأكدنا انه اذا ارتأى الرئيس ان يشطب على ميثاق ١٧ نيسان فالمستقبل امامنا لتعديله أو وضع صيغة اخرى، لأننا في جبهة واحدة ضد الاستعمار والرجعية. وبهذا المنطق التصالحي غادرنا الى القاهرة في نهاية آب. لكن محمد حسنين هيكل استقبلنا بمقال ضمنه براءة من عبدالسلام عارف ومما حدث في ١٤ تموز وما جرى في قصر

الرحاب وقتل الملك والعائلة المالكة. وأعتقد ان هذا الكلام مرتبط بلقائه الملك حسين، اذ يبدو انه كان هناك اتجاه لإقامة محور بين عمان والقاهرة في حال قامت وحدة بين سورية والعراق.

استقبلنا الرئيس بحفاوة في المطار وأوصلنا الى مقر اقامتنا وتواعدنا على الاجتماع في اليوم التالي في قصر القبة.

< هل كان هيكل حاضراً؟

- كلا.

< كيف كان الاجتماع في قصر القبة؟

- كان اجتماعاً صاخباً بعد الذي حدث بين سورية ومصر والعراق. بدأ الرئيس عبدالناصر الكلام وكان متألماً، وقال: "انا أظن أن مجيء هذا الوفد مناورة اخرى من مناورات البعث، اذ ما هو مبرر الزيارة في ربع الساعة الأخير. لكنني مع ذلك قلت فلأرَ ماذا لدى الجماعة". وأضاف: "انا تفاوضت مع الانكليز وضحكت عليهم وحصلت على ما أريد، وتفاوضت مع الفرنسيين وضحكت عليهم ايضاً وحصلت على ما اريد. لكن المرة الوحيدة التي ضُحك فيها علي هي قصة ١٧ نيسان ابريل والوفد العراقي والسوري الذي جعلني اوقع على ميثاق ١٧ نيسان. وانا الان لو اخلع قميصي فهذا ظهري لن تجدوا فيه الا طعنات السوريين". وطبعاً عندما يقول السوريين يقصد ميشال عفلق وصلاح البيطار، اي القيادة البعثية السورية. لما رأيته كذلك، استأذنت بالكلام وقلت: "سيادة الرئيس انا استغرب قصة الطعنات، فهؤلاء اخوانك وجماعتك. وهؤلاء هم الذين وقعوا معك وحثوك على وحدة ١٩٥٨ فكيف تقول طعناتهم بالخناجر". وكنت أقصد البعثيين. وأضفت: "لا يعقل ان تشبه

تعاونهم معك وحبهم لك بطعنات، ونحن لا نقبل بهذا لأنه يشملنا ونحن رفاق لك ومن محبيك، وعندنا اعضاء في العراق قتلوا في الموصل بعدما اطلق الرصاص على صدورهم التي كانت صورتك تزينها. واذا أراد أحد طعنك سنقف في وجهه. هناك وجهات نظر حسناً نتناقش فيها، لكن لا نقبل ان تُطعن لأنك رئيسنا ورئيس الجمهورية العربية المتحدة". هدأ عبدالناصر، لكن عبدالحكيم عامر بدأ شن هجوم على السوريين وقال: "هؤلاء عملوا المذابح"، إذ يبدو ان فشل حركة جاسم علوان خيّب آمال المصريين. عندها تدخل عبدالسلام الذي لم يكن تكلم بعد، وتوجه الى المشير عامر بكلام قاس قائلاً: "أنت لا تتكلم. لو كنت قائداً عاماً حقيقياً لما تركت سكرتيرك ينفذ انقلاب ٢٨ ايلول سبتمبر" في اشارة الى عبدالكريم النحلاوي كاتم الاسرار الحربية لدى المشير والذي كان قائد انقلاب ٢٨ ايلول علماً ان غرفته كانت الى جانب غرفة عبدالحكيم عامر في الأركان في الشام. وتابع عبدالسلام: "صاحبك الذي سلمته الجيش نفذ انقلاباً ضدك، وأنت تعتب على السوريين؟ ألم يكن في امكانك ان تحمي الوحدة. ماذا تريد من سورية؟ الا تريدونها كإقليم شمالي؟ فتفضل خذ جيشاً واحتلها". يبدو ان عبدالحكيم لم يتوقع ان يناقشه أحد بهذا الشكل فاصفرّ وجهه وحاول مخاطبة الحس الديني لدى عبد السلام، فقال: "انا مؤمن، والمؤمن لا يقوم بمثل تلك الاعمال". فأجابه عبدالسلام فوراً بحديث نبوي: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف... جماعتك هم الذين عملوا الانقلاب فدعنا نسوي الأمور يا سيادة الرئيس". ثم فتح عبدالسلام موضوع الحملة الصحافية وهيكل، وقال: "ماذا يريد مني هيكل؟ الآن يطالبني بدم عبدالاله؟ هل أصبح وريثاً لعبدالإله ونوري السعيد فيطالبني بدمهما... هل يريد ان ينصب لي محاكمة؟". التفت عبدالناصر نحوي وقال: "الآن انتم لديكم هيكل فردوا عليه"، اذ كانت صحافة بيروت وتحديداً "النهار" تلقب طارق عزيز

بـ"هيكل البعث" او "هيكل العراقي". ثم سألني عبدالناصر: يعني هو انا عميل اميركي يا أخ حازم. ماذا عن جيفرسون كافري واتهامي بالغدر. صحيح انني اخرجت الذين ذكرتم أسماءهم، لكنهم لا يزالون أصدقائي ويهرعون اليّ في أوقات الازمات، ولا تزال حقوقهم محفوظة، واحضر افراحهم وأحزانهم ويحضرون افراحي واحزاني. هذه مقتضيات الدولة وانا لا اغدر بأحد...".

< هل كان يعرف ان لك علاقة بهذه المقالات؟

- استنتجت ذلك لأنه كان يوجه الحديث اليّ، وطبعاً كانت لديه معلومات، إذ كان طارق عزيز دائماً معي في وزارة الداخلية او في القصر وفي الزيارات الى المحافظات، كما ان مقالات طارق عزيز كان واضحاً انها تتضمن معلومات تزوده بها دوائر عليا.

انتهت الجلسة على ان نستأنف المحادثات في ما بعد، وأقيمت حفلة عشاء على شرفنا، ووقفت انا والرئيس عبدالسلام الى جانب الرئيس عبدالناصر، فقال له عبدالسلام: "حلوها بالحسنى. هؤلاء اخوانك وهذه فرصة. هل نسينا يا سيادة الرئيس كيف كان وضعنا قبل سنة؟ كان عبدالكريم قاسم اكبر حكم انفصالي في بغداد وكان حكماً انفصالياً في سورية، والان بعدما حررنا الجهتين نفشلها؟". في هذه الاثناء جاء طارق عزيز ووقف الى جانبنا وقدمته الى الرئيس عبدالناصر، وطارق كان يرافقني دائماً في الأسفار ولكن ليس ضمن الوفد ولا يشارك في المحادثات. وقدمته للرئيس عبدالناصر الذي يعجز الواحد عن وصف أدبه ولطفه ودماثته.

< هل قال عبدالناصر شيئاً لطارق عزيز؟

- رحّب به، وعرفه طبعاً لأنه لا تخفى عليه خافية.

< هل كان هيكل موجوداً في حفلة العشاء؟

- كلا. لم أره، واعتقد أنه خاف بعد مقاله، وانا واثق انه لو حضر هيكل لما كف عنه عبدالسلام.

وفي اليوم التالي عقدت جلسة ضيقة حضرتها انا وعبدالناصر وعبدالسلام وطالب وطاهر يحيى رئيس اركان الجيش باعتبار انه قومي وله علاقة سابقة بالمتحدة.

< ماذا حدث في الجلسة؟

- كان الرئيس عبدالناصر طيلة الجلسة مستمعاً. قال طاهر يحيى له: "حازم جواد هو مسؤول الثورة ومسؤولنا فتفاهم معه وانا واثق ان الاخوان جميعهم والرئيس عبدالسلام سيوافقون على ما تتفاهمان عليه. بعد ذلك استلمت زمام الحديث نحو ساعتين، وتحدثت عن علاقة البعث معه من حلف بغداد الى قيام الوحدة الى ثورة ١٤ تموز وانتكاستها الى ١٤ رمضان". وقلت له: "١٤ رمضان لم تكن سهلة وكلفتنا دماً، فلماذا نشمّت بنا اعداء الوحدة... الم نرسل اليك عرضاً مع المهدي بن بركة يرحب بمجيء الضباط السوريين الى بغداد؟". فقال: "لماذا يخرجونهم لنرسلهم الى بغداد ومن يقول انهم يقبلون. احتجاجي على تسريح الضباط لأن معناه ان النيات لم تكن سليمة من قبل السوريين. وانا متوجس منهم لأن لي تجربة معهم قبل الوحدة وأثناء مفاوضات الوحدة الاولى ١٩٥٨ ثم فترة الحكم، فكان يحضر اكرم الحوراني ليتكلم عن ميشال عفلق وصلاح البيطار، واذا استقبلت

عفلق يتكلم ضد الحوراني والبيطار". فقلت له: "أقسم لك بشرفي ان عفلق والبيطار اقرب الناس اليك".

< لم تقل له الحوراني؟

- الحوراني كان مفصولاً وهو كان خارج الحزب ومع الانفصال. وقلت له "ان الاعلام المصري يركز على الاثنين عفلق والبيطار وحولهما الى اعداء في حين انهما اقرب الناس اليك على الأقل تكتيكياً". كانت نظراته اليّ مزيجاً من الشك والثقة ويحاول سبر أغواري لمعرفة ما اذا كان كلامي هذا مناورة أخرى.

استمر الحديث نحو ساعتين، الى ان قال: "كنت اود ان استمع اكثر ولكني بصراحة أعاني من حمى وحرارتي مرتفعة، ونواصل محادثاتنا غداً في الاسكندرية. وبالفعل لاحظت انه ليس على ما يرام.

في اليوم التالي رافقناه في قطاره الخاص الى الاسكندرية وكان معنا عبدالحكيم عامر وزكريا محيي الدين وامين هويدي وبقية اعضاء الوفد العراقي. كان عبدالناصر يبدو سعيداً كطفل عندما كنا نمر بالقرى الزراعية التي كان يخرج فلاحوها عفوياً عند مرور قطار الرئيس لتحيته. عندما وصلنا الى محطة سيدي جابر لم تكن هناك تظاهرات، لكن موكبنا مرّ بالكورنيش الذي كان مكتظاً بآلاف المصريين والمصريات الذين خرجوا بالمايوهات لتحية الرئيس عبدالناصر وضيفه عبدالسلام عارف اللذين كانا في سيارة مكشوفة، فيما كنت صدفة انا وطالب مع المشير عبدالحكيم عامر في سيارة أخرى، وكان المشير يعلق بالنكات على البنات والمايوهات.

نزلت، انا وعبدالسلام وطالب شبيب، في قصر صغير يسمى "زيزينيا" وبقية أعضاء الوفد في أحد الفنادق، وأقام لنا حفلة غداء، وجلست بينه وبين رئيس مجلس الأمة أنور السادات، الذي اخرج فور جلوسنا علبة صغيرة ورمى منها نحو ١٠ حبات دواء في الصحن الذي امامه وظل يتناول منها، فسألته متعجباً: "أتأخذ كل هذه الحبوب؟"، فقال: "نعم عندي الكبد وكذا وكذا وانا تعبان، وقدمت استقالتي للرئيس مرات عدة فلم يقبلها". فقلت له: "اياك ان تفعل ذلك يا اخ انور... تستقيلون وجمال عبدالناصر موجود، فمن يبقى معه؟ لو انه يقبل لجئنا من بغداد لنعمل عنده ونساعده". ولا ادري ان كان قال ذلك لجس النبض واستدراجي الى علاقة خاصة.

وفي الليل التقينا على العشاء في بيت عبدالناصر في المعمورة في الاسكندرية. كنت انا وعبدالسلام عارف وطالب الشبيب وطاهر يحيى ومن الجانب المصري عبدالناصر والمشير عبدالحكيم عامر وزكريا محيي الدين وعلي صبري وامين الهويدي. كان مسكنه في المعمورة عبارة عن شاليه بسيط على البحر المتوسط، وكان عبدالناصر يقطع لنا المانغا، فاكهته المفضلة. قررت ان نتجاوز مسألة سورية والعراق فسألته عما اشيع عن المفاعل النووي الاسرائيلي فقال "ان الفرنسيين يجهزون المفاعل، لكن معلوماتنا تفيد ان الاسرائيليين سيتمكنون من الحصول على القنبلة الذرية سنة ١٩٦٧، وعندها سأكون مضطراً للجوء الى ضربة استباقية". لذلك يمكن ان تكون قصة سورية وحشد القوات والمضائق كلها تغطية لجرهم للقيام بالضربة الاستباقية.

بعد ذلك فتح موضوع سورية، وقال: "الآن وعلى رغم تحفظاتي عن المشاكل مع سورية وعلى رغم حمام الدم فأنا لا أعرف أين اكرم صفدي

وجاسم علوان وهما من ضباط الوحدة وأنا مسؤول عنهما. فلا بأس نعتبرها تجربة، وبمثابة اختبار".

طلبنا من الرئيس عبدالناصر وقف الحملة الاعلامية او تخفيف حدتها لتسهيل المهمة في دمشق، المحطة التالية لنا بعد القاهرة. واعتقدت اننا سنتمكن بسهولة من اقناع القيادة السورية باطلاق سراح جاسم علوان ومن معه وانهم لن يرفضوا لنا هذا الطلب. لم يعط عبدالناصر جواباً بالموافقة أو الرفض على وقف الحملة الاعلامية، الا اننا اتفقنا على التجربة لفترة انتقالية، شهر أو اثنين، ليراجع الطرفان مواقفهما.

< هل كانت لديه مرارة من البعثيين السوريين؟

- نعم. لكن لا أدري ما اذا كان اقتنع بحديثي أم أنه رأى أن المعركة بينه وبين سورية والعراق ستؤدي بالمنطقة وقواها الثورية الى كارثة، لذلك أبدى مرونة وتوصلنا الى اتفاق شبه ضمني على فترة من الهدوء، وقال انه ينتظر زيارتي مع طالب الشبيب بعد انتهاء رحلتنا الى سورية لوضعه في صورة الوضع وتدارس الموقف.

وصدر بيان مشترك طلب عبدالناصر ان أعد مسودته مع علي صبري. اقترحت ان يتضمن البيان فقرة تقول: "استعرض الرئيسان تطورات الوضع في شمال العراق والحركة الكردية، وتعلن الجمهورية العربية المتحدة تأييد العراق ضد زمرة البارزاني ومستعدة لتقديم المساعدات"، فرفض صبري ذلك لأنها "شديدة شوية، وينبغي استشارة الريس". ثم اعترضت انا على فقرة تنص على أن الرئيس عبدالسلام عارف "وجه الدعوة لاخيه سيادة الرئيس جمال عبدالناصر، فقبل الدعوة شاكراً على ان تلبى في ما بعد..."، وطلبت ان أناقش الرئيس بشأنها. وعندما عرضنا المسودة استشاره صبري حول الفقرة التي تؤكد تأييد القاهرة

بغداد في حربها ضد الشمال. وعندما سألني رأيي قلت: "أنت قائد الامة العربية وقائد القومية العربية ونحن لم نقصر مع الأكراد اذ عرضنا عليهم اللامركزية فرفضوا واعتدوا على الجيش... ونحن نعتقد انه لمصلحة جمال عبدالناصر ولمصلحة الوحدة ان تقفوا مع العراق لان هذه قضية قومية". فقال: "صحيح. فتبقى كما هي". ثم سألني ما هو اعتراضي على تلبية دعوته الى بغداد "في ما بعد" فقلت: "١٤ تموز ١٩٥٨ كانت ثورة ضد حلف بغداد ولنصرة الجمهورية العربية المتحدة، والشعب العراقي كان يأمل بان تزور بغداد لكن الفرصة ضاعت، وبعد ١٤ رمضان كان الشعب يتوقع زيارتك، ولا يعقل ان الناس يريدون وحدة معك وانت لم تزر العراق، لذلك أود لو نحدد موعداً منذ الان لهذه الزيارة". فقال: "ما رأيكم في اكتوبر تشرين الأول؟".

وقبيل سفرنا الى دمشق، جاء عبدالناصر الى مقر اقامتنا في قصر "زيزينيا" ليرافق عبدالسلام الى المطار. في صالون القصر جلس عبدالناصر بيني وبين عبدالسلام، وكان سعيداً بما انجز في هذه الزيارة السريعة. التفت اليّ وقال: "مصر قاعدة امينة لنا ولكم، والشعب المصري غير عنيف ويكره العنف والدموية، وبما اننا آجلاً او عاجلاً سنعيد الوحدة، أجد لزاماً أن أبلغكم ان الاعدامات في العراق التي يقرأ عنها المصريون عندما يفتحون الجورنالات يومياً قد تولد رد فعل ضد العراق والعراقيين. وانا خلال فترة حكمي لم أعدم سوى الذين تورطوا في حادثة المنشية، وفي كل هذه التحولات الاجتماعية الضخمة من الاصلاح الزراعي الى التأميم والقرارات الاشتراكية لم يقتل شخص واحد، فيما نسمع ونشاهد منذ ٨ شباط إعدامات الشيوعيين، وأخشى ان يجعل ذلك المصريين ينفرون من الوحدة". عندها قلت له: "أنا أشكرك على ملاحظاتك وانضم إليك بلا تحفظ، وأود ان تكلم اخاك وصديقك الرئيس عبدالسلام، لأنه والاخوة العسكريين على رأس حملة

اعدامات الشيوعيين على رغم اعتراضاتنا الدائمة". كاد عبدالسلام في تلك اللحظات ينفجر غيظاً وأظن انه تمنى لو يمسك بخناقي، ففوجئ عبدالناصر، وقال: "كنت أعتقد ان المدنيين وراءها فاذا انت يا ابو احمد. الحاكم ينبغي ان يكبت عواطفه وأحقاده". عندها قلت له: "أتعهد امامك وبوجود رئيس الجمهورية بألا اسمح بصدور أي حكم اعدام في حق شيوعي"، فأجاب: "هذا في مصلحتكم ومصلحتنا وفي مصلحة الجمهورية العربية". بعد ذلك رافقنا الى المطار.

اعتقدت ان أبرز ما حققناه في زيارتنا هذه كان تحديد موعد زيارة لعبدالناصر لبغداد، أولاً، لكونها تأييداً جلياً وصادقاً لحكم البعث في العراق، خصوصاً بعد ما جرى في سورية، وثانياً، لأن الحملة من قبل الجمهورية المتحدة على سورية ستخف قطعاً لأنه لا يعقل ان يزور عبدالناصر بغداد والحملة مستمرة على دمشق، وثالثاً، كانت الزيارة تعني العودة الى الاجواء الاخوية والرفاقية مرة أخرى، ووضع اللبنات الجديدة لدولة الوحدة او تعديل الميثاق. أما النصر الثاني الذي حققته شخصياً، فهو موضوع الشيوعيين اذ ان عبدالسلام عارف سيتقيد بما تعهدت به أمام عبدالناصر، خصوصاً ان الرجل سيزورنا في تشرين الأول اكتوبر. وعندما استقلينا الطائرة كان عبدالسلام غاضباً ولم يكلمني اطلاقاً وجلس في مقدم الطائرة بمفرده، فيما جلست الى جانب طالب الذي قال لي "من حقه ان يغضب لأنك بهدلته، ولو كان رئيس جمهورية حقيقياً ذا صلاحيات لكن أعفاك الآن في الطائرة، هذا اذا لم يعتقلك". لم ارد ان يبقى عبدالسلام غضباً فكتبت برقية شكر بروتوكولية موجهة من عبدالسلام عارف الى عبدالناصر يشكره فيها على حسن ضيافته، وأرسلتها الى عبدالسلام مع أحد المضيفين ليقرأها لأنني أعرف انه يُسرّ لمثل هذه الأمور، إلا أنه رماها في اتجاهي، فطلبت من المرافق ان يعطيها للقبطان ليذيعها.

< هل كان ناصر يكره عفلق، وهل تحدث بشيء ضده؟

- تحدث عن الغدر والطعنات وقال انهم ضحكوا عليه، وذكر عفلق عندما أشار الى انه وصلاح البيطار وأكرم الحوراني يطعن أحدهم الآخر، وانه لا يثق بهم. ولكن منذ قلت له ان هؤلاء جماعتك واقرب الناس اليك، ترك الحديث عن عفلق وعن القيادات السورية.

< ماذا حصل في سورية؟

- وصلنا الى دمشق فوجدنا في انتظارنا استقبالاً ضخماً وتظاهرات شعبية جمعت من انحاء القطر، فيما كنا نتمنى ان يكون الاستقبال بسيطاً لأننا رفاق، لكنني أعتقد انهم أرادوا ان يؤثروا في عبدالسلام عارف والوفد. كان في مقدم المرحبين ميشال عفلق وامين الحافظ الذي عين رئيساً للمجلس الوطني لقيادة الثورة بعدما قدم لؤي الاتاسي استقالته في ١٨ تموز، فأصبح مجلس قيادة الثورة بعثياً تماماً. كان واضحاً ان الحشود غير عفوية وان الأمور مرتبة، والعجيب اننا قوبلنا بهتافات تنادي "فليسقط الديكتاتور" و"يسقط حكم الفرد" في اشارة الى عبدالناصر. كان الجو عدائياً ضد عبدالناصر الى درجة ان عبدالسلام انزعج وبدأ يلتفت الي. اذ اننا جئنا للوساطة ونجحنا، فلما هذا التشنج. وشاهدت بعض العناصر مثل خالد الحكيم وحمود الشوفي في صفوف المتظاهرين، وهم انقلبوا مرة بعد مرة بعد ذلك، فكانوا ناصريين ثم يساريين ثم متشددين وأخرى يمينيين.

< هل كان حمود الشوفي صديقاً لعلي؟

- صديقه جداً، وبعدئذ أصبح لاجئاً عند صدام حسين، وكان يطالب برأسي ورأس صلاح البيطار، وهو الذي أثر في هاني الفكيكي، ولكن

عندما قتل صلاح البيطار في باريس كان حمود الشوفي يتقبل التعازي بمقتله في بغداد.

< متى كان يطلب رأسك ورأس البيطار؟

- في فترة الانقسام التي حدثت بعد شهر، وهو وقف منذ البداية مع علي ومن معه وكان يوجههم، لذلك عندما قلت ان هناك تأثيراً سورياً، كنت اقصد حمود الشوفي الذي عيّن لاحقاً مندوباً في هيئة الامم المتحدة، ثم فرّ الى بغداد.

في مواجهة هذه الحشود، ألقى عبدالسلام كلمة من قصر الضيافة، ضمّنها ما يشبه الاحتجاج بعدما أحس أن هناك اتجاهاً ضد الرئيس عبدالناصر، فيما كانت اللياقة تقتضي، كونه عائداً من زيارة ناجحة لعبد الناصر، ان يكبتوا الانفعالات. لكن يبدو ان السوريين قرروا قطع الخطوط نهائياً، لذلك أراد عبدالسلام أن يوحي الى الجماهير بهدف الزيارة، فقال: "زرتكم قبل ٥ سنوات ١٩٥٨ وكنتم الاقليم الشمالي لجمهوريتنا العربية المتحدة وزرتكم اليوم وستنبثق بعون الله الجمهورية العربية المتحدة مجدداً مع العراق ومع الاقطار الثورية الاخرى...". لكن الهتافات لم تتغير لأنهم كانوا معبأين ضد عبدالناصر، مما أثار انزعاجي الشديد، وعندما طلبوا مني القاء كلمة رفضت وقلت "رئيس الجمهورية القى كلمة وهذا يكفي".

بعد ذلك عقد اجتماع بين الوفد ومجلس قيادة الثورة، من بينهم البيطار وامين الحافظ وصلاح جديد ومحمد عمران، اضافة الى ميشال عفلق.

< ماذا دار في الاجتماع؟

- تلقيت في الاجتماع توبيخاً لم اتلقه في المدرسة الابتدائية ولا في المتوسطة ولا في الثانوية ولا في الكلية ولا في تاريخي السياسي القصير في ذلك الوقت ابداً. والمفارقة ان التوبيخ أتى من شخص كنت أحبه واحترمه واعتبره رجل دولة هو صلاح البيطار.

< هل كان التوبيخ أمام عبدالسلام؟

- أمام عبدالسلام والجميع. السوريون كانوا يعتقدون، قياساً الى تجاربهم، ان عبدالناصر "يطبّق" كل من يزوره، وظنوا اننا، مثلهم، "نطبّق" بسرعة. لذلك من دون مقدمات وجّه البيطار حديثه اليّ قائلاً: "ما هذا يا حازم. نحن نقول انك ذكي وعاقل وسياسي ورجل دولة، فكيف تسمح لهذا بأن يضحك عليك". فلم أستوعب من يقصد وسألته: "من الذي ضحك علي يا استاذ وما هي القصة؟". فقال: "شو طبّقك عبد الناصر. كيف يضحك عليك؟". فذهلت فيما عقدت الدهشة ألسنة عبدالسلام وطالب وطاهر يحيى بانتظار ما سيقوله البيطار، وقلت: "كيف ضحك عليّ؟ هل تعتبر هذه الانجازات ضحكاً علي". أجاب: "طبعاً ضحك عليك. عاملكم معاملة حسنة على عادته وهذه طريقته. كيف تدعوه الى بغداد؟". واذا بما اعتبرته انجازاً عظيماً يراه الاخ صلاح البيطار والاخوان مناورة من عبدالناصر وفخاً نصبه لنا. سألته: "ما الخطأ في ذلك. كنت أعتقد ان هذا اعظم انجاز حققناه". فقال: "كيف تدعوه الى بغداد. المفروض ان يدعى الى دمشق وبغداد، وان يقدم اعتذاراً عن هذه المؤامرة جاسم علوان". فقلت: "ألا يعتبر مجيئه الى بغداد كافياً". فأجاب: "هذه مناورة ليثبت للعالم ان مشكلته مع سورية وان هناك محوراً بينه وبين بغداد ضد سورية لكي يعزلنا". عندها ارتفع صوتي، وقلت: "آسف استاذ صلاح. أنت سياسي أقدم مني،

لكنني أرى العكس، واعتبر الزيارة انتصاراً للبعث وللعراق وسورية ان يأتي عبدالناصر الى بغداد، اذ ما الفرق بين بغداد ودمشق أو بين البصرة وحماه وبورسعيد بالنسبة الى القوميين؟ أنا اعتبر ان هذا اكبر نصر حققناه".

تكهربت الأجواء وانتقل عبدالسلام بعدها الى الحديث عن وقف الحملات الاعلامية بين مصر وسورية، وان القاهرة خففت حملتها في الساعات الاخيرة فرفضوا. ثم طرح عبدالسلام عارف مسألة اطلاق المعتقلين وبينهم جاسم علوان وضرورة طي صفحة أحداث ١٨ تموز لاعطاء فرصة جديدة للوحدة.

< ماذا كان ردهم؟

- جوبه بصد من الجميع تقريباً وكان الرد متشنجاً من امين الحافظ وصلاح البيطار ومحمد عمران وفهد الشاعر. صلاح جديد كان حاضراً، لكنني لاحظت انه قليل الكلام، اذ انه يحرك الأمور على ما يبدو ولا يعلق إلا في ما ندر. كان هناك شبه اجماع على الرفض، فشعرت بأن الزيارة نجحت في القاهرة مع الخصم المفترض وفشلت في دمشق مع الرفاق. انتهت الجلسة على امل استئنافها في اليوم التالي، لكنني وطالب أحسسنا بضيق شديد، فاستأذنت عبدالسلام عارف للذهاب الى بيروت لزيارة اخي ناظم. كما استأذن طالب بالذهاب الى بيروت أيضاً، كان خطأ منا ان نترك عبدالسلام وحده. بقيت في بيروت يومين وسربت الجمهورية المتحدة بأن زيارة الوفد العراقي لسورية ستعجل باطلاق جاسم علوان، فاضطررت خلالهما الى الادلاء بتصريح صحافي لم أؤكد الخبر أو أنفه مما لمح الى ان الامور ليست على ما يرام. بعد يومين عدنا الى سورية، وشعرت بأن هناك تذمراً بين السوريين ، خصوصاً عفلق والبيطار وعمران من تركنا عبدالسلام الذي يبدو انه انطلق اكثر من اللازم مع

الضباط والجنود خصوصاً في جبهة الجولان التي زارها، عندما ذكر كلمات مثل "الاقليم الشمالي" او "اخونا عبدالناصر".

عقدنا جلسة نهائية لاعداد البيان المشترك وتركنا سورية بعدما فشلت مهمتنا وقفلنا عائدين الى بغداد.

< ساهمت إذاعة تبث من بغداد في احباط زيارة عبدالناصر لها؟

- نعم. كانت الإذاعة سرية، أو على الأقل من دون علمنا. وحين دققنا اكتشفنا أن علي صالح السعدي وزير الارشاد فتح اذاعة على حسابه من دون إذن السلطات أو معرفتها، وكانت تهاجم عبدالناصر. الغريب أنه عيّن فيها عاملين من الجهاز الرسمي. وهنا أيضاً يمكن الحديث عن مسؤولية بعض القياديين في الحزب في سورية وعلاقتهم بالسعدي.

الحلقة التاسعة:
الكويت والسعدي
وتفاقم المشاكل

زرت حازم جواد امس وشعرت بشيء من عذاب الضمير. أنهى ظهور الحلقات العزلة التي اختارها منذ عقود. الهاتف الذي لم يكن يستقبل سوى الاصوات العائلية واصوات حفنة من الاصدقاء ينهمك حالياً باستقبال اصوات وافدة من بغداد وعواصم اخرى بعيدة. أيقظ الحوار ذاكرة جواد وايقظ ذاكرة من عرفوه وعايشوه في الحزب والسلطة. وايقظ ايضاً ذاكرة من خاصموه.

مازحني جواد معتبراً انني ضاعفت الصداع الذي يعاني منه اصلاً. قال ان الوجوه التي تتردد اسماؤها في الحلقات عادت الى زيارة ذاكرته، ما يدفعه الى طرح اسئلة عن الماضي وصحة المواقف التي اتخذت فيه. بدا لي ان المرارات استيقظت ومعها شعور ان الامور لم تكن تستحق بعض المواقف الحادة. قال انه يفكر في عبدالكريم قاسم ومصيره وفي عبدالسلام عارف والتجربة معه، وكذلك في رفيقه وخصمه في الحزب علي صالح السعدي، وانه يعتبر ان الخسائر والتضحيات كانت اكبر من الانجازات ويضيف انه يتمنى لو تم توفير دم البعثيين ودم الشيوعيين ودم الآخرين.

شعرت ان الرجل محق في معاناته فلا الوحدة ابصرت النور ولا الحرية شاعت ولا الاشتراكية تحققت. شعرت ايضاً بقسوة التجارب الحزبية في العالم العربي خصوصاً حين تختلط حماسة الحزبيين بشهيات العسكريين وتتقدم مبادئ الاحزاب الى الاذاعة على جنازير الدبابات. ورددت مازحاً بالقول ان الحوار عكّر ايضاً برامجي وهدوئي واستدرجني الى العقود العراقية الماضية بكل ما فيها. قلت له ان الملفات العراقية تكاد تقنعني بأن ثمة مؤامرة تقيم عند كل مفترق وان جثثاً ستسقط اذا قلبنا الصفحات وانني حين يقرع باب مكتبي اخشى ان يكون الزائر حردان التكريتي او صالح مهدي عماش. ضحك جواد مسلّماً بأن المواضيع العراقية تحمل الصداع للمتحدث والمحاور معاً خصوصاً ان البريد الالكتروني بات يتيح للقراء اجراء محاكمة فورية للحلقات.

أشعر هنا بواجب الاعتذار الى القراء. فالصحيفة اليومية لا تتسع لوضع كل الاحداث في سياقاتها وتفاصيلها. ولهذا سأركز اليوم على عدد من المحطات وسيكون الكلام مستنداً الى رواية جواد التي لا يمكن ان تكتمل الا في كتاب.

نص الحلقة التاسعة

> قصة الكويت مع العراق قديمة. وفي هذا الملف تتشابه مواقف عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وصدام حسين. ويبدو ان الحاكم العراقي يجد دائماً صعوبة في الاعتراف بالكويت دولة مستقلة كاملة السيادة.

يروي حازم جواد ان وزير الدفاع صالح مهدي عماش احتاج الى اموال لتغطية نفقات القتال ضد المسلحين الاكراد. وشدد عماش لاحقاً على حاجة الجيش الى طائرات. وفي اجتماع للمجلس الوطني لقيادة الثورة في صيف ١٩٦٣ طرح عماش فكرة اغلاق الملف الكويتي "في مقابل ٣٠ مليون دينار او جنيه استرليني اذ لم اعد اذكر بالضبط". رأى جواد الصفقة بخسة فلم يؤيدها الامر الذي أثار علي صالح السعدي الذي قال: "لماذا معارضتك هذه؟ دائماً تقول اجلوا القضية. إما ان تذهبوا لاحتلال الكويت واما تحلّوها. لماذا تبقى معلّقة، وانا اقول امام المجلس دعونا نحلّها الآن".

طرحت المسألة على التصويت فعبّر عبدالسلام عارف عن معارضته القاطعة وقال: "انا مستعد ان تعفوني من رئاسة الجمهورية وان تعينوني آمراً للواء الخامس عشر في البصرة وانا اعرف شلون أحلّ المشكلة في ليلة سودة". كان عارف يعتبر الكويت جزءاً من العراق، والمقصود بالليلة السوداء حل مشكلة الكويت بالوسائل العسكرية.

اتخذ المجلس قراراً بحل الخلاف مع الكويت. عارضه عارف في صورة قاطعة وجواد الذي اقترح التأجيل. ونوقش الأمر مرة اخرى لكن عارف استخدم للمرة الاولى حقه ورفض التوقيع ولم ينشر قرار المجلس في الجريدة الرسمية. وقد استخدم صدام هذه الحجة في ١٩٩٠ بالقول:

"ليس هناك اعتراف رسمي واتفاقية" اي ان القرار لم ينشر في الجريدة الرسمية. اما الليلة السوداء التي لوّح بها عارف فقد حدثت على يد صدام في ٢ آب اغسطس ١٩٩٠.



البكر في الكويت

شبكة التجسس الاميركية

في آب واجهت حكم البعث في العراق فضيحة جديدة. جاء مدير الامن العام العقيد جميل صبري البياتي الى وزير الداخلية حازم جواد وأبلغه ان وزير الدفاع عماش ورئيس الوزراء احمد حسن البكر طلبا منه استقبال شخص اميركي للحصول عبره على اسلحة للجيش العراقي. واضاف انه التقى الشخص وبدأت الولايات المتحدة تشحن للجيش العراقي مسدسات وبطاريات للدبابات الا ان الجانب العراقي طلب المزيد من الاسلحة. وامام وزير الداخلية الذي وقعت عليه الانباء وقع

الصاعقة كشف البياتي ان الاميركيين طالبوا العراقيين ببادرة حسن نية هي اطلاع الاميركيين على دبابة سوفياتية من طراز "تي ٥٤" او "تي ٥٥" وطائرة "ميغ ٢١" لكن الطلب الاهم هو اطلاعهم على صاروخ "سام". وكشف البياتي انه نقل الطلب الى البكر وعماش فأجابا ""ما يخالف" اي لا مانع. واضاف انه يشعر ان الرجلين ورّطاه وانهما يماطلان حالياً خصوصاً عماش وانه يخشى العواقب. أنّب جواد البياتي بقسوة وذكّره بأنه تابع له وطالبه بقطع علاقته مع البكر وعماش فهو تابع لوزارة الداخلية.

حمل جواد القضية الى الاجتماع المسائي للمجلس الوطني لقيادة الثورة. قال: "هناك قضية خطيرة اريد ان ابلغكم بها". وأورد التفاصيل وانتهى الى القول: "يبدو اننا رجعنا الى ايام حلف بغداد واشك ان نوري السعيد نفسه كان سيقبل ان يسلّم اسرار أسلحته الى دولة أخرى. لقد وصلت الأمور ببعض الاخوان...". صمت البكر اما عماش فقال: "شو فيها يعني. هذه مسألة استخباراتية. وفي دوائر الاستخبارات اناس تضحك على اناس".

وفيما عقدت المفاجأة لسان عبدالسلام عارف، حمل طالب شبيب وزير الخارجية بعنف على عماش وقال له: كيف يثق بك الاميركيون بعد الذي فعلته مع السوفيات؟ وأضاف: "افتهمنا ان الدول الاجنبية والاستخبارات تشتري فرداً أو تتواطأ مع فرد، لكنها لا تشتري حكومة أو دولة لتزويدها بالمعلومات...".

طلب جواد إبعاد الأميركي المعني بالاتصالات واسمه بروس تايلر وكان يعمل في الملحقية العسكرية الاميركية، وابعاد السفير الاميركي إذا أمكن.

في الليلة نفسها استدعى شبيب السفير الاميركي الذي دهش من رد فعل الحكومة العراقية وقال: "انا على علم بهذا التعاون وجاءت اشارة السماح به من الرئيس جون كينيدي بعد اجتماع لمجلس الأمن القومي".

ويقول جواد ان تايلر نفسه استطاع لاحقاً التأثير على ديبلوماسي عراقي في فيينا تعاون معه ايضاً بعد انتقاله الى القاهرة. وظهر اسم تايلر مجدداً في مصر في الفضيحة التي ورد فيها اسم مصطفى أمين. ويعتقد جواد ان العراقيين لعبوا دوراً في كشف شبكة التجسس الاميركية.

***

بعد شهور قليلة من قيام حركة ٨ شباط تدهورت العلاقات داخل المجلس الوطني لقيادة الثورة بعدما تدهورت عملياً داخل القيادة القطرية للبعث. طرح موضوع قانون الاحوال الشخصية الذي كان عبدالكريم قاسم أقره لضمان المساواة بين الرجل والمرأة. احتد النقاش وهدد عبدالسلام عارف بالاستقالة اذا لم يتم الغاء القانون وفضل جواد الموافقة لتفادي الانقسام وهو الآن يعترف بخطئه الذي أخذه عليه علي صالح السعدي ورفاقه. في موازاة ذلك اختلطت اخطاء الداخل بأخطاء الخارج وتصاعدت الشكوى من ممارسات السعدي التي بلغت حد تعيين محافظين من دون العودة الى وزير المال أو مجلس الوزراء. أدت جملة تطورات الى تغيير حكومي أخرج السعدي بموجبه من الداخلية واسندت اليه حقيبة الارشاد أو الإعلام.

في أوائل حزيران يونيو ومع تصاعد التجاذبات سيطرح حازم جواد استقالته من مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية مقترحاً ان يتولى الاتجاه الآخر تسيير الأمور لستة أشهر يبتعد خلالها مع طالب شبيب.

رفض عارف والبكر وعدد من كبار العسكريين والمدنيين الاقتراح ولاحت نذر عودة الاقتتال مع الأكراد فتراجع جواد عن الاستقالة.

في النصف الثاني من حزيران تزايدت تقارير الجيش عن محاولات الشيوعيين اعادة تجميع صفوفهم بما في ذلك داخل المؤسسة العسكرية. اقترح جواد وشبيب حملة مداهمات وأيدهم السعدي. وخلال عمليات الدهم ضبطت قوات الأمن ملابس عسكرية عليها شارات "المقاومة الشعبية". وبدا واضحاً ان خلايا شيوعية عادت الى التحرك.

فجر ٣ تموز يوليو رن الهاتف في منزل جواد. كان المتحدث أحمد العزاوي، أحد قادة الحرس القومي، الذي أبلغ وزير الداخلية ان مجموعات شيوعية تقوم بتمرد وبدأت تهاجم السجن العسكري الرقم واحد في معسكر الرشيد جنوب بغداد والذي يضم عدداً من الضباط الشيوعيين المعتقلين. طلب جواد من العزاوي ابلاغ أكبر عدد من المسؤولين وتجهيز قوة بسرعة والتجمع قرب ساحة الفتح وهي أقرب ساحة الى المعسكر. حاول وزير الداخلية الاتصال بعارف والبكر وعماش فلم يرد أحد. توجه مع شقيقه الضابط حامد الى منزل وزير الخارجية طالب شبيب.

في ذلك الوقت كان كبار المسؤولين الآخرين تجمعوا في مقر الحرس الجمهوري وشكلوا قوة سريعة اختار عارف ان يقودها بنفسه. خشي جواد ان تتخلف قيادة الحزب عن المعركة وأن ترتكب مذبحة بحق السجناء الشيوعيين خصوصاً وأن عارف يكن كرهاً عميقاً لهم. اقترح على شبيب وشقيقه بهاء التوجه الى ساحة الفتح للقاء العزاوي والقوة التي يفترض أن يجمعها. وقرب ساحة الفتح لاحظوا تجمعات لأفراد من الحرس القومي. وبعد تجاوز الساحة أوقفهم حاجز تنكر عناصره

بملابس الحرس. سألوا بإلحاح عن الهويات وحين عرفوها بدأ مسؤولهم في التشدد. هكذا وقع وزيرا الداخلية والخارجية وشقيقه في كمين واقتداهم المسلحون الى حائط معمل بيبسي كولا. أوقفوهم الى الحائط وبدأوا في تلقيم الأسلحة استعداداً لاعدامهم.

كان جواد ورفاقه محظوظين. لم يتعرض أفراد الحاجز للضابط حامد جواد بسبب رتبته. وقبل اعدام رهائنهم كان جواد عاد مع قوة من الحرس الجمهوري يقودها الملازم حامد الدليمي وأمروا المحتجزين بالاستسلام فانصاعوا.

كان المتمردون من الجنود. وعندما وصل عبدالسلام عارف قبل جواد بـ٤٥ دقيقة تغلب الانضباط العسكري على الانتماء الحزبي فتركوه يمر. توجه عارف الى السجن الرقم واحد حيث كانت المعركة توشك ان تنتهي لكن وصوله رفع المعنويات. وتبين لاحقاً ان التمرد هو من صنع جنود وضباط صف بقيادة العريف حسن السريع وضبطت معهم بيانات "ثورية" كانوا ينوون اذاعتها في حال نجاح حركتهم.

< كيف افرج عن قائد الحرس القومي منذر الونداوي بعد احتجازه في معسكر الرشيد؟

- اعتقله المتمردون مع نجاد الصافي في احدى غرف المعسكر الذي كان يضم منشآت كثيرة، ومع فشل الحركة ووصول عبدالسلام تم اطلاق سراحهما.

< ماذا حدث عندما ذهبتم الى وزارة الدفاع؟

- بعد الصدمة التي تلقيناها ذهبنا الى منزلي أو منزل طالب الشبيب، ثم توجهنا الى وزارة الدفاع وكانت شوارع بغداد مكتظة بالحراس القوميين

والتظاهرات. دخلت الى غرفة الوزير صالح عماش في وزارة الدفاع وكان عنده عبدالسلام عارف واحمد حسن البكر، واستقبلنا عبدالسلام بمزيج من الجد والهزر قائلاً: لماذا لم يقتلوكم ويخلصونا منكم؟ فضحكنا. ثم اكمل: هذه نتيجة سياسة التساهل ودفاعكم عن الشيوعيين ليلاً نهاراً. لو ان التصفيات استمرت لما حدثت هذه الحركة. كان البكر يومئ برأسه موافقاً على كلام عبدالسلام وكذلك صالح عماش الذي كان واقفاً خلف مكتبه يرد على التليفونات مزهواً كالطاووس، اذ اعتبر انه تمكن اخيراً من القيام بعمل ما يعوّض تقصيره في حركة ١٤ رمضان.

حتى تلك الساعة لم أرَ أياً من اعضاء القيادة المدنيين فكلفت مرافقاً لعماش بالاتصال بهم، وأبلغت عبدالسلام بضرورة عقد جلسة طارئة للمجلس الوطني لقيادة الثورة لمناقشة اسباب الحركة وما أعقبها. بدأ أعضاء المجلس بالوصول الى غرفة وزير الدفاع وعقد اجتماع طارئ وكانت الساعة بين التاسعة والعاشرة صباحاً.

< ماذا دار في الاجتماع وبرئاسة من؟

- كان طاهر يحيى رئيس اركان الجيش أصبح رئيساً للمجلس. بدأ الاجتماع فتكلمت عن ضرورة ابلاغ الشعب العراقي بالحدث لنقطع دابر الاشاعات لان الناس لاحظت قوات كثيفة من الحرس القومي والجيش في الشوارع، واتفقنا على اصدار بيان قصير حول الأحداث على ان نصدر بياناً مفصّلاً بعدما تتجمع المعلومات كاملة. كتبت بياناً سريعاً باسم المجلس الوطني لقيادة الثورة تحت عنوان "بيان الى الشعب العراقي الكريم" جاء فيه: "جرت محاولة بائسة من قبل فلول الحزب الشيوعي العراقي للسيطرة على معسكر الرشيد، وتصدت لهذه الفئة قوات الجيش والحرس القومي وجماهير غفيرة من ابناء الشعب والطلبة

والعمال التي احاطت بمعسكر الرشيد وباءت المحاولة بالفشل الذريع وقمعت بعد قيامها بمدة وجيزة، وسيصدر بيان آخر الى الشعب العراقي".
وافق الحاضرون على البيان فاتصلت بالاذاعة من غرفة الاجتماع وأمليناه على مديرها.

لاحظت زهو العسكر بأنهم هم الذين قمعوا حركة معسكر الرشيد، وان هناك تقصيراً فادحاً من اجهزة الحزب كالحرس القومي. فأثناء العملية كان عبدالسلام وصالح عماش يصدران التعليمات لقادة الفرق والالوية. لذلك بعدما انتهينا من البيان، طلب رئيس الوزراء احمد حسن البكر، فجأة، الكلام، وبدأ خطبة عصماء بصوت متهدج ووجه شديد الحمرة، كال فيها الثناء لعبدالسلام "ووقفته الباسلة والشجاعة في هذا اليوم".

وأضاف: "اخواننا السوريون عيّنوا العقيد لؤي الاتاسي الذي لم يسمع به احد قبل اليوم رئيساً للمجلس الوطني لقيادة الثورة، وبعد الاعمال المجيدة التي قام بها الرئيس عبدالسلام عارف وآخرها هذا اليوم الذي انقذ فيه النظام العراقي وثورة ١٤ من رمضان، أتقدم باقتراح بتعيينه رئيساً دائماً للمجلس الوطني لقيادة الثورة وقائداً عاماً للقوات المسلحة. "

ذهلت لهذا الاقتراح الذي لم يخطر في بال أحد، ولم يفاتحنا عبدالسلام عارف به او البكر، والذي يبدو انه كان مطبوخاً بينهما، وإن كنت لا أعرف ما اذا كان الاقتراح وليد هذا اليوم أم كان متفقاً عليه سابقاً. انا كنت أجلس الى جانب عبدالسلام عارف وحانت مني التفاتة اليه عندما كان البكر يتكلم، فلمحت بريقاً في عينيه، ولم يبد انه فوجئ بالاقتراح.

< هل ممكن ان يكون عماش هو صاحب الفكرة؟

- لا استبعد ذلك. أعتقد ان الثلاثة كانوا متفقين، وكانوا يعلمون انه اذا تقدم صالح عماش بالاقتراح لن يلقى القبول لأن وضعه داخل المجلس ضعيف، كما لا يجوز ان يقدم عبدالسلام الاقتراح بنفسه، لذلك اتفقوا على ان يقدم البكر الاقتراح كونه من الحزب وهو من المكتب العسكري وساهم في ١٤ رمضان ومحسوب مع حازم جواد. انتظرت ان يتفوّه بشيء أصحاب الألسن الطويلة مثل علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي والذين أصدروا كتباً وبيانات بعد ٢٠ عاماً من الافتراءات، فلم ينبس أحد منهم ببنت شفة، لذلك جاءت المعارضة مني أنا، أي من حيث لم يتوقعها المتآمرون. اذ انني عندما بدا لي ان هذا الاقتراح سيمر من دون ان يعارضه أحد، طلبت الكلام، وقلت: انا اعترض على هذا الاقتراح، ليس لأني اعارض تعيين الاخ ابو احمد عبدالسلام بالمنصب المقترح، ولكن لأن اجتماعنا اليوم مخصص لأحداث معسكر الرشيد، وأرجو ان يتقدم ابو هيثم البكر باقتراحه مكتوباً لبحثه في جلسة أخرى، لأن هذا يتطلب تعديل القانون الذي ينص على رئاسة دورية لمجلس القيادة. وللتاريخ جاء التأييد لكلامي من شخص لم اكن اتوقعه هو الدكتور سعدون حمادي الذي ضُمّ الى المجلس عندما دمجت فيه القيادة القطرية. وسعدون ضعيف ولا يجابه، وهو كان دائماً خادماً مطيعاً لكل امناء سر الحزب، من فؤاد الركابي الى صدام حسين، ودائماً في خدمة صاحب القرار، لذلك أسجل له هذا الموقف، وربما كان هذا من المواقف الجريئة القليلة التي وقفها في حياته.

أسقط في يد عبدالسلام ونظر الي بشزر وكراهية وشحب وجهه، فيما أطرق البكر ولم ينبس هو والآخرون ببنت شفة. هاني الفكيكي في كتابه

"اوكار الهزيمة" ذكر هذه الحادثة معكوسة، وقال ان سعدون حمادي اعترض. فهل يعقل ان يعترض هذا الطارئ على ابو هيثم أو على عبدالسلام عارف في اجتماع مجلس قيادة الثورة؟ وما هي مكانته والقوة التي تدعمه.

< متى بدأت تجاوزات الحرس القومي؟

- نفّذ الحرس القومي الدور الذي رسم لهم يوم ٨ شباط، وبعد ذلك بدأت الصدامات بينهم وبين الشيوعيين. ويبدو ان كثيرين من المدنيين البعثيين والقوميين وآخرين من المعادين للنظام انتحلوا صفة حراس قوميين وحملوا السلاح بعد التاسع من شباط، وأقاموا حواجز للتفتيش وتنفيذ نظام منع التجول الى جانب وحدات الجيش التي تدفقت على بغداد، واتخذت قيادة الحرس قائدهاالعقيد الركن مصطفى عبدالكريم نصرت مع مساعديه نجاد الصافي وأبو طالب الهاشمي وأحمد العزاوي مقراً لها في شارع الامام الاعظم وسط الاعظمية.

< من حيث المبدأ هل كان الحرس القومي تابعاً لوزارة الداخلية؟

- كلا. المفروض انه تابع الى قيادة الحزب بحكم الانتماء والتعليمات التي تصدر اليهم من قيادة الحزب.

< هل صحيح ما يقال ان عبدالسلام عارف لبس بزة الحرس القومي ونزل الى الحواجز وقام بالتفتيش؟

- كانت هذه مبادرة منه ورافقه البكر في عملية استعراضية عندما بدأت الحملة المعادية ضد الحرس القومي، بعد شهرين او ثلاثة، وبدأ الناس يتذمرون من ممارسات هؤلاء ما أعاد الى الذاكرة ممارسات المقاومة الشعبية ايام عبدالكريم قاسم وسيطرة الشيوعيين، مثل ايقاف

السيارات وتفتيشها والسؤال عن الهويات، وكانت هذه الأمور غير ضرورية. استغل خصوم النظام هذا التذمر وبدأوا يغذونه بين الناس، وكنت دائماً احذر هؤلاء من الاحتكاك مع الناس وأطلب منهم تقليل دورياتهم.

< يبدو من الروايات انه قامت علاقة خاصة بين علي صالح السعدي والحرس القومي؟

- نعم. وهنا لا بد ان أشير الى انه بعد اسبوع او اسبوعين طلب عبدالكريم مصطفى نصرت من مجلس قيادة الثورة اعفاءه من هذه المسؤولية. فالرجل على رغم انه حزبي، الا انه في الوقت نفسه عسكري محترف فيما الحرس القومي ميليشيا حزبية مدنية، ومن الصعب موائمة شخصية عسكرية كعبدالكريم مع هؤلاء المدنيين الذين ضخّمت اجهزة الاعلام من دون توجيه دورهم في حركة ١٤ رمضان، فاعتقد هؤلاء ان دورهم كان رئيسياً في حين انه كان دوراً مساعداً للجيش وليس دوراً حاسماً. فمعركة وزارة الدفاع، مثلاً، لم يحسمها الحرس القومي بل حسمها الجيش العراقي.

< ما هي مبرراته للاستقالة؟

- قال انه غير قادر على السيطرة عليهم، وطلب اعادته الى الجيش. هؤلاء مدنيون ومعتادون على العلاقة الديموقراطية داخل الحزب ابتداء من النقاش والتصويت وتبادل الاراء، فيما عبدالكريم نصرت يريد معاملتهم بالاوامر والضبط العسكري. ولم يحدث في التاريخ ان تمكن أحد من ضبط الميليشيات، حتى ميليشيا هتلر لم يستطع ضبطها وفيما بعد قمعها سنة ١٩٣٣ واعدم قائدها. كما حل عبدالكريم قاسم المقاومة الشعبية. الجيش المحترف والميليشيا لا بد ان يصطدما.

عندما لمسنا اصراره على الاستقالة قبلناها وعيناه قائداً للفرقة الرابعة المدرعة، وبحثنا في تعيين بديل له في مجلس القيادة علماً ان الأصول كان ان يجري ذلك في قيادة الحزب، ما كان سيجنبنا الكثير من المخالفات التي حدثت. وعند خوضنا في تسمية البديل وخطط ضبط الحرس القومي تطوع عضو مجلس القيادة النقيب الطيار منذر الونداوي ورشح نفسه لتسلم قيادة الحرس القومي، وربما كانت هذه المرة الأولى التي يتكلم فيها في مجلس القيادة. رشح نفسه وأبدى استعداده لضبط الحرس وقمع المخالفات. ومعروف انه لا توجد كفاءة عسكرية او ادارية لدى الطيارين كما هي الحال بالنسبة الى ضباط المشاة والاركان والدبابات. لكن كانت هناك نقطة واحدة في جانبه، وهي انه قبل ان يصبح عسكرياً كان عضواً في الحزب لمدة عشر سنوات من دون انقطاع ويفهم التعامل مع المدنيين ومع الحزبيين، فرأيت ان لا مانع من تعيينه، ولما وافقت رحّب الجميع. وللأسف كانت لهذا الاختيار نتائج كارثية على الحركة وعلى الحزب وعلى الحرس القومي، لأن الونداوي بدل ان يضبط الحرس القومي ويخضعه لتعليمات مجلس القيادة وبانسجام مع الجيش اصبح واحداً منهم وفريسة لقيادة الحرس القومي وجموحه وتدهور الوضع في الحرس قيادة وقواعد بعد استلامه بشهر الى ان ابتلع الحرس القومي الحزب والثورة. وفي الواقع لم يفدنا الونداوي لا في مجلس القيادة ولا في الحرس القومي.

< بدءاً من منتصف ايلول سبتمبر اصيبت القيادة الحزبية بالشلل، فما هو السبب؟

. السبب هو ان المؤتمر القطري الخامس الذي عقد في منتصف ايلول لم يحسم الصراع الداخلي في الحزب بين اتجاهين: الاول الاتجاه الفوضوي اللامسؤول ويمثله الأخ علي صالح السعدي وجماعته داخل

القيادة القطرية وقيادة بغداد، خصوصاً الحرس القومي وبالتحديد بعض قطعاته، والثاني المجموعة التي امثلها انا والتي كانت تنادي بسيادة القانون وتحجيم الحرس القومي عدداً ودوراً ووضع خطة للانفتاح على كل القوى الوطنية والقومية في العراق، وانجاز ما تعهد به الحزب بتوقيعه ميثاق السابع عشر من نيسان ابريل.

< حصلت انتخابات في المؤتمر الخامس، ماذا كانت تركيبته ونتائج الانتخابات؟

. حضرت المؤتمرات الاربعة السابقة للحزب، اثنان في العهد الملكي واثنان بعد ثورة ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨. للأسف اقول ان المؤتمر الخامس كان اسوأ المؤتمرات تمثيلاً للحزب ونوعية فضلاً عن عجزه عن تقديم اي برنامج سياسي لحكم الحزب في العراق. وعلى سبيل المثال كانت منظمات جماهيرية مناضلة خاضعة لتوجيه الحزب قبل الثامن من شباط فبراير لم تمثل في المؤتمر، وبينها الاتحاد الوطني لطلبة العراق الذي خاض انتفاضة باسلة لمدة ثلاثة اشهر انتهت بقيام حركة ٨ شباط. لم يمثل الاتحاد حتى برئيسه مقداد العاني. والامر نفسه بالنسبة الى نقابة المعلمين، التي لم يحضر رئيسها عبدالستار الجواري ونقابات العمال والفلاحين وبعض المحافظات العراقية التي غُيّبت تماماً. ولم ينتخب المؤتمر اصلاً وفق النظام الداخلي وانما بطريقة شاذة فرضتها كتلة صغيرة ونفّذتها اثناء غيابي في مهمة قومية في مصر تتعلق بمحاولة اخيرة لإنقاذ ميثاق ١٧ نيسان ابريل للوحدة الثلاثية.

هذا الواقع دفعني مع آخرين الى تقديم احتجاج على طريقة اجراء الانتخابات، وطالبت بحل المؤتمر والغاء الانتخابات ومعاودة اجرائها وفق التقاليد والانظمة الحزبية. فسارع الطرف الآخر الى استدعاء الامين العام لحزب البعث الاستاذ ميشال عفلق للفلفة الفضيحة

الانتخابية. والحقيقة ان تلك التركيبة كانت عاجزة بالتأكيد عن وضع برنامج يساعد الحزب على القيام بمهماته بنجاح. ثم ان تركيبة المؤتمر اثارت حفيظة ضباط الحزب الذين نفذوا حركة ١٤ رمضان لا سيما ان رفاقاً لهم استشهدوا او اصيبوا. ولجأ الطرف الآخر، ومن دون موافقتنا، الى لعبة، اذ ضمه العسكريين من اعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة الى المؤتمر كأعضاء واعتبرهم ممثلين للقوات المسلحة ومن دون حتى اجراء انتخابات شكلية للقطاع العسكري.

حضر عفلق وأصر على عقد المؤتمر بمن حضر وألحّ عليّ بعدم المقاطعة وانه سيوضح الوضع العراقي بصراحة تامة داخل المؤتمر وسيضع النقاط على الحروف.

< ماذا حدث في المؤتمر؟

. افتتح بكلمة للاستاذ عفلق. بدأها بالثناء وكيل المديح لحزب البعث في العراق وخصوصاً موقفه من الانفصال في ١٩٦١ حين شجبه وأدانه. انتظرنا اكثر من ٤٥ دقيقة ليتحدث عن الأزمة داخل الحزب والحكم في العراق لكنه اختتم كلمته بالإعراب عن ثقته ان حزباً من هذا النوع قادر على تجاوز اي ازمة.

تكلم الاعضاء. تكلم معظم اطراف الأزمة وبينهم انا والسعدي وطالب شبيب واعضاء آخرون بينهم صدام حسين.

وما زلت اذكر ان الأخ السعدي انهى كلمته بوضع لائحة بالاعداء الاستراتيجيين للحزب والثورة، وهم ٢٥ عدواً، بدأت بالحزب الشيوعي العراقي وانتهت بما سمّاه "الرجعية الدينية" مروراً بفئات قومية ووطنية اخرى. وسئل السعدي اثناء كلمته من هم اذاً حلفاء الحزب واصدقاؤه،

وضحك المشاركون لانه لم يترك احداً. ثم تذكّر السعدي فئة جديدة وقال انه يطلب من المؤتمر ادراجها في خانة الاعداء وهي "الحركة العربية الواحدة" التي دعا الرئيس جمال عبدالناصر الى تشكيلها في خطابه في ٢٢ تموز يوليو من ذلك العام وكانت مجرد فكرة.

وضحك الجميع مرة اخرى وردّ الاخ طالب شبيب قائلاً: "دعنا اولاً نرى منهج هذه الحركة واعلانها ومن هي قيادتها فمن يدري فقد تكون حليفة لنا". وعلّق احمد حسن البكر بالقول: "الاستاذ علي لم يكتف من الاعداء بعد".

الغريب ان صدام حسين القى كلمة معتدلة هاجم فيها الطرف الآخر المتشدد وتصرفات الحرس القومي.

في ختام المؤتمر جرت الانتخابات وقدرت اننا سنفوز على رغم تركيبة المؤتمر وان الطرف الآخر سيخسر. جاءت النتائج متعادلة تقريباً فقد فزت بـ٢٧ صوتاً والاخ السعدي بمثلها تماماً. وقد خسر طالب شبيب الذي نال ٢٢ صوتاً اذ تقدمه هاني الفكيكي بصوت واحد. واتضح لاحقاً ان الفكيكي نال هذا الصوت بفعل ضغوط مارسها السعدي على العقيد خالد مكي الهاشمي الذي كان جالساً الى جواره. بدأ الهاشمي بكتابة اسم شبيب واذا بالسعدي يمسك بيده بجلافة ويقول له اكتب هاني الفكيكي. واعترف الهاشمي بذلك لاحقاً. وهذا نموذج واحد عما حصل في المؤتمر.

< أصيبت القيادة الحزبية بشلل ولم تجتمع. ماذا حصل في ١١ تشرين الثاني نوفمبر في مؤتمر الحزب؟

. قدم بعض اعضاء القيادة المنتخبة وأولهم انا استقالة من القيادة الجديدة لأنها عاجزة عن حسم الامور. لكنني حضرت المؤتمر القومي السادس الذي عقد في دمشق في نهاية ايلول ولجلسة واحدة فقط منعاً للقيل والقال.

ويبدو ان نتائج المؤتمر القومي السادس النظرية، وهي كانت طفولية وصبيانية وغير واقعية، شجعت السعدي ورفاقه اذ اعتبروا النتائج بمثابة غطاء لنهجهم.

استمرت مجموعة السعدي في نهجها التخريبي والتآمري، وفوجئت شخصياً لدى تسلّم نشرة التنصّت السرية بخبر عن التقاط بث اذاعة موجهة الى الجمهورية العربية المتحدة مصر تهاجم الرئيس جمال عبدالناصر بعنف. اتصلت بمدير وكالة الانباء العراقية السيد شاذل طاقة سائلاً عن هوية هذه الاذاعة ومركز البث واعتقدت انها تنطلق من سورية. وفاجأني بالقول: "الا تدري؟" وحين اكدت له انني لست على علم قال: "الاستاذ علي صالح السعدي وزير الاعلام أمر بإقامة هذه الاذاعة وعيّن العاملين فيها وحدّد لها خطها الدعائي المعادي لعبدالناصر".

ذهبت في اليوم نفسه الى اجتماع مجلس قيادة الثورة وقلت للسعدي امام الجميع: "قمنا بجهد خارق لإقناع الرئيس عبدالناصر بزيارة بغداد والتي نأمل ان تتم في غضون اسبوعين، فما هي قصة الاذاعة وهل صحيح انك وراء انشائها؟". اصيب الجميع بالذهول وانتظروا رد السعدي الذي احمرّ وجهه على جاري عادته وقال: "انا أمرت بنصب الاذاعة وأعترف أمامكم بخطئي ومستعد لتقبّل اي اجراء ضدي".

في صباح اليوم التالي جاء السفير امين هويدي ليقابل الرئيس عبدالسلام عارف ومعه رسالة خطية من الرئيس عبدالناصر، يقول فيها "انني استجبت دعوتكم لزيارة العراق وكنت متهيئاً لفتح صفحة جديدة من الثقة والعلاقات الاخوية لكننا فوجئنا في الايام الاخيرة وبشكل قاطع بوجود اذاعة سرية تطلق على نفسها تسمية مصرية تذيع ضدي وضد النظام المصري ومقرها بغداد. لقد تعرضت وتعرضت الجمهورية المتحدة لحملة اذاعات سرية منذ قيام الثورة حتى اليوم وكنا لا نعير هذه الاذاعات اهتماماً فالشعب المصري يقف مع ثورته وقيادته لكن نصب اذاعة معادية في بغداد في الوقت الذي استعد فيه لزيارتكم يجعلني في حلّ من هذه الزيارة واشكركم".

تخريب الزيارة كان القشة التي قصمت ظهر البعير فقد تبين ان الطرف الآخر انتقل في التخريب الى الخارج بعد الداخل وضد عبدالناصر بالذات. وشعرت ان عملية التخريب نفّذت بأدوات عراقية لكنها انطلقت من ايحاءات سورية وكما اوضحت في اكثر من محطة.

< ما هي قصة مؤتمر ١١ تشرين الثاني؟

. تلقيت اتصالاً هاتفياً فجر التاسع من ذلك الشهر. أيقظني الرئيس عبدالسلام عارف وقال لي ان البكر بجانبه ويريد التحدث إليّ. بدأ البكر بترديد مَثَل عراقي دارج وفيه: "انت نايم ورجلاك في الشمس" وهي عبارة تعني انك في غفلة عما يُحاك. سألته ما الخبر فراح يشتم السعدي ولعجبي شتم ايضاً صالح مهدي عماش وزير الدفاع وطلب مني الحضور فوراً واذا امكن اصطحاب طالب شبيب معي. وحين استوضحته اكثر وما اذا كان يمكن الانتظار حتى الصباح قال: الامر ملح فهناك مؤامرة ضدنا.

ذهبت وطالب الى غرفة الرئيس عارف، حوالي الثانية فجراً، ووجدت هناك السادة البكروعبدالستارعبداللطيف ورئيس اركان الجيش طاهر يحيى والعقيد محمد المهداوي الملحق العسكري العراقي في سورية الذي وصل للتو من دمشق.

أطلق البكر سلسلة من الشتائم ضد من سمّاهم "الزمرة المتآمرة" وعلى رأسهم السعدي وعماش. وكانت المرة الاولى اسمعه فيها يحمل بهذا العنف على عماش. وطلب من المهداوي ان يروي ما يعرف من دمشق. قال المهداوي انه يملك معلومات من داخل "اللجنة العسكرية" السورية، ان اجراء حاسماً سيتخذ يوم ١١ تشرين الثاني اثناء جلسة المؤتمر القطري الذي دعي الى الاجتماع لمناقشة ازمة الحزب كما ادعوا وسيتم في المؤتمر قبول الاستقالات التي قدمناها واجراء انتخابات فورية لملء الشواغر واضافة خمسة اعضاء جدد الى القيادة القطرية. وكإجراء احتياطي سيجري اعتقال حازم جواد وآخرين.

اقترح البكر ان يجري اعتقال علي السعدي ومجموعته ومعهم وزير الدفاع في اول جلسة يعقدها المجلس الوطني لقيادة الثورة اي عصر اليوم نفسه.

اعترضت وقلت ان هذا الاجراء غير حزبي اولاً وغير اخلاقي ثانياً. وقدمت بديلاً فيه شيء من التقاليد الحزبية وأقل ضرراً من اقتراح البكر وهو ان نستغل الدعوة الى عقد المؤتمر في ١١ تشرين الثاني وان يتكلم الجميع بمن فيهم البكر بصراحة امام المؤتمرين وسلوك الزمرة منذ ايلول واستمرائهم التآمر والنهج الفوضوي مع الطلب من المؤتمر ان يوافق على قبول مجموعة من ضباط البعث المساهمين في حركة ٨ شباط ولا يزيد عددهم عن ١٢ الى ١٥ ضابطاً لحل مشكلة عدم تمثيلهم في المؤتمر السابق ويتم انتخاب قيادة جديدة وبذلك نحسم الصراع مع

الطرف الآخر. وافق الحاضرون على الاقتراح وكلف عبدالستار عبداللطيف ومحمد المهداوي بالتنفيذ ولم اتدخل على الاطلاق.

ساعة الحسم

< في ١١ تشرين الثاني عقد المؤتمر؟

.للتاريخ اذكر ان السيد حمدي عبدالمجيد عضو القيادة بذل في العاشر من تشرين الثاني جهوداً مضنية لتأجيل المؤتمر في لقاء معي. لكنني رفضت وقلت فليعقد المؤتمر وسنحترم النتائج.

عقدنا المؤتمر في الخامسة بعد ظهر ١١ تشرين الثاني وتوقعنا ان يقوم البكر بما اتفقنا عليه لكن السعدي بادر بكلمة انفعالية وهدد بالويل والثبور واتهم من سمّاهم "حازم ومجموعته" بتعطيل مسيرة الحزب والثورة. وقبل ان ينهي كلمته دخلت مجموعة من الضباط بقيادة محمد المهداوي، وللامانة فإن بعض من دخلوا ارتكب تجاوزات في الكلام والتصرفات بسبب افتقاره الى التجربة الحزبية. اما السعدي فقد قطع خطبته وجلس فوراً. حاول هاني الفكيكي ان يتكلم فنهره السعدي وقال له: "اجلس فهذا انقلاب".

حصلت مداخلات ومناقشات من مؤيدين لدخول العسكر ومعارضين له بحجة الدفاع عن التقاليد الحزبية. انتهت الجلسة الصاخبة بانتخاب قيادة جديدة بعد اقالة القيادة السابقة. وحصلت عملية تصويت لانتخاب ١٣ عضواً في القيادة بعدما تم توسيعها من ثمانية الى ثلاثة عشر وفقاً لاقتراح مجموعة السعدي. وكان من الفائزين حازم جواد، طالب شبيب، احمد حسن البكر، عبداللطيف الستار، مدحت

ابراهيم جمعة، حسن الحاج وداي، عدنان القصاب وآخرون ربما كان من بينهم السيد منذر الونداوي.

< كيف أُبعد السعدي؟

. لم يفز في الانتخابات. وبعد جلسة المؤتمر عقدت القيادت الجديدة اجتماعاً برئاسة اكبر الاعضاء سناً، احمد حسن البكر، وقررت ابعاد السادة: علي السعدي وحمدي عبدالمجيد ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي وابو طالب الهاشمي على ان اقتراح البكر السابق كان يزيد عن هذا العدد بكثير في حين كنت راغباً في تقليص العدد الى ادنى حد ممكن. وتقرر ارسال هذه المجموعة الى مدريد على ان يعودوا الى العراق في شهر نيسان الذي وعدت القيادة الجديدة باجراء انتخابات حزبية خلالهد توجه افراد المجموعة معنا الى القصر الجمهوري واتصلوا بأهاليهم ومنحوا جوازات سفر مع الف دينار لكل منهم واستدعى وزير الخارجية شبيب السفير الاسباني لإبلاغه باعتبار افراد المجموعة ضيوفاً في اسبانيا. وأبرق شبيب الى سفيرنا في مدريد شاكر محمود شكري يطلب منه استقبال الواصلين ومعاملتهم وفق مناصبهم الرسمية السابقة، واعتبارهم في اجازة مفتوحة، وغادر افراد المجموعة في طائرة عسكرية الى مدريد.



الحلقة العاشرة:

انهاء حكم البعث

تلك كانت قوانين اللعبة في تلك الايام. الانتصار لا يكفي. لا بد من شطب الخاسر او على الاقل دفعه الى خارج الحلبة وخارج البلاد. ولانقلابات العالم الثالث التي كانت تغويها تسمية الثورات تقاليدها. هذا للقصر وذاك للقبر والثالث لعتمة السجن او مرارات المنفى.

كانت المحاكم مجرد صدى لارادة الحاكم. وكان العدل حبالاً تتلوى اشتياقاً الى الأعناق. وكان ثمة من يطرب لأنين السجناء الذين كان التعذيب "يقنعهم" بالاعتراف بما ارتكبوه وبما لم يقترفوه ايضاً، علّ الجلاد يشفق.

السلطة كارثة للخاسر وكمين للرابح. بعد البيان الرقم واحد تبدأ حروب الصلاحيات والتنازع على الأرائك ومواقع الصور في صفحات الصحف. يبدأ موسم الكمائن والمكائد والسكاكين التي لا تنام. انها قصة بلدان كثيرة.

لنعد الى العراق. لم ينه حاكم في العهد الجمهوري ولايته ويغادر الى منزله متقاعداً. عبدالكريم قاسم غادر الى التراب بجسد مثقوب. عبدالسلام عارف قتل في حادث الطوافة. شقيقه عبدالرحمن لم يكن من قماشة القساة. انحنى لـ"ثورة" ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨ وغادر الى المنفى. احمد حسن البكر استقال من الرئاسة كي لا يستقيل من العمر.

وصدام حسين غادر القصر الى حفرة ومنها الى السجن. لم يولد صدام فجأة. جاء من نهر القسوة المبقّع بدم الاسماك المتصارعة.

كان الغرض من هذه الحلقات تسليط الضوء على هذا الهدير الكامن في التاريخ العراقي الحديث الموصول بأيامنا. فمن الانشقاقات التي ضربت البعث العراقي في ١٩٦٣ سيطلّ صدام لاحقاً لخطف الحزب والجيش والدولة.

فجر ١٢ تشرين الثاني نوفمبر دفع علي صالح السعدي الى المنفى. في اليوم التالي سيسلك حازم جواد طريق المنفى ايضاً. وبعد خمسة ايام سينفرد عبدالسلام عارف بالسلطة منهياً حكم البعث وحركة ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ التي اصر على تسميتها ثورة ١٤ رمضان. في هذه الحلقة يروي جواد قصة خروجه ثم محاولته العودة وارغامه على المغادرة فوراً ليعيش في الإقامة الجبرية في مصر

نص الحلقة العاشرة

< فجر ١٢ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٣ غادر علي صالح السعدي ورفاقه، فماذا جرى؟

- هنا بدأت المناورات، وبعض الانتهازيين بدأ يخاف، حصلت فرحة في الشارع، حتى منذر الونداوي قائد الحرس القومي اتصل بي وقال: "اخشى ان تكونوا حسبتموني عليهم"، فقلت: "لا أحد حسبك عليهم، ولو كنا كذلك لكنا وافقنا على مغادرتك في الصيف حين اقترحت لكنني رفضت وأبقيتك". وظهر بعدئذ انه يريد خداعي وطمأنتي. في حدود الرابعة او الخامسة صباح ١٣ بقيت في القصر الجمهوري ومعي طالب شبيب. جاء احد الضباط وقال: "هناك مدنيان اثنان ينتظران خارج بوابة القصر ويلحان على مقابلتك"، سألت: من هما؟ فقال: "الاستاذ دحام الالوسي والاستاذ شكري صبري الحديثي" وثالث معهما لا اتذكر اسمه، فطلبت ادخالهم فوراً وكان الوقت فجراً. قالوا: "نحن هنا منذ الثانية عشرة او قبلها بقليل نلح على الاتصال بك ولم يتجاوب احد معنا الا الآن". يبدو ان احداً كان متواطئاً من داخل القصر الجمهوري، فسألت عن الامر، فأجابوا: "هناك مؤامرة سيبدأ تنفيذها في السابعة صباحاً، تقوم طائرة او طائرتان من قاعدة الحبانية، واحدة يقودها منذر الونداوي وتبدأ بقصف بغداد، وينزل الحرس القومي الى شوارع العاصمة لاحتلال بعض الاماكن اي انها عملية انقلابية"، سألت: "كيف عرفتم؟"، فقالوا: "من ضباط بعثيين داخل القاعدة".

يبدو ان الحزبيين في القاعدة شعروا بالحركة وعلموا بالتفاصيل وابلغوا عنها. أبلغت احمد حسن البكر الذي كان نائماً ايضاً في القصر الجمهوري، وأبلغت عبدالسلام عارف، فقال "اعطني وقتاً كي أبدل

ملابسي"، اتصلت بقائد سلاح الجو حردان التكريتي وايقظته، وابلغته المعلومات وطلبت منه ان يسأل عن قصة منذر الونداوي وكيف ذهب الى الحبانية، وطلبت منه ان يحضر طائرات وينتظر مكالمتي بعد ربع ساعة. شكرت الجماعة الذين اخبروني وودعتهم. وشرحت الموقف لعبدالسلام والبكر عندما جاءا، وكلمت حردان مرة ثانية، وقلت له "الرجاء التحليق بطائرات فوق بغداد واغلاق مطار الحبانية بتحليق طائرة فوقه للاحتياط"، فقال: "لا تعتقد انني استطيع تنفيذ ذلك فوراً لأن هذا يحتاج الى نصف ساعة او اكثر بسبب عدم وجود طيارين"، فقلت له: "كونك آمر السلاح الجوي حاول الاتصال بالحبانية وامنع اقلاع اي طائرة"، وكان يفترض به ان ينفذ ذلك على الهاتف تلقائياً كونه قائد سلاح الجو، ولكن هؤلاء اصحاب النجوم والنياشين يتصرفون على مزاجهم، طلبت منه اغلاق الحبانية وغيرها من الامور، علماً انها مسؤوليته. على كل، عاد واتصل بي وقال "الحبانية لا تجاوبني واذا نجحوا بقطع الاتصال فهذا يعني انهم مسيطرون، والطيارون في طريقهم الآن والطيارات تهيأت وأنا سأعلّم منذر سأعطيه درساً". بعد عشر دقائق اتصل حردان وقال: "مع الاسف لن نلحق"، ويبدو ان هؤلاء عندهم رادار، لاحظ وجود طائرتين في الجو. واول صاروخ ضربته احدى الطائرات كان على نافذة غرفتي في القصر الجمهوري، وصدفة كنت غادرتها انا وطالب قبل اقل من دقيقة الى غرفة عبدالسلام عارف...

... دارت الطائرة مرة اخرى حول القصر وأطلقت صاروخاً آخر على النافذة المقابلة مباشرة لطاولة الرئيس عبدالسلام عارف في غرفته. في هذه الاثناء كان عبدالسلام ينزل من الطابق الاول ليلتحق بنا، وكان معنا البكر ومجموعة من المرافقين نستعد للذهاب الى الخارج، كي يرانا الجيش والحرس. انزعج عبدالسلام، وتفوّه بألفاظ بذيئة ضد منذر الونداوي الذي عرفنا انه قائد الطائرة التي تطلق الصواريخ، علماً ان

لا شيء يبرر ذلك، وهو خدعني في مكالمته الهاتفية في اليوم السابق. الطائرة الثانية ضربت معسكر الرشيد والمدرج كالعادة، وأحرقت طائرة او اثنتين كانتا موجودتين وتتهيآن للطيران، بعد ذلك علمنا ان قائد هذه الطائرة هو الرائد يونس محمد صالح، الذي قصف مقر عبدالوهاب الشواف فقتله عام ١٩٥٩، وكان صاروخه هو الذي أصاب غرفة الشواف، ويبدو ان منذر الونداوي لم يجد طياراً يتعاون معه الا الطيار الذي قتل قائد القوميين عام ١٩٥٩. وكانت هناك مدفعية قرب القصر، قال البكر: "خلّه يولي هذا ... لا تطلقوا الرصاص عليه"، وشاركه عبدالسلام الرأي وقال: "لا تطلقوا عليه اي طلقة فهي صاروخان او اربعة فدعه يرميها، فهو لا يسوى". وفي الحقيقة، بقينا واقفين خارج بناية القصر، على المدرج، نشاهد الطائرة التي ولت، وجاءت الاخبار ان الونداوي اصطحب يونس محمد صالح معه في سيارة وهربا من القاعدة، لأنه في هذه الاثناء تمكن قائد القوة الجوية من الاتصال واطلق عدداً من الطائرات، ويبدو انه كان لدى منذر عدد من الاصدقاء في القاعدة قالوا له ان يهرب، فلاذ بالفرار، وهؤلاء الضباط اشتركوا معه بعدما قال لهم ان "الحزب أرسلني وان هناك مؤامرة للحزب الشيوعي ستتم في بغداد او تمت، ونحن ذاهبون لمساندة الجماعة". قصف وهرب الى سورية. أما في بغداد فنزل الحرس القومي وذهبوا الى بدالات التليفون واحتلوها وقطعوا الخطوط كما قطعوا الكهرباء. وذهبت مجموعة منهم الى ابو غريب في محاولة لتقليد ٨ شباط، فجوبهوا بضربات من الجيش واعتقلوا.

< ماذا كان موقف عماش؟

- عماش لم نره في ذلك الوقت. طبعاً اتصلنا برئيس اركان الجيش طاهر يحيى عندما جاءت الاخبار كي يستعد. اما الاذاعة في المرسلات فبقيت

تذيع بشكل خفيف، لأن التيار الكهربائي انقطع عن محطة استديو الصالحية، وبدأت البرقيات تنهال ويذيعونها من ابو غريب، تأييداً وولاء لعبدالسلام عارف. شعرت ان القصة ستصبح قصة لعبدالسلام، فكلمت معاون رئيس اركان الجيش وقلت له ان يتصل بالضباط في ابو غريب ويطلب منهم عدم اذاعة برقيات فليست هناك حاجة، لانها كانت توجه فقط الى عبدالسلام عارف. اما عبدالسلام فنزل الى الملجأ، وبدأ يتصل بوحدات بغداد ومعه احمد حسن البكر، ويقول: "يا اولادي لا تهتمون، فهذا شخص ... ضرب صاروخين، وما في شيء، ولكن ابقوا يقظين". وجاء عماش في الساعة العاشرة صباحاً، ويبدو انه وجد لنفسه دوراً يؤديه. وقال ان "الحرس القومي احتل الشوارع كلها، فإما ان ننزل الجيش لنقضي عليهم ويسفك الدم، واما ان نجد حلاً آخر او حلاً وسطاً"، فهو كان مثل هؤلاء الذين يتدخلون بانتهازية في مثل هكذا ظرف، عندها قال البكر: "لماذا لا نذهب انا وانت ونتجول في المنطقة لنرى..."، فقلنا لهما حسناً اذهبا واستطلعا الامر. غاب الرجلان بضع ساعات. وفي هذه الاثناء بقيت انا اتلقى اتصالات من قادة الوحدات ومن معاون رئيس اركان الجيش تطلب السماح للقطعات بالنزول الى بغداد، فتذكرت قصة الشيوعيين في ٨ شباط عندما ارادوا افتعال التظاهرات حتى نصطدم بها، وتصبح حرباً، فقلت لهم: "لا ابقوها، فليس عند هؤلاء شيء، لقد احتلوا كم ساحة، ومحطة الكهرباء، وبدأوا يتصرفون كالاطفال وقاموا بعمل فاشل وهم يعلمون ذلك، دعونا نرى ماذا سنفعل نحن في القيادة".

فجأة جاءنا خبر ان هناك طائرة تطلب الإذن، فيها ميشال عفلق ومعه وفد، فمن هذا الوفد؟ اعتقد انهم ذكروا اسم جبران مجدلاني من بيروت، وصلاح جديد الضابط، والفريق امين الحافظ رئيس الدولة السورية رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة، ومعهم شخص خامس،

وصلوا للتفاوض او لتفقد الوضع، فمن الذي ارسلهم او من الذي استدعاهم؟ لا احد. نحن توقعنا قبل ان يعود عماش، ان مجيء هؤلاء امر جيد، واعتقدنا انهم سينتقلون الى القصر الجمهوري، فرئيس الجمهورية موجود والحكومة موجودة، فكنا ننتظر ونقول الآن يصلون، والآن يصلون، ولكن لم يصل احد. اتصلنا فقيل لنا انهم موجودون في مقر قيادة الحرس القومي. رئيس دولة ورئيس الحزب يذهبان الى العصاة والقائمين على عملية انقلابية حدثت ضد الجمهورية العراقية، ولا يأتيان الى مقر القيادة والدولة! هذه الخطوة أنهت حكم الحزب، واغاظت عبدالسلام الذي بقي قصره الجمهوري مظلماً، على رغم وجود بعض البطاريات الخاصة والمولدات لبعض الخدمات. شعرت به وكأنه أسد مكبّل، ليس بسببه ولكن بسببي، فهو كان من الممكن ان ينطلق ويصفيهم خلال ساعة او ساعتين بقوة الحرس الموجودة في القصر الجمهوري، فهناك كتيبة دبابات وفوج، الا انني منعته ومنعت تحرك اي قطعة، اذ كنت اعلم ان دماً سيُهدر.

< ما الذي حصل مع عفلق والبقية؟

- لم نرهم خلال تلك الساعات، بقوا خمسة ايام الى ان قام عبدالسلام بالانقلاب، ولم يحلوا اي اشكال، ولم يرهم أحد، لذلك قال لحردان "ألا تقتل هؤلاء الخونة وتخلصني منهم"، وصلاح البيطار قال لي بعدئذ انه "كان لكم الحق بحسب القانون الدولي ان تعلنوا الحرب على الدولة السورية".

< هل حاول امين الحافظ وميشال عفلق الاتصال بكم؟

- لا ابداً. لا بعبدالسلام ولا بأحد.

< اذاً مع من كانوا جالسين؟

- مع الحرس القومي والعصاة، مع نجاد الصافي، والدكتور فائق البزاز، وقسم من قيادة بغداد. فهم اتجهوا من المطار الى مقر قيادة الحرس القومي واتخذوه مقراً لهم ولمفاوضاتهم.

< هل تعتقد ان هذه الحادثة أدت الى إسقاط الحزب؟

- نعم. فصلاح البيطار رجل سياسي ورجل دولة، وهو اعطانا الحق بإعلان الحرب، بقوله "ان امين الحافظ رئيس دولة، فكيف يذهب رئيس الدولة السورية الى دولة اخرى، مهما كانت العلاقة، ويذهب الى العصاة ولا يذهب الى رئيس الجمهورية".

< ماذا حدث بعد ذلك؟

- حدث الكثير من الامور لكن ليس عنفاً بمعنى الكلمة وانما عنف بسيط، كاطلاق رشقات من الرصاص، فالجيش استنفر كله في معسكر الرشيد وفي ابو غريب وفي وزارة الدفاع. أذكر اتصالاً اخيراً من العقيد خالد مكي الهاشمي معاون رئيس اركان الجيش بحدود الساعة الخامسة او السادسة مساءً في تاريخ ١٣، قال فيه: "استاذ حازم ارجوك، اذا كانت هناك نية لإنزال الجيش افضل ان تكون الآن، فبعد غياب الشمس تكون الدبابات عمياء لم تكن هناك اجهزة متطورة، فاذا عندك نية، قل لي الان او خلال نصف ساعة، لأن الجيش مهيأ لكنس هؤلاء". فقلت له لا، يمكن ان نتحمل يوماً آخر.

عاد البكر وعماش وقالا ان هناك مطلباً قدمه قادة الحرس القومي سمعاه في الاذاعة، وظهر بعد ذلك انه كذب، ويقولون فيه "نحن حاضرون ان ننسحب اذا ترك حازم جواد ومجموعته بغداد وعينت

جماعة جديدة". انه اسلوب عماش ويبدو انه اقنع البكر بأن ذلك يشكل مخرجاً.

< أنت تحمل عفلق المسؤولية كذلك؟

- طبعاً. هؤلاء الخمسة الذين جاؤوا هم الذين سببوا اسقاط حكم الحزب والذي اعتقد انه كان هدف اللجنة العسكرية السورية منذ زمن طويل، لأن في خطتهم السرية والتي تكشفت في ما بعد، هم كانوا يسعون الى الانفراد بحكم سورية، وكان البعث في العراق عقبة امامهم، لأنه يريد اعادة الوحدة الثلاثية مع جمال عبدالناصر، وهم لديهم أجندة سرية اخرى. جاء البكر وعماش بهذا الاقتراح، وانا استنكرته، ولم اتوقع من البكر ان يأتيني بمثل هذا الاقتراح، لأن قصة ١١ تشرين الاول وما جرى هي من تدبيره هو، واراد اعتقال عماش. وقال عبدالسلام عارف كلمة خشنة ايضاً واحمر وجهه، وهي "نذل الذي يقبل بمثل هذا الخيار"، او جبان او سافل. واضاف: "غبتم لخمس ساعات ولم نراكم، والآن جايين بهذا الاقتراح السخيف"... انا صرت التن في موقف حرج، فاما انحاز مع المجموعة التي تطالب، وعلى رأسها الجيش، بالنزول الى بغداد وتصفية العصيان، او الخروج من بغداد وعدم سفك الدماء، وجماعة القيادة القومية حضروا، فدعونا نرى شطارة الاخوان السوريين وكيف سيخرجون من هذه الازمة. في هذه الاثناء قال طالب شبيب: "اذا يسمح لي الاستاذ حازم بالحديث على انفراد". استغربت الامر وقلت هل هناك سر، فأخذني الى الممر، وقال "قل لي ماذا لنا في العراق، ثورة ١٤ رمضان انت عملتها وانا ساهمت فيها وقدناها والخ، وهؤلاء الاوغاد، الحرس القومي الذي انت شكلته وعملته، قاموا عليك بعصيان، الآن جاءنا احمد حسن البكر مع صالح عماش بهذا الاقتراح السخيف، انا رأيي اغاظة لهم ان نخرج، ما الذي ستحصله؟ خليهم هم

يبتلوا فيها، فهم الذين اقترحوا عليك اخراج علي بهذا الشكل وانت عدلتها، وميشال عفلق وصلاح جديد قاعدين عند الحرس القومي، وهم جماعتنا واصدقاؤنا، وقاعدين عند شباب لا يعرفونهم ولا يعرفون حتى اسماءهم"، عدت وقلت لهم انا لا مانع لدي اذا اعتقدتم أن هذا الحل سيخلص الوضع. قال عارف: "لا اوافق على هذا الحل، وهذا تسليم وغلط"، فأجبته: "يا ابو احمد انتهت". وهذا ايضاً سبب ثالث او رابع او خامس أغاظ عبدالسلام عارف، لأنه عندما عاتبه الرئيس عبدالناصر بعد اشهر من هذا الحادث، قال له "بمجرد ان سمع حازم جواد بوصول ميشال عفلق والسوريين تركني وحدي في القصر الجمهوري وذهب الى بيروت"، ولم تكن هذه هي الحقيقة، فلم اتركه وحده، تركته رئيس جمهورية والجيش موجود واحمد حسن البكر، وايضاً القيادة القومية بقيادة ميشال عفلق وامين الحافظ. فحاول عبدالسلام بعد ذلك اقناعي بكل جهد وانتقلنا من غرفة البكر الى مكتبه، وقال: "طيب، انت ألا تريد كسب وقت وتبريد حرارة الحرس القومي"، قلت: "نعم"، فقال: "اذهب الى كركوك او الموصل، فالقواعد الجوية والجيش تحت تصرفنا، ونحن نقول طار، لكن انت انزل في كركوك او في الموصل، والجيش هناك ايضاً مستنفر"، فقلت له: "لا، لا افعل مثل هذه الخدع، على ماذا، فإما أقرر البقاء هنا ونستمر، او اذا كان هناك حل سلمي..."، فقال: "على كيفك"، واظن انه قال في هذه المناسبة "اذا الشياطين قلت، كثرت الملائكة"، واقترح ايضاً ان نأخذ مالاً معنا، وقال: "انت اعطيت علي السعدي وجماعته كل واحد الف دينار"، في ذلك الوقت كانت الألف دينار تعد مبلغاً كبيراً يكفي لشهرين او ثلاثة، "فأنت على الأقل خذ الف دينار"، قلت "لا، أبداً"، ورفضت، وهذه كانت امام عشرة او ١٥ شاهداً، وقلت "في جيبي خمسون ديناراً، تكفي، وانا سأذهب الى بيروت عند ناظم جواد، السفير، اخي"، فجاء معي طالب

ومحمد المهداوي الذي ايضاً اشترطوا ان يترك العراق، لأنه هو قاد الضباط، ويبدو انهم وصلتهم الأنباء عن وشايته لهم وإفشاء أسرارهم، وتركنا من القاعدة. والتحق بنا من دون سبب طارق عزيز وآخرون من قادة الحزب، وقلت لهم: "ما في داعي"، فقالوا: "نحن لا نية لدينا للاستمرار في العمل في دولة انت لست فيها"، وكان هذا في طائرة عسكرية من قاعدة جوية في معسكر الرشيد، حيث استقبلنا جميع ضباط الجيش، فهم جماعتنا وكلهم في ايدينا، وقلنا لهم "هذه موقتة، كلها يومين او ثلاثة وراجعين".ونزلنا في بيروت وكان ناظم في استقبالنا، ولا اذكر العدد الذي كان معنا، فربما ثمانية او تسعة، وضد رغبتي، وكان هذا في ليلة ١٣ او يوم ١٤.

ونحن في الطائرة، رددت بيت شعر منسوب الى عبدالله بن عباس المسمى "حبر الامة"، وامام جميع الحضور:

"يا لها من قمبرة بمعمـــــــري
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقــــــري"

وكنت اقصد فيه عبدالسلام عارف، فراحت المسألة وسُلّمت ثورة ١٤ رمضان ودولة العراق لقمة سائغة في يد عبدالسلام عارف، وهو سينتظر بضعة ايام ويستخدم قوات بغداد البعثية للسيطرة على العراق بشكل كامل واقصاء حزب البعث وحرسه...

قبل مغادرتنا، اتفقنا معهم على تشكيل قيادة مشتركة لحل الازمة، تتكون من ثلاثة من العراق وثلاثة من الاخوة السوريين، من العراق اختير عبدالستار عبداللطيف وطاهر يحيى واعتقد احمد حسن البكر، ومن الجانب السوري اخترنا ميشال عفلق والفريق امين الحافظ ولا

اتذكر الشخص الثالث، فإما جبران مجدلاني او صلاح جديد او شخص آخر، فوافق الجميع على هذه اللجنة، ثم ذهبنا الى بيروت...

< هل رأيت عفلق قبل المغادرة؟

- لا أبداً، ولكنني سمعت لاحقاً انه طلب مقابلتي، اي بعد مغادرتي.

< صرت الآن في بيروت فماذا حدث في بغداد؟

. عاث الحرس القومي فساداً. تفتيش الضباط وسيارات الجيش واحتلال الساحات والاماكن العامة. ورابط عفلق ومن معه في مقر قيادة الحرس. واستيقظ الجميع في ١٨ تشرين الثاني على اذاعة بغداد تبث بيانات باسم عبدالسلام عارف وبصوته يعلن حل الحرس القومي فوراً، وهو سماه "الحرس اللاقومي، الذي عاث فساداً"، وتلا آية قرآنية. ثم قال: "ظنوا ان منعتهم حصونهم واننا لهم بالمرصاد... لذلك، طلب الشعب من جيشه التدخل وانقاذ البلاد من الفوضى..." وأذاع سلسلة بيانات اخرى، و"كل من آوى حارساً قومياً يعاقب بالاعدام وكل من يقاوم يطلق عليه الرصاص". كانت عملية تطهير، نزل الجيش الى شوارع بغداد، اما احمد حسن البكر فعندما أيقن ان العملية ستحدث، قال لهم "على بركة الله انا موافق"، وذهب الى بيته، ومع ذلك عينه عبدالسلام عارف، نائباً لرئيس الجمهورية لفترة بسيطة. وشارك سكرتير عماش في التنفيذ وهو علي عريم وقال له "ابو هدى عماش ناولني مسدسك، انت معتقل"، فناوله اياه وذهب الى غرفة ملحقة بمكتبه للنوم على سرير عسكري، وبقي في هذا الوضع الى ان سفروه الى القاهرة بحجة تعيينه سفيراً هناك لكن اوراق اعتمادة لم تصل.

في بيروت عرفت بأحداث ١٨ تشرين الثاني وشعرت بأن عبدالسلام عارف قرر الانفراد بالسلطة. ابلغت مع طالب شبيب الملحق العسكري العراقي في بيروت برغبتنا في العودة فجوبهنا بمنع قاطع. وكنت اتصلت بمحمد عمران طالباً ان تخفف سورية لهجتها ضد عارف كي لا يستغل اعداء البعث الفرصة لكنهم لم يتجاوبوا. بعد فترة لاحظت ان احدا لم يتحد عارف فقررت وطالب ان نتحداه.

كلفنا شقيق عبدالكريم الشيخلي الذي كان في الملحقية العسكرية في بيروت ويرتدد على بغداد ابلاغ شقيقي ناظم جواد الذي كان على علاقة وثيقة مع عبدالسلام عارف. كان ترك سفارة بيروت وقدم استقالته، واعتذر لعبدالسلام وقال له: "انا اسف لان الذي عينني سفيراً كان حزب البعث وارجو ان تبقى صداقتنا ولكنني انا مستقيل". فقال له عبدالسلام: "هل تريدني ان ارسلك الى نيويورك؟"، فرفض. قلنا لناظم اننا نترك له حرية التصرف لابلاغ عبدالسلام، وثانياً نحن قادمون على الطائرة الفلانية. فوصلت انا وطالب شبيب الى بغداد على الخطوط الجوية العراقية، وعندما نبه قائد الطائرة لشد الاحزمة استعداداً للهبوط، قفز طالب واقفاً، وقال: "هناك احتمال رابع لم نبحثه يا حازم، فقد بحثنا الاعدام او السماح لنا او الاعتقال، الا هذا الجانب". سألته "ما هو؟"، قال: "الاحتمال الرابع هو ان يصعدنا عبداالسلام الى طائرة لسجننا في القاهرة". وعلى رغم تجربتنا لم يخطر هذا الخيار في بالنا. وقال: "لا تتجاهل هذا الاحتمال، ولو بقينا في بيروت كان احسن، على الاقل كانت عندنا حرية"، أجبته: "هذا غير معقول، فليرسلنا الى القاهرة وسنطلع منها، عبدالناصر ليس سجاناً".

نزلنا من الطائرة، وأخذنا امتعتنا، وشعر الضباط بأن حازم جواد آتٍ، ويبدو ان احدهم اتصل بالتليفون اثناء اخراجي الامتعة، فوصلت كوكبة

من الضباط بقيادة الصديق المقدم الضابط القومي هادي خماس الذي قال: "عفواً استاذ حازم، تفضل معي الى الاستخبارات"، سألته عن السبب فاجأب: "اتصال تليفوني جاءنا"، قلت: "من اين جاء الاتصال"، فقال: "من رئيس الجمهورية... فلنقعد قليلاً في الاستخبارات". ذهبنا معه وجلسنا في غرفته في الاستخبارات العسكرية في وزارة الدفاع، والتي كنا نحن فتحناها لهم، فرجعنا اليها معتقلين، ودار حوار معه، غير أنه كان في اثناء ذلك الوقت يتلقى اتصالات هاتفية كل خمس دقائق لا اعرف ممن، لكنه كان يطمئنهم، وبعد ذلك تناولنا الغداء معاً ثم شربنا الشاي، واقسم اليمين هو ومساعده، وقالا: "لا تعتقدا بأننا تآمرنا عليكما نهائياً، فقد رأيتما ما الذي فعله الحرس القومي، ولو لم تحصل ١٨ تشرين لكان البلد احترق، ومع الاسف..."، وفي الساعة الرابعة او الخامسة عصراً خرجنا، فلاحظت اننا في الطريق الخارجي، فقلت لهم: "اين نحن؟"، قالوا: "في معسكر الرشيد"، فتصورت اننا معتقلون في السجن الرقم واحد، ولكنه كان حديثاً عادياً وصريحاً، وليست مسألة سجان وسجين او معتقل، بل كرفاق. واتجهت السيارة الى القاعدة الجوية، فسألته: "ما الامر يا استاذ هادي؟"، فقال: "لقد صدر أمر من رئاسة الجمهورية بتسفيركم الى القاهرة". وصلنا الى القاعدة ووجدنا ناظم جواد معتقلاً ايضاً، مع بهاء شبيب شقيق طالب. وكان ناظم رتب موعداً مع عبدالسلام في الساعة الثانية عشرة ليزوره، على ان يبقيا معاً للغداء، فنكون نحن وصلنا، وحتى يكون ناظم صمام امان اذا حدث شيء. لكن عندما وصلنا، ناظم اعتقل من المطار ومعه بهاء شبيب ولم يذهب حتى لموعده مع عبدالسلام، وفُتشت غرفة ناظم التي نزل فيها، وفقد رسائل ثمينة كان عبدالسلام ارسلها اليه واحتفظ بها، فأخذوها لعبدالسلام. وهي رسائل تاريخية عن مدى علاقة عبدالسلام بالبعثيين وبعائلة آل جواد، نساءً ورجالاً، فكلها كانت

تحتوي على مشاعر عاطفية وعرفان بالجميل لا استطيع ان انساها كقوله: "لا انسى افضالكم". حتى انه ارسل زوجته لتسكن في بيت ناظم لمدة شهر في بيروت وكان ناظم عازباً وهذا يدل على مدى الثقة والمحبة. فهي كانت ضيفة عليه في البيت، وهذه لا يعملها إلا الأخ مع اخيه. فكانت خمس او ست رسائل، ندم ناظم على فقدانها، ومنها رسالة ارسلها له في السجن عن تدبير خطط الهروب وغيرها كان يحتفظ بها، حتى أنا لم أرها.

لم نستسلم، وبقينا نصرخ بشتائم ضد عبدالسلام والحركة، "هذا النذل... كيف يتجرأ على البعث". وكان الصوت أشبه بصوت الخطيب، فتجمع الضباط والجيش، وسط شعور بالصدمة. كيف، يسفر عبدالسلام حازم جواد، واصبح كل واحد منهم يلقي كلمة، فهاجموا عبدالسلام عارف والحركة واتهموه بخيانة العهد والوعد، وقالوا: "نحن بالقوة لن نصعدكم الى الطائرة، ونحن حاضرون لمحاكمة او لمحاججة في التلفزيون". الى ان تعب هؤلاء الضباط، كهادي خماس وضباط الاستخبارات، وحضر ايضاً آمر القاعدة العقيد عزيز امين وهو قومي وصديق ناظم، حتى انه قام بتقبيل ايدينا، قائلاً "أنا أرافقكم". لم أرد التسبب في ايذاء هؤلاء فقلت عندما تهدأ الخواطر نصعد الى الطائرة، اما الضباط فكانوا يتسلمون المكالمات كل عشر دقائق للاستفسار "هل سافروا؟". طبعاً نحن لم نكن نعلم حينها بذلك، اصعدونا الى طائرة من الطراز الذي كان يستخدم في الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك فهمنا القصة، فلقد طارت باتجاه كربلاء نحو الصحراء، واتصل الطيار بالقاعدة طالباً الاذن بالعودة الى بغداد، بعدما اكتشف ان فيها عطلاً او خللاً فنياً ويخشى من السقوط، فجاءته برقية او اشارة، لا ادري ان كانت من عارف عبدالرزاق قائد السلاح الجوي الذي عينه عبدالسلام عارف او من جهة اخرى، فقالوا له تابع الطيران بأي ثمنٍ كان. لم تكن

الطائرة مكيفة، واصبنا ببرد، وكان الضباط المرافقون لنا يسكبون الشاي الحار في الكوب، فيتجمد من شدة البرودة، واصيب ناظم بمرض استمر معه منذ ذلك الوقت الى الآن. تابعت الطائرة رحلتها، وظل آمر القاعدة عزيز امين يذهب كل نصف ساعة الى كابينة القيادة. نسأله عن موعد الهبوط فيقول قريباً انشاء الله، الى ان طالت نحو ١٠ ساعات قبل ان نصل. واكتشفنا ان البوصلة لم تكن تعمل، وجهاز اتصال اللاسلكي ايضاً لا يعمل، وايضاً انوار الطائرة كانت شبه عاطلة، واكتشفنا اننا عبرنا لفترة فوق اسرائيل، ولا ادري كيف لم يسقط الاسرائيليون، الطائرة التي فوق صحراء النقب. وعندما وصلنا الحدود المصرية كانت الطائرة في وضع النزول، تحاول النزول ثم تصعد لأن القائد لم يكن متأكداً أن المطار هو مطار القاهرة، فقد يكون مطاراً اسرائيلياً او اردنياً، لا ندري، الى ان وصلنا بشق الانفس الى مطار "الماظة" العسكري شمال القاهرة.

كان في انتظارنا مندوب رئاسة الجمهورية عبدالمجيد فريد، ومندوب من السفارة العراقية في مصر وآخرون، وهؤلاء يئسوا لان موعد الوصول كان مفترضاً قبل اربع او خمس ساعات، فطالت الرحلة عشر ساعات. وعندما هبطت الطائرة، هرعت سيارات الاطفاء اليها، فقد حدث شيء لجهاز التوقف واشتعلت فيه النار. والسبب في اختيار هذه الطائرة لنا بعد معرفة عيوبها، ظهر ان ذلك اليوم كان ٨ شباط ١٩٦٤، الذي انا اخترته موعداً لوصولنا الى بغداد، فكان تحدياً لعبدالسلام عارف، ولرفع معنويات البعثيين في هذه المناسبة، فتصادف عدم وجود طيارين، كونها عطلة رسمية، على الطائرات الاخرى، ويبدو ان عبدالسلام والاخرين مستعجلون على تسفيرنا. واعترف لنا الطيارون في النهاية انهم طاروا فوق اسرائيل، وطلبوا عودتهم الى بغداد فرفضت

قاعدة بغداد استقبال الطائرة. قيل لنا ان عبدالمجيد فريد انتظر طويلاً قبل ان يترك،

وانزلونا في فندق "شابرد" لمدة اسبوع، وانتقلنا بعدها الى شقق، واستمرت اقامتنا الاجبارية الى ان توفي عبدالسلام عارف وجاء شقيقه عبدالرحمن عارف الذي سمح لنا بالعودة. طبعاً اقامتنا في القاهرة لم تكن سهلة.

< هل التقيتم عبدالناصر؟

- لا، لم نره، بعث برسالة مع المهدي بن بركة الذي وصل بعدنا بشهرين او ثلاثة، والرجل تفقدنا ولم يتنكر، واحتججنا له، فقال انه سيرى الرئيس عبدالناصر بخصوصنا، فقلت له ابلغه هذه الرسالة نيابة عني وعن طالب وناظم وبهاء شبيب وحتى عن صالح عماش: "ان العراقيين كانوا يُنفون الى خارج العراق من قبل الدولة العثمانية، ونحن لا نقبل الان ان يُنفى زعماء العراق الى الجمهورية العربية المتحدة التي لا تزال جمهوريتنا ودولتنا والرئيس عبدالناصر صديقنا ونعتبره قائد الامة، فبقاؤنا هنا غير لائق". فأبلغه الرسالة وعاد بالجواب، وقال: "أخبرته بالرسالة كاملة فقال لي سلم لي على الاخ حازم والجماعة، وانا عندما قابلت الرئيس عبدالسلام عارف لحضور مؤتمر القمة الاول عقد في كانون الثاني ١٩٦٤ وقبل حادثة الطائرة بشهر سألته عن هذا الموقف من الاخوان وانه يتوجب عليه التعاون مع حزب البعث والجناح القومي والجناح الجيد، ثم لماذا هذا الموقف من الاخ حازم جواد والآخرين"، واضاف: "اخبرني عبدالسلام انه كان يحب حازم جواد ومدحه وقال كنت معه طيلة فترة النظام واسمع كلامه وأؤيد اقتراحاته وصار هذا الحدث الذي كنا متفقين عليه الى جانب احمد حسن البكر وعبدالستار عبداللطيف عندما أبلغنا بالمؤامرة فمشيت معهم على رغم انني لست

حزبياً، وحدث هذا التمرد الصغير الذي كان يمكن قمعه في ساعة او ساعتين لكن عندما سمع حازم ان ميشال عفلق موجود لم يقل الآخرين فمن هو ميشال عفلق، المسيح؟ قال انا سأترك واذهب الى بيروت لأنني لا أعصي ميشال عفلق، فتركني وحدي في القصر الجمهوري والذئاب تتربص من حولي وحتى الكهرباء كانت مقطوعة عني، فماذا تتوقع ان اصنع به". واضاف الرئيس عبدالناصر ان "الجماعة مبسوطين واستقبلناهم لمدة اسبوع في فندق شابرد وهم الآن يسكنون في شقق على حسابهم وحسب الاخبار التي تأتيني فهم مرتاحون ويخرجون".

< هل أخذت الحكومة المصرية جوازات سفركم؟

. في مطار بغداد صادروا منا الجوازات التي استخدمناها في مغادرة بيروت، وزودونا عندما صعدنا الى الطائرة المتجهة الى مصر بجوازات اخرى، وعندما فتحناها ونحن في الجو، وجدنا بها "يسمح لحامله بالسفر الى الجمهورية العربية فقط". وفيها بيان في صفحة كاملة "الى جميع السفارات والقنصليات العراقية في العالم كافة: يمنع تجديد الجواز او اضافة اي دولة او التمديد إلا بإذن خاص من بغداد". وما زال الجواز موجوداً عندي الى الآن. واكمل بن بركة ان عبدالناصر قال: "لماذا يعتبرون انفسهم منفيين، فحتى انا لا أقبل رسالة حازم".

الحلقة الحادية عشر (الأخيرة): حقيقة "القطار أميركي"

هاتفني سياسي عراقي كان أحد اللاعبين في موسم الانتفاضات والاحلام المتهورة. قال: "هل هو الوقت المناسب لنشر غسيلنا الدامي؟ وهل يحق للصحافي إيقاظ ملفات تركت جروحاً عميقة لمجرد البحث عن موضوع مثير؟".

وأضاف: "بعض الذين وردت اسماؤهم باتوا في ذمة الله بمحاسنهم ومساوئهم ولا يملكون فرصة الدفاع عن انفسهم. ولبعض هؤلاء اولاد ربما كانوا يرغبون في ابقاء هذه الصفحات مطوية". رددت موضحاً ان الخروج من اشباح الماضي يكون باستحضارها ومواجهتها وقبول حقائقها ومراراتها ذلك ان فهمها واستخلاص عبرها هو السبيل الوحيد لبناء مستقبل لا يحمل بصماتها القاسية. وقلت انني كنت تعمدت في التسعينات ان تبدأ "سلسلة يتذكّر". بنشر الغسيل اللبناني الدامي كي يجوز لها الانتقال لاحقاً الى غسيل الآخرين.

الدم العراقي حار. فور بدء حلقات حازم جواد استقبل الموقع الالكتروني لـ"الحياة" عشرات آلاف الزائرين وتلقيت يومياً عبر بريدي الالكتروني سلسلة من الرسائل تنتقد او تستهجن او تصحّح او تستحسن. سرّني ان تكون الحلقات أيقظت ذاكرة بعض الناس فعادوا الى خزائنهم وعثروا

على اوراق او تسجيلات او صور يمكن ان تساهم في ضبط الروايات وتصحيح انطباعات. ان هذه الاوراق ملك الشعب العراقي وحقه في معرفة الحقيقة قبل ان تكون ملك حائزيها لذلك نقول ان وقت إخراجها الى الضوء قد حان. منذ اكثر من سنة اتلقى بين وقت وآخر رسالة من قارئ عراقي لا يترك عنواناً او هاتفاً ويوقّع باسم مستعار ويقول ان الرسالة هي لمعلوماتي الشخصية وليست للنشر. واكتشفت بحكم مواكبتي المتواضعة للحدث العراقي انه كان حاضراً في محطات حساسة. وها انا اسأله اليوم عن جدوى النوم على الأسرار وضرورة الاسماء المستعارة بعدما غاب الرجل الذي كان يوزّع أرغفة الرعب على العراقيين المقيمين والمبددين في ارجاء العالم.

المحطات العراقية حارة ولا تنفع العقود في تبريدها. ونبش الذكريات يثير الشجن احياناً والحفيظة احياناً اخرى. تلقيت قبل ايام رسالة بالبريد الالكتروني من شخص قال انه ابن من نعت في الحلقات بـ"الرجل الغامض" الذي قتله صدام بعد توليه السلطة على رغم ما قدّم له من خدمات قبلها. وقال صاحب الرسالة ان لديه ما يقوله ويوضحه مدعماً بالأدلة. رددت على رسالته لكن يبدو ان ثمة مشكلة في العنوان. ولأن "الحياة" تحرص على حقه في التوضيح فالمطلوب ان يعاود الاتصال ويترك رقم هاتف يمكننا التحدث عبره.

أشعر برغبة في الاعتذار ممن سبّب لهم نشر الحلقات احراجات او ازعاجات. ويهمني ان اشير ان حازم جواد ابتعد عن التنكيل او التشهير في روايته وانني تعمدت اسقاط بعض الاسماء في النشر حرصاً على المشاعر.

الصحافة مهنة سيئة يديرها عملياً ديكتاتور اسمه القارئ يريد ان يعرف اكثر ويحاكم المتحدث والمحاور بلا رحمة. لهذا لا بد لاسئلة

الصحافي ان تتسم بقدر من الوقاحة مهما غلّفت بسكّر التهذيب وعسل اللياقة.

لهذا وجدتني أسأل حازم جواد ان كانت هناك بقع دم على يديه وإن كان نادماً على المشاركة في قرار اعدام عبدالكريم قاسم؟ ووجدتني أسأله ايضاً لماذا تركه صدام حسين حياً في بغداد اولاً وفي المنفى لاحقاً؟ سألته ايضاً كيف يعيش ومن اين وما اذا كان حصل على مساعدات من النظام الذي خطف البعث والعراق معاً؟ وتقضي الامانة ان اسجل ان جواد استهجن هذا النوع من الاسئلة وانزعج لكنه تفهّم ان قواعد المهنة تلزم الصحافي بقدر من الوقاحة حتى وان أدت عشرات الجلسات الى قيام خيط من الود بين السائل والمجيب.

نص الحلقة الحادية عشر (الأخيرة)

< هناك عبارة شهيرة نقلت عن علي صالح السعدي وهي قوله "جئنا الى السلطة بقطار اميركي" فما هو تعليقك؟

. كان الاستاذ السعدي قريباً جداً اليّ حزبياً ولم اسمع منه هذه العبارة في اي يوم من الايام سواء قبل ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ او اثناء وجودنا في الحكم او بعده. اقول هذا لأن علي عاد الى صداقته معي في السنوات العشر التي سبقت وفاته في النصف الثاني من السبعينات. لم اسمع منه حتى ولو مجرد تلميح الى هذه المسألة. اخشى ان تكون هذه العبارة كتلك التي نسبت الى احمد الشقيري عن رمي اليهود في البحر. اريد ان اذكر بالقول المأثور: "البيّنة على من ادعى" وافترض ان يسأل عن هذه المقولة من نقلها. كل الدلائل والظروف الموضوعية والسياسية تسخّف هذا الادعاء. فهل من مصلحة اميركا دعم وصول البعث وعبدالسلام عارف الى السلطة وبرنامجهما هو الوحدة مع جمال عبدالناصر؟ هل من مصلحة اميركا اسقاط حكم الانفصال في سورية؟ ولماذا يلجأ البعث للتعاون مع اميركا فهل هو بحاجة الى سلاح؟ اريد ان اقول ان الاسلحة التي وزعناها على الحرس القومي والضباط فجر ٨ شباط كانت اسلحة مصدرها الجمهورية العربية المتحدة وصلتنا في ١٩٦٠ بواسطة العقيد امين الحافظ قائد المنطقة الشرقية في الاقليم الشمالي سورية.

طبعاً ربما كان هناك من اندس في الاحزاب لمصلحة الدول الكبرى لكن ذلك لا يعني ابداً ان الحزب جاء بقطار اميركي او سوفياتي او بريطاني.

ثم ان نشاطات وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية سي اي اي تصدر في كتب بعد مرور فترة زمنية محددة ويتباهى اصحاب الادوار بما فعلوه.

فلماذا لم نقرأ ولو سطراً واحداً عن القطار الاميركي الذي حملنا الى السلطة في ٨ شباط.

وأطلق خصوم البعث اشاعة تقع في خانة "فرية القطار الاميركي" بأن حكومة الكويت دفعت هدايا نقدية للقادة العراقيين. والحقيقة هي ان بعض المؤسسات الكويتية تبرعت بمبلغ مليونين و٨٠٠ ألف دينار للقوات المسلحة العراقية التي كانت مشتبكة مع الحركة الكردية المسلحة تعبيراً عن التضامن مع العراق والمساهمة في حملة التبرعات الشعبية التي كانت قائمة في العراق. وكان صك التبرع باسم الرئيس عبدالسلام عارف بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة وتم ايداع الصك يوم تسلمه في البنك المركزي العراقي ولا أراني بحاجة الى التأكيد هنا ان من كانوا في موقع القيادة في العراق في تلك الايام كانت سمعتهم وذممهم فوق الشبهات. ولو كان لهذه "الفرية" مثقال ذرة من الصدقية لبادر نظام الثامن عشر من تشرين الثاني نوفمبر١٩٦٣، المخاصم للبعث بصورة لامعقولة، الى التشهير بقادة البعث او لانكشفت بعد الاحتلال العراقي للكويت في ١٩٩٠ ولفضحتها ماكينة الاعلام الرهيبة التي انطلقت قرابة ١٥ سنة في النيل من البعث والبعثيين حتى لأتفه الامور وصغائرها. ومن على صفحات "الحياة" الغراء أطالب الاخوة في الكويت بتوضيح الامور اذا كانت لديهم رواية اخرى.

< هل كان هدف الحركة في ١٣ تشرين الثاني نوفمبر التي قام بها الحرس القومي اعادة علي صالح السعدي؟

- نعم، فهذه الخطة اعترفوا لي بها، وكانوا مبلّغين ومتآمرين، اما انا فلم أكن متآمراً، وهناك نشرة وثيقة، اصدروها للجهاز وفيها تعليمات "اذا حدث شيء لعلي السعدي او لأحد من جماعته، فاخرجوا الى الشوارع واحتلوا الاذاعة". وكان هذا الكلام قبل شهر من الحركة ونحن لا ندري،

ليس بسبب عجز، فقط لأنني لم أكن اعتقد ان هؤلاء يمكن ان يقوموا بهكذا اعمال، اي التمرد بهذه الطريقة على الضوابط والقواعد الحزبية.

< هل وضع علي لائحة الاعدامات وهو في مدريد؟

- نعم، واقسم هاني الفكيكي يميناً، في بغداد وهنا على الكرسي، فهو قال لي "انا اسمع عنك انك دائماً تحسبني على علي صالح السعدي، فلمعلوماتك انت غلطان". فقلت له: "انتم شكلتم بعد ذلك حزب العمال الثوري وكنتما معاً، لماذا لحقته"، فقال "هو لحقني وليس انا"، وقال "في القائمة كان الاسم الاول اسمك"، وعدد قائمة الاسماء.

< علي السعدي كان مع اعدام الشيوعيين؟

- طبعاً، فهو كان حتى مع اعدامي ومع اعدام عبدالسلام عارف، لم تكن عنده حدود.

< متى عدت ورأيت علي صالح السعدي؟

- علي السعدي رأيته عندما قالوا لي انه مصاب بجلطة دموية وخرج من المستشفى. جاء بعض الاخوان الذين اعتز بصداقتهم الشخصية، كالعقيد علي عريم والمحامي شوكت حبيب الشبيب وآخرين، فقالوا لي ان علي كان في المستشفى وخرج الى بيته الذي كان صغيراً وقريباً من مقر صدام حسين في المجلس الوطني، ففهمت انهم يريدونني ان اذهب معهم، فقلت لهم ليس لديّ مانع.

< كيف كان اللقاء؟

- عندما رآني تأثر وبكى، وسمعت انه قال في احد المجالس: "استقبلت زواراً كثيرين قبلوني، لكن قبلة حازم جواد فيها طعم ونكهة اخرى"، وقالها ايضاً في مجالس غير حزبية. وجلست معه مرات عدة ولكنني لم افاتحه او ازعجه بأي كلام الا في يوم واحد، قبل وفاته بأربعة اشهر، عندما دخل فجأة الى البيت وضرب الباب الخارجي بقدمه بعدوانية، وكان يرافقه الاستاذ عبدالستار الدوري سفيرنا في كوبا في ذلك الوقت وهو صديق شخصي لعلي السعدي ولي. فرحت وجلسنا في الحديقة ثم انتقلنا الى غرفة الضيوف وحضرنا العشاء، علماً انه جاء متأخراً، ولسبب ما رأيت الوقت مناسباً لسؤاله عن قضايا عدة، لأنه اغاظني في بعض منشوراتهم وفي بعض خطبهم في مؤتمرهم السابع والثامن، فقد نسبوا أليّ بعض الاعمال وكنت بريئاً منها، امام عبدالستار الدوري، حتى يكون شاهد عدل، قلت له: "عندي ثلاثة اسئلة في قلبي وارجوك ان تمتنع عن الجواب اذا كنت غير راغب". قال: "سأجاوب وبصراحة". قلت له "بشرفك، هل فرضت انا وحدي عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية؟"، فأجاب: "لا، انت طرحته، لكن نحن جميعنا كنا متحمسين ولم يكن هناك غيره"، قلت: "اذاً، هذه خطبكم ومنشوراتكم عن أن حازم جواد جاب عبدالسلام وهو معه لا اساس لها. حسناً انتم اتهمتم الجناح اليميني بانه اعترف بالكويت حتى يحصل على ٣٠ مليون دينار يصرفها على الحملة العسكرية لقتال الاكراد، لا بأس، لكن بشرفك من الذي رفع يده معارضاً الاعتراف بالكويت والصفقة كلها، الم نكن أنا وعبدالسلام عارف وحدنا؟"، قال: "صحيح". قلت: "ألم تهرني، وقلت انا رفعت يدي وموافق، ماذا يريد حازم جواد؟"، فقال: "هذا صحيح، وانا اعترف". وأكملت "حسناً، القصة الثانية، من هم هؤلاء الجواسيس الاميركان او الموالين لاميركا الذين كنا نحن نتصل

بهم؟ قبل الثورة او بعد الثورة"، فقال "حشاك، وكانت هذه تهويشات". تابعت: "اخبرني فقط بمن تشك؟ انتم حملتم على طالب شبيب وتتهمونه بأنه اميركي. من الذي جاءني في المؤتمر القومي الرابع في بيروت برفقة فيصل حبيب الخيزران وقبّل رأسي، وكنت انا امين سر الحزب، وقلتم لي ان ميشال عفلق يريد طالب شبيب في القيادة القومية، ونرجوك ان لا تقف معارضاً؟". قال "تمام، انا فعلت ذلك مع فيصل، انت كنت ضد طالب شبيب في الحزب كله"، فقلت "كيف اذاً تتهمونني بأنني مع طالب شبيب وانه أثر علي؟". وجاء مرة اخرى وحده قبل ان يترك بغداد الى لندن، وكان في ضائقة مالية، وجمعت له ما استطعت، وقلت له "انا بعد يوم من وصولك الى لندن سأصل اليها"، وفعلاً وصلت يوم اربعاء، وتناولت العشاء مع ناظم جواد وعبدالستار عبداللطيف، وكان ناظم مقيماً في لندن في ذلك الوقت، اي مهاجراً من العراق، وكان عبدالستار منفياً. فقلت لهما ان "علي السعدي موجود هنا، فهل ترغبان ان نبحث عنه بعد العشاء؟"، لن اورد ردهما لكن اتفقنا ان نسأل عنه في صباح اليوم التالي. صباحاً تلقيت اتصالاً هاتفياً من صلاح شبيب، شقيق طالب، قال فيه ان علي توفي. قطعت اجازتي واخذت نعشه الى بغداد، وأقمت له مجلس فاتحة لثلاثة ايام.

< هل كان علي يكره صدام حسين كثيراً؟

- نعم، كثيراً.

< هل كان عبدالسلام عارف فاسداً؟

- لا، وأؤكد لك ان حكام العراق، ومهما قيل في حقهم، لم يصبهم الفساد. كنا نقول عن نوري السعيد عميل الاستعمار لكن لم يطعن احد في نزاهته او انه قبض رشوة من هذا او ذاك، ولا ادري ان كان

الانكليز دفعوا له ام لا. ولكنني حتى هذه اشك فيها. والسبب انه لدي رواية من مصدر ثقة مئة في المئة، ان زوجته ام صباح كانت في لندن بعد الانقلاب بفترة قصيرة وتملك عقد لؤلؤ او الماس، وهم كانوا يصطافون في لندن ولم ينقلوا كل اغراضهم، ويبدو انها كانت في ضائقة مالية. فأرسلته الى احد التجار العراقيين المشهورين وهو كان وزيراً مزمناً ونائباً مزمناً مع نوري السعيد، أقصد التاجر الشهير عبدالهادي الجلبي، والد الدكتور احمد الجلبي، وكان مقيماً في بيروت. طلبت منه شراء العقد او رهنه. وهذا كان المطلب الاول. اما المطلب الثاني، وكانت لا تحسن الانكليزية، فكان ارسال صحيفة "الحياة" اليها بشكل دوري وهي ستدفع اشتراكاتها. والمقصود صحيفة "الحياة" البيروتية. ولم تكن تصدر في لندن في ذلك الوقت. فكانوا يرسلونها اليها. وصلتها "الحياة" مع قسيمة اشتراك كي تدفعها. فحتى مبلغ ٢٠ ليرة او ٣٠ ليرة لم يدفعها الجلبي، واخبرها ان العقد لم يجلب اكثر من ١٥٠٠، لا اذكر ان كان جنيهاً استرلينياً او ديناراً عراقياً، ولكنني اتذكر الرقم. فقالت له "بعه". فباعه وارسل لها المبلغ. لم يُعد لها العقد مع القول "نحن حاضرون لمساعدتكم". علماً انه من اصحاب الملايين. هذه القصة موثوقة مئة في المئة وانا سمعتها من مصدر قريب من آل السعيد، وهذا عن العهد الملكي. اما عن العهد الذي اعقب ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨، فمعهما نقول ونتكلم عن عبدالكريم قاسم، فهو في نزاهته وعفته المالية لا يقارن الا بجمال عبدالناصر. كان من هذا النوع، وعلى رغم قدرته كرئيس وزراء وقائد عام والزعيم الاوحد ان يملك بيتاً، وهو كان يوزع آلاف البيوت على ضباط الجيش وعلى العائلات المحتاجة، ظل يسكن في داره القديمة المؤجرة بـ٩٠ ديناراً عراقياً في السنة، والكائنة قرب ساحة الفردوس الشهيرة.

< هل انت نادم لتأييدك اعدام عبدالكريم قاسم؟

- ليتنا وفّرنا دماء الجميع، وبينهم نوري السعيد، ويا ليتني استطعت ان أوفر كل هذه الدماء، دماء نوري السعيد والعائلة المالكة وعبدالكريم قاسم والآخرين.

< هل قال لك عبدالسلام عارف انه كان هناك قرار بقتل العائلة المالكة في ١٩٥٨؟

- لم يكن هناك قرار، حصل القتل مصادفة وأنا اؤكد لك ذلك، فقد قابلت من أطلقوا النار ورووا لي ما حصل.

< واحمد حسن البكر، أليس فاسداً مالياً؟

- أنا اكلمك عن ١٩٦٣، ونيابة عن الموتى والاحياء، لم يدخل في جيبهم درهم واحد. كثيراً ما كنا نتناول العشاء في غرفة عبدالسلام عارف الرسمية، ونكون نحو ٥ او ٦ اشخاص، فندفع إما من جيبه ٥ دنانير، او احياناً من جيبي انا ٥ دنانير، نسلمها الى سائقه، ليذهب الى نادي السكك القريب الى جانب الاذاعة، ليجلب لنا كفتة وكباب، ومع تحذير السائق من ان يرفض صاحب المطعم أخذ مقابل. عبدالسلام عارف مات نظيفاً مالياً، والدليل على ذلك ان شقيقه المكوجي عبدالسميع عارف، الذي جعل دكانه قبل ١٤ تموز بريد مراسلة للضباط الاحرار، اي مركز اتصال، وحتى على ايامنا وعلى بساطتها، لتبليغ عبدالسلام عارف، ايضاً بواسطته. وبقي دكانه في ١٩٦٣ وبعد ١٩٦٣.

< اذاً، الفساد جاء في ١٩٦٨؟

- وبالحديث عن عبدالرحمن عارف، فإن الرجل خرج ايضاً نظيف اليد ونظيف القميص، الفساد والرشوة دخلا الى العراق مع الحكم الظالم.

< انت تقول عن جماعة ١٩٦٨ انهم ليسوا من "البعث"؟

- لا، لا اعتبرهم بعثيين، فأنا اعتبر ان حركة ١٧ تموز سطت على القصر الجمهوري اولاً، وسطت على الدولة العراقية وسطت على مؤسسة قائمة اسمها "حزب البعث العربي الاشتراكي". فهؤلاء دخلاء على الحزب، ولم يكن معهم قائد تاريخي من قيادات البعث، وهذا يفسر ايفادهم صلاح عمر العلي الى البرازيل لإقناع ميشال عفلق بالعودة لإسباغ شيء من الشرعية على حركتهم، وفي يوم تشييع العقيد عبدالكريم مصطفى نصرت الذي اغتالوه، كنت واقفاً عند باب جامع الإمام الاعظم اتقبل التعازي، والى جانبي كان اللواء عبدالغني الراوي. جاء طارق عزيز وقدّم التعازي وقال: "انا لم اكن اتصور ان اشتغل مع عصابة مثل هذه"، وكان هذا الحديث امام الراوي الذي لا اذكر بماذا علق. وانا تأسفت على عبدالغني الراوي عندما قرأت ما قاله في "الحياة" انه ذهب الى شاه ايران وقبض اموالاً. اما البكر فهو كبير السحرة، وهو الذي ادخل نهج الرشوة والنهب. زينها له صالح عماش، واستنبطوا الوسائل خطوة خطوة. فتحوا سباق الخيل فبدأوا يأخذون ٥٠ في المئة من وارداته او ٣٠ في المئة، ويتقاسمها البكر وصدام وجزءاً منها عماش، كي يصرفوا منها على الاعوان والآخرين. فالبكر كان "كبير السحرة" وصدام تلميذه في الخيانة والغدر والرشوة.

< هل هناك بقع دم على يديك او على ضميرك؟

- على يدي قطعاً لا، ولكن على ضميري طبعاً، فالاعمال التي حدثت في العراق منذ ١٤ تموز واثناء حركة عبدالوهاب الشواف وما اعقبها من مذابح جماعية نتيجة لفشلها، ثم ما حدث في ٨ شباط حركة ١٤ رمضان، والضحايا التي قدمت من جانبنا وضحايا الآخرين ايضاً، أستطيع القول آسفاً ان هذه الدماء لم تعوضها الانجازات التي تمت او

قدمتها ثورة تموز وحركة ١٤ رمضان. لدي منذ زمن طويل موقف، كموقف الإمام علي بن ابي طالب بعد معركة الجمل عندما صلى على شهداء وقتلى الجانبين، اي جيشه والجيش الذي حاربه، ورفع يديه الى السماء وقال "أللهم أشكو إليك عجري وبجري"...

< قلت ان الانجازات لم تكن بمستوى الدماء التي سُفكت؟

- نعم، كنا نعتقد بأن الهدف الرقم واحد كان تحقيق الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة كما كنا نفهمها في ذلك الوقت، ولكن ظهر ان الامور في المنطقة معقدة جداً جداً، ونظرتنا لها كانت مبسطة وسهلة، وحتى نظرة الرئيس جمال عبدالناصر، على رغم اخلاصه القومي لم تكن واقعية.

< انت الآن موجود في لندن، هل شعرت حين فتحنا ملف الذكريات بألم لدماء البعثيين؟

- نعم ولخصومهم، من الشيوعيين وغيرهم، انا الآن في وضع آخر، ففي ودي ان اعيد الاعتبار حتى لنوري السعيد وجماعته.

< انت اذاً تعترف بفشل حزب البعث؟

- ليس فقط حزب البعث، بل بفشل الحركة القومية والوطنية الثورية في الاربعين سنة الاخيرة. كانت هناك انجازات لا يمكن انكارها، كالتي احدثها الرئيس جمال عبدالناصر، كحرب السويس وتمصير البنوك والمؤسسات الاجنبية ونجاح الاصلاح الزراعي والتصنيع الثقيل والمنهج العصري لإقامة دولة عصرية، وبناء جيش قوي وكسر احتكار السلاح وبناء السد العالي، فهذه انجازات ضخمة يشهد له بها العدو والصديق، وهي تركت آثارها الاجتماعية والسياسية على المنطقة، ونحن حاولنا

تقليدها، وأصبنا في بعض الامور، ولا اتكلم فقط عن البعث، بل عن ثورة ١٤ تموز وما اعقبها. وأسجل ان احد اسباب التعثر وعدم الوصول الى نهاية جيدة، واقولها بصراحة الرجال الشجعان، هو البعث السوري وتوأمه البعث العراقي عام ١٩٦٨، وكان البعث العراقي الذي فجر حركة ١٤ رمضان، حزباً نقياً ومجاهداً ونظيفاً، ووصل الى السلطة بعملية استشهادية شهد له بها الاعداء، لكن مع الاسف كما يقول المثل "محصولات الحقل لا تتطابق مع حسابات البيدر".

< كيف عشت بعد خروجك من السلطة؟

. قمت بأعمال عادية.

< أقصد مالياً.

. عشت من عملي.

< ألم تحصل على مساعدت من نظام صدام حسين؟

. هو نفسه قال ان حازم جواد لم يمدّ يده. كان يحب ان يطلب منه الآخرون خصوصاً من كانوا اصحاب ادوار بارزة في الحزب. على أي حال أوراق تلك المرحلة موجودة الآن لدى بول بريمر ومن معه من العراقيين. انا رفضت حتى مواقع في القيادة القومية.

< كيف تركك حياً؟

. لم أقم في بغداد بأي نشاط تآمري. وفي الخارج رفضت الانضمام الى هيئات المعارضة المدعومة من دول اجنبية.

< لكنك كنت تتمنى سقوط النظام؟

. نعم وبأيد عراقية. ومن دون الانتقال من كارثة النظام الى كارثة الاحتلال.

***

سألت حازم جواد عن قصة الصمت الطويل ولماذا لم يتحدث من قبل فأجاب: "لا اخفي عليك ان فكرة العمل لاطاحة نظام ١٧ تموز ١٩٦٨ راودتني في السنوات الاولى. لكنني لاحظت ان كثيرين اختاروا الانضواء في النظام الجديد. بعد ١٩٧٠ وفاة الرئيس جمال عبدالناصر اقلعت عن هذا التفكير فقد اتضح لي ان البكر وصدام على استعداد لارتكاب مذبحة واسعة للبقاء في السلطة ولو استلزم الامر ابادة وحدات كاملة من الجيش. لهذا اخترت القيام بعمل عادي في بغداد لان بقائي في البيت بلا عمل سيسهل اتهامي بالتآمر وتصفيتي.

في ١٩٦٤ واثناء وجودي في القاهرة قيد الاقامة الجبرية، بفعل اتفاق بين عبدالسلام عارف وجمال عبدالناصر، ارسل صدام يطلب منا دراسة عن تجربة ٨ شباط ١٩٦٣. اعددت وطالب شبيب وزير الخارجية بعد ٨ شباط دراسة وافية وارسلناها له لكن للاسف وقعت في يد السلطة لدى اعتقاله وسارع الى كشف اننا وراء كتابتها.

خلال السبعينات فوتحت مرات بكتابة مذكراتي وادركت ان بعض من جاؤوني ارسلهم صدام الذي كان مهتما باظهار ان البكر لم يكن صاحب الدور الاول في ٨ شباط وردا على حرص البكر على وصفها بـ"عروس الثورات" خصوصاً ان صدام كان غائباً لدى حدوثها ولم يلعب أي دور فيها. وكنت اقول لمن اعتقد بأن صدام ارسلهم: انا حزبي وما فعلته هو ملك الحزب وليس ملكي. وامتدح صدّام لاحقاً موقفي هذا.

بعد اقامتي في لندن فوتحت من جهات عربية وأجنبية. لم اكن مقتنعا بجدوى الكلام خصوصاً ان العراق كان غارقاً في الثمانينات في الحرب مع ايران التي سببتها رعونة صدام وطموحاته. وفي التسعينات كان العراق غارقا في ذيول غزو الكويت. لم تكن المحاذير الامنية وراء صمتي. ثم انني لست بارعاً اصلاً في الاعلام والتسويق. طبعي اقرب الى العمل الحزبي الصامت والفاعل خصوصا العمل السري. لم احب اصلا الاحاديث الصحافية. احياناً قليلة كنت اسرب بعض الاخبار في الستينات الى "الصياد" اللبنانية عبر الصحافي جان عبيد الذي يتولى حالياً حقيبة الخارجية. نشره بعض الاخبار سبب له اشكالاً مؤسفاً مع صالح مهدي عماش".

<لماذا خرجت عن صمتك؟

. تزايدت علي الضغوط في الاونة الاخيرة خصوصاً من الاصدقاء. وربما هو العمر الذي ينذر دائما بمفاجآت دفعني الى تقبل فكرة اصدار كتاب لكنني لم انتقل الى مرحلة التنفيذ. واصارحك انه لم يخطر في بالي ان هذه الذكريات ستنشر في "الحياة" على رغم مواظبتي على قراءتها منذ اعادة اصدارها وتقديري لسمعتها ومهنيتها. هنا سأقول لك شيئاً ارجو ألا تحذفه ساعة النشر. استوقفتني سلسلة "يتذكر" التي تعدها انت ولمست فيها مهنية عالية وموضوعية في تقديم المحطات والاشخاص. وعلى رغم ذلك لم اتوقع ان نلتقي. حين جئت وتحاورنا يبدو ان الكيمياء فعلت فعلها. ما استطيع ان اؤكده هو انني قلت الحقيقة باستثناء ما يمكن تحميله لخيانات الذاكرة. اعرف انني قد اتعبتك ضاحكا لكن لا تنس انك اتعبتني ايضاً.

(انتهى الحوار مع حازم جواد - ٢٠٠٤)

صلاح عمر العلي

عضو مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية السابق

حلقات من سلسلة "يتذكر" نشرتها جريدة الحياة

بين ٧ و١٣ اذار ٢٠٠٣

في الليل ينفث صدام حسين دخان سيجاره ويبتسم. يتحسس مسدسه، رفيقه القديم وصديقه الأخير. هكذا يحب العالم. هكذا يشتهيه منشغلاً به ومنقسماً حوله. صورته تحتل الشاشات. ومصيره يربك مجلس الأمن ويثير الاضطراب في الحلف الأطلسي والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي. الكبار وحدهم يثيرون هذا الدوي. الكبار وحدهم يطلقون الزلازل. وها هو العالم ينشطر فسطاطين.

يحدق من النافذة بابتسامة ساخرة. ليس عيدي أمين ليقنع بالتقاعد مع وجبة دسمة. ليس ليوبولد سنغور ليتفرغ لتدبيج القصائد، ليس شارل ديغول ليتذرع بكتابة التاريخ بعد التوقف عن صناعته. لم يأت من صندوق اقتراع ليذهب بحفنة من الأصوات أو ليرتعد أمام استطلاعات الرأي. هذه الألعاب للعاديين فقط. ينظر إلى الشاشة ببرود قاتل. لا يزال عبدالله بن زايد شاباً. لم يجرب السلطة المطلقة. لو فعل لأبقى "المبادرة" في الأدراج. لا مكان في تاريخ بغداد لحكام يجمعون أوراقهم ويغادرون. جاء من دوي ذلك التاريخ. من الهدير العميق في الروح العراقية. لا السلامة تغريه ولا الملاذ الآمن. تحسس مسدسه مجدداً. انتدبه التاريخ لمهمة كبرى. لا يستطيع الاستقالة. قدره شديد الوضوح: القصر أو القبر.

يتذكر قريته الصغيرة. تآمر الصبيان على الصبي اليتيم في العوجة. قرية الظلام الدامس والرجال القساة. زوج أمه إبراهيم الحسن لم يرحمه. تعلم الدرس. لا مكان في هذا العالم الموحش لغير الأقوياء. يخافون منك أو يعتدون عليك. هكذا الأفراد وهكذا الدول. قانون القوة. كبر الصبي وأخذ المسدس مكان السكين في وسطه.

هجم عليه شريط الذكريات. وشى الحاج سعدون التكريتي بخاله خيرالله طلفاح. استجار خيرالله بابن شقيقته. لن يتأخر. تحول الحاج

سعدون جثة ولا دليل لدى المحكمة على المرتكب. أمطر سيارة الزعيم عبدالكريم قاسم بالرصاص واصيب في ساقه. هرب إلى دمشق والقاهرة وحين تولى البعث السلطة في ١٩٦٣ عاد إلى بغداد التي ستغرق في دم الشيوعيين. غدر عبدالسلام عارف بالحزب وسيتخفى صدام في بغداد. في ١٩٦٤ كلفته القيادة نقل تعليمات إلى رجل لا يعرفه اسمه صلاح عمر العلي من تكريت نفسها. أوقف سيارة الفولكسفاغن أمام المقهى واصطحب العلي وأبلغه التعليمات. قال إن اسمه محمد لكن العلي استوقفته لهجة تكريت. فاعترف: أنا صدام. وفي ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨ سيكون الرجلان جنباً إلى جنب وبالملابس العسكرية في ليلة القبض على القصر والسلطة. يتذكر جيداً. في ٣٠ تموز وتنفيذاً لخطة القيادة القطرية اقتحم رجلان، صدام حسين وصلاح عمر العلي، بالرشاشات مكتب البكر، هددا رئيس الوزراء عبدالرزاق النايف واقتاده صدام إلى الطائرة.

لا تغيب عن باله تلك الليلة في مجلس قيادة الثورة. تواطأ مع أحمد حسن البكر رئيس مجلس قيادة الثورة لانتزاع موقع الرجل الثاني. انتصرت العشيرة على الحزب وبدأت الكارثة، كما يقول صلاح عمر العلي، الذي كان رفيقه في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب. مسكين البكر. مسكين "الأب القائد". صدّق أنه الرجل الأول. نجله محمد هدد صدام بالقتل في القصر الجمهوري. حظه سيئ. مات في "حادث" سيارة. في ١٩٧٩ "اقترح" الأب القائد أن يخلي المكان للرفيق صدام. بعض أعضاء القيادة القطرية تمسكوا به. نظر صدام فرأى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها. وستكون "وليمة" الرفاق كبيرة.

في ١٩٧٩ ذهب الرئيس الطازج إلى قمة عدم الانحياز في هافانا. وفي حديقة مقر اقامته راح صلاح يشجعه على تحسين العلاقات مع إيران،

فأجابه: "اسمع يا صلاح. لا تكرر هذا الكلام على لسانك. سأكسر رأس الإيرانيين واستعيد كل شبر". بعد عام ستندلع الحرب. مر بباله ميشال عفلق. كلفت القيادة القطرية بعد ١٩٦٨ صلاح عمر العلي بالتوجه إلى البرازيل لاقناع المؤسس بالعودة. عاد عفلق وأقام. كان مكتبه كبيراً وكانت صلاحياته قليلة.

***

كنت أبحث عمن يعرف قصة ١٧ تموز وما سبقها وما تلاها، وقادني البحث إلى صلاح عمر العلي ابن تكريت الذي كان عضواً في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للبعث ووزيراً قبل أن يبعد إلى السفارات وآخرها ممثل العراق لدى الأمم المتحدة. في عام ١٩٨٢ كتب استقالته وقطع علاقته بالنظام. معارض لنظام صدام حسين ومعارض للخيار الأميركي لبعض المعارضين. في الفترة الأخيرة من إقامته في عمان اتصل حسين كامل بالعلي الذي زاره وأمضى معه عشرة أيام كاملة قبل عودته الى العراق في ٢٠ شباط فبراير ١٩٩٦ ومقتله. وافق العلي مشكوراً على المشاركة في سلسلة "يتذكر". ورأيت البدء باعترافات حسين كامل في عمان لعلاقتها بالتطورات الحالية...

الحلقة الأولى: حسين كامل واسراره

قال صلاح عمر العلي، السياسي العراقي المعارض والعضو السابق في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث، ان حسين كامل أكد له مقتل الأسرى الكويتيين بعد أيام من اعتقالهم وان الرئيس صدام حسين خطط لاجتياح الكويت مجدداً في ١٩٩٢، مشيراً الى أن نجاة الأسرة الكويتية الحاكمة حرمت الغزو العراقي في ١٩٩٠ من ورقة شطب الشرعية الكويتية راجع ص ١٥.

وكان العلي يتحدث في اطار سلسلة يتذكر وتنشر "الحياة" حوارها معه على حلقات بدءاً من اليوم، يتناول فيها مشاركته في الاستيلاء على السلطة في ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨ والصراعات والتصفيات التي رافقت صعود صدام وتفرده بالقرار.

وأطلع العلي "الحياة" على حصيلة عشرة أيام كاملة أمضاها في عمان مع حسين كامل قبل عودة الأخير الى بغداد في ٢٠ شباط فبراير ١٩٩٦ ومقتله.

وخلال اللقاءات أكد حسين كامل الذي تولى حقيبتي الدفاع والتصنيع العسكري أنه لم يسلّم الأميركيين أسراراً تؤذي بلاده. وقال انه رفض، في لقاء مع الـ"سي آي إيه"، عرضاً بدعمه في مقابل موافقته على فيديرالية كردية - سنية - شيعية وتزويد واشنطن اسماء الضباط الذين سيتعاونون معهم لإطاحة النظام.

ونقل العلي عن حسين كامل أن البرنامج النووي العراقي توقف عملياً بعد قصف اسرائيل المفاعل العراقي في ١٩٨١، وأن ما بقي لدى العراق من أسلحة الدمار الشامل لا يشكل تهديداً. وقال ان علاقات حسين كامل بالسلطات الأردنية تدهورت الى حد أنه شعر بالاختناق. ونقل عنه قوله انه يفضل وضع عنقه تحت دبابات صدام على التحول عميلاً.

وتحدث العلي عن حزب البعث وتجربة ١٩٦٣ الدامية والأدوار في الاستيلاء على السلطة وعلاقة صدام بالرئيس أحمد حسن البكر والمؤامرات والاعدامات واختراق الموساد أجهزة الأمن العراقية. كما تحدث عن رحلته الى البرازيل ونجاحه في اقناع ميشال عفلق، مؤسس البعث، بالعودة الى بغداد وخيبة الأخير من صدام لاحقاً. وكشف ما دار في حوار بينه وبين الرئيس العراقي في ١٩٧٩ في هافانا، قال صدام فيه: "سأكسر رأس الايرانيين واسترجع كل شبر".

نص الحلقة الأولى

< التقيت حسين كامل في عمّان؟

- نعم التقيته بعد فترة طويلة من مغادرته العراق. الحقيقة أنه ألح مراراً أن نلتقي. في النهاية توجهت إلى عمّان وعقدت معه جلسات عدة، وهناك شهود أحياء على ما دار فيها.

بعد استقالتي في ١٩٨٢، وكنت في منصب المندوب الدائم للعراق لدى الأمم المتحدة، أخّر صدام إعلان الاستقالة، وأوفد إلي حسين كامل الذي زارني في نيويورك. يومها قال لي إن الرئيس يريدك أن تطوي الاستقالة بأي ثمن وهو على استعداد لاعطائك موقعاً رسمياً والتجاوب مع ما تطلبه. وأضاف ان العراق في حرب مع إيران ونخشى أن يستغل الإيرانيون استقالتك ضد النظام والبلد، فأنت عضو سابق في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب ووزير سابق. دعنا نعالج هذه المسألة والرئيس مستعد لأي حل يرضيك.

الواقع أن قراري كان نهائياً ولم أكن اثق بوعود صدام الذي كان يقود البلاد إلى كارثة.

قال لي حسين كامل في عمّان ما برّر مخاوفي السابقة. ذكر ان صدّام عنفهم أكثر من مرة قائلاً: فشلتم في إقناع صلاح عمر العلي في العودة. لا أطلب منكم سوى اقناعه بالعودة إلى متر واحد من الأراضي العراقية ثم اتركوا المسألة لي. وتكرر هذا الحديث أكثر من مرة. والمسألة واضحة كان يريدني أن أعود إلى متر واحد خاضع لنفوذ أجهزته ليتمكن من تصفيتي.

أسباب مغادرة حسين كامل

< ماذا قال لك حسين كامل عن أسباب مغادرته؟

- روى ملابسات خروجه من العراق. قال إنه يعتبر نفسه بمثابة أعمى في المرحلة السابقة على المرحلة التي بدأ يكتشف فيها حجم الضرر الذي ألحقه النظام بالعراق وشعبه. وأضاف انه اكتشف الحقيقة متأخراً ومفادها أن الحكم ظالم ومجرم بحق الشعب والأمة. وقال: بدأت أنا حسين كامل أشعر بعذاب الضمير وبإثم كبير، لأنني كنت أداة من أدوات هذه السلطة. قال إنه شاهد وعايش ورأى حجم الخسائر البشرية والمالية. وان عذاب الضمير دفعه إلى التفكير بالأرامل والأيتام والظلم الذي لحق بكثيرين ووجد نفسه يفكر في مستقبل العراق وأطفاله إذا ما استمر النهج الحالي طويلاً.

أنا هنا أورد ما قال ولا أريد أن أوكد صحة المشاعر أو نفيها. حسين كامل شخص من العائلة. قربه صدام وأعطاه كل شيء.

مجرد نموذج

جندي عادي في المرافقة دفعه الى اعلى الرتب ومنحه رتبة فريق. عيّنه وزيراً للدفاع ووزيراً للتصنيع العسكري اي في الهيئة التي انفقت ملايين وبلايين من اجل بناء الترسانة العسكرية. ثم انه صهر الرئيس وكان الاقرب اليه على مدى سنوات كان فيها اقرب الى صدام من عدنان خير الله وزير الدفاع وشقيق زوجة الرئيس ورفيقه في بيت خاله خير الله طلفاح.

ولعل حسين كامل مجرد نموذج لهؤلاء الشبان اللذين جاء بهم صدام من قريته. شبان يفتقرون الى الكفاءة العلمية وجدوا انفسهم فجأة في مواقع حساسة وسط بهرجة المواكب والحراسات وفي تصرفهم موازنات هائلة وقدرة على التأثير في مصر الارزاق والاعناق في مقابل ولائهم الكامل للرئيس القائد.

حسين كامل شاب بسيط. لا يعوزه الذكاء الفطري لكن تنقصه المعارف العلمية والخبرة التي لا يمكن اكتسابها الاّ بالتدريج. شجاع الى حد الافراط والتهوّر. الغلبة في شخصيته للبدوي.

الصدام مع عدي

< لنعد الى ما قاله عن نفسه؟

- قال ان معاينته للتدهور الحاصل ولّدت لديه قدراً كبيراً من التوتر الدائم. الرئيس لا يقبل اي ملاحظة او مراجعة ولا يتسامح حيال اي اعتراض. الاستمرار في الصمت يعني ترك البلاد تنزلق الى الهاوية. واضاف: صار التوتر هو السمة الغالبة لسلوكي في تعاملي مع الآخرين بمن فيهم عدد من المسؤولين. لم أعد قادراً على الاحتمال. وهنا وقع الصدام مع عدي نجل الرئيس.

< ما سبب الصدام؟

- لم يذكر التفاصيل بدقة وأغلب الظن انها تراكمات. قال ان الصدام كان عاصفاً وانه بسبب وعيه لما يجري دفعه الى النهاية. واختار مغادرة العراق، بحثاً عن فرص جدية للعمل ضد هذا النظام. واضاف: انا الآن اريد ان أُجنّد نفسي وإمكاناتي وتجربتي وعلاقاتي وكل ما عندي من اجل انقاذ العراق والأمة من هذا الحكم كي أُبرّئ نفسي امام ضميري وأمام

التاريخ ايضاً. أعطاني الحكم كل شيء الموقع والامكانات والنفوذ، لكن ضميري منعني من الاستمرار على رغم المكاسب التي كانت في تصرفي.

مشكلة حسين كامل

بدا حسين كامل متحمساً في ما يقول. لكن شخصية صاحب هذا الموقف كانت مشكلة. شخص بسيط اقرب الى الأمية. ذكي وشجاع لا يعرف معنى الخوف لكن أفقه السياسي محدود. طبعاً كانت هناك مشكلة في صورته لدى الآخرين. رجل من الحلقة الصغيرة حول الرجل الممسك بالقرار. تربطه بالرئيس صلات القربى والمصاهرة. رجل دفعه النظام الى أرفع المواقع واكثرها حساسية ووضع تحت يده اكثر الملفات خطورة، ثم وبين ليلة وضحاها يغادر البلاد ويقدّم نفسه في صورة المعارض. لم تكن لديه سعة الأفق. لم يطّلع على التجارب ويدرسها. صعد في الماكينة بدفعات مفاجئة وكبيرة.

الصدام مع الأردن

< ما هو مأخذه الحقيقي على صدام؟

- هنا لا بد من ملاحظة. عقدنا جلسات عديدة وكثيرة وتناولنا الطعام مرات عدة. الحقيقة انه لم يهاجم صدام شخصياً بأي كلمة وكان لا يورد اسمه الا مسبوقاً بالسيد الرئيس وباحترام. كان يتحدث عن النظام ككل ويتهمه بارتكاب جرائم كبيرة ضد الناس. نفّذوا اعدامات وظلموا الناس واستباحوا كل شيء. وكان يردد: للأسف تأخرت في اكتشاف ما فعله النظام بالناس.

كان مصراً في تلك الفترة على بدء العمل من اجل إسقاط النظام لكنه سرعان ما اصطدم مع النظام الاردني. وبسبب قلّة خبرته راح يتحدث عن نظام البلد الذي يقيم فيه بلغة قاسية تفتقر الى الحد الادنى من الواقعية والديبلوماسية. اكثر من مرة شعرتُ انه لا يدرك عملياً انه صار خارج العراق وانه يقيم على ارض اخرى وفي ظل نظام آخر. كان يغضب وكأنه لا يزال في بغداد وصاحب نفوذ وليس كلاجئ لا بد وان يدفع ثمن وضعه الجديد. تعامل احياناً مع مسؤولين اردنيين وكأنه لا يزال مسؤولاً كبيراً في العراق وأرفع منهم شأناً. سرعان ما اصطدم بالاردنيين وبدأت السلطات التضييق عليه.

عندما شعر بضرورة الخروج من الاردن أجرى اتصالات بالسلطات السورية والسعودية. لم يواجه برفض قاطع ومبدئي لاستقباله، لكن لم يكن اي من البلدين مستعجلاً لاستضافته وبالسرعة التي يتمناها. طبعاً الموضوع كان حساساً ومن حق الدول ان تنتظر اتضاح الصورة اضافة الى ان الامر يتعلق ليس فقط بحسين كامل بل ايضاً باثنتين من بنات صدام حسين، وهو عنصر ربما أُخذ في الحساب. الواقع ان شخصية حسين كامل كانت مشكلة للدول والافراد معاً. وضعه معقّد. فهناك من اعتقد ان هذا الرجل الذي شارك في ارتكابات النظام بلغ به الغرور حدّ التطلّع الى الموقع الاول وانه خرج لاسباب شخصية يحاول إلباسها اسباباً اخرى. وهناك من قال ان حسين كامل قد يكون مشروع صدام آخر اذا وصل الى السلطة.

غزو الكويت

< هل تحدث عن غزو الكويت؟

- نعم واعتبره خطأ ارتكبه النظام. كانت فكرة الغزو سراً بين ثلاثة اشخاص: صدام حسين وحسين كامل وعلي حسن المجيد. لم يقل انه اعترض في حينه. ونحن نعرف ان الاعتراض غير ممكن حين يتخذ صدام حسين قراراً. الاعتراض مكلف للغاية ولصدام هالة تمنع المحيطين به من لفته الى المخاطر او احتمال ان لا يكون مصيباً في ما يتطلّع اليه.

عندما التقينا دان غزو الكويت إدانة شديدة واعتبره كارثة. ما استوقفني هو تأكيده وبشكل قاطع ان صدام خطّط فعلياً لاجتياح الكويت مجدداً في ١٩٩٢. اكد ان صدام خطّط للعودة الى الكويت وتوقف عن التنفيذ بسبب الانذار الاميركي.

الأسرى الكويتيون

< هل سألته عن الأسرى الكويتيين؟

- نعم سألته اكثر من مرة. وكان جوابه التالي: من أُطلق في البداية أُطلق ومن بقي تمت تصفيته. لا وجود في العراق لأسرى كويتيين. تمت تصفيتهم من الايام الاولى. كل محاولة للعثور على اسرى كويتيين لدى العراق بلا نتيجة.

مقتل عدنان خيرالله

< ومصرع عدنان خيرالله بسقوط طائرة الهليكوبتر التي كان يستقلها؟

- أقسم حسين كامل ان لا اساس ابداً لما يتردد عن انه كان وراء زرع متفجرة في الهليكوبتر. قال: "ان هذه الرواية مجرد تلفيق. الأمر كان حادثاً عادياً. ملف التحقيق موجود لدى صدام حسين. مات عدنان خيرالله في حادث قضاء وقدر وبسبب العاصفة". في الحقيقة ربما لم

تكن لحسين كامل علاقة، لكن انا شخصياً لست مقتنعاً بأن عدنان خيرالله قتل في حادث عادي. اعتقد ان صدام كان وراء إزاحته بسبب رصيده في الجيش.

اسلحة الدمار

< واسلحة الدمار الشامل؟

- سألته عنها اكثر من مرة. كان يجيب ان قسماً كبيراً منها دُمّر على أيدي لجان التفتش. اما القسم الذي بقي فلم يعد مجدياً وقابلاً للاستخدام ودمّرته السلطة. واذا بقي قسم صغير من اسلحة الدمار الشامل فهو لا يعني شيئاً ولا يشكّل خطراً.

< والبرنامج النووي؟

- سألته عما اذا كانت لدى العراق القدرات العلمية التي يحكى عنها. فأجاب: نعم لدى العراق قدرات وعلماء. انا تركت العراق بعدما تمكنّا من تصنيع قمر اصطناعي كامل. وقد طلبنا من الامم المتحدة ان تأذن لنا بإطلاقه. نجحنا في تصنيع قمر على رغم كل الدمار الذي لحق بمصانعنا وامكاناتنا وعلى رغم ظروف الحصار.

< هل كاد النظام ينتج قنبلة نووية؟

- لا. قال حسين كامل ان البرنامج النووي لم يعد شيئاً جدياً. بعد قيام اسرائيل بضرب المفاعل في ١٩٨١. كانت لدى العراق كمية محدودة من الاورانيوم لكن صناعة القنبلة النووية تحتاج الى مواد يصعب

الحصول عليها والى تجهيزات هائلة وضخمة لا يمكن اخفاؤها. اسلحة الدمار الشامل الاخرى اكثر سهولة. الموضوع النووي معقّد. واعتقد بأن الرجل كان يعرف هذه المسائل.

بين صدام وعدي

< هل حمّل صدام شخصياً مسؤولية ما حصل في العراق؟

- نعم. فصدام هو صاحب القرار وما يقدم عليه اولاده وما تقوم به الاجهزة وما يرتكبه المقرّبون يلقي في النهاية بالمسؤولية على الرجل القادر على منع ذلك اذا كان معارضاً.

< هل كان يكره عدي؟

- هاجمه بشدة مرات عديدة. كان يعتبره الرمز السيئ ويطلق عليه لقب "الشره". قال ان عدي قام، وبشكل منظّم ومتعمّد، بنهب اموال الكويتيين عن طريق لجان كلّفها السفر لاحضار الذهب والسيارات الفارهة التي كانت في حوزة العائلات الكويتية الثرية. كان يقول ان عدي جائع مزمن لا يعرف معنى الشبع. امتلك الدنيا ولا يزال يتصرّف كجائع.

استوقفني انه كان يحمل بشدة على عدي وممارساته لكنه لم ينتقد شقيقه قصي ولو مرة واحدة.

< كان شديد الانزعاج من السلطات الاردنية في تلك الفترة؟

- نعم. حاولت مرات ان أُفهمه ان عليه التصرّف كلاجئ في دولة اخرى. لم يستطع.

معلومات مهمة للاميركيين

< ماذا عن المعلومات التي اعطاها للاميركيين؟

- سألته اكثر من مرة وبشكل مباشر وبإلحاح. نفى نفياً قاطعاً وأقسم انه لم يعط للاميركيين اي معلومات يمكن ان تساعدهم على ايذاء العراق. وقد أكد خبير روسي عمل مع المفتشين والتقى حسين كامل ان الاخير لم يعط الاميركيين معلومات بالغة السرية.

قال حسين كامل انه استقبل وفداً من وكالة الاستخبارات المركزية الـ"سي آي ايه" وتحدث الى اعضائه. لكنه شدّد انه لم يزوّد الاميركيين ما يمكن ان يؤذي البلد. وقال: خرجت من العراق للعمل من اجل تغيير النظام. لم أخرج لأتحول اداة في يد اي جهة اجنبية. انا لا يمكن ان اكون عميلاً.

رفض الفيديرالية

< هل وعده الاميركيون بشيء؟

- قال ان الاستخبارات الاميركية عرضت عليه وبدعم من جهة عربية ان تدعمه في خطته لتغيير النظام في العراق، اذا وافق على ان يعيش العراق ما بعد صدام في ظل نظام فيديرالي كردي . سني . شيعي، اي ثلاث فيديراليات. قال: لم أرفض هذا الموضوع فقط بل قلت انني غير مستعد حتى للسماع به. انا لا يمكن ان اكون اداة لتفتيت العراق وإلحاق كارثة به. انا خرجت بهدف تغيير النظام واصلاح الامور وأفتح الطريق امام حياة جديدة للشعب والبلد. انا لا يمكن ان أساهم في تقسيم العراق وأجلب العار لاسمي وعائلتي ووطني.

< هل هاجم علي حسن المجيد؟

- نعم أبدى مرات عدة امتعاضه من تصرفاته. في النهاية علي حسن المجيد هو من أشرف على قتل حسين كامل.

< لم يلفظ ألفاظاً قاسية في وصف صدام حسين؟

- لم يستخدم مثل هذه الالفاظ ولم يسمح للحاضرين باستخدامها. يجب ألا ننسى ان صدام هو الذي صنعه وانه والد زوجته ايضاً. أذكر انه في احدى الجلسات وكان حاضراً ابن عمه عز الدين، وهو ضابط في الحرس الجمهوري خرج معه، وكان الحديث يدور حول صدام. عز الدين شخص محترم وقليل الكلام. كنا على الغداء وكلما مرّ اسم صدام على لسانه كان حسين كامل يقول السيد الرئيس. وعز الدين صامت. فجأة انفعل عز الدين وقال له: "السيد الرئيس؟" أجابه: "طبعاً". فقال عز الدين: "والله لو أمسكت السيد الرئيس هذا لأفرم رأسه بالماكينة التي تفرم اللحم. انه مجرم. عن اي السيد الرئيس تحكي. ماذا فعل بنا". رد حسين كامل: "هذه قناعتك وأنا قناعتي شيء آخر".

خطف أمير الكويت

< هل تحدث ان خطة غزو الكويت كانت تتضمن خطف أميرها؟

- نعم كانت الخطة تقضي بإلقاء القبض في الساعات الاولى على الأسرة الحاكمة لانهاء الموضوع مرة واحدة. اعتبر حسين كامل ان الفشل في ذلك كان ابرز نقطة ضعف في التنفيذ. قال ان الخطة كانت تقضي بإزالة الشرعية الكويتية المتمثلة في الاسرة الحاكمة.

في هذه النقطة يبدو ان صدام كان يفكّر بما حدث في العراق العام ١٩٥٨ حين أدى القضاء على العائلة المالكة الى انهاء شرعية النظام.

< هل تحدث عن ان السعودية كانت الهدف المقبل بعد الكويت؟

- في هذه النقطة بالذات نفى حسين كامل نفياً قاطعاً ان تكون خطة الغزو تضمنت اي شيء يمس السعودية. قال ان الموضوع لم يُطرح . وان ما أُشيع عن ذلك لا اساس له من الصحة على رغم كل ما قيل عن تحريك دبابات. شدّد مرات ان الخطة الاصلية لم تتضمن اي بند يقول بدخول الاراضي السعودية.

خطة إطاحة صدام

< هل كان يتوقع سقوط نظام صدام سريعاً؟

- لا. كان يقول ان النظام قوي. لكن حسين كامل كان يتحدث بلهجة الواثق. كان يراهن على قدرته على اجتذاب الحرس الجمهوري ويقول: "هذا الحرس انا شكّلته ضابطاً ضابطاً وجندياً جندياً. أنا أتيت بهم ودرّبتهم وأعرفهم وأعرف انهم في اللحظة الحاسمة لن يترددوا في الانضمام الى التغيير". في الوقت نفسه كان يراهن على عدد من كبار الضباط من أقاربه.

< هل حكى لك عن خطته؟

- نعم. قال حين تتوافر له مستلزمات الترك ينوي التوجه الى قاعدة H٣. وهي قاعدة جوية قريبة من الحدود الاردنية. بمعنى ان يسيطر على هذه القاعدة ثم يدير معركته ضد النظام انطلاقاً منها. سألته ماذا سيفعل حين يرسل صدام قواته لمواجهته. فأجاب: "انا اريد الاستيلاء على

القاعدة وأريد ان يحرّك صدام القوات، وأنا واثق ان القوات التي سيحرّكها ستبدّل ولاءها وسأتمكن من استخدامها او استخدام قسم كبير منها في الزحف على بغداد".

الغريب ان حسين كامل كان يتحدث بثقة عالية بنفسه وبقدرته على التأثير على ضبّاط الحرس الجمهوري.

< ماذا اعطى للـ"سي اي ايه"؟

- قال ان البحث تركّز على التعاون وانه حرص على عدم البوح بأي شيء يؤذي البلد. واكد ان التفاهم لم يحصل. واعطى مثلاً على ذلك: "لدى طرح فكرة التعاون طلب الاميركيون ان أبلغهم بأسماء الضباط الذين اعتمد على تعاونهم معي في عملية التغيير. فقت لهم ان لا مصلحة في دخولكم في هذه التفاصيل. الضباط انا اعرفهم وأعرف مواقعهم وتاريخهم. لا مصلحة لأحد في كشف الاسماء. انا اقترح ان تدرسوا الخطة واذا اقتنعتم ووافقتم على التعاون عندئذ يمكن ان نبحث في التفاصيل.

< هل التقى اسرائيليين خلال اقامته في عمان؟

- نفى ذلك بصورة قاطعة مرات عدة. انا لا اعتقد ان نظرته الى نفسه ودوره وكذلك قناعاته وأفكاره تشجعه على عقد لقاء مع الاسرائيليين.

في اي حال سرعان ما تدهورت علاقاته مع السلطات الاردنية. أذكر انه جاءني ذات يوم الى الفندق ليبلغني ان مشادة وقعت بينه وبين ولي عهد الاردن آنذاك الأمير حسن. كان يتكلم كمجنون. قال سأضع حاجياتي في سيارة واتوجه الى الحدود السعودية. فقلت له ما هذا التصرّف. هذه

دولة وهناك قواعد وأصول. قال ان الحديث مع الأمير حسن كان قاسياً. واضاف: "انا لا اريد ان اكون جاسوساً وأدمّر ما بقي من العراق".

بعدها بدأ الاخوان في الاردن في التضييق عليه. وفهمت انه كان شبه مختنق في الايام الاخيرة التي سبقت عودته الى العراق.

الحقيقة انه لم يعثر على مكان يمكن ان يستضيفه، ويعمل انطلاقاً منه. سمعت لاحقاً انه حاول التوجه الى بلد اوروبي لكنه لم ينجح.

< كم مرة التقيته خلال زيارتك لعمان؟

- ربما نحو عشرين مرة. كانت اللقاءات يومية واكثر من مرة في النهار الواحد. ذهبت من اجل هذا الموضوع.

< لماذا رأيته؟

- بناء على إلحاحه. قال لي على الهاتف: "أنا بأمس الحاجة لمجيئك وأرجوك ان تأتي". أردت ان أسمع منه وعن البلد. في البداية لم أذهب. ذهب كثيرون. أنا لم اتصل به على رغم تدخل اصدقاء. في النهاية اتصل وألحّ.

< هل أكد لك مقتل الأسرى الكويتيين؟

- قال ان من لم يُفرج عنهم قتلوا منذ الايام الاولى. اي محاولة للبحث عنهم ستكون عبثاً. قلت له ان عراقيين يتصلون بالكويتيين ويزعمون ان لديهم معلومات عن أحياء ويطلبون اموالاً. فكرر حسين كامل إجابته، وقال ان مزاعم البعض انه يجري نقل الأسرى من سجن الى آخر غير صحيحة. لا وجود للأسرى.

صدام لن يستسلم

< لنعد الى صدام، يقولون انه يعيش هاجساً امنياً دائماً؟

- نعم واكثر من اي شخصية اخرى حكي عن هاجس الامن لديها. حسه الامني عال جداً وهو نتيجة ظروف نشأته وحياته. منذ الطفولة كانت حياته قاسية ويعتبر القوة الضمانة الوحيدة. ولد في قرية تتميز أطباع أهلها بالشراسة. باكراً شعر انه مهدد وان عليه ان يكون عنيفاً ليحمي نفسه. اما اسلوب تغيير مقرات الاقامة والافلات من المترصدين به فهو اسلوب ينم عن عبقريته في هذا المجال. حالياً هناك اجهزة استخبارات تحاول اصطياده وهناك أطراف تحاول ان تثأر منه. وعلى رغم ذلك يتعذر على الجميع الوصول اليه.

< مسدسه دائما معه؟

- المسدس رفيقه الدائم.

< وينقلون عنه انه يحتفظ لنفسه بالرصاصة الاخيرة!

- ممكن جداً. فأنا اعتقد ان استسلامه شبه مستحيل. لا يمكن ان يترك نفسه يسقط أسيراً. بحسب معرفتي ببنائه الشخصي وتربيته أقول ان من الصعب ان نراه أسيراً يمثل امام محكمة دولية.

< هذا يعني انه سيقاتل الى آخر لحظة؟

- يقاتل او ينتحر.

قصي الوريث

< هذا يعني انك تتوقع حرباً؟

- نعم.

< وسقوط نظام صدام؟

- لا فرص لدى النظام للاستمرار في حال اندلاع حرب.

< من هم الأقوياء في النظام العراقي حالياً؟

- قوي وحيد اسمه صدام.

< وفي حال غيابه؟

- خارج الحرب ربما يكون نجله قصي الوريث. قصي هيمن منذ أعوام على كل الأجهزة الأمنية التي كان يديرها صدام. منابع القوة في يده: المؤسسة الامنية والمؤسسة العسكرية.

< ما هو دور سكرتيره عبد حمود؟

- انه من عائلة صدام. شخص خطير يستحق ان يُسأل عنه.

< من أين تأتي خطورته؟

- من صمته، في الوقت الذي يعتقد بأنه طموح جداً على رغم تواضع امكاناته التعليمية والثقافية. منحه صدام رتبة فريق.

< وعزة ابراهيم؟

- دور اي موظف في القصر الجمهري اكبر من دوره.

< وطه ياسين رمضان؟

- الشيء نفسه. هنا يجب الانتباه الى ان عزة ابراهيم الضعيف يصبح قوياً حين يعطيه صدام من قوته، والأمر نفسه بالنسبة الى طه ياسين رمضان ومسؤولين آخرين.

< كيف تقدر شعبية صدام حسين في تكريت حالياً؟

- اشك في ان تكون له شعبية كبيرة حتى داخل اسرته الكبيرة والعشيرة. يجب ألا تنسى ان عمليات القتل تترك جروحاً وتولد كراهية. انا من تكريت واستطيع الجزم ان صدام مرفوض فيها بشكل قاطع، لكن الناس لا تجرؤ على كشف مشاعرها. هل سمعت مثلاً ان شاعراً من تكريت امتدح صدام في السنوات الاخيرة ام ان مغنياً من سامراء غنّى له؟

< افهم انك تستبعد تماماً احتمال تخلي صدام عن السلطة؟

- اعتقد ان صدام لا يفكر ولو للحظة بخيار من هذا النوع. فكرة اللاجئ لا يمكن ان يقبلها. هذا ما أعتقده.

< هذا يعني ان خياره هو القصر او القبر؟

- هذا المصطلح دقيق جداً ويعبّر عن حالة صدام حسين.

الحلقة الثانية: عودة البعث الى السلطة في ١٩٦٨

في ١٩٦٤ طلبت قيادة البعث من صلاح عمر العلي ان ينتظر تعليمات سينقلها اليه شاب اسمه محمد. وفي الوقت المحدد حضر الشاب النحيل وقال انه محمد، لكن لهجته فضحته فأقرّ انه صدام حسين. بعد وقت قصير سيلتقي الرجلان في القيادة القطرية للحزب وسيكونان معاً بالثياب العسكرية في عملية اسقاط القصر الجمهوري وطرد الرئيس عبدالرحمن عارف في ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨.

وسيدخلان معاً بالرشاشات الى مكتب الرئيس احمد حسن البكر في ٣٠ من الشهر نفسه لإرغام رئيس الوزراء عبدالرزاق النايف على التوجه مباشرة الى طائرة نقلته الى المنفى. وهكذا اكتملت سيطرة "البعث" على السلطة.

في هذه الحلقة يتحدث صلاح عمر العلي العضو السابق في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية عن مجريات عودة البعث الى السلطة. كما سيتحدث عن شاب في "غاية الأدب واللياقة والاحترام... رجل جاد وانسان شجاع وحاذق" اسمه صدام حسين نجح في تلك الفترة في اخفاء جوعه العميق الى السلطة.

نص الحلقة الثانية

< ماذا تعرف عن نشأة صدام حسين وبداياته في تكريت؟

- صدام حسين من مواليد قرية العوجة التي تبعد حوالى تسعة كيلومترات عن تكريت المدينة التي ولدت فيها. يقال انه من مواليد ١٩٣٧. ولا مبرر للاستغراب ان كان من الصعب تحديد الشهر واليوم. ففي تلك المرحلة كانت العائلات تتأخر في تسجيل أبنائها في الدوائر الرسمية ويضيع الموعد الدقيق للولادة. أنا حاولت ان اسأل أمي عن تاريخ ولادتي بدقة فلم تستطع أن تتذكر على رغم انني من مواليد المدينة ومن عائلة كانت ظروفها مقبولة. هنا يجب أن أقول ان سيرة صدام تعرضت لأكثر من تشويه. فهناك الروايات الرسمية التي سعت الى تلميع بدايات الرجل ونسبت اليه ما لم يكن موجوداً. وهناك روايات الخصوم التي حاولت أحياناً أن تلصق به ما لم يفعله أو ما لم يثبت أنه فعله.

ولد صدام في عائلة فقيرة. والده كان شبه فلاح ويعمل حارساً في بعض الأوقات. من عرفوه يذكرون أنه كان انساناً بسيطاً. توفي الرجل قبل أن يبلغ نجله الثالثة. وهكذا رأت صبحة، والدة صدام، نفسها وحيدة مع نجلها. امرأة شابة وتريد أن تعيل طفلها في ظروف من الفقر ووطأة التقاليد. تزوجت صبحة من ابراهيم الحسن وانجبت منه من عرفوا لاحقاً كاخوة غير أشقاء لصدام مثل برزان ووطبان وسبعاوي.

< كيف تعامل ابراهيم الحسن مع الصغير؟

- الذين عرفوا ابراهيم الحسن يقولون انه صاحب شخصية شريرة لا حدود لمشاعر القسوة فيها. لم يحمل ابراهيم أي مشاعر ود لابن صبحة. عامله بعداء مفرط وكان يضربه بلا رحمة على رغم صغر سنه. ربما هنا

يمكن تفسير بعض ملامح صدام. ولد في قرية يمتاز أهلها بالقسوة ويحتكمون الى القوة لتصفية الخلافات بينهم. قرية فقيرة، غياب الكهرباء يزيد ليلها قسوة. وصبي يتيم يعامله زوج والدته بالتهديد والضرب المبرح. ولعل الصغير استنتج ان العالم لا يرحم وأن على المرء أن يكون قوياً ليدفع الأذى عنه أو أن يكون قوياً الى درجة مبادرة الآخرين بالأذى. وثمة من يقول ان الصغار كانوا يسخرون من الولد اليتيم ويضربونه الى حد انه اقتنع بأن عليه ان يقتني دائماً ما يساعده على رد الهجمات، بدءاً من السكين وصولاً الى المسدس الذي جعله صدام رفيقه الدائم حتى اليوم.

صدام في بيت خاله

< وهذا ما دفع صدام الى الفرار الى بيت خاله خيرالله طلفاح؟

- قد يكون اختار الفرار من جحيم ابراهيم الحسن. وقد تكون صبحة شجعته على ذلك لتتفادى رؤية زوجها ينهال بالضرب على ابنها. هنا لا بد من كلمة عن خيرالله طلفاح الذي لا يمكن فهم شخصية صدام من دون التوقف عنده. كان ضابطاً في الجيش واعتقل لدى حصول ثورة رشيد عالي الكيلاني لمدة أربع سنوات. وتختلف الروايات حول أسباب اعتقاله. هناك من يقول انه اعتقل لأنه كان مشاركاً. ويقول فريق آخر انه اعتقل لأنه ادعى انه صاحب دور. وأنا أميل الى هذا الرأي. بعد اطلاق سراحه سكن خيرالله طلفاح فترة في تكريت وعيّن مديراً لمدرسة متوسطة أهلية مدة عامين ثم رجع الى بغداد ليمضي فيها غالبية أيام حياته.

< يقال ان صدام لجأ الى بيت خاله وكان في التاسعة ولم يدخل المدرسة بعد؟

- اعتقد بأنه كان أكبر من ذلك. الأكيد ان صدام دخل المدرسة الابتدائية في تكريت. كان خالي سعيد عبدالفتاح مدرساً فيها وهو لا يزال حياً. سألته فقال ان اسم صدام موجود في سجلات المدرسة وأكد انه كان من الطلاب الأذكياء ويعتبر من المتفوقين.

< لماذا صدام حسين التكريتي وهو من العوجة؟

- تكريت من أقدم المدن العربية. مدينة قديمة للغاية. ابان الفتح الاسلامي كانت تسكن تكريت ثلاث قبائل: التغالبة والنمر واياد، وهي قبائل عربية. في الوقت الحاضر تضم مدينة تكريت ثلاث عشائر هي: التكارتة وهم أهل المدينة، والبوناصر التي جاء منها أحمد حسن البكر وصدام حسين وخيرالله طلفاح، والحديثية الذين جاؤوا من مدينة حديثة القريبة من الحدود السورية. صدام من عشيرة البوناصر وهم من ضاحية المدينة ومسكنهم الحقيقي في العوجة وفي الغالب لا ينطبق عليهم أصلاً لقب تكريتي.

اللقاء الأول

< متى التقيت صدام للمرة الأولى؟

- في ١٩٦٤. انقسم الحزب وكانت كل موجوداته تحت سيطرة المسؤول السابق علي صالح السعدي الذي راح يستخدمها ضد الحزب بما في ذلك اصدار بيانات تهاجمنا. ذات يوم أبلغني فاتك الصافي عضو القيادة القطرية ومسؤولي الحزبي المباشر بالآتي: يجب أن تكون عند الخامسة مساء في اليوم الفلاني في المقهى الفلاني. سيأتيك شاب نحيف أسمر يقود سيارة فولكسفاغن ويعرف على نفسه باسم محمد. المطلوب ان ترافقه في السيارة لأنه سينقل اليك توجيهات من الحزب.

في الساعة المحددة انتظرت في مقهى الأعظمية. أوقف الشاب النحيف السيارة، وقال انه محمد فرافقته. قال الشاب: أخي صلاح، تعرف ان موجودات الحزب هي الآن تحت سيطرة علي صالح السعدي الذي يستخدمها ظلماً ضد الحزب الذي تسبب في انشقاقه. لم يترك لنا مجالاً لخيار آخر. يجب أن نسترجع موجودات الحزب. القيادة تعتقد بأنها موجودة في بيت رصدته ويرجح ان جماعة السعدي تستخدمه كمقر رئيسي. هناك المطابع وأشياء أخرى. وقع الخيار عليك لاقتحام هذا البيت ووضع اليد على الموجودات واعادتها الى الحزب.

وشرح لي الشاب التعليمات المرافقة للتنفيذ خصوصاً اننا في العمل السري. قال: يجب ان تضعوا خطة وتتأكدوا من خلو الدار عند اقتحامها. اذا فوجئتم بوجود أحد في الدار يجب الانسحاب. اذا حصل صدام بينكم وبين رجال داخل الدار الرجاء عدم إيذائهم. عليكم الانسحاب قبل أن تلقي الشرطة القبض عليكم. وسنختار عدداً من الشبان ليكونوا معك في التنفيذ.

ابلغت بالاسماء وتحركنا للتنفيذ ليلاً بعد مراقبة البيت. حملنا معنا مجموعة من المفاتيح لكنها لم تنجح في فتح الباب. لم يكن أمامنا غير الاستعانة بعضلات أحد المشاركين وهو أحد أبطال المصارعة المعروفين في بغداد. ضرب الباب بقدمه فانفتح. عثرنا على الطابعة وبعض قطع السلاح الصغيرة. وفيما نحن داخل البيت حرك شخص مفتاح الباب ودخل فقبضنا عليه ووضعناه في غرفة. وبعد عشر دقائق جاء شخص آخر من جماعة السعدي فاعتقلناه. أخذنا كل الموجودات وغادرنا.

< هل كنت تعرف أصلاً ان محمد هو صدام حسين؟

- لا، لكن عندما راح يحدثني في السيارة ادركت ان لهجته تنتمي الى منطقتنا أي لهجة شمال بغداد. خالجني شعور أنه قد يكون صدام وكانت القاعدة تقضي ان لا نطالب الرفاق بكشف اسمائهم الحقيقية. قررت ان اسأله فأجابني انه صدام. وكان هذا اللقاء الأول.

< ألم تكن سمعت باسم صدام من قبل؟

- بلى. كان اسم صدام تردد في الدوائر الحزبية وخارجها بعد مشاركته في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم وفراره الى سورية ومنها الى مصر، وعودته الى البلاد بعد أيام قليلة من تولي الحزب السلطة في ٨ شباط فبراير ١٩٦٣. وقبل ذلك تردد اسم صدام في حادثة اغتيال في تكريت نفسها يمكن ان نتحدث عنها لاحقاً. كنت سمعت بصدام لكن لم أكن أعرفه شخصياً.

... والانطباع الأول

< ماذا كان انطباعك عنه بعد هذا اللقاء؟

- ان موقفنا الراهن من صدام يجب ألا يدفعنا الى التجني أو تزوير الانطباعات التي كانت. سأحكي بصدق كامل. الانطباع الأول هو أنه رجل جاد وانسان شجاع وحاذق. كان في غاية الأدب واللياقة والاحترام. وتعزز هذا الانطباع لاحقاً عندما التقينا كأعضاء في القيادة القطرية وبعدما تعاملت معه. انطباعي لم يتغير. صدام ذكي وشجاع ومهذب ويوحي بالاحترام. هادئ ويستمع ويشعرك بالاهتمام بما تقوله له. طبعاً أنا أتكلم هنا عن صدام الحزبي قبل تسلّم السلطة وما غيرته في الشخص وطباعه وممارساته.

< يقولون انه كان قليل الكلام في الاجتماعات الحزبية؟

- لا، لم يكن قليل الكلام. كان يتدخل حين يعتبر ان لديه ما يقوله ويتحدث بتهذيب واحترام ومسؤولية.

< هل حصلت صدامات بينك وبينه في الاجتماعات؟

- لم يصطدم لا بي ولا بغيري. كان صدام شخصاً نموذجياً في تلك الأيام. شاب متفرغ كرس جهده للحزب. لا أذكر انه وجه في تلك الأيام كلمة نابية الى عضو آخر أو تسبب له بازعاج. وكان التزامه كاملاً.

< بعض الكتابات تقول ان افتقاره الى الثقافة ولد عقدة لديه؟

- هذا الكلام غير صحيح. يعرف عم يريد أن يتحدث. يتكلم بانسياب وهدوء ودقة ووضوح. يصغي جيداً ويتحدث جيداً وهو قارئ جيد أيضاً.

عودة البعث الى السلطة

< ما هي العوامل التي سهّلت عودة البعث الى السلطة في بغداد في تموز يوليو ١٩٦٨؟

- طبيعي ان يسعى الحزب الى العودة الى السلطة لتنفيذ برنامجه وتطلعاته. بهذا المعنى لم نكن نحتاج الى قرار لأنه موجود دائماً وانما العبرة في التنفيذ، والفرص.

هزت هزيمة ١٩٦٧ المنطقة. وفي ضوء حصولها وذيولها عقد مؤتمر قومي للحزب في لبنان شارك فيه ممثلون عن الحزب من الأقطار العربية المختلفة. وهو مؤتمر مهم. لم أشارك فيه لأن الذهاب الى لبنان كان يحتاج الى تأشيرة. ولم يحضره أحمد حسن البكر أو صدام حسين. شارك الرفاق العراقيون الموجودون في سورية. اعتبر المشاركون هزيمة

١٩٦٧ هزيمة للأنظمة وتركز البحث حول سبل تمكين الشعوب من الرد عليها. وكان الاستنتاج ضرورة اقامة جبهات في كل الأقطار العربية تمهيداً لاقامة جبهة قومية شعبية واسعة وشاملة تتبنى خيار الرد على الهزيمة. أبلغت فروع الحزب بالمقررات هذه. كان علينا أن نسعى الى اقامة جبهة في العراق. لم تكن المسألة سهلة. فقصة البعث مع الشيوعيين معروفة، وتخللتها فصول دامية تركت جروحاً لدى الجانبين. وهناك صراعات أخرى مع قوى أخرى. بعد نقاشات تبين ان علينا ان نحاول. وبدأ حوار مع الشيوعيين والقوى الكردية وأطراف أخرى.

كان الحزب الشيوعي منقسماً بين القيادة التقليدية وهي اللجنة المركزية برئاسة عزيز محمد والقيادة المركزية بزعامة عزيز الحاج الذي انشق عن الحزب. بدأنا حواراً مع اللجنة المركزية ونظمنا لقاءات دورية. حاولنا الاتصال بمجموعة عزيز الحاج فرفضوا باعتبار انهم ثوار ويؤيدون الكفاح المسلح الى ما هناك من هذا الكلام. بدأنا أيضاً الاتصال بكل من الحزب الديموقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني. كان الغرض من الحوار اعادة بناء جسور الثقة وبناء جبهة اذا أمكن وضمان عدم تكرار مأساة ١٩٦٣ في حال حصول عملية تغيير. وقد أدت هذه الحوارات غرضها.

< ما هي الأسس التي اعتمدت في الإعداد لـ١٧ تموز؟

- ناقشنا في اطار القيادة القطرية القضايا التي ستواجهنا في حال نجاحنا في العودة الى السلطة. وكان واضحاً ان القضية الأولى التي سنجد أنفسنا أمامها هي القضية الكردية المطروحة باستمرار أمام النظام العراقي منذ العهد الملكي وحتى الآن. وظهرت قناعة بأن لا حل عسكرياً للقضية الكردية وأن الحل يجب أن يتم بالتفاوض والتفاهم والاتفاق. وبحثنا أيضاً في علاقاتنا بالحركات السياسية العراقية

واتخذنا قراراً بالسعي، بعد نجاح الثورة، الى تشكيل حكومة ائتلاف وطني تضم كل القوى السياسية العراقية أو على الأقل القوى السياسية المستعدة للتعاون. والقراران مهمان جداً.

الاتصال بالعسكريين

< والاستعدادات لانجاح عملية اطاحة النظام ميدانياً؟

- اضافة الى عملنا الحزبي والتنظيمي على الجانبين المدني والعسكري، سعينا الى تحالفات داخل المؤسسة العسكرية خصوصاً مع الضباط الذين يشغلون مواقع حساسة داخل بغداد. كنا نقوم في اجتماعاتنا بعملية جرد لأسماء الضباط المؤثرين داخل المؤسسة العسكرية في بغداد. نطرح الاسم ونستمع الى المعلومات المتوافرة عنه. ما هي ميوله؟ وهل يمكن التعاون معه؟ ومن يستطيع التأثير عليه؟ أم ان الأفضل عدم مفاتحته؟ وعندما كنا نتفق على العمل لاجتذاب ضابط نكلف من يستطيع الاتصال به، واستغرق العمل شهوراً.

< هل يمكن اعطاء أمثلة محددة؟

- نعم. كان سعدون غيدان مسؤولاً عن قوة عسكرية متمركزة في القصر الجمهوري وحوله. موقعه هذا يجعله مهماً لنجاح العملية. ومن دون مشاركته يمكن أن تحصل مواجهة. كلفنا أحد الضباط البعثيين بمفاتحته بالتدريج، ووافق في النهاية. كان هناك ضابط آخر مسؤول عن حماية القصر واسمه ابراهيم عبدالرحمن الداوود. هذا الضابط قوي وشجاع وقومي الاتجاه ولديه ميول دينية واضحة. نقطة ضعفه تأثره الشديد والمفرط بمعاون مدير الاستخبارات العسكرية عبدالرزاق النايف. كان الداوود ينقاد بشكل أعمى للنايف. وقعنا في اشكال.

مشاركته ضرورية لنجاح الخطة، لكن تسرب الخطة الى النايف خطير. ناقشنا الأمر طويلاً وفي النهاية قررنا مفاتحته.

تحدث البكر الى الداوود في محاولة لضمان عدم تسرب الموضوع. قال له ان هذه العملية ترتب مسؤوليات ومخاطر كثيرة علينا وعليك وعلى آخرين. دعنا نضمن بقاء هذا الموضوع سراً بيننا وبينك. أنت رجل متدين، فلنقسم على القرآن ان هذا الكلام الذي أحدثك به لن يخرج الى شخص ثالث، وطبعاً كان البكر يقصد النايف. اقسم الداوود في ١٥ تموز لكنه لم يتردد في ابلاغ النايف. الرجل لا يزال حياً ويقيم في السعودية وباستطاعته التعليق على الواقعة اذا شاء.

مفاجأة النايف

< لننتقل الى عملية التنفيذ؟

- صباح ١٦ تموز أبلغنا زمر التنفيذ المدنية والعسكرية بالصيغة النهائية لمهامها. فكرنا في البداية بتنفيذ العملية في ١٤ تموز لقيمته الرمزية، ثم فكرنا في اليوم التالي لكن اعتبارات عملية اضطرتنا الى التأخير. في ١٦ أخرجنا الأسلحة المخبأة في الأوكار الحزبية ومعها كمية من الملابس العسكرية للتمويه. وفي الثامنة مساء التقينا في بيت البكر في حي علي الصالح على شارع ١٤ رمضان. كان علينا ان نضع اللمسات النهائية بانتظار ساعة التنفيذ عند الثانية والنصف بعد منتصف الليل. وهنا وقعت المفاجأة.

< ماذا كانت؟

- كنا كأعضاء في القيادة القطرية نتداول في آخر الاستعدادات حين طرق الباب. ذهب البكر، فتح ثم عاد حاملاً ورقة صغيرة. فجأة قال

البكر انها رسالة من المقدم عبدالرزاق النايف يقول فيها: لدي معلومات أنكم ستقومون بهذه العملية. أضم صوتي الى صوتكم. أنا معكم وجاهز لتنفيذ أي مهمة وتوكلوا على الله. وقال البكر: هذه الرسالة بين أيديكم اريدكم الآن ان تبحثوا في الأمر وتتخذوا القرار المناسب. كان للرسالة التي حملها ضابط برتبة ملازم يعمل مرافقاً للنايف وقع القنبلة. ناقل الرسالة بعثي من دون أن يدري رئيسه، لكن ذلك لا يقلل من حجم المشكلة. حصل تشاور مع شيء من الارتباك. النايف ضابط قوي وشديد الذكاء وطموح ما يجعل دوره يفوق موقعه. قلبنا الأمر على مختلف الجهات. إذا الغينا العملية من يضمن ان النايف لن يغتنم المناسبة لكشفها وذبحنا تماماً، فهو سيعتبر اننا تحركنا من دون اقتراح باشراكه والغينا العملية لأنه علم بها. بدا واضحاً ان الالغاء سيعني كارثة للحزب. من جهة أخرى ان اشراك النايف يعتبر مغامرة بدوره. كان واضحاً ان الداوود لم يلتزم اليمين الذي اقسمه وادخلنا في ورطة سيدفع ثمنها.

في النهاية قررنا السير في التنفيذ وبعثنا الى عبدالرزاق النايف بالجواب الآتي: تعمدنا عن قصد ودراية عدم ابلاغك والسبب وجودك في موقع حساس وخوفنا عليك. اننا أبلغنا الاخ ابراهيم الداوود كي لا نبلغك مباشرة تجنباً للاحراج واعتبرنا ان هذه الطريقة الأجدى والأنفع وكنا نعرف انه سيبلغك. لقد اتخذنا قرارنا بالسير في العملية وستكون رئيساً لوزراء العراق إذا وفقنا الله.

الواقع اننا اتخذنا قرارين متلازمين: الأول اغراء عبدالرزاق النايف بالمشاركة عن طريق عرض رئاسة الوزراء عليه. القرار الثاني وجوب التخلص من النايف والداوود في أقرب فرصة. ونفذنا العملية.

التنفيذ

< ماذا جرى في الساعات الأخيرة؟

- لا بد أولاً من الاشارة الى أن نظام عبدالرحمن عارف كان معزولاً وبلا قاعدة شعبية. نظام بسيط وهش ومفصول حتى عن الأجهزة الأمنية. على سبيل المثال أقول ان المسؤول عن شرطة النجدة في بغداد كان بعثياً. عبدالرحمن عارف شخص وطني لا غبار عليه لكنه شخص ضعيف ولهذا كانت الحركات السياسية تتسابق ليلاً نهاراً للسيطرة على السلطة. لو كان الرئيس قوياً وممسكاً بالأجهزة الأمنية بقوة لزادت صعوبة التغيير.

هناك مسألة أخذت في الاعتبار في إعداد الخطة وهي اضطلاع الحزب بدور كبير عبر قيادته كي لا نقع في ما حصل في ١٩٦٣ حين كان التنظيم العسكري أقوى من القيادة المدنية واعتبر انه صاحب الفضل الأكبر في الوصول الى السلطة. وزعنا المسؤوليات والمهمات تبعاً للأماكن المستهدفة. وقررنا ان يكون اقتحام القصر الجمهوري من مسؤولية اعضاء القيادة القطرية.

قبل التنفيذ التقينا في بيت عبدالكريم الندى شقيق زوجة احمد حسن البكر. كان عبدالكريم موظفاً في السكة الحديد ويقيم في مبان مخصصة لها قرب الاذاعة في منطقة الصالحية. طبعاً لا داعي الى وصف المشاعر في تلك الساعات الحاسمة. جلسنا في الشقة أعضاء القيادة التسعة، وبينهم البكر وصدام، اضافة الى عدد من الأشخاص بينهم حردان التكريتي على ما أذكر. أي ان رقم الموجودين في الشقة كان أقل من عشرين. وكانت الخطة تقتضي ان يكون الداوود وغيدان في انتظارنا.

< كيف تحركتم؟

- ارتدينا ملابس عسكرية وشارات ضباط. وفي التوقيت المحدد حضرت شاحنة عسكرية فصعدنا اليها واستقل القسم الآخر سيارتين مدنيتين. ووصلنا الى مدخل القصر بثيابنا العسكرية ورشاشاتنا. عند مدخل كتيبة الدبابات كان سعدون غيدان في انتظارنا وفتح باب الكتيبة. انضم إلينا أيضاً عدد من الشبان الحزبيين كنا ارسلناهم سراً للتدرب على استخدام الدبابات. فوجئنا ان الدبابات المرابطة حول القصر حديثة ولم يتمكن هؤلاء الشباب من تشغيلها. صدفة نجح شاب في تشغيل دبابة وراح ينتقل من واحدة الى أخرى فاستكملنا محاصرة القصر.

في مقر كتيبة الدبابات أقمنا مقر قيادتنا. وبادر البكر في الاتصال بعبدالرحمن عارف الذي كان نائماً. بين الرجلين صداقة وزمالة ولقاءات عدة. فوجئ عارف وقال للبكر، وكنا الى جانبه، خير أبو هيثم ما القصة؟ فرد عليه: يا أبو قيس ان قيادة الثورة انجزت مهمتها وسيطرت على كل البلد. باسم قيادة الثورة ندعوك ان تكون عاقلاً ومدركاً للأمور وأن تتحاشى أي محاولة. انصحك ان تسلم نفسك لقيادة الثورة، وفي المقابل لك الأمان الكامل والمطلق والأمر نفسه بالنسبة الى عائلتك. العملية لا تستهدف شخصك. الهدف انقاذ البلاد من مشاكل ربما تترتب على استمرار حكمكم الضعيف وربما تدخل البلاد مجدداً في حمام دم. ارجوك ارجوك سلم نفسك ولا تقم بأي محاولة. كل شيء انتهى وأنت تعرف ماذا أعني.

ليس من السهل على رئيس دولة التجاوب مع دعوة من هذا النوع. حاول عبدالرحمن عارف استكشاف الأجواء فاتصل بعدد من قادة الفرق في معسكرات خارج بغداد ووجد الأبواب مقفلة. بعد نحو عشر دقائق طلبه البكر ثانية وألح عليه أن يسلّم نفسه. وبعد دقائق أجرى معه اتصالاً

أخيراً حازماً وقال له: إذا لم تسلّم نفسك فأنت الذي سيتحمل المسؤولية. مسؤولية حياتك ومسؤولية حياة عائلتك. عندها أوعزنا الى أحد الضباط بأن يطلق فوق القصر بضع طلقات مدفعية. عندما سمع عارف دوي القذائف أدرك ان لا مجال للمساومة فبادر الى الاتصال هذه المرة للتفاوض على عملية التسليم. عندها ذهبت أنا وأنور عبدالقادر الحديثي الى الباب الرئيسي للقصر. خرج عارف فاصطحبناه في سيارة عسكرية صغيرة الى مقر كتيبة الدبابات.

< كيف عومل؟

- كان الرجل خائفاً ومرعوباً. راح يرتجف ويطلق كلاماً مبهماً. ربما لم يكن واثقاً ان سلامته مضمونة. عاملناه باحترام لكن موقفنا لم يبدد قلقه. كنا اتفقنا سابقاً على أن يغادر عارف البلاد إذ لا حاجة لاعتقاله. وبانتظار تحضير الطائرة التي ستقله الى الخارج طرح اقتراح بأخذه الى بيت حردان التكريتي. قاد حردان السيارة وفي داخلها عارف وأنا. كان الرجل قلقاً بالفعل. لم يصدق ان طائرته قيد التحضير. كان يعتقد بأننا نقتاده الى مكان ما لقتله. ولأنني كنت مرتدياً الملابس العسكرية ومسلحاً كان عارف يزداد قلقاً كلما قمت بأي حركة عادية. وعلى مدى الطريق كان يردد ما معناه انه ابتلي برئاسة الجمهورية وأنه نادم على قبولها.

في النهاية أكدنا له ان سلامته مضمونة وأن باستطاعته أن يأخذ معه عائلته وكل ما يحتاجه. وهذا ما حصل صباحاً واعتقد أن الطائرة أقلته الى تركيا.

طبعاً في بداية العملية توجهت مجموعة واعتقلت رئيس الوزراء طاهر يحيى من منزله. وهكذا عاد البعث الى السلطة ومن دون إراقة دماء.

صدام والانقلاب

< كيف تصرف صدام حسين خلال عملية التنفيذ؟

- تماماً كما تصرف الآخرون. ارتدى الملابس العسكرية وحمل رشاشه اسوة بسائر أعضاء القيادة القطرية.

< من كان القائد الفعلي؟

- كان البكر قائد الحزب وهو عسكري معروف ورئيس وزراء سابق. واستطيع الجزم ان العمل كان جماعياً.

< هل كان صدام شجاعاً في اللحظات الحرجة؟

- ان عملنا اليوم لاسقاط صدام يجب ألا يدفعنا الى تزوير الوقائع. يمكن اليوم اتهام صدام بأشياء كثيرة لكن لا يمكن القول انه غير شجاع. صدام رجل اعتاد المواقف الصعبة. شجاعته لا تحتاج الى دليل وقسوته كذلك. يجب هنا أن نتنبه الى مسألة ان العمل الحزبي كان صعباً وشاقاً وأن صدام لم يكن في تلك الفترة نجماً ولم يصادر القرار. استطيع القول انه كان حزبياً وملتزماً قرارات الحزب.

< هناك رواية تقول انه اقتحم القصر بدبابة؟

- أنا أروي بأمانة ما شاهدته وعشته. أما الروايات التي ظهرت لاحقاً فتلك مسألة أخرى.

بعد استلام السلطة

< تسلمتم السلطة فماذا فعلتم؟

- تسلّم السلطة في بلد مثل العراق ليس مسألة سهلة. كان مهماً بالنسبة لنا أن الوصول الى السلطة لم يتسبب في إراقة دماء. وكان هاجس أعضاء القيادة القطرية في الحزب ان لا تتسبب أي ممارسات في تكرار بعض مشاهد ١٩٦٣ حين انقسم الشارع وبدأت المواجهات والتصفيات. الحقيقة اننا نفذنا الوعد الذي قطعناه بأن يكون النايف رئيساً للوزراء على رغم مخاوفنا من علاقاته وطموحه اللامحدود وقدرته على التأثير الكامل على الداوود الذي وعدناه بوزارة الدفاع.

لم يكن هناك أي غموض حول الشخصية الأولى. كان الأمر محسوماً بالنسبة إلينا وهو أن أحمد حسن البكر سيكون رئيساً للجمهورية اضافة الى رئاسة مجلس قيادة الثورة ومنصبه كأمين سر القيادة القطرية. انه أرفع حزبي وشخصية سياسية وعسكرية وبالتالي كان من الصعب المجيء بشخص آخر الى رئاسة الجمهورية. المشكلة كانت في الحكومة اذ كان علينا ان نسند رئاستها الى النايف من دون ان ننسى قرارنا السابق بازاحته في أقرب فرصة. وأخذنا في الاعتبار ضرورة اشراك الآخرين في مجلس قيادة الثورة والحكومة.

هكذا كان بين أعضاء مجلس قيادة الثورة البكر وصالح مهدي عماش وعبدالرزاق النايف وحردان التكريتي وسعدون غيدان.

ولم تضم الحكومة كثيراً من البعثيين. الرئاسة كانت للنايف والدفاع لداوود والداخلية لعماش اما حردان التكريتي ففي رئاسة أركان الجيش.

لم أكن عضواً في مجلس قيادة الثورة غداة ١٧ تموز ولا في الحكومة. والأمر نفسه بالنسبة الى صدام.

اطاحة النايف

عقدنا اجتماعاً للقيادة القطرية لمراجعة بعض القرارات التي اتخذناها سابقاً وبينها قرار ازاحة النايف والداوود. تحدث البكر، وقال: اضطررنا الى اشراك النايف لأنه اكتشف خطتنا وتخوفنا ان يتسبب في ذبحنا اذا تجاهلناه. وعدناه برئاسة الوزراء ونفذنا الوعد وهو لم يغدر بنا ساعة التنفيذ. حين قررنا اشراكه قررنا ايضاً ازاحته في أسرع وقت. لكن اليوم أريد أن أقول ان أحداث ١٩٦٣ بين البعثيين والشيوعيين لا تزال في ذاكرة الناس بسبب ما رافقها من سفك دماء. أخشى إذا أطحنا النايف اليوم ان نتهم بالغدر ويتعزز اقتناع الناس ان التصفيات قادمة. ماذا لو استمر في التعاون معنا؟ وما الذي يدعونا الى الاطاحة به؟ فلنعطه فرصة. كلنا لدينا أخطاء. أنا اقترح ان نستمر في التعاون وإذا وجدنا منه سلوكاً مختلفاً نقرر في حينه. وافقناه وبدأ النايف يمارس عمله رئيساً للوزراء.

بعد أيام دعانا البكر الى اجتماع طارئ للقيادة القطرية. قال تذكرون جيداً ما قلته عن النايف في اجتماع سابق. أنا الآن أدعوكم ان تتحركوا وبأسرع وقت للاطاحة به. سألناه عن السبب فأشار الى تقارير تفيد أن رئيس الوزراء الجديد يتحرك وبسرعة جنونية للاطاحة بحكم الحزب. وقال ان النايف اتصل بعسكريين لتجنيدهم ضد الحزب ولم يكن يعرف بانتماء بعضهم الى الحزب. وأضاف: اسرعوا يا رفاق قبل ان يطيح بنا. هذا كل ما أريد قوله وقبل أن يأتينا الى هذه الغرفة ويذبحنا جميعاً.

سأغادر الآن. اجتمعوا وخططوا للخلاص منه وأنا موافق على ما تقررون.

في اليوم التالي اجتمعنا في منزل صالح مهدي عماش الذي كان وزيراً للداخلية وفي غياب البكر تخوفنا من أن يطبق النايف على الجميع في مكان واحد. وضعنا الخطة واتفقنا على التنفيذ الذي أوكل الى اثنين أنا وصدام. وكانت الخطة تقضي بالتخلص من النايف والداوود أي من رئيس الوزراء ووزير الدفاع.

< ماذا تقول الخطة؟

- كانت لدينا قطعات عسكرية في الأردن. فقررنا أن يذهب وزير الدفاع ابراهيم الداوود لتفقدها على أن نرسل سراً في الوقت نفسه اعضاء من المكتب العسكري في الحزب لاعتقاله وإرغامه على التوجه الى اسبانيا. وفي هذا الوقت ننفذ الشق الثاني من الخطة المتعلق بالنايف وبالتزامن مع ما يجري في الأردن.

< وماذا حصل؟

- في ٣٠ تموز القي القبض على الداوود وارسل عنوة الى اسبانيا. وفي الوقت نفسه تم انهاء قصة النايف. كان من عادة رئيس الوزراء الجديد أن يأتي الى القصر لتناول الغداء. وبعد الغداء يتوجه مع البكر الى مكتب الأخير لتدارس بعض شؤون الدولة. في ٣٠ تموز وبعد الغداء دخلا الى المكتب وكان معهما صالح مهدي عماش. ووفقاً للخطة دخلت وصدام وفي يد كل واحد منا رشاش وطلبنا من النايف أن يستسلم. في البداية كان شرساً وحاول أن يسحب مسدسه فلم يتمكن. بعدها راح يتوسل ويقول أنا لدي عائلة وأطفال.

كان لا بد من استكمال التنفيذ سريعاً. النايف عسكري ورئيس وزراء ولا بد من اخراجه من القصر من دون لفت نظر حراسه. أبلغناه ان عليه أن يخرج وكأن شيئاً لم يحدث وأننا سنقتله لو ارسل الى مرافقيه والعسكريين أي اشارة بحدوث شيء ما. صعد النايف الى سيارة ورافقه صدام الذي كرر له أنه سيقتله إذا أبدى أي مقاومة. خرجت السيارة من باب خلفي للقصر واستسلم النايف لقدره وكانت الطائرة في انتظاره وغادر البلاد.

< حسم الصراع فماذا تغير؟

- صارت السلطة في يد الحزب. أعضاء القيادة القطرية وأنا منهم صاروا أعضاء في مجلس قيادة الثورة. شكلت حكومة جديدة كنت بين اعضائها تولى حمادي شهاب وزارة الدفاع وصالح مهدي عماش وزارة الداخلية اضافة الى كونه نائباً لرئيس الجمهورية. أما صدام فلم يدخل الحكومة. كان عضواً في مجلس قيادة الثورة وفي القيادة القطرية. كان ينتظر فرصته وستأتيه بعد وقت غير بعيد.

الحلقة الثالثة: "مؤامرة عماش" والاختراق الاسرائيلي

يقول صلاح عمر العلي، السياسي العراقي المعارض والعضو السابق في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب "البعث"، ان المأساة بدأت حين انتصرت العشيرة على الحزب. ويروي كيف ضلع الرئيس أحمد حسن البكر في مناورة خطيرة مكنت صدام حسين من انتزاع موقع "الرجل الثاني" ليبدأ منه عملية الزحف على كل المواقع ومصادرة القرار.

لم يخطف صدام منصب "الرجل الثاني" ليقيم فيه الى الأبد. لم يتنبّه أعضاء القيادة الى الاحلام الكبيرة والخطيرة التي يحملها الشاب الذي لن يرحم كل من يعترض طريقه في الدولة والحزب والجيش.

ويروي العلي ايضاً كيف نجحت "الموساد" في اجتذاب طيار مدني عراقي في أحد كازينوهات لندن وضمته الى شبكة اخترقت بواسطتها اجهزة الأمن العراقية. وهي مسألة انتهت بسلسلة اعدامات خلال مشاركة العلي في أرفع دوائر القرار في بغداد.

نص الحلقة الثالثة

< ما هو أبرز حدث وقع في رأيك بين ١٩٦٨ موعد تسلّمكم السلطة والعام ١٩٧٠؟

- انه بلا شك تعيين صدام نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة بعد شهور من تسلمنا السلطة. انه حدث كبير وخطير لأنه غيّر مجرى الأحداث ودفع العراق الى ما عاشه. انه سبب الكارثة.

< كيف حصل ذلك؟

- بعد ٣٠ تموز يوليو أصبحنا أعضاء في مجلس قيادة الثورة بصفتنا أعضاء في القيادة القطرية. وكانت هناك اجتماعات دورية للهيئتين. في الأولى نناقش شؤون الدولة وفي الثانية شؤون الحزب. وكان كل عضو يقترح نقاطاً لوضعها على جدول أعمال مجلس قيادة الثورة ونناقش الأمور بهدوء وروية. ذات يوم طرح تساؤل: في حال وجود الرئيس أحمد حسن البكر خارج البلاد من يحل محله؟ كان لدينا نائب لرئيس الجمهورية، هو صالح مهدي عماش، لكن لم يكن هناك نائب لرئيس مجلس قيادة الثورة. قلنا نناقش هذه الفقرة لاحقاً. ولم نكن نعير المسألة كبير اهتمام ولم نفكر في أن يكون المنصب مهماً.

كان هناك انطباع عام بأن الشخص المؤهل لتولي هذا المنصب هو صالح مهدي عماش. الأسباب موضوعية: عمق تجربته وكبر سنه ودخوله القيادة القومية قبل الآخرين وتوليه حقيبة الدفاع في ١٩٦٣ ثم انه رجل دولة وثقافته عالية ورتبته العسكرية رفيعة. أرجئت مناقشة هذه الفقرة أكثر من مرة، إذ اعتبرت البنود الأخرى التي تمس شؤون الناس أكثر إلحاحاً.

ذات يوم وفي احد الاجتماعات استهل البكر الحديث بالقول: "نحن تسلمنا السلطة وهذا البلد مهم وشهد أحداثاً مأسوية والصورة قاتمة بالنسبة الى الاخوان العرب. أنا أقترح إذا لم يكن لديكم مانع أن نكلف بعض الاخوان جولات عربية يحملون خلالها رسائل من رئيس الجمهورية للقاء المسؤولين وعقد مؤتمرات صحافية. وجدنا الاقتراح وجيهاً، ووقع الخيار على صالح مهدي عماش لبدء جولة في دول المغرب العربي. واقترح البكر أن يقوم مروان التكريتي، بعد عودة عماش، بجولة في دول الخليج العربي.

"مؤامرة" عماش؟

سافر عماش، وبعد يومين دعانا البكر الى اجتماع طارئ لمجلس قيادة الثورة. ومثل هذا الاجتماع لا يُدعى اليه إلاّ في حال وجود خطر أو مؤامرة أو مسألة بهذه الأهمية. وفي بداية الاجتماع تحدث البكر بحسرة وألم، قائلاً انه توافرت لديه معلومات موثوقة بأن صالح مهدي عماش يتآمر على الحزب والثورة ويخطط لإطاحة حكم الحزب وطلب من الحاضرين اتخاذ القرار المناسب.

كان لكلام البكر وقع القنبلة وسرعان ما حصل انقسام واضح بين المجتمعين. وكان هناك فريق يتمسك بالأصول العادية التي تقضي بعدم اتخاذ قرار في غياب المتهم ومن دون الاستماع اليه. واقترحنا أن يعود عماش ونواجهه بالتهمة ونسمع دفاعه وإذا لم نقتنع نتخذ القرار المناسب. الطرف الآخر أصر على ضرورة اتخاذ قرار بالإعدام وكان من أعضائه طه ياسين رمضان وعزة إبراهيم. حاول صدام أن يظهر أنه غير متحمس الى درجة كبيرة لمثل هذا القرار. توتر الجو واحتدم الجدل وتبودلت الإشارات ووصل الأمر الى أن معظم الحاضرين وضعوا أيديهم

على مسدساتهم استعداداً لكل الاحتمالات. الحقيقة أننا اعتبرنا ان المسلسل يمكن أن يبدأ بعماش ثم ينتقل الى الآخرين.

صدام بدل عماش... وبدأت الكارثة

بعد نقاش وصياح تحدث البكر. قال أنا أوافق على تأجيل البت في القرار الى حين عودة صالح مهدي عماش. الفريق الذي كان يدعو الى ارجاء القرار بانتظار عودة الرجل اعتبر ان رأيه انتصر. فرحنا لأن العقل انتصر على التهور والقرارات الهوجاء بعد يومين أو ثلاثة، وكان عماش لا يزال في المغرب العربي. عقد الاجتماع العادي لمجلس قيادة الثورة. بدأنا مناقشة جدول الأعمال الى أن وصلنا الى فقرة تتعلق بتعيين نائب لمجلس قيادة الثورة. قرأ البكر الفقرة وسأل من يحب أن يرشح نفسه. كنا نعتبر أن عماش هو المؤهل، لكن من يجرؤ علي طرح اسم رجل متهم بالعمل على اطاحة حكم الحزب والثورة. كان مجرد طرح اسم الرجل يعني تعريض النفس لتهمة الضلوع معه في المؤامرة المزعومة. فور انتهاء البكر من سؤاله رفع أحد الأعضاء يده وقال أنا أرشح الرفيق صدام. وهذا العضو كان طه ياسين رمضان. تبعه عزة ابراهيم مؤيداً الترشيح. هكذا عُيِّن صدام نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، إذ اكتفينا نحن بالصمت.

هنا يجب الاعتراف بأننا لم نتوقع أن يكون لهذا المنصب دور خطير. اعتبرناه رمزياً وشكلياً ولكن ما حصل هو العكس. فور صدور قرار تعيين صدام بدأت عملية تقاسم السلطة بين صدام والرئيس. هكذا ولد محور يملك السلطة ويحول الآخرين مجرد موظفين. تم اختصار السلطة برجلين. حصلت انتكاسة تمت خلالها العودة الى الحسابات العشائرية والعائلية وأخرج أعضاء مجلس قيادة الثورة وأعضاء القيادة

القطرية للحزب من دائرة القرار. أعتقد أن الكارثة بدأت من هناك. لو بقي صدام عضواً عادياً في القيادة لما ارتكب ما ارتكب.

< وبدأ صدام رحلة الإمساك بالقرار؟

- نعم. انه نائب رئيس مجلس قيادة الثورة وعضو القيادة القطرية للحزب والمشرف على الأجهزة الأمنية.

مؤامرة صدام والبكر

< وماذا حصل بعد عودة عماش؟

- أكدت عودته صحة شكوكنا. اتصل بي البكر وطلب مني أن أستقبل عماش في المطار. ذهبت واستقبلته وقدت السيارة وأجلسته الى جانبي في الطريق الى بيته. قلت له غداً ستحاكم بتهمة التآمر على الحزب والقيادة وعليك أن تجهّز نفسك. فوجئ مفاجأة غريبة. لم يكن على علم بالتهمة ولا باختيار صدام. حدّق بي وكأنه غير مصدق وسألني إن كنت أمازحه. أكدت له أن الأمر جدي تماماً. فكر للحظات ثم طلب مني أن أبلغه إذا كان حصل في غيابه شيء آخر. فكرت، لكن لم يخطر ببالي موضوع اختيار صدام وكأن ذهني بكامله كان منصباً على موضوع عماش. تذكرت كل القرارات إلاّ قرار تعيين صدام، إذ لم نعتبر يومذاك ان المنصب مهم. أعاد عماش طرح السؤال ففكرت ملياً، وتذكرت وقلت له ان الرفيق صدام عُيّن نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة. حدّق بي طويلاً وقال: "هذه مؤامرة البكر وصدام على صالح مهدي عماش وليست مؤامرة صالح مهدي عماش عليهما. هذه مؤامرة نسجها البكر وصدام لتمرير التعيين. وبمجرد حصوله انتهى موضوع المؤامرة الأخرى. أؤكد لك ان موضوعي لن يبحث ولن يطرح عليكم. في أول اجتماع

حضره عماش بدأ بتقديم تقرير عن رحلته. قاطعناه وقلنا: لماذا الحديث عن الرحلة؟ هناك قضية خطيرة للغاية تتعلق بتآمر. تدخل البكر وقال: أرجوكم هذا الموضوع تم فهمه وتسويته ولا ضرورة أبداً لمناقشته. وهذا ما حصل.

بين صدام وعماش

< كان صدام يكره عماش كثيراً؟

- كان حاقداً عليه. قبل وفاة عماش بنحو عامين تحدث صدام الى الكادر الحزبي. وقال ان عماش حزبي لكنه جبان، في حين ان مروان التكريتي غير حزبي لكنه شجاع. طبع الحديث في كراس صغير ووصل الى الشخص المعني. كتب عماش رسالة الى القيادة القومية لحزب البعث قال فيها: هل ترضى القيادة القومية أن يكون أحد أعضائها موصوفاً بالجبن. فإذا كانت تعتقد بصحة التهمة يجب أن تتخذ قراراً بفصله. وبعث برسالة الى القيادة القطرية يعترض فيها على الكلام ويطلب التصحيح.

رداً على ذلك، استدعى صدام قيادات سابقة من مجلس قيادة الثورة وقيادة الحزب في ١٩٦٣ لتقويم عماش وكنت بين المدعوين. طلب صدام من الحاضرين تقويم عماش الذي قال أيضاً في رسالته: هل يصح ان توجه تهمة الجبن الى من كان مسؤولاً عن المكتب العسكري في الحزب في ١٩٦٣ حين تسلَّم البعثيون السلطة ثم خسروها. كان صدام يصر على ان عماش لم يكن مسؤولاً عن المكتب العسكري في ١٩٦٣. كان بين الحاضرين شخص يدعى محسن الشيخ راضي، وهو كان عضواً في القيادة القطرية في ١٩٦٣ ومن البارزين ولا يزال حياً ويقيم في العراق. تحدث أعضاء في القيادة القطرية التي باتت بزعامة صدام، فشنوا هجوماً عنيفاً على عماش. وحين وجه السؤال الى محسن الشيخ راضي

رد مؤكداً ان عماش كان مسؤول المكتب العسكري في القيادة وأنصف الرجل. طبعاً كانت جرأة منه. ذلك ان قول الحقيقة كان عملية شاقة يمكن أن تدفع صدام الى ارتكاب أي حماقة يمكن المرء أن يتصورها.

نظر صدام الى عماش كخطر محتمل وراح يقلل من شأنه وعينه سفيراً في فنلندا، وهي دولة ذات دور محدود، الى أن استدعي الى الجبهة ومات مسموماً.

مقتل عماش

< كيف قتل عماش؟

- يقول المقربون جداً ان تشريح جثته أكد أنه قضى مسموماً. والقصة هي الآتية: استدعي عماش الى بغداد للمشاركة في ما كان يسمى المعايشة، أي ارسال عدد من السفراء الى الجبهات خلال الحرب العراقية - الايرانية. طبعاً لا يحتاج عماش الى مثل هذه المعايشة، فهو عسكري كبير ومعروف، أمضى سنوات طويلة في الجيش. وعلى رغم ذلك أشركوه في الدورة وأمضى بين شهرين وثلاثة أشهر ثم عاد الى فنلندا.

بعد عودته بدأ يعاني مشكلات صحية وتوفي خلال فترة قصيرة، علماً أنه كان رياضياً ولم يكن يعاني أي مرض. المقربون يجزمون أنه مات مسموماً.

الخلاف مع القيادة

< تولى صدام منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة. ماذا فعل بعد ذلك؟

- اتخذ مقره في مبنى المجلس الوطني المعطل آنذاك. هنا بدأت عملية تقاسم السلطة والموازنة. أدرك صدام انه يحتاج الى مظلة البكر فلم يبخل عليه بالنعوت لكنه كان يؤسس سلطته. صدام شاب يعمل ساعات طويلة ويحلم بمستقبله. والرئيس لم يبق لديه ما يحلم به. منذ الساعات الأولى بدأ صدام، وتحت لافتة الولاء للرئيس، خطة ازاحة خصومه وفي الوقت نفسه إحكام قبضته على دوائر الأمن والإعلام والحزب. وهكذا كنت أول من أطيح به. حصل ذلك في تموز يوليو ١٩٧٠ ومن حسن حظي ان القتل لم يكن كرس بعد كأسلوب تخاطب مع الحزبيين.

< لماذا وقع الخلاف بينك وبين القيادة؟

- أخرجت في شهر تموز ١٩٧٠، وسأختصر المسألة بالآتي: كنت عضواً في مجلس قيادة الثورة وكذلك في القيادة القطرية للحزب حيث كنت مسؤولاً عن تنظيمات الحزب خارج بغداد وعن مكتب العمال. ثم انني من مدينة تكريت التي يتحدر منها البكر وصدام. هذا الواقع أتاح لي أن أطلع باكراً على الخروقات والتجاوزات التي بدأت عناصر من عائلة صدام بممارستها ضد المواطنين والمؤسسات. هنا لعب خيرالله طلفاح دوراً بارزاً في هذه الممارسات ومعه عدد كبير من الأقارب. وصلتني تقارير من المنظمات الحزبية حول هذه التجاوزات والتقى مضمون هذه التقارير مع ما نقله أصدقاء. تنفيذاً لنظام الحزب كان عليّ أن أبلغ قائد

الحزب وهو رئيس الجمهورية بما يجري. بدأت بإطلاع البكر على التجاوزات وكان يعدني كل مرة باتخاذ الاجراءات اللازمة، لكنه لم يفعل.

تجاوزات خيرالله طلفاح

أذكر هنا حادثة طريفة جداً. أبلغتني قيادة الحزب في تكريت أن خيرالله طلفاح كان يتوجه في عطلة الأسبوع، وتحديداً يوم الجمعة، الى تكريت. ومن دون علم القائمقام كان يفتح مكتبه ويداوم فيه، وخلال وجوده هناك كان طلفاح يقوم بمصادرة بساتين وتوزيع أراض. عندما يأتي القائمقام في اليوم التالي يرى ان خطوات عشوائية اتخذها شخص لا صفة له وهي تمس الملكية والقوانين وتثير نزاعات في المجتمع. كان من واجب القائمقام اطلاع قيادة الحزب في المدينة التي اتفق أعضاؤها على التحدث الى طلفاح إذا جاء الأسبوع المقبل الى المقر. وهذا ما حصل. التقوه وحاولوا أن يشرحوا له ان هذه المسألة تؤذي الحزب. تحدثوا اليه بودٍ وأدب. فهم صغار وهو كبير في السن. ورد طلفاح بأن أمر بوضعهم في السجن. كانت القضية محرجة تماماً. رجل ينتهك القوانين ويسجن مسؤولين حزبيين لأنهم تجرأوا على لفت نظره الى خطورة ما يقوم به. شعرت بحرج شديد وتوجهت لمقابلة البكر وطرحت الأمر عليه بحدة. وأذكر أنني قلت له انه إذا كان يمكن التسامح في أمور صغيرة، فهذا الأمر لا يمكن التهاون فيه، لأنه سيعطي الناس انطباعاً أننا انتقلنا من حكم الحزب الى حكم العائلة. حاول البكر استرضائي وقال: هذه المسألة سأحلها وأنت أخي ورفيقي. لم يتمكن البكر من حل المشكلة إلاّ بعد إلحاح متواصل مني تخلله استخدام عبارات قوية بيني وبينه. أنا في الحزب كنت أعتبر حتى ذلك التاريخ الأقرب الى البكر، لكن المسألة لا علاقة لها بالعلاقات الشخصية.

عمليات تعذيب أدت الى الفراق

توالت الخروقات وتلقينا تقارير من مدن أخرى، استيلاء على بساتين وأراض. وكنت أراجع البكر باستمرار لكنه كان يعد بالمعالجة ولا ينفذ. بدأت العلاقة بيننا بالتدهور تدريجاً الى أن تفجرت تماماً وكان موضوع الخلاف التعذيب.

تزايدت لدينا المعلومات عن عمليات تعذيب تجرى في مراكز الاستخبارات والأجهزة الأمنية. لم نكن في السابق على اطلاع تفصيلي على ما يجري. وقعت حادثة لفتت أنظار الجميع الى ما يجري. اعتقل طبيب مشهور من دون أسباب واضحة وتعرض لتعذيب مخيف. في اجتماع مجلس قيادة الثورة طرحت الموضوع وقلت ان علينا ألاّ نناقش أي بند آخر قبل هذا البند وحسمه. والواقع ان الافتراق بدأ في ذلك الاجتماع.

< هل اصطدمت خلاله مع صدام؟

- الصِدَام الأساسي كان مع البكر لأنه صاحب القرار والمسؤول الأول. طبعاً موقف البكر وصدام واحد. كان الصدام شديداً جداً وقلت انني لن أحضر أي اجتماع آخر ما لم تحسم مسألة التعذيب حتى ولو كلفني ذلك الطرد أو السجن أو النفي. حاولوا استرضائي بالقول ان القصة عابرة ولا تستحق مثل هذا الخلاف. تمسكت بموقفي وقلت انني أعتبر المسألة من الكبائر. وقلت اننا جئنا لخدمة الناس وليس لممارسة الانتقام. وذكرت بما اتفقنا عليه سابقاً لجهة عدم تكرار ممارسات ١٩٦٣. كان ذلك الاجتماع الأخير. وبعد أيام أصدر البكر مراسيم بإعفائي من عضوية مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية.

حاولوا اقناعي بقبول منصب سفير في فرنسا ووسطوا عبدالخالق السامرائي فرفضت. أبعدوني الى مصر لأن لا وجود لتنظيم حزبي فيها. ثم غادرت سريعاً الى بيروت بعدما تفجرت الأزمة في أيلول ١٩٧٠ بين المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني. قررت الالتحاق بالمقاومة، لكن المسألة كانت حسمت. وكان عبدالخالق شرح لي أنهم اختاروا إبعادي الى مصر لأن لا وجود لتنظيم حزبي فيها وتمنى عليّ قبول الإبعاد لأنه كان يخشى أن أتعرض للأسوأ. أمضيت شهرين في مصر ثم ذهبت الى بيروت ومكثت فيها الى ما بعد تأميم النفط في العراق في ١٩٧٢.

عدت الى بغداد فجددوا عرض السفارة عليّ ورفضت. بدأت أتعرض لضغوط من داخل الحزب ومن أصدقاء لقبول العرض. كان مرتضى الحديثي وزيراً للخارجية، وهو صديق عزيز، فألح عليّ بالقبول وقال: "لا نريد أن نخسرك". ففهمت الرسالة. في ١٩٧٣ كنت سفيراً لدى البلدان الاسكندينافية في السويد. وفي ١٩٧٧ - ١٩٧٨ في اسبانيا ومنها الى الأمم المتحدة كممثل دائم للعراق الى ١٩٨٢ حين قدمت استقالتي عبر برقية قصيرة وتركت منصبي. جرت اتصالات ومساومات معي من داخل بغداد وخارجها لكنني تمسكت بقراري.

< لماذا استقلت؟

- خلال فترة عملي في السلك الديبلوماسي قدمت أكثر من استقالة. مرة عندما كنت في السويد وأخرى في اسبانيا. عندما قدمت استقالتي خلال وجودي في مدريد استدعاني البكر فذهبت اليه. أعرب البكر بعد أن شرحت وألححت عن موافقته المبدئية، لكنه طلب مني أن أزور صدام وقال إذا اتفقتما على الاستقالة فأنا موافق.

زرت صدام وحكيت له ان مزاجي مخالف لمزاج الديبلوماسية والعمل في السفارات وأنني لا أحب العيش خارج العراق وأعاني مشكلات صحية. وطلبت منه تفهم موقفي وقبول الاستقالة. جرى نقاش طرح صدام خلاله الموضوع بطريقة ملتوية. قال لي: "إذا استقلت يا صلاح سترجع الى بغداد. هل ستقفل باب بيتك وتجلس وحيداً. يجب أن تخرج وتتحدث وأنت عضو في القيادة سابقاً. حين ترى أخطاء تمارس ستتحدث وهذا الكلام سيصلنا في التقارير وحين يصل الكلام ستحدث مشكلات بيننا وبينك. أي ان صدام اعتبر عودتي الى بغداد مصدر احراج قد يضطره الى اتخاذ اجراءات قاسية. شعرت ان الباب مسدود وعدت الى اسبانيا. في نيويورك أضيف موضوع الحرب العراقية - الايرانية الى جملة الأسباب التي تدعوني الى المغادرة.

صدام تغيّر فجأة

< هل تغير سلوك صدام بعد توليه منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة؟

- تغير وبسرعة مذهلة ويمكنني القول انه تغير منذ الأيام الأولى لتوليه هذا المنصب. لم تعد لسلوكه علاقة بكوننا اشتراكيين ملتزمين قضايا الشعب والجماهير ويفترض ان يكون سلوكنا بسيطاً وبعيداً عن البرجزة. تغير صدام بصورة جذرية. فجأة صار موكب حراسته طويلاً. استقدم حراساً من قريته ومن عائلته. كانوا في معظمهم من الشبان الأميين يمتاز سلوكهم بقدر من الوحشية ولا فكرة لديهم عن الدولة والقانون والانضباط. لم يقدم أي شخص آخر على سلوك من هذا النوع.

فور توليه منصبه الجديد اتخذ صدام من مبنى المجلس الوطني مقراً له وهو المبنى الوحيد الفخم إذا استثنيا قصر الرئاسة. هنا بدأت لعبة

الهالة والتميز عن الآخرين. ترافق ذلك مع بدء تقاسم الموازنة مع البكر والشروع في لعبة توزيع الأموال والأسلحة. كنا نعيب عليه هذه الأمور ونعتبرها مظاهر سلبية. ثبت لاحقاً انه كان أكثر دهاء من الآخرين وأكثر معرفة ربما بنفسية المواطن العراقي العادي. أطلق صدام ومن دون أن يعلن برنامجاً يرمي الى توسيع دائرة الموالين له. شراء الولاء بالمال أو التوظيف أو الحماية. وشبكة المصالح هذه ستتسع لاحقاً كلما وسع دائرة امساكه بالقرار الإعلامي والأمني وفرض نفسه معبراً الزامياً الى المواقع في دوائر الدولة والمؤسسة العسكرية والأمنية.

الحقيقة وعلى رغم اهتمام صدام بإبقاء المظلة التي يشكلها البكر، بدأ الناس يتحدثون عن السيد النائب أكثر مما يتحدثون عن رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية. طبعاً بعد تأميم النفط صارت الموازنة التي يستطيع صدام التصرف بها مذهلة وتصاعد الرهان عليه في الأوساط الحزبية والشعبية حتى الحزب الشيوعي وقع في الرهان على صدام والإشادة به.

< كوزير للإعلام، لمن كنت تعطي الأولوية في أخبار الصحف والإذاعة والتلفزيون؟

- علاقتي كانت مع البكر، والأولوية لأخباره وكان صدام يرغب في ذلك أيضاً ليتاح له الوقت الكافي لبناء فريقه. انه رجل يعرف كيف ينتظر.

< استقلت في ١٩٨٢. الى أي موعد ظل النظام يسعى الى اعادتك؟

- لم يتوقف يوماً. حتى في رأس السنة الحالية كانت هناك محاولات. لم يوقف النظام محاولاته. أوفد إليّ في نيويورك حسين كامل. وجاء طارق عزيز حاملاً إليّ رسالة من صدام. مدير الاستخبارات فاضل سلفيج

جاءني حاملاً رسالة من صدام وهو ابن خالته أيضاً. أدخل كثيرين في هذا الموضوع. يريدني كما يقولون أن أقبل منصباً أو أن يحدث نوع من التفاهم. موقفي قاطع ونهائي.

اختراق الموساد

< بعد توليكم السلطة في ١٩٦٨ بفترة تحدثتم عن كشف جواسيس ونفذتم عمليات إعدام أثناء وجودك في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية، ما هي القصة؟

- في الحقيقة إنها قصة معقدة. قبل وصولنا إلى السلطة حدثت واقعة مع شاب عراقي يعمل طياراً في "الخطوط الجوية العراقية" من عائلة الربيعي، وهي قبيلة كبيرة. كان يعمل على خط بغداد - لندن. اعتقد بأن الطائرة كانت تتوجه إلى لندن ويمكث طاقمها هناك ٢٤ ساعة قبل القيام برحلة العودة إلى بغداد. يبدو أن هذا الشاب كان مولعاً بالعيش، أي أنه كان يشرب ويرتاد الكازينوهات في العاصمة البريطانية. أخذ الربيعي يتردد على كازينو معين. يربح ويخسر. ذات يوم منيّ بخسارة كبيرة ولم يبق معه أي فلس. بسبب تردده صار يعرف بعض الزبائن. احتار كيف يغطي نفقاته إلى يوم غد. رآه رجل انكليزي فسأله هل تمانع في أن أساعدك بمبلغ ما دمت خسرت كل شيء، فأجاب أنه سيكون مسروراً جداً. المساعدة أدت إلى صداقة بين الرجلين وصارا يترددان على المطاعم.

بعد فترة تبين أن البريطاني إسرائيلي وفاتح الطيار العراقي باقتراح العمل مع الموساد. لم يعط الربيعي جواباً قاطعاً، وقال لصديقه إن الأمر يحتاج إلى تفكير ودراسة وطلب مهلة للرد. عاد إلى بغداد وعن طريق أحد أقاربه أبلغ دائرة الاستخبارات العراقية بما حصل معه. هنا طلبت

الاستخبارات العراقية منه أن يتجاوب مع طلب صديقه وأن يفتح علاقة مع الموساد.

عاد الربيعي إلى لندن وأبلغ الرجل بموافقته فراح الأخير يعده بأموال وحياة مرفهة. اعتقد الطيار بأن الأمر فرصة له. الاستخبارات العراقية على اطلاع، وبالتالي فهو يقدم خدمة لوطنه ثم أن الأمر يوفر له بعض الأموال من دائرة الاستخبارات. راح الإسرائيلي يكلفه بمهمات. طلب منه مثلاً أن يحضر له آخر خريطة لمدينة بغداد. ذهب الربيعي إلى دائرة الاستخبارات فأعطوه خريطة لبغداد، لكنها ليست الأخيرة. حملها إلى لندن وسلّمها.

في اللقاء التالي قال البريطاني - الإسرائيلي للطيار العراقي: "نحن اتفقنا أن نكون صادقين مع بعضنا، وأنا تحدثت معك بصراحة. هذه الخريطة ليست الأخيرة". تذرع الربيعي بأن هذه هي الخريطة التي استطاع الحصول عليها. كلفه ضابط الموساد بمهمات أخرى وكان الربيعي ينقل الأجوبة التي تزوده بها الاستخبارات العسكرية.

الجاسوسة الشقراء في بغداد

في أحد اللقاءات قال رجل الموساد للربيعي: "أحب أن أقول لك وبحكم الصداقة. اتفقنا على شيء ولم تلتزم به، سأعطيك فرصة لمراجعة حساباتك. عليك أولاً أن تقطع صلتك بالدائرة التي تعطيك هذه المعلومات، وأن يتصف تعاونك معنا بالأمانة". اصيب الطيار العراقي بالرعب. فالأمر يعني أن دائرة الاستخبارات العراقية مخترقة من قبل الموساد.

عاد إلى العراق ووجد نفسه في ورطة. راح يفكر وانتهى به الأمر إلى قرار بترك الوظيفة والتخلي عن السفر إلى لندن والاختفاء. والواقع أنه اختفى في بغداد لكن الموضوع ظل يطارده. ذات يوم تعرض لحادثة غريبة جداً. لا تزال قبل ١٩٦٨. في أحد أيام تموز يوليو وعند الظهر حيث يمكن أن تصل الحرارة إلى ٥٠ درجة، خرج من البيت لشراء سجائر. لدى خروجه إلى المخزن القريب من البيت شاهد فتاة أجنبية شقراء تتلفت كأنها ضائعة. اقتربت منه وقالت: "ارجوك يمكن أن أسألك؟". فقال: "تفضلي". قالت: "اريد أن أذهب إلى منطقة الباب الشرقي في بغداد، هل يمكن أن ترشدني كيف أذهب؟". شرح لها، فتظاهرت بعدم الفهم. راودته رغبة في مساعدتها، فأوقف سيارة تاكسي وقرر أن يوصلها إلى الباب الشرقي.

في سيارة التاكسي، حدقت الفتاة الشقراء بالرجل وقالت له يا فلان، وأوردت اسمه. استغرب لكنها تابعت. قالت له: "أنا لست ضائعة، أنا جئت للبحث عنك ومكلفة بابلاغك الآتي: إذا لم تعد إلى اتصالك السابق معنا سنقتلك مهما تخفيت. أنا مكلفة أن أنقل اليك الرسالة". صعق الرجل وانتابته مشاعر غريبة. هل يعقل أن تأتي امرأة يهودية وتهددني في عاصمة بلدي؟ هل اقتلها أم أصمت؟ طبعاً دخلت اليهودية بجواز سفر آخر.

أوصلها إلى الباب الشرقي، وعاد إلى منزله، وأمضى أياماً وهو يقلّب الأمر قلقاً. في النهاية قرر أن يكتب ما حصل معه في رسالة سلّمها إلى قريب له بعثي على أمل بأن يرفعها القريب إلى قيادة الحزب الذي كان لا يزال خارج السلطة. وصلتنا الرسالة في القيادة فطلبنا من قريبه أن ينصحه بالاختفاء والابتعاد عن المشاكل. لم نكن نريد إثارة فضيحة، خصوصاً اننا نخطط للاستيلاء على السلطة. وهنا أريد أن أقول إن تلك الحادثة

كانت المدخل إلى كشف أسرار خطيرة جداً تتعلق باختراقات الموساد في الأجهزة العراقية وكشف اسماء العراقيين المتورطين في شبكات لها علاقة بالمخابرات الإسرائيلية والغربية. عندما تسلمنا السلطة وباتت دوائر الأمن تحت سلطتنا أحضرنا الرجل وبدأنا البحث. وجدنا في الاستخبارات العسكرية معلومات عن شبكات تجسس وضلوع شخصيات في اتصالات بدوائر أجنبية. والأمر نفسه في أجهزة الأمن. ومن خلال هذا الشخص توصلنا إلى العناصر التي تعمل في دائرة الاستخبارات ولها ارتباطات أجنبية، مع إسرائيل وأجهزة أوروبية خصوصاً البريطانية.

طبعاً قيل لاحقاً إن بين من اعدموا ابرياء وغير متورطين. لا استطيع أن أنفي أو أؤكد. ربما لحق الظلم ببعض الأشخاص في عمليات الإعدام التي حصلت في ١٩٦٩ لكن استطيع التأكيد أن وجود الجواسيس كان فعلياً، واستمعنا في مجلس قيادة الثورة إلى تقارير عن ذلك.

الحلقة الرابعة: استسلام "الأب القائد" للسيد النائب

في موازاة الحوار مع صلاح عمر العلي، العضو السابق في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث، التقيت سياسياً عراقياً كان الى جانب أحمد حسن البكر وصدام حسين على مدى سنوات طويلة.

قال السياسي العراقي: "كنت جالساً في مكتب السيد النائب صدام حسين حين ابلغوه ان الرجل الثاني في دولة عربية يريد التحدث اليه. هممت بالخروج لكن اشارة منه ارغمتني على البقاء. تبادلا حديثاً ودياً. ولدى انتهاء المكالمة نظر صدام الي بابتسامة مغموسة بالخبث وقال: نحن رجال الصف الثاني نحرص على تبادل وجهات النظر".

سألته هل كان صدام يقيم فعلاً في الصف الثاني فأجاب: "دعني أروي لك واقعة ولك ان تستنتج ما تريد. في ١٩٧٤ دخلت مكتب الرئيس أحمد حسن البكر وكانت علاقتي به وثيقة. شرحت له ظروفي وقلت انني جئت لتقديم استقالتي. نهض البكر فجأة ووقف وراء الكرسي واختلطت مشاعر الغضب والألم في عينيه. قال البكر... على هذه الكرسي. ما هذه الرئاسة؟ أخ ما أغباك يا أبو هيثم عن نفسه كيف قبلت معهم ان تتولى هذا المنصب. كم كان أفضل لو لم تفعل".

ويضيف السياسي: "انتابتني حال من الذهول الكامل، فالمتحدث هو أحمد حسن البكر الرجل الذي يرفق اسمه كلما ورد بأرفع الألقاب الرسمية والحزبية والعسكرية. وهو رجل معروف وصاحب تاريخ ويفترض الآن انه صاحب الكلمة الأخيرة. أدرك البكر ذهولي فسارع الى

القول: جئت لتقديم استقالتك؟ لا أنت تستطيع الاستقالة ولا أنا استطيع. إننا أسرى".

وأضاف السياسي: "في السنوات الأخيرة كان البكر يعرف تماماً انه صار محاصراً من كل الجهات. كان يعرف ان ولاء حراسه صار للسيد النائب. لم يعد يجرؤ على التحدث عن صدام بشكل سلبي لا في مكتبه ولا في منزله خوفاً من ان تكون للجدران آذان".

لا غرابة ان يغدر الرجل الثاني بالرجل الأول، لكن ما فعله صدام مع الرجل الذي رعاه واتكأ عليه يفوق الوصف فعلاً. كان صدام يأمر وسائل الاعلام بتبجيل "الأب القائد" لكنه كان يعمل لنزع ما تبقى من أنياب لديه. وكان البكر يتألم صامتاً فقد صار رئيساً للجمهورية في عهد نائب الرئيس.

بعد ساعات كان لي موعد جديد مع صلاح عمر العلي الذي اعتبر لفترة من أقرب الناس الى البكر واحتفظ لسنوات بعلاقات مع الرجل وعائلته. سألته فكشف ان محمد النجل الثاني للبكر أدرك مبكراً خطورة الرجل الثاني، وكان يردد باستمرار: "لن يقتله أحد غيري سأخلص الشعب العراقي منه". ونقل عن مصادر وثيقة جداً ان مشادة وقعت في القصر بين محمد وصدام شهر خلالها الأول مسدسه واطلق النار. لكن حظ محمد سيء كحظ كل من عارضوا واعترضوا. ذات يوم اعترضت شاحنة سيارته فقتل مع عائلته. قصم "الحادث المؤسف" ظهر "الأب القائد" الذي توجع بصمت.

لا رحمة في لعبة السلطة في بلاد الدوي العميق والتاريخ المضطرب. ترتدي عباءة القاتل أو ترتدي ثياب القتيل.

لم يرحم أحداً، أزاحهم تباعاً. سقط البكر كالثمرة الناضجة وجاء الى الاجتماع مقترحاً تسليم كل المفاتيح للسيد النائب. ارتكب بعض أعضاء القيادة اثم محاولة اقناع البكر بالبقاء فجاء العقاب شديداً ومريراً. سقطوا في وليمة غير عادية وبرصاص رفاقهم في الحزب.

نص الحلقة الرابعة

< ألم تعلنوا بعد تسلمكم السلطة عن مؤامرات لتصفية معارضي النظام؟

- نعم تم الإعلان عن اكتشاف مؤامرات. وكثيرون ينفون وجودها ويعتبرونها مفتعلة من قبل البكر أو صدام أو قيادة الحزب، وأن الغرض منها كان تصفية العناصر التي يخشى من تحركها مستقبلاً ضد النظام. هنا سأكشف قصة عن واحدة من هذه المؤامرات الكبرى والتي سميت مؤامرة اللواء عبدالغني الراوي والتي تبعت الإعلان عنها إعدامات. الراوي لواء ركن في الجيش العراقي، شجاع جداً ومعروف. وهو لا يزال حياً ويعيش في السعودية.

قيل إن تلك المؤامرة مجرد أكاذيب ومفتعلة. قصة المؤامرة حصلت في ١٩٦٩. أحياناً تدعوك بعض الوقائع والكتابات إلى التشكيك. خدمة للحقيقة سأقول الآتي. في ١٩٩٢ ذهبت إلى السعودية لتأدية مناسك العمرة. بالصدفة التقيت عبدالغني الراوي الذي كان خارج الجيش لدى تسلمنا السلطة. جلسنا وإذ بعبدالغني الراوي يحكي لي القصة كاملة من باب الأمانة للتاريخ. روى لي تفاصيل المؤامرة بالساعات والأسماء، وهي مؤامرة كان يقودها ضد الحزب مع مجموعة من الضباط والمدنيين بدعم من الاستخبارات الأميركية. قال لي الراوي إن إيران كانت طرفاً في تلك المؤامرة التي استهدفت إطاحة النظام. عندما أعلن عن المؤامرة

كان الراوي خارج العراق. طبعاً الراوي معروف تولى منصب نائب رئيس الوزراء في عهد عبدالسلام عارف ووزير زراعة ثم تقاعد.

< ماذا خططوا؟

- أعدوا لعملية عسكرية ضد النظام. اكتشفت الخطة فاعدم عدد وسجن عدد آخر. هذه العملية كتب عنها الكثير باعتبارها محاولة من البعثيين لتصفية بعض الناس. أنا شخصياً كدت اقتنع بهذا الكلام وقلت اننا ربما استغفلنا يومها وصدقنا الرواية. إنها الصدفة جمعتني بالراوي. قال لي إنه كان يتردد مع آخرين، أورد اسماءهم، على منزل شاه إيران وكان يطلب منهم أن يتصلوا بزعماء عشائر وشخصيات كردية لتحضير الجو للعملية.

قصة انكشاف المؤامرة نفسها غريبة. كان عبدالغني الراوي يتصل باثنين من العسكريين ويكلفهما مهمات في إطار هذه المؤامرة. لم يخطر بباله أن الاثنين ينتميان إلى الحزب وأطلعاه عليها. طبعاً لم يعد ثمة مجال للتشكيك. أي مصلحة للراوي أن ينسب هذه المسألة إلى نفسه إن لم تكن صحيحة. قال الرجل إنه كشف الأمر لي أمانة للتاريخ. إن نفي وجود مؤامرات بالمطلق غير صحيح تماماً كنفي وجود جواسيس. أما أن يكون هناك من ظلم فإنني لا استطيع أن أؤكد أو أنفي. أسوق رواية لا يزال بطلها حياً.

< بعد ٣٠ تموز يوليو ١٩٦٨ وسع الحزب سيطرته على مواقع القرار؟

- نعم بعد التخلص من رئيس الوزراء عبدالرزاق النايف ومجموعته تغيرت تركيبة مجلس قيادة الثورة. رفض النايف تولي منصب سفير وذهب إلى بريطانيا. أما وزير الدفاع عبدالرحمن داود فقد عُيّن سفيراً

في اسبانيا لفترة ثم غادر إلى السعودية حيث يعيش حتى الآن. بعد وقت قُتل عبدالرزاق النايف في لندن. من خلال ما سمعته فهمت أن المخابرات العراقية قتلته. اعتقلت السلطات البريطانية أشخاصاً وأبعدت عدداً من العاملين في السفارة العراقية في لندن. وهناك شخص أمضى فترة طويلة في السجون البريطانية ولا أعرف ان كان افرج عنه أم لا.

< من أبرز الذين قتلوا من رفاق الطريق؟

- على مدى ٣٤ عاماً قتل كثيرون. عشرات من قياديي وكوادر حزب البعث قتلوا. وقتل أشخاص عدة ممن شاركوا مع الحزب في السلطة. أما إذا أردنا الحديث عن القتل عموماً، فيمكن الحديث عن عشرات الآلاف.

< من هم أبرز البعثيين الذين قتلوا في هذه المرحلة؟

- أبرز الذين قتلوا على يد النظام عبدالكريم الشيخلي الذي كان عضو قيادة قومية وقيادة قطرية وعضو مجلس قيادة الثورة وتولى بعد ٣٠ تموز ١٩٦٨ حقيبة الخارجية.

< ما هي ملابسات مقتله؟

- ادخل الشيخلي إلى السجن ثم افرج عنه. بعدها بفترة قصيرة كان متوجهاً مع زوجته وأطفاله إلى دائرة الكهرباء لتسديد فواتير. اوقف السيارة وحين غادرها اقترب منه ملثمون وأردوه.

الصديق القتيل

< كان الشيخلي صديقاً حميماً لصدام؟

- إنه من الأصدقاء التاريخيين لصدام. نحن نعرف هذه العلاقة. كان الشيخلي بمثابة الأب الروحي لصدام. رجل مثقف وبنى نفسه بالجهد. واسع الاطلاع على أمور كثيرة. ذات يوم وخلال إحدى الرحلات كان معنا قائد القوة الجوية العراقية نعمة الدليمي، وهو ضابط مشهود له بالخبرة، وحصل نقاش بينه وبين الشيخلي حول الطائرات العسكرية ومزاياها. اذكر أن الدليمي قال للشيخلي في آخر الحديث: "ادهشتني دقة معلوماتك وانني اتساءل لماذا عينت أنا ولدى القيادة من هو أفضل مني".

كان الشيخلي صاحب ثقافة واسعة. في الأوقات الصعبة وحين كنا نحتاج إلى إعداد تقرير مهم ورفيع المستوى كانت المهمة توكل إلى الشيخلي. ونظراً لما كان يكنه لصدام كان الشيخلي يساعده ويوسع آفاقه.

< لماذا خرج الشيخلي من السلطة؟

- لفهم هذه المسألة لا بد من العودة إلى المشكلة الأم، وهي اتفاق البكر وصدام استناداً إلى صلات القربى، على استبعاد أي شخص قوي يمكن أن يشكل بديلاً أو يطالب بأن يكون شريكاً. اتفقا على الامساك بالسلطة من دون أي شريك.

عبدالكريم الشيخلي من عائلة معروفة في بغداد. رجل ذكي وشجاع ومطلع. شارك في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم مع صدام وهربا معاً إلى دمشق. علاقتهما كانت قوية وحميمة. والشيخلي نفسه كان يقول

نحن شخص واحد في جسدين، أي روح واحدة في جسدين. كان يستخدم هذه العبارة لكن كل ذلك لم يشفع له لاحقاً.

< واغتيال حردان التكريتي؟

- موضوع حردان مختلف. شخص شجاع وعسكري قديم وقدير. لم تكن لحردان صلة رسمية بالحزب. كان صديقاً. الواقع ان حردان شارك في أكثر من خطة لتغيير الأنظمة في العراق منذ ١٩٥٨. عسكري شجاع ومتمرس. كان صدام ينظر إلى هؤلاء عكس نظرتنا إليهم. كنا نقدرهم أما هو فلديه مقياس واحد: من يمكن أن يشكل بديلاً أو خطراً أو قوة اعتراض لا بد من إلغائه. كان حردان بين أول من قتلوا. طبعاً اعفي من منصبه وابعد إلى خارج العراق. طلبوا منه أن يعمل سفيراً في المانيا ولم يقبل. غادر المانيا إلى الكويت فقتلته المخابرات العراقية هناك.

< من هو ناظم كزار؟

- إنه مهندس عراقي يمتاز بذكائه الحاد. بعثي منح لاحقاً رتبة لواء في إطار سياسة توزيع الألقاب التي اعتمدها صدام. استهتر بقواعد المؤسسة العسكرية إلى حد فظيع. أخل بكل الاصول والمراحل والرتب والشروط. أطاح كل شيء. تصور أن علي حسن المجيد كان برتبة نائب ضابط وإذ به يمنحه ذات يوم رتبة فريق ركن ويعينه وزيراً للدفاع. ولك أن تتخيل مشاعر الضباط في الجيش. وهناك حسين كامل الذي كان شرطياً. اعطاه رتبة فريق ركن وعينه وزيراً للدفاع ووزيراً للتصنيع العسكري. أي أنه اعطاه أخطر وزارتين على رغم كونه شبه أمي ويعجز تقريباً عن الكتابة.

< وعزة إبراهيم؟

- انه شخص مدني وحزبي. لم يصل إلى الجامعة. أعرفه معرفة دقيقة فقد كنت مسؤوله الحزبي لأربع سنوات.

< هل صحيح أنه كان بائع ثلج؟

- لا أعرف هذه المسألة، وهي ليست نقصاً خصوصاً في الأحزاب والثورات. عزة إبراهيم من مدينة اسمها الدور تقع بين سامراء وتكريت. منذ البداية انحاز عزة إبراهيم وطه ياسين رمضان إلى صدام.

< وطه ياسين رمضان؟

- كان ضابط صف.

البكر وطارق عزيز

< وطارق عزيز؟

- عندما تسلّمنا السلطة في ١٩٦٨ لم تكن لطارق عزيز أي علاقة بالحزب على رغم أنه حزبي قديم. وكان طارق في لقاءاته مع بعض رفاقنا يوجه اتهامات وشتائم إلى الحزب. بعد تسلمنا السلطة كان طموح طارق عزيز أن يدعمه أصدقاؤه لاقناع القيادة بتعيينه ملحقاً صحافياً في موسكو. وهناك طلب قدمه طارق إلى وزير الإعلام عبدالله سلوم، وموجود في ملفات الوزارة، لتعيينه في هذا المنصب وقد رفض طلبه. أنا أعرفه منذ ١٩٥٩ يومها كنا أعضاء في الحلقة الحزبية نفسها. عندما تسلمنا السلطة برزت حاجات الدولة. طارق عزيز صحافي ناجح ومتمرس. صدام عينه رئيساً لتحرير جريدة "الثورة". اذكر أن الرئيس البكر طلب

أن يراني وحدثني على انفراد. قال لي: "أنا لا اثق بطارق عزيز ولا بسياسته ولا بأفكاره وسأطرح غداً في الاجتماع اخراجه من منصبه، وسأطرح اسمك كبديل له إضافة إلى مهامك". هذا في ١٩٧٠. حاولت أن اعتذر فأصر. وفي اليوم التالي اخرج طارق من جريدة "الثورة" وتوليت شؤونها. أعاده صدام لاحقاً وعينه في وزارة الإعلام ثم وزيراً للخارجية. شعر طارق بامتنان شديد لصدام الذي أعطاه فرصة الصعود في المواقع الحزبية والرسمية فقد صار عضواً للقيادة القطرية ونائباً لرئيس الوزراء. إنسانياً من الطبيعي أن يكون طارق إلى جانب من منحه الفرص.

< ولطيف نصيف جاسم.

- حزبي قديم وصديق لصدام.

< ربطتك علاقة قوية بالرئيس البكر؟

- نعم، وكنت في البداية من أقرب الناس إليه.

< والتقيت أفراد عائلته لاحقاً، ما قصة مقتل نجله محمد، وهل كان حادث السير مدبراً؟

- محمد هو النجل الثاني للبكر. أولاد البكر امتازوا بأخلاق عالية جداً وابتعدوا عن أي تدخل أو استغلال موقع والدهم للحصول على المال أو النفوذ. ادرك محمد باكراً ان اعطاء صدام حسين فرصة التصرف كما يشاء في الحزب والدولة سيقود البلد إلى كارثة. بدأ محمد بتوجيه انتقادات إلى صدام وراح الجو يتوتر بين الاثنين. ثم تحول الخلاف إلى عداء. لا اريد ذكر أسماء، لكن شخصاً من القريبين والمطلعين روى لي أن محمد سحب مسدسه في القصر الجمهوري واطلق النار وكاد يقتل صدام بعد مشادة بينهما.

ومحمد كان رياضياً وشجاعاً وكان يكرر أمام أفراد العائلة ان صدام لن يقتل إلا على يده و"يجب أن اخلص الشعب العراقي من صدام". ذات يوم كان محمد مع زوجته وطفليه في السيارة على طريق في شمال بغداد، وفجأة ظهرت شاحنة وضربت سيارته فقتل مع أفراد عائلته.

< تجزم أن الحادث مدبر؟

- لا يختلف اثنان في ذلك.

< وماذا فعل البكر؟

- حطمته الحادثة وكسرت ظهره. لم يفعل شيئاً ربما لتفادي الأسوأ فقد كان صدام سيطر على الماكينة الأمنية.

< وماذا عن برزان التكريتي؟

- شاب بسيط من عائلة فقيرة. انه اخ غير شقيق لصدام. لم يكمل دراسته. عين لاحقاً رئيساً لدائرة المخابرات، وبحكم علاقته بصدام كانت صلاحياته مطلقة. فرض هيمنة المخابرات على دوائر الدولة والحزب في صورة تدريجية إلى أن سيطرت دائرة المخابرات على كل شيء. لم يعد يسمح لوزير أن يعين سائق سيارة من دون موافقة المخابرات، والأمر نفسه بالنسبة إلى المناقلات. هيمنت المخابرات على الحزب والدولة والشعب. قامت دولة المخابرات والخوف والرعب. دمروا العلاقات الإنسانية. صار الاخ يشك بأخيه والزوج بزوجته. حصلت وشايات داخل الأسر وتسببت بإعدامات. صار كل شخص يعتقد ان الآخر عميل للمخابرات. اشاعوا الشك والرعب. وهذه الحالة مستمرة في العراق.

بلا عاطفة

< لنعد إلى ناظم كزار؟

- كزار ذكي إلى درجة غير عادية وشجاع جداً ودموي لا يعرف الخوف ولا التردد. عندما تسلمنا السلطة لم تكن لدينا أي رغبة في اعطاء فرصة لعدد من الحزبيين الذين ارتبطت اسماؤهم بالجرائم التي ارتكبت في ١٩٦٣ وفي طليعتهم كزار. في تلك المرحلة كان كزار في لجنة للتحقيق مع الشيوعيين. فوجئنا بتعيين الرجل مديراً للأمن العام، فحصل استياء في صفوف الحزبيين. اضطر صدام لعقد ندوة للكادر الحزبي كنت مشاركاً فيها. اعترض الحزبيون على التعيين. استمع صدام ثم أجاب: أنا اتفق مع اعتراضاتهم ولكن سأعطيكم وجهة نظري. نحن لدينا دولة اليوم وبعض دوائرها يقتضي وجود مختصين. هذه تحتاج مهندساً وتلك تحتاج اقتصادياً. وعندما دوائر أمن تحتاج إلى متخصصين. ليس هناك في المجتمع العراقي من هو مختص بمسائل الأمن أكثر من ناظم كزار. ذاكرته قوية ويعمل بلا عاطفة. لديه مؤهلات لا يملكها أحد ونحن مضطرون إلى الافادة منها.

عين ناظم كزار ووسع دائرة الأمن العام. وشكل مكتباً للاشراف على الأمن والمخابرات معاً يديره صدام حسين. طبعاً كان كزار حزبياً ملتزماً إلى أبعد الحدود.

راح كزار يراقب الأحداث ووجد أن تجربة الحزب بدأت تلتوي لمصلحة البكر وصدام وبدأ يخطط للتخلص من الاثنين.

< ماذا كانت خطته؟

- غادر البكر إلى أحد البلدان الاشتراكية وصار البلد في عهدة صدام خلال غيابه. فكر كزار أنه حين يعود البكر سيذهب صدام لاستقباله ومعه عدد من كبار المسؤولين في الدولة والحزب. اعتبر المناسبة فرصة للتخلص من الاثنين معاً. حدد موعد وصول البكر وتم ابلاغ المسؤولين. طبعاً كزار مسؤول عن تدابير الأمن. قبل ساعتين أو ثلاث من موعد وصول البكر كان هناك موعد رتبه كزار. قال لبعض المسؤولين إن الأمن العام افتتح دائرة جديدة للأمن وزودها تكنولوجيا حديثة واريدكم أن تطلعوا عليها. وكان بين المدعوين حماد شهاب وزير الدفاع وسعدون غيدان وزير الداخلية، إضافة إلى آخرين. عندما وصلوا إلى مقر الأمن العام اعتقلهم بانتظار تنفيذ الخطة وكان وزع رشاشات على سطح المبنى في المطار ومواقع أخرى.

هنا حصل خطأ ما غيّر كل الحسابات. تأخر البكر في الوصول. وتضاربت الروايات لاحقاً. بينهم من قال إن رئيس إحدى الدول أصر على تكريمه بضع ساعات إضافية. وثمة من قال إن إحدى المخابرات الشرقية عرفت الخطة فطلبت من البكر أن يؤجل قليلاً موعد وصوله إلى بغداد. وهناك من قال إن مسائل فنية في الطائرة ارغمت البكر على تأخير الاقلاع. لم يصل البكر في الموعد المحدد، فارتبك ناظم كزار. تخوف أن تكون الخطة كشفت. وحتى ولو لم تكتشف فإن صدام الذي توجه إلى المطار سيعرف لاحقاً أن كزار اعتقل وزيري الدفاع والداخلية. اختار في النهاية الهرب مع مجموعته مصطحباً المحتجزين معه. اتجه نحو

الحدود الإيرانية وطارده الجيش فاقترح عبر الجهاز لقاء تفاهم في بيت عبدالخالق السامرائي.

رُفض الطلب والقي القبض على كزار بعدما قتل حماد شهاب وجرح سعدون غيدان. جيء به إلى القصر. هنا يقال إن البكر كان يريد اجراء تحقيق مع كزار في حين كان صدام يدفع باتجاه عدم اجراء تحقيق بحجة أن لا جدوى من ذلك. واعدم كزار سريعاً.

هنا ظهر تفسير مفاده أن المطار كان مسرحاً لخطتين: الأولى تورط فيها كزار مع صدام وكان الغرض منها التخلص من البكر. والثانية خطة كزار نفسه لاستغلال المناسبة للتخلص من الاثنين. وسبب هذا التفسير الذي ساد الأوساط الحزبية ان كزار كان مقرباً جداً من صدام.

ارغام "الأب القائد"

< ما قصة المؤامرة التي قال صدام حسين انه اكتشفها بعد تسلّمه السلطة في ١٧ تموز ١٩٧٩؟

- وقّعت سورية والعراق على ميثاق وحدوي. كان هناك تفاهم على ان يكون البكر رئيس دولة الوحدة وان يكون الرئيس حافظ الاسد نائباً له. فجأة وجد صدام نفسه مهدداً بالخروج من اللعبة واحباط ما خطط له. الخطوة أوغرت صدره ضد من ساروا في مشروع الوحدة.

هنا يجب ان نتذكّر ان صدام حسين الذي كان شاباً لدى تسلّم الحزب السلطة اختار التحالف مع البكر بانتظار ان تجيء الساعة المناسبة للقفز الى السلطة. استظل بالبكر واحتمى به وراح يبني مشروعه الشخصي في ظل من كان يسميه "الأب القائد". في ١٩٦٨ لم يكن صدام

جاهزاً. كان شاباً وتنقصه التجربة ولم يكن صاحب رصيد في الحزب او الشارع في حين كان وضع البكر مختلفاً.

نفّذ صدام خطة أعدها بعناية للهيمنة على كل مواقع القرار في الحزب والاجهزة الامنية والاعلام. طوّق البكر من كل الجهات بما في ذلك جهاز امن رئاسة الجمهورية. وكانت خطته تقضي بفصل البكر عن قاعدته العسكرية والشعبية. عندما اطمأن الى نضج الظروف ضغط على البكر للاستقالة.

< هل تعتقد انه أرغمه على الاستقالة؟

- لا شك في هذه المسألة. صحيح انني كنت خارج الهيئات القيادية للحزب لكن كانت لي صداقات عميقة داخل هذه الهيئات وداخل الدولة.

< نريد تأكيداً محدداً؟

- لا أريد الخوض في الاسماء لكنني اقول انني التقيت عدداً من افراد عائلة البكر والمقرّبين منه. اجمع هؤلاء على ان صدام اجبر البكر على التنازل. ولم يكن امام البكر خيار آخر.

عقد لقاء ثنائي بين البكر وصدام وطُرحت خلاله المسألة واتفقا على عقد لقاء للقيادة في اليوم التالي لاعلان الخطوة.

الاعتراض والثمن

في لقاء القيادة القطرية تحدث البكر فقال انه متعب ومتقدم في السن وانه أخذ قراراً لا رجعة فيه بالاستقالة. وقال البكر ما معناه: الرفيق صدام رفيقكم واخوكم، تدرّب وتعلّم وهو قائد كبير ومؤهل لقيادة العراق واعتقد انه خير من يحمل الراية بعدي.

اعضاء القيادة الذين لم تكن لهم علاقة باللعبة فوجئوا. كان لدى معظم هؤلاء شعور بأن البكر لا يزال يشكّل حاجة وان وجوده كمظلة للثورة والحزب والسلطة يشكّل ضمانة. وشعر هؤلاء ان صدام لا يزال غير مؤهل لتولي قيادة بلد معقّد وكثير المشاكل مثل العراق. اعترض هذا الفريق على قرار البكر بالتنحي. وبين المعترضين عدنان الحمداني وغانم عبدالجليل ومحمود محجوب ومحمد عايش ومحيي الشمري او المستهدي. كان هؤلاء يريدون استمرار البكر لترسيخ المؤسسات والاستقرار. لم يعترضوا على شخص صدام بل تخوّفوا على مستقبل تجربة الحزب والبلد.

عندما اعترضوا اعتبر صدام موقفهم مؤامرة كبرى ورأى فيهم عائقاً امام مسيرة تفرّده بالسلطة.

أصر البكر على موقفه ولم يكن امام الحاضرين غير القبول بصدام فوافق الفريق المعترض على مضض. طبعاً كان هناك بين الاعضاء من رحّب باختيار صدام مثل عزت ابراهيم وطه ياسين رمضان وحسن العامري وطارق عزيز.

< وتولى صدام الرئاسة؟

- تولى الرئاسة وأعلن اكتشاف مؤامرة خطيرة تقودها سورية وادواتها اعضاء في القيادة ومعهم كوادر عسكرية ومدنية من الحزب. وخلال ٤٨ ساعة اعدم ٥٤ من القياديين والكوادر الحزبية. وهي كانت المجزرة الكبرى.

دعا صدام الى ندوة للكادر الحزبي في بغداد لاقناع الاعضاء بوجود مؤامرة. تحدث صدام مستخدماً قدراته الاستثنائية في التمثيل. تحدّث وكشف وأعرب عن استغرابه واستهجانه. ولم يتردد في التعبير عن ألمه وحتى في البكاء.

قدّم معلومات مضحكة ومخزية وغير مقنعة لأي انسان. محمد محجوب كان وزيراً للصناعة التي كانت توقّع سنوياً على عقود بعشرات البلايين، اتهمه بتقاضي ١٥ ألف دولار من الملحق العسكري السوري وأعطى فلاناً خمسة آلاف دولار. هل يحتاج محمد عايش الى رشوة بهذا الحجم وهو الذي يوقّع على عقود بالبلايين؟ كان محمد عايش مستقيماً ونزيها.

شرح صدام المؤامرة بمراحلها. وفي النهاية فتح باب الاسئلة. فوقف شخص وطلب الكلام ولم يكن هذا الشخص سوى ابن عمه علي حسن المجيد. قال المجيد: يا سيدي هذه المؤامرة التي حدّثتنا عنها لن تكون الأخيرة ما دام عبدالخالق السامرائي حياً.

كان عبدالخالق السامرائي معتقلاً منذ سنوات في زنزانة انفرادية ولم يُسمح له بمقابلة أي انسان.

وضع صدام يده على شاربه وقال لعلي حسن المجيد: "خذ من هذا الشارب لن تصبح الشمس على عبدالخالق السامرائي".

وفي اليوم التالي اخرج السامرائي من السجن وأُعدم بطريقة همجية مقزّزة.

< لماذا هذا الحقد على السامرائي؟

- لو سألت ألد اعداء البعثيين عن عبدالخالق السامرائي لسمعتهم يشيدون به. انسان بريء ونقي ومخلص ونزيه وزاهد بكل شيء. قتله صدام حسين لانه كان بسلوكه يطرح النموذج النقيض. كان عضواً في القيادتين القومية والقطرية وفي مجلس قيادة الثورة وكان مسؤولاً عن المكتب الثقافي القومي للحزب. كان يشكّل النموذج النقيض لنموذج صدام المهووس بالسلطة والمظاهر والبذخ واستباحة كل التقاليد والأعراف. راقب صدام صعود شعبية السامرائي داخل الحزب وخارجه. صار وجوده مصدر إحراج. عندما صدر قرار بتعيين اعضاء القيادة القطرية للحزب وزراء اسندت اليه حقيبة العمل والشؤون الاجتماعية. رفض وتمسك بموقفه مفضّلاً الاستمرار في خدمة الحزب والناس، وكانت ابواب مكتبه مفتوحة للجميع.

الذريعة التي استخدمت للايقاع به هي الآتية: عندما حصلت مؤامرة ناظم كزار مدير الامن العامفي ١٩٧٣ وفشلت، اقترح كزار عبر جهاز الارسال ان يحصل لقاء في منزل عبدالخالق السامرائي لترتيب المسألة. اختار كزار منزل السامرائي لأنه ليس طرفاً في القضية. تعمّد صدام تفسير المسألة على انها دليل على تواطؤ السامرائي مع كزار. زجّ به في السجن وصدر ضده حكم بالاعدام.

اضطرت السلطة الى عدم تنفيذ الحكم بفعل الضغوط الداخلية والخارجية. أبقاه في السجن الى ان تعهد قتله.

رصاصة "الرفاق"

< بكى صدام خلال كشف مؤامرة الرفاق؟

- نعم قال انه حزين وظهرت الدموع في عينيه لاستدرار عطف الحاضرين. انه ممثل بارع جداً. كانت المجزرة استثنائية. غانم عبدالجليل كان مدير مكتب صدام، وعدنان الحمداني بمثابة رئيس وزراء، محمد محجوب كان وزيراً للتعليم العالي، محمد عايش وزيراً للصناعة، محيى الشحري كان مديراً عاماً لمجلس قيادة الثورة، أعدمهم ولم يرفّ له جفن.

< هل تؤكد رواية انه تعمّد اشراك حزبيين في اعدامهم؟

- هذه مسألة بالغة الخطورة. انه اسلوب يرمي الى توريط اكبر عدد من الناس. استدعى صدام قيادات الحزب في المحافظات ووزعهم على مجموعات. وكلّفت كل مجموعة باعدام واحد من اعضاء القيادة. كان واضحاً ان من لا يطلق النار ستُطلق النار عليه. أرغم قيادات الحزب على المشاركة في قتل المتآمرين. تصوّر الانعكاسات السلبية داخل الحزب، وكم تعقّدت العلاقات بين الناس. تصور شعور حزبي يُرغم على اعدام عضو في القيادة من دون ان يكون مقتنعاً بأنه مذنب.

لاحقاً استدعى صدام سفراء عراقيين واعدم وسجن. أعدم محمد صبري الحديثي وكيل وزارة الخارجية ومرتضى الحديثي الذي كان سفير العراق في الاتحاد السوفياتي وسجن عشرات الضباط والملحقين العسكريين وتعرضوا لتعذيب لا يتخيّله انسان.

"قصر النهاية"

< هناك روايات ان صدام كان يشارك شخصياً في التعذيب؟

- انا في الحقيقة لا املك دليلاً في هذا المجال. اقول لأن صدام ارتكب الكثير وألصق به الكثير ايضاً. يجب ان نتصف بالأمانة في استرجاع الاحداث. الواقع انني لا اعتبر الامر مهماً. فحتى ولو لم يشارك شخصياً فإن المسؤولية تقع عليه كونه صاحب القرار اساساً في الاجهزة الامنية.

< ما هي قصة "قصر النهاية"؟

- انه احد القصور الملكية وهو قريب من منطقة القصر الجمهوري. اتُخذ مقراً لدائرة الاستخبارات العراقية وصار اسمه مرعباً لكل عراقي.

< هل كان صدام يتردد على "قصر النهاية"؟

- طبعاً. كان يمضي معظم وقته هناك. عندما عرضت فكرة اعادة تشكيل اجهزة الامن بعد تموز يوليو ١٩٦٨ اتفقنا على تشكيل دائرة للعلاقات العامة لننزع من أذهان الناس سمعة المخابرات. عرض علينا ان نتولاها فرفضنا تباعاً لكن صدام قبل. بدأ يبني هذه المؤسسة الامنية ويستخدمها منطلقاً للسيطرة على الاجهزة والحزب والبلد. خلف صدام في قيادتها سعدون شاكر الذي كان يعمل برعاية صدام.

ضم "قصر النهاية" من السجناء بينهم عدد من السياسيين والحزبيين ناصريين وقوميين وشيوعيين وآخرين. كل هؤلاء كانوا قيد التعذيب بتوجيه من صدام حسين.

< من قتل النظام ايضاً؟

- يصعب احصاء العدد. ذهب الآلاف ضحية ممارسات المخابرات العراقية. لقد حوّل صدام العراق، بإصرار وتخطيط ودراية، الى دولة مخابرات. هذا وضع لم يقم في اي مكان آخر في العالم الى هذه الدرجة.

الحلقة الخامسة: الحرب العراقية الايرانية

في ذلك اليوم غمرته البهجة. قال لمعاونيه بمزيج من الكبرياء والشماتة: "عشت حتى سمعت الخميني يتحدث عن تجرّع السم وقبول وقف النار". وفي الليل راح يتمشى في مكتبه. استوقفته المرآة حدّق في ثيابه العسكرية وابتسم. ذات يوم طرق باب الكلية العسكرية فرفضوه. طرق ثانية فكرروا موقفهم. مساكين. قالها شامتاً. ها هم الجنرالات يتقاطرون وينحنون. يبعد جنرالات ويخترع جنرالات.

ينفث دخان سيجاره. لم تذهب سدى تلك الرصاصات التي سددها الى سيارة عبدالكريم قاسم. لم تذهب سدى تلك اللكمات التي وجهها الى الشيوعيين في الجامعة.

لم تكن الاقامة في "جهاز حنين" مضيعة للوقت. ولم يكن تسلمه دائرة العلاقات العامة بعد ٧ تموز يوليو ١٩٦٨ فقد كانت التسمية تعني الاشراف على الامن والاستخبارات.

تهجم عليه الذكريات. في السجن كان يقلّب الكتب، قرأ سير الكبار ومذكراتهم. قرأ لينين وستالين فأحب الثاني. اخضع الجنرالات بلا رحمة. طهّر الجيش وطهّر الحزب. يشم رائحة المؤامرة قبل ولادة خيوطها. يقرأ في العيون فيفضح الخيانات المحتملة. اول الدواء الكي ولا مبرر للانتظار. اعدامات. اعدامات. اعدامات. يضحك قصة ستالين تشبه قصته. كبر في ظل "الأب القائد" ثم حانت ساعته.

السلطة وليمة يقطفها جائع كبير دعاه التاريخ الى التهامها. لا حلفاء ولا شركاء. امرأة موتورة مثقلة بالمناجم. تخطفها او يخطفها الآخرون. وتستحق الوليمة هذا الدم المتراكم تحت الطاولة واجساد الرفاق المثقوبة في بغدد او عواصم بعيدة. يسخر من الوسطاء والناصحين. قدره هو قدره القصر او القبر.

* * *

سألت صلاح عمر العلي، العضو السابق في مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب، عن الحرب العراقية . الايرانية فكشف ما دار بينه وبين الرئيس صدام حسين قبل عام من اندلاعها. ففي هافانا قال صدام: "سأكسر رأس الايرانيين واسترجع كل شبر".

نص الحلقة الخامسة:

< لماذا ذهب صدام الى الحرب؟

- اعتقد بأن عاملين لعبا دوراً في هذا القرار. عامل يتعلق بشخص صدام الذي تطلع دائماً الى زعامة تتخطى حدود العراق. وغالب الظن انه اعتبر ان الانتصار على دولة بحجم ايران وإرغامها على اعادة حقوق عراقية سيجعله زعيماً بحجم جمال عبدالناصر وصاحب الكلمة الأولى في المنطقة. العامل الآخر هو اقتناع صدام حسين أو شعوره بأن مغامرته هذه تحظى بالحد الأدنى من الموافقة الغربية في ضوء ما كانت تثيره ايران، ما بعد الشاه، من مخاوف في الغرب. صدام ليس رجلاً ساذجاً ولا بد انه حصل ان لم يكن على موافقة فعلى شيء من التشجيع. فالحرب ضد ايران تحتاج الى اسلحة وذخائر لأن ايران دولة كبيرة بمقاييس المنطقة.

< صدام يكره ايران؟

- نعم.

< ويكره الخميني؟

- بطبيعة الحال.

اتهام صدام بالمذهبية خطأ

< ويكره الشيعة العراقيين؟

- هنا سيفاجئك الجواب. اتهام صدام بالمذهبية يخدمه ثم ان الاتهام غير صحيح. صدام لا يفكر بهذه الطريقة. انه يحدد علاقته بالآخرين في

ضوء قربهم من شخصه أو بعدهم عنه وفي ضوء قدرتهم على عرقلة مشروعه. من يشكل عقبة لا يرحمه سواء كان سنياً أم شيعياً. أقول هذا وأنا من تكريت. اعتبر من يتهم صدام بالمذهبية مخطئاً ويخدم صدام أو يدافع عنه. ليست هذه طريقة تفكيره. ثم ان الولاء لانتماء مذهبي ليس عاملاً سلبياً دائماً. تقدير الشخص لمذهبه لا يعني بالضرورة انه صاحب موقف سيء.

< لكن اجهزته تعتمد على السنة؟

- هذا خطأ يتكرر كثيراً. في الأجهزة الأمنية هناك الشيعي وهناك السني. ربما يتمركز القرار في بعضها في منطقة معينة بسبب الولاء المضمون والمعرفة، لكن القول أن الاجهزة الفاعلة لا تضم شيعة، أو ان نسبتهم ضئيلة جداً غير صحيح. هناك تزوير في هذه المسائل لأغراض معينة. اذا كنت موالياً لصدام يقبلك بغض النظر عن مذهبك. اذا كنت غير موال لن يقبلك حتى ولو كنت من عائلته. قتل صدام من تكريت أكثر مما قتل في مدن شيعية. أنا أعتبر اتهامه بالتعصب للسنة خدمة له. مقاييسه مختلفة.

قرار الحرب على ايران

< هل لديك شيء خاص عن الحرب العراقية - الايرانية؟

- سأروي هنا حديثاً كثير الدلالات يظهر ان قرار الحرب ضد ايران كان شبه متخذ قبل عام من وقوعها. في ايلول ١٩٧٩ عقدت في كوبا قمة لحركة عدم الانحياز وترأس صدام الوفد العراقي، اذ كان تولى الرئاسة قبل شهرين. وشاركت في القمة في اطار الوفد العراقي. وتولى رئاسة الوفد

الايراني الدكتور ابراهيم يزدي وزير الخارجية الذي عين في هذا المنصب بعد انتصار الثورة.

على هامش القمة عقد لقاء بين صدام ويزدي وكنت حاضراً. كانت العلاقات بين البلدين يشوبها قدر من التوتر. ليس فقط بسبب طبيعة التغيير الذي حصل في ايران وما رفعه من شعارات، بل ايضاً بسبب المناوشات الحدودية بين البلدين. وأقول بإنصاف ان غالبية الاعتداءات كانت تأتي من الجانب الايراني. اعتداءات على مخافر الشرطة العراقية وممارسات استفزازية في شط العرب.

في اللقاء جرى بين صدام ويزدي حديث بناء وايجابي ومهم. انتهى اللقاء باتفاق على متابعة الحوار على مستوى رفيع. خرجت لوداع الوزير الايراني وعدت الى داخل مقر صدام الذي سرعان ما خرج الى الحديقة ورافقته. الحقيقة ان المناخ الايجابي للقاء عزز رغبتي في ترسيخ قناعة ان الاشكالات يجب ان تحل بالوسائل السلمية لأنني كنت أدرك مخاطر اندلاع حرب بين العراق وايران التي تفوقه سكانياً بمرات. راودتني رغبة متزايدة ان أعزز لدى الرئيس شخصياً مثل هذه القناعة. واعتبرت أن أجواء الاجتماع تشجع على الخوض في كلام من هذا النوع خصوصاً اننا نتحدث على انفراد.

بدأت الحديث عن أهمية الحل السلمي والمفاوضات واللقاءات. وقلت اننا بلدان متجاوران وكل بلد يحتاج الى بناء اقتصاده وتوفير فرص التعليم والعلم لأبنائه. وأضفت ان الحرب ليست الطريق الى حل المشكلات. فهي تعقدها وتضاعفها خصوصاً إذا جرت على خلفية حساسيات تاريخية. كان صدام يستمع الي. والقدرة على الاستماع من صفاته.

سنكسر رؤوس الايرانيين

عندما انتهيت من كلامي تحدث صدام قائلاً: "يا صلاح انتبه. هذه الفرصة قد لا تتاح مرة كل مئة سنة. الفرصة متاحة اليوم. سنكسر رؤوس الايرانيين وسنعيد كل شبر احتلوه. وسنعيد شط العرب".

حدقت فيه وإذا به يضيف: "هذا الكلام عن حل سلمي وحل انساني وتصفية المشاكل مع ايران لا أريده ان يتكرر على لسانك اطلاقاً. حضر نفسك في الأمم المتحدة. اسمع ما أقوله لك. سأكسر رؤوس الايرانيين وأرجع كل شبر من المحمرة الى شط العرب".

كان كلام صدام مختلفاً تماماً عن أجواء الاجتماع، وهو بارع عادة في اخفاء ما يفكر به. لقد اعتبر ان أمامه فرصة تاريخية لتأديب ايران التي كانت تعيش صراعات فيما أخذ الجيش يتفكك.

شعرت بخطورة كلام صدام وفيه لهجة اندفاع أعمى. كنت أعرف حدودي فأنا أخاطب الرجل الذي فتك قبل شهرين بـ٥٤ قيادياً وكادراً حزبياً غداة تسلمه الرئاسة. ومذاك لازمني شعور ان الأمور تندفع في اتجاه الكارثة.

بدا واضحاً ان صدام يريد تصفية حسابات تاريخية مع ايران قبل ان تلتقط انفاسها. كما بدا ان الحرب مع ايران تشكل في نظر صدام فرصة لإعلان قيام العراق القوي كلاعب رئيسي في المنطقة واعلان تحول صدام الى اللاعب الأقوى فيها.

وفكرت في نفسي كم تغير السلطة في الناس. لم يعد صدام ذلك الشاب الهادئ الذي يصمت ويصغي ويعطي الانطباع انه كرس حياته للحزب.

صار المصدر الوحيد للقرار وأصابه غرور مخيف ورهان قاتل على الاحتكام الى القوة وحدها في التعامل مع الداخل والخارج.

< ماذا فعلت؟

- تمنيت ألا تحصل الحرب لكنها حصلت. لم يعد أمامي أي خيار. وفعلت كمندوب دائم للعراق في الأمم المتحدة كل ما استطيع أن أفعله لخدمة بلدي. كانت المعركة الديبلوماسية ضارية فعلاً في مجلس الأمن وحركة عدم الانحياز والكتلة الإسلامية والمجموعة العربية. كنت أؤدي واجبي، لكنني لم أكن مرتاحاً في الداخل. ورحت أسأل نفسي إلى متى استطيع التعايش مع مشاعري الداخلية هذه. عادت فكرة الاستقالة تراودني. ذهبت إلى بغداد والتقيت كثيرين بينهم صدام ووزير الخارجية.

كان ذلك في أيار مايو ١٩٨٢. قلت للرئيس صدام إن الحرب على وشك دخول مرحلة أخرى. إيران التقطت أنفاسها وبدأت تضغط علينا. هذه الحرب ليست الأولى في التاريخ. حصلت قبلها حروب. فلنبحث في ظروف نجاح الحرب. الدروس تقول إن الشرط الأول لنجاح المعركة هو أن يقاتل الجيش مدعوماً بجبهة داخلية متماسكة. أي جبهة وطنية متراصة تمثل كل القوى والأحزاب والشرائح. هذا الأمر يا سيدي غير متوافر الآن. هل يمكن أن يخوض حزب واحد هذه الحرب. طبعاً كان صدام يسمح لي بالتحدث ليس بصفتي سفيراً بل كعضو سابق في القيادة. قلت إن الرهان الحالي ينذر بخسارة المعركة. كي لا نواجه اندحاراً، أتمنى لو ترعى عملية بناء جبهة وطنية بعد توفير المناخ الضروري لقيامها.

كان صدام في تلك الأيام مصاباً بغرور هائل. قادة العالم يتحدثون إليه في الهاتف، فلماذا يقتنع بكلام سفير لبلاده في الأمم المتحدة. كان شديد الغرور إلى درجة العمى الكامل. قال لي: يا صلاح انسى هذا الموضوع

بالكامل. نحن لا نحتاج جبهة. ارجوك لا تتحدث في هذا الموضوع. إذا كنت تريد من طرفك ضمان حالة التوازن النفسي فنحن لسنا بحاجة. ثقتنا بنفسنا عالية جداً. الانتصار لنا. سنكسب المعركة. سيندحر الإيرانيون.

خرجت مقتنعاً بالاستقالة. والتقيت وزير الدفاع عدنان خيرالله ابن خال الرئيس.

صدام قتل عدنان خيرالله

< ماذا كان موقف عدنان خيرالله؟

- سأقول كلاماً ربما يفسر إلى حد ما لماذا قتل عدنان خيرالله لاحقاً على يد صدام حسين.

< هل تعتقد فعلاً أن صدام قتله؟

- لا شك لديّ أبداً. عدنان خيرالله كان ضد الحرب وضد سياسة صدام وضد اسلوبه في ادارتها.

< لنعد إلى اللقاء أين عقد؟

- في القصر الجمهوري نفسه. كانت المفاجأة بالنسبة لي ان عدنان شن هجوماً لاذعاً على صدام وتحدث عليه بقسوة.

< ماذا قال؟

- قال ما معناه إن صدام شخص لا علاقة له بالجيش والعلوم العسكرية. لا يعرف شيئاً عن الحرب ولا يتقن ادارتها. سيطر على القرار

وأزاح كل العسكريين المتخصصين جانباً. يتدخل في كل صغيرة وكبيرة وفي رسم الخطط، وهو ما يعرضنا لهزائم ونكبات وكوارث على كل الجبهات. تحدث بصراحة ومرارة.

< كيف يجرؤ على مثل هذا الكلام؟

- أعرف عدنان خيرالله منذ وقت طويل. وهو حزبي قديم ويعرف انني لن اوقع به. الرجل عسكري محترف وصاحب رصيد في الجيش. آلمته الخسارة وإصرار صدام على قرارات تدفع الجيش العراقي نحو الهزيمة. قلت له إذا استمرت إدارة الحرب على هذا المنوال سيدخل الإيرانيون بغداد. وافقني بألم وحكى لي عن جملة أشياء. قال إن ضباطاً لامعين في الجيش حولهم إلى أصفار. وتحدث بألم عن الشبان العراقيين الذين يخوضون معارك طاحنة ويستشهدون فيما ينسى الإعلام تضحياتهم ولا يتحدث إلاّ عن صدام، فهو واضع الخطط والمشرف على التنفيذ وصانع أي نجاح. الغيت من ذاكرة الإعلام العراقي صور الشهداء والأرامل ولم يبقَ إلا شخص صدام حسين. زاد كلام عدنان خيرالله قناعتي. عدت إلى نيويورك وفي شهر تموز يوليو ارسلت كتاب استقالتي.

< ماذا كان رد فعل صدام؟

- ارسل لي صهره حسين كامل. زارني في نيويورك وحاول بكل الطرق اقناعي بالعدول عن الاستقالة. قال إن البلد في حرب وأنت شخص معروف ولك تاريخ في الحزب وسيستغل الإيرانيون استقالتك ضدنا. أرجوك فلنبحث عن حل. مستعدون لأي وظيفة تطلبها. عرض اغراءات مالية ووظيفية.

< لنعد إلى مقتل عدنان خيرالله؟

- ذهب صدام وعائلته وعدنان وآخرون إلى شمال العراق في لقاء ذي طابع عائلي. خلال عودة عدنان انفجرت طائرة الهليكوبتر. التفسير الرسمي الذي قدم هو أن الطائرة سقطت بفعل العاصفة. وقال فنيون إن الرواية غير مقنعة وان الطائرة كانت ملغومة.

< هل تعتقد فعلاً بأن صدام قتله؟

- نعم، وهذه قناعة موجودة لدى معظم العراقيين. عدنان خيرالله صاحب رصيد وسمعة واسعة في الجيش. وهذا كاف ليقرر صدام ازاحته. وفي المناسبة لم يحصل تحقيق جدي في الحادثة.

صدام والكويت

< جئتم إلى السلطة في ١٩٦٨، هل كان صدام يومها يعتبر الكويت جزءاً من العراق؟

- لا. استطيع التأكيد ان لا صدام ولا الآخرين كانوا يعتقدون ذلك. لم يكن الموضوع مطروحاً ولم يبحث ولو مرة واحدة. كان هناك تسليم عام بأن موضوع الكويت انتهى وباتت دولة مستقلة وعلينا التعامل مع الواقع الجديد. أكبر طموح كان موجوداً لدى البعض هو أن تكون العلاقة مميزة فالبلدان لديهما حدود مشتركة واصول الكويت ربما تكون عراقية في هذه الحدود وليست أكثر.

< لماذا اجتاح صدام حسين الكويت؟

- واجه صدام بعد انتهاء الحرب مع ايران واقعاً جديداً. جيش يزيد عدد أفراده على مليون شخص خاض حرباً على مدى ثماني سنوات وصار يشكل عبئاً في أكثر من اتجاه. التفت صدام ووجد أمامه ديوناً هائلة لن

يستطيع العراق ايفاءها. طبعاً ابتهج صدام بما اعتبره "انتصاراً" وتحركت ماكينته الدعائية. في الوقت نفسه كان عليه ان يواجه حقيقة تردي الوضع الاقتصادي والحيلولة دون تسببه، مع عوامل أخرى، في سقوط نظامه. لم يجد صدام حلاً أفضل من دخول الكويت ووضع يده على ثروتها النفطية وربما التفاوض حول الديون والدور مستقبلاً. طبعاً هذا تفسير سريع لكنني اعتقد بأن وطأة الديون كانت المحرك الأول له. جس صدام نبض اطراف عدة قبل تنفيذ خطته ومن دون أن يكشف نواياه. في هذا السياق يأتي لقاؤه مع السفيرة الأميركية ابريل غلاسبي. استنتج صدام من هذا اللقاء ومن محاولات أخرى لجس النبض ان دخوله الكويت لن يتسبب في رد فعل غير عادي من جانب الغرب. في المقابل كان صدام ينوي تقديم منافع كبرى للغرب وبينها خفض أسعار النفط وفتح أسواق الكويت واضافة الى ذلك لعب دور الحليف والشرطي في المنطقة. ربما من سوء حظ صدام حسين ان الوضع الدولي لم يكن ملائماً لحساباته فقد كان الاتحاد السوفياتي يتداعى.

صدام وسورية

< كيف كانت مشاعر صدام تجاه سورية والحزب الحاكم فيها؟

- لم يكن لديه أي ود تجاه القيادة السورية. هنا أريد أن اقول انه قبل تسلمنا السلطة وبعدها كان الرئيس الراحل حافظ الاسد يبعث برسائل يؤكد فيها رغبته في قيام أفضل العلاقات والتفاهم معنا. وللأمانة كان البكر يثق بالاسد ويحبه ويكن له وداً ورأيه فيه ايجابي تماماً. هذا كلام سمعته أنا وسمعه غيري. العائق الأكبر امام هذا التقارب كان صدام حسين الذي اعتبر ان موقعه سيكون ضحية أي تقارب بين بغداد ودمشق. كان صدام حاقداً على الاسد لشعوره ان الرئيس السوري لا

يسلم له بالزعامة في المنطقة. كان صدام يزرع الألغام أمام أي محاولة جدية للتقارب بين العراق وسورية. وبلغت هذه السياسة ذروتها حين اعتبر تهمة التعامل مع سورية ذريعة كافية لاعدام كادرات قيادية في الحزب، وذلك غداة توليه الرئاسة خلفاً للرئيس البكر. تحدث صدام عن مؤامرة. والواقع ان المؤامرة لم تكن موجودة.

صدام والخليج

< ما هي مشاعره تجاه أهل الخليج؟

- مشاعره غير طيبة تجاههم، لا يكن لهم التقدير. يتعامل معهم باستعلاء كي لا أقول أكثر. اقول من دون مبالغة ان صدام ينظر الى الحكام العرب كأنهم وكلاء عابرون لا قدرة لهم على القرار ويعتبر نفسه الرجل الأجدر بقيادة العالم العربي.

< يعتبر نفسه قائداً تاريخياً؟

- لو عدت الى خطبه لوجدت أن لديه شعوراً بأنه صاحب مهمة انسانية كبرى أي أكبر من الأمة العربية. يعتقد بأن حجمه أكبر من أن تستوعبه الساحة العربية.

< يكره اسرائيل جداً؟

- نعم. موقفه معروف من اسرائيل ككيان.

... الاميركيون والسوفيات

< قيل انه أجرى اتصالات بالاميركيين خلال وجوده في القاهرة؟

- اعتقد بأن قصصاً كثيرة الصقت به. شخص يريد أن يحكم الأمة العربية أو أن يقودها هل يقبل أن يكون عميلاً لـ"سي اي ايه"؟ اشك في ذلك.

< كيف كانت علاقته مع السوفيات؟

- علاقات قوية جداً لكنها علاقات مصلحة وهو كان يبرمجها وفق مصالح نظامه ومشروعه ولا يسمح للسوفيات بالتأثير على قراره أو التدخل في الشؤون الداخلية.

< كرهه للشيوعيين صريح؟

- لا شك في ذلك.

الاتفاق مع مصطفى البارزاني

< في ١١ آذار مارس ١٩٧٠ وقع صدام اتفاق الحكم الذاتي مع ملا مصطفى البارزاني هل فعل ذلك عن قناعة؟

- خلال اللقاءات التي كنا نعقدها في سياق التخطيط لاطاحة حكم عبدالرحمن عارف كنا نستعرض المشاكل التي سيتعين علينا مواجهتها في حال نجاح حركتنا. وكان واضحاً ان الموضوع الكردي سيكون في مقدمها. وظهرت في تلك الاجتماعات قناعة مفادها انه لا يمكن حل المشكلة مع الأكراد بالوسائل العسكرية نظراً لطبيعة المشكلة وطبيعة المنطقة التي يقطنها الأكراد. ثم ان استمرار النزاع مع التنظيمات الكردية المسلحة يستنزف امكانات الدولة العراقية ويشغلها عن البناء الداخلي من جهة وعن دورها في النزاع العربي - الاسرائيلي من جهة أخرى.

في ضوء ما حصل لاحقاً تبين ان صدام لم يوقع بيان ١١ آذار ١٩٧٠ عن قناعة. لعله اعتبر ان مصلحته ومصلحة النظام تقضيان بالحصول على هدنة لالتقاط الانفاس.

مشكلة صدام انه يبرم اتفاقات لكن قناعته الحقيقية هي ان الأمور يجب أن تحسم في الميدان أي عن طريق القوة القاهرة. ثم انه من الصعب عليه أن يتعايش مع أي رجل قوي أو هناك انطباع بأنه قوي. وهذا ما يفسر توقيعه مع البارزاني وقراره بعد فترة غير طويلة باغتياله فكانت محاولة الاغتيال الشهيرة.

محاولة اغتيال البارزاني

< هل تجزم انه كان صاحب فكرة الاغتيال؟

- نعم. ومن كانوا في القيادة آنذاك يعرفون هذه الحقيقة. صدام اتخذ القرار واوكل التنفيذ الى ناظم كزار مدير الأمن العام. وحتى ولو تجاهلنا المعلومات المتوافرة في الدائرة الحزبية الضيقة هل يعتقد أحد بأن كزار المدين لصدام بموقعه يجرؤ على اتخاذ قرار من هذا النوع وبهذا الحجم يمكن أن يغرق البلد مجدداً في الاقتتال. اكثر من ذلك أقول ان صدام وضع الخطة شخصياً وأشرف كزار على التنفيذ.

يجب الانتباه هنا الى اسلوب صدام. في تلك المرحلة لم يكن غروره بلغ الحد الذي يمنعه من رؤية موازين القوى. حين يحتاج يتنازل ويوقع لكنه لا ينسى أبداً انه تنازل ويستعد للعودة عن هذه التنازلات لاحقاً.

الاتفاق مع الشاه

< وتوقيعه اتفاق الجزائر مع شاه ايران محمد رضا بهلوي في ١٩٧٥؟

- يمكن قراءته في ظل الظروف الداخلية والاقليمية التي كانت سائدة. لم يكن ذلك الاتفاق سهلاً، لكن صدام كان قادراً على اتخاذ القرارات الصعبة. كان يريد تدعيم سلطته في الداخل واستكمال هيمنته على كل المواقع بانتظار ان تكتمل الظروف التي تمكنه من انتزاع الموقع الأول في البلد. في تلك الفترة كان الجيش العراقي منهكاً في القتال مع الأكراد ولديه مشاكل تسلح وذخيرة. الأكراد كانوا مدعومين من ايران وقوى أخرى كثيرة ومناطقهم صعبة وهم أصحاب خبرة في القتال. حرب العصابات صعبة على الجيش النظامي. جاءت فرصة الجزائر فاعتبرها ثمينة جداً لعقد صفقة مع الشاه على حساب الأكراد. محمد رضا بهلوي كان أيضاً يحتاج الى الاتفاق اذ كان العراق يدعم المعارضة الايرانية.

الحلقة السادسة (الأخيرة):

عفلق وصدام

ولد صلاح عمر العلي في تكريت في ١٩٣٧ وأنهى دراسته الثانوية فيها قبل انتقاله الى الجامعة المستنصرية في بغداد لدراسة القانون والسياسة. في تكريت كانت الحركة السياسية ناشطة وكانت الغلبة للحزب الشيوعي في اجتذاب الشبان. لكن صلاح عمر العلي اجتذبته أفكار البعث فانتسب الى الحزب في ١٩٥٧.

يذكر ان المسؤول الحزبي دعاهم في تموز يوليو ١٩٥٨ الى اجتماع طارئ وأبلغهم بما سماه "انذار درجة ج" لجميع الحزبيين. سألوه عن السبب فقال انها اجراءات استعداداً لاحتمال وقوع أحداث في البلاد. وبعد يومين فقط حصلت ثورة ١٤ تموز يوليو التي نقلت العراق الى العهد الجمهوري.

يعترف أن أخطاء فظيعة وقعت لدى وصول الحزب الى السلطة للمرة الأولى في ٨ شباط فبراير ١٩٦٣. ويقر بأن "الحرس القومي" ذهب بعيداً في ممارسة العنف ضد الشيوعيين وكأن مطاردة الشيوعيين تحولت هدفاً في حد ذاتها. ويشير الى لجنتين للتحقيق تسببتا في اعدام كثيرين خصوصاً اللجنة التي كانت تضم هاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي.

سألته ان كان نادماً على رحلته في البعث فقال: "لا، وانني فخور بتلك الأيام وبما كان لدينا من أحلام وآمال. نادم فقط لأنني وثقت أحياناً بمن لا يستحق الثقة".

بعد إخراجه من القيادة في ١٩٧٠ عمل العلي سفيراً لبلاده في السويد ثم في اسبانيا وبعدها في الأمم المتحدة الى أن قدم استقالته العام ١٩٨٢ وانتقل الى صفوف المعارضة المقيمة في الخارج.

نص الحلقة الأخيرة

< بعد توليكم السلطة في ١٩٦٨ كلفتك القيادة القطرية الذهاب الى البرازيل لاقناع ميشال عفلق بالعودة الى بغداد لماذا ومن كان وراء الفكرة؟

- هذه المسألة طويلة ومعقدة ولا بد لفهمها من العودة الى الخلاف الذي كان قائماً بين البعث في سورية والبعث في العراق. كان السوريون يقدمون أنفسهم على أنهم أهل اليسار ويتهمون التنظيم العراقي بسلوك نهج يميني. اثبتت التجربة ان هذه الشعارات لم تكن صحيحة أو دقيقة. لا يتسع المجال هنا للخوض في كل التفاصيل التي أدت الى نشوء هذا الوضع. عندما تسلمنا السلطة في ١٩٦٨ اثير الموضوع في أحد الاجتماعات. كانت هناك قطيعة بين القيادة القومية والحزب في سورية. في العراق كنا ننظر الى القيادة القومية بوصفها الشرعية الحزبية واعتبرنا ان من الخطورة بمكان ان ينتفض الحزب في هذا القطر أو ذاك ضدها، خصوصاً في صورة انقلاب عسكري عليها. لو سلّمنا بهذا المنطق لتحول الحزب الى جزر كي لا نقول الى ما هو أكثر من ذلك. لا يمكن التذرع بمعارضة توجه للقيادة القومية لتبرير ترتيب انقلاب عليها.

استعادة عفلق

في الاجتماع كان الرأي متفقاً ان القيادة القومية يجب أن تعود الى العراق وتحديداً في شخص ميشال عفلق. كلفتني القيادة القطرية ان

أذهب الى البرازيل لاقناعه. وإذا صدقت الذاكرة اعتقد بأن الرئيس أحمد حسن البكر كان وراء الاقتراح ربما لاعتقاده بأن عودة عفلق ترسخ شرعية البعث الذي تسلّم السلطة في بغداد.

< ماذا حدث في البرازيل؟

- أروي هنا بأمانة كاملة. استقبلني عفلق استقبالاً حسناً وكان ترحيبه شديداً. تحدثنا وقدمت له صورة عن الوضع في العراق وعن الأوضاع في القيادة القطرية. الواقع انني فوجئت بالظروف التي كان الرجل يعيشها. كان يقيم مع زوجته وأطفاله الأربعة في غرفة واحدة لدى خاله، وهو طبيب متقاعد متقدم في السن. ولم تكن ثمة حاجة الى شروحات. فقد بدا الرجل يعيش في ظروف مزرية جداً. شعرت بألم لأن هذا الرجل الكبير الأحلام اختار الابتعاد وفي ظروف قاسية. قبل مجيئنا الى السلطة كانت العلاقات مقطوعة. فهو مقيم في البرازيل ونحن قيادة تمارس العمل السري. قلت لعفلق ان الرفاق في القيادة القطرية يصرون على أن تعود الى بغداد.

عفلق: هذا الحزب ليس حزبي

< ماذا كان رده؟

- كان الرجل في حالة نفسية شديدة الصعوبة. وبدا في الأيام الأولى انه أقفل الباب نهائياً أمام احتمالات العودة. كان النقاش صعباً وطويلاً. قال عفلق وبمزيج من الأسف والألم انه لا يرى ما يربطه بتنظيمات الحزب في سورية والعراق. قال: "هذا ليس الحزب الذي عملنا من أجله ووضعنا الأسس الأولى له. تغير الحزب كثيراً وتبدلت مسيرته وابتعدت

عن المبادئ والقواعد والضوابط. لم أعد أشعر أن صلة ما تربط بيني وبين هذا الحزب. أنا شخص لم تبق لي علاقة به.

أتمنى لكم كل توفيق ونجاح. أتمنى أن تؤدوا دوركم الوطني والقومي بشكل صحيح وأن تكونوا في خدمة شعبكم وأمتكم. أنا لم أعد في حاجة الى تجارب جديدة. ما عشته يكفي ولا مبرر لتكراره. عشت كل هذه المشاكل والمآسي وأنا الآن اخترت العيش في البرازيل. اشكرك لأنك جئت. وأشكر الرفاق في بغداد. رجائي ان تتفهموا موقفي وعدم قدرتي على العودة. ارجوك ان تنقل سلامي الى الاخوان".

قال عفلق ذلك بلهجة قاطعة تظهر عمق المرارة التي يشعر بها. وخالجني شعور أن خيبته من ممارسة الحزب دفعته الى الطلاق الكامل مع الآمال التي علقها عليه سابقاً. كان واضحاً انه يعتبر ان الحزب في سورية خرج عن المسار القومي للتنظيم وأن شيئاً شبيهاً حصل في العراق نفسه خصوصاً حين كان الحزب بقيادة علي صالح السعدي. كان من الصعب علي، وعلى اعضاء القيادة في بغداد، تقبل هذا الموقف. مكثت في البرازيل ثلاثة أسابيع نجحت في نهايتها بإقناعه بالموافقة على العودة.

< هل قال شيئاً محدداً عن البكر؟

- لم يخض تفصيلاً في الأشخاص لكن كان واضحاً انه يكن احتراماً كبيراً للبكر.

< وعن صدام؟

- كان عفلق يعرف صدام لكن لم يتوقف عند اسمه اذ لم يكن صدام بدأ يومها صعوده الفعلي.

شروط العودة

< ماذا اشترط للعودة؟

- الحقيقة انه لم يضع شروطاً بمعنى الشروط ولم يظهر لي انه كان أعد خطة للتفاوض. كان قراره الاستمرار في الابتعاد. لم اقبل. قلت له انت ميشال عفلق. لست عضواً منتسباً الى الحزب. أنت المؤسس. مهما كان حجم التشويهات التي لحقت بالحزب عليك التصدي لها. لست عضواً عادياً لتعلن يأسك وتطوي الصفحة. قدرك ان تستمر في هذا الحزب وان لا تنسحب منه اطلاقاً. لا يمكنك الاستقالة والابتعاد. يجب ألا تنسى الحقائق وهي ان بعثيين استشهدوا من أجل مبادئ الحزب الذي أسسته. وأن مئات البعثيين اعتقلوا ونكل بهم واحيلوا على المحاكم وكانوا يهتفون تحت التعذيب بحياة الحزب. هل يصح ان يتعرض هؤلاء لما تعرضوا له بسبب وفائهم لعقيدة الحزب، عقيدة ميشال عفلق، وتجلس أنت في البرازيل غير مبال بما يحدث وترفض العودة الى موقعك في الطليعة؟ اعطى هذا الاسلوب ثماره. وافق على العودة لكن على مراحل، بمعنى ان يمر على باريس وبعدها بيروت للقاء الرفاق الموجودين هناك وسماع آرائهم ثم يتوجه الى بغداد.

< كيف استقبل في العاصمة العراقية؟

- كان الاستقبال حافلاً وكان الجميع في انتظاره يتقدمهم البكر.

شخصية عفلق

< ماذا تقول عن شخصية عفلق؟

- يصعب اختصارها بكلمات قليلة. رجل هادئ جداً ومستمع جيد جداً. مقل في الكلام لكنه شديد التركيز حين يطرح أفكاره. متواضع ويعشق البساطة. جوهر سلوكه لم يتبدل على رغم محاولات صدام استدراجه الى عالم المظاهر والحياة المترفة. دوره أعطاه هالة ومهابة.

صدام وعفلق

< يقال ان مكتبه كان كبيراً وصلاحياته قليلة؟

- هذا بالضبط ما حدث. اهتموا براحته كشخص. وفروا له شروط عيش كريم ولائق بعدما عانى في البرازيل ضنك العيش. كانت ظروف اقامته هناك رديئة جداً. في العراق اعطوه مكتباً محترماً وسكناً لائقاً. اعتنوا بحياته العادية والشخصية لكن لم يعطوه دوراً باستثناء بعض مظاهر التكريم.

< هل كان صدام يحبه؟

- لا صدام كان يحبه ولا البكر. كانا يخافان منه ولديهما حذر عميق تجاهه. كانت لديهما شكوك يقتضي شرحها الخوض في تفاصيل كثيرة.

برز نجم صدام في السبعينات وبدأت صورته تظهر على الساحة العربية. استقطب مشاعر فئات من المواطنين اعجبوا به وراهنوا عليه. صارت له صورة القائد. حتى ان الحزب الشيوعي العراقي، هذا الحزب القديم

والعتيد، انخدع، وسماه "كاسترو العراق". وتحدثت وسائل اعلامهم عنه بايجابية. الأكراد ايضاً اعجبوا به وراهنوا على حل معه وتعاملوا معه بايجابية عالية.

وبعد تأميم النفط في ١٩٧٢ صارت بتصرف صدام ثروة هائلة يمكنه توظيفها في خدمة طموحه. هكذا صارت الرشوة ورقة موازية يستخدمها صدام الى جانب ورقة الترهيب. قام بعملية شراء واسعة. رشوات لسياسيين واعلاميين ولمثقفين عرب. هذا السلوك مكّن صدام من تقديم نفسه في صورة مثالية وبوصفه القائد المنتظر للأمة العربية. في مناخ الترويج الإعلامي الهائل هذا كان من الصعب اكتشاف السلبيات. كانت الدول منهمكة في الحصول على عقود، وبعض المؤسسات في المساعدات، وأفراد كثر بالرشاوى. كان العراق في خضم نشاط كبير. استورد ما يقرب من خمسة ملايين عامل.

أوردت كل ذلك لأقول ان ميشال عفلق خدع هو الآخر والى حد انه اعتبر صدام "هدية السماء الى البعث وهدية البعث الى الأمة العربية". هكذا وصفه عفلق في احدى الخطب. استطيع ان أقول، وبحكم علاقاتي الحزبية، ان عفلق قبل وفاته بفترة قصيرة كان يبدي أسفه الشديد لوقوعه في خطأ الاعجاب بصدام. أنا على اطلاع مباشر في هذا الأمر. لكن الرجل كان تقدم في السن ولا توجد لديه خيارات أخرى. لم يكن لديه غير تقبل الحالة كما هي.

> هل تقصد أن صدام لم يكن يثق بعفلق؟

- لم يكن يثق به أبداً.

< ما هو الدليل؟

- أعرف هذه المسألة معرفة دقيقة جداً.

< من صدام؟

- نعم.

< لماذا؟

- ليس لأن الشخص ميشال عفلق. صدام لا يريد شريكاً مهما كان اسمه. لدى صدام نزعة فردية قاتلة وليس لها مثيل. أنا اعتقد بأن هتلر كان يستشير القيادة اما صدام فلا يفعل.

حتى ستالين كان لبعض أعضاء القيادة لديه أدوار. صدام لا يسمح لأي انسان بأي دور. طبعاً كان صدام يتظاهر بالحب والود والاحترام تجاه ميشال عفلق. لم يكن يزعجه ان يستخدم عفلق كلافتة في ما يتعلق بالشرعية الحزبية أو لإغاظة آخرين. أقول وأعرف ما أقول، لم يكن صدام يأتمن عفلق ولم تكن لديه مشاعر ود تجاهه.

عفلق: صدام شرهٌ للمديح

< متى التقيت عفلق للمرة الأخيرة؟

- في ١٩٨٣ في باريس أي بعد استقالتي والقطيعة مع النظام. عرفت انه في العاصمة الفرنسية فذهبت اليه وكان لديه زوار. لدى مغادرتي قلت له أريد أن أراك فطلب رقم الهاتف والعنوان حيث أقيم. بعدها اتصل وجاء مع زوجته ورفيق من لبنان. أخذوني في سيارة الى خارج باريس وجلسنا في مقهى بقرب غابة.

أدرك عفلق انني أريد التحدث اليه على انفراد فمشينا في الغابة. كنت مكلفاً من عدد من الرفاق أن أتمنى عليه عدم العودة الى بغداد وعدم الانزلاق أكثر في مديح صدام. قلت له أنت مؤسس الحزب ومع ذلك تمتدح صدام في خطبك على رغم تحوله رمزاً للمشاكل التي يعانيها العراق ولعذابات البعثيين أنفسهم. ذكرته بالاعدامات وتحديداً بعبدالخالق السامرائي، وهو كان يحبه ويقدره. وقلت له ان امتداحه صدام يجرح مشاعر البعثيين وأن هذا الموقف لم يعد مقبولاً. رجوته أن يشرح موقفه.

< ماذا قال؟

- فوجئت انه لم يمتدح صدام ولم يدافع عنه. قال: "انني الآن، يا صلاح، وبعد كل الذي جرى أجد نفسي أمام وضع يصعب علي الخروج منه. كبرت في السن ولن أعيش أكثر من سنتين أو ثلاث. لدي عائلة وأنا محكوم بالاعدام في سورية وغير قادر على خيارات جديدة. صدام شره للمديح وأنا مضطر أن أتجنب مشاكله". قلت له: "نحن لا نطلب منك أن تعادي صدام. نطلب فقط أن تبقى في باريس احتراماً للحزب ولرفاقك الأحياء والأموات وإذا كانت المشاكل إعالة عائلتك فأنا والرفاق الذين كلفوني التحدث اليك نتكفل ذلك".

كان الحوار طويلاً واستمع باهتمام ولم يبد اعتراضاً أو امتعاضاً. في النهاية قال: "أنا محكوم بظروف معينة وإذا تمكنت من الخروج منها أعدك وعداً كاملاً بتنفيذ ما طلبت".

عاد عفلق الى بغداد ولا أعرف هل هي وطأة السن دفعته الى الاستسلام أم خوفه من الاغتيال في الخارج.

الإعدامات وإيران

< ماذا قال عن موضوع الاعدامات؟

- علق عليه وتوقف عند اعدام عبدالخالق السامرائي، قائلاً ان هذا الانسان على درجة من الصفاء والاخلاص والتواضع تجعل مقتله بمثابة محنة كبيرة جداً. وأذكر جيداً قوله ان محنة عبدالخالق السامرائي لم تحصل الا مع الحسين.

< وعن الحرب العراقية - الايرانية التي كانت في أوجها؟

- أشار الى أن صدام ورط الحزب والعراقيين في تلك الحرب. اذكر جيداً قوله ان صدام قام بعمل خاطئ بمحاربته ايران وخلق مشاكل للعراقيين والعرب.

< هل كان يتحدث بصراحة عندما كنت تلتقيه في بغداد؟

- كان يعرف ان أي حديث في المكتب أو البيت لا بد وأن يصل الى الأجهزة. كان يشعر أن مقره مزروع بالميكروفونات ولم يكن في وارد الدخول في مشاكل ومواجهات.

في السجن ثلاث مرات

< كم مرة دخلت السجن؟

- ثلاث مرات. الأولى في العهد الملكي وكان التعذيب بسيطاً. كان ذلك في ١٩٥٧ ولبضعة شهور. الثانية في ١٩٦٤ تعرضت فيها لتعذيب قاس للغاية. عذبت على أيدي اثنين من مديري الشرطة هما فوزي الجميري وعبدالله شعبان. ضُربت بقضيب حديد على رأسي ولا يزال الجرح

واضحاً. وضُربت على يدي وكسر اصبعي. وعلقت من يدي في سقف الغرفة في سجن تابع لمعسكر التاجي للجيش في شمال بغداد. دام الاعتقال نحو تسعة أشهر. الثالثة كانت في ١٩٦٥ ودام الاعتقال سبعة شهور لكن لم أتعرض لتعذيب.

التجربة الأقسى كانت في ١٩٦٤. الطريف انه بعد تسلمنا السلطة في ١٩٦٨ تذكر الرئيس البكر الذي كان معتقلاً معي في ١٩٦٤ كيف كان يراني أنزف دماً احياناً خلال نقلي في السجن. ذات يوم حملوني على نقالة لأنني لم استطع المشي. اتصل بي الرئيس البكر وذكرني بتلك المشاهد وقال لي نريد أن تدلي بشهادتك على مديري الشرطة اللذين أشرفا على تعذيبك لنعاقبهما. وفي الحقيقة شعرت أن تربيتي وخلفيتي السياسية وقناعاتي تمنعني كمسؤول في تلك الفترة من فتح ملف شخصي فرفضت. خلال رحلة السجون التقيت البكر والتقيت صدام أيضاً.

< هل تعرض صدام للتعذيب في السجن؟

- أنا لم أره تحت التعذيب. شاهدته في دائرة الأمن العام.

< لم تزر بغداد من ١٩٨٢؟

- نعم، والزيارة ليست واردة ما دام صدام موجوداً. هناك حكم بالإعدام صدر بحقي والذنب أنني استقلت. يعتبرون الاستقالة العادية مؤامرة. لدي أربعة أولاد لم يشاهدوا البلاد. حتى عندما كنت سفيراً لم أكن اجرؤ على أخذ عائلتي كاملة الى العراق لأنني لم أكن مطمئناً.

العراق في ظل الحرب المحتملة

< هل تخشى حصول انقسام مذهبي في الجيش في حال اندلاع الحرب؟

- للأسف كل الاحتمالات واردة. في حال حدوث الحرب يمكن أن يبادر الجيش الى اسقاط النظام خصوصاً إذا أدت حملة القصف الجوي الى ضغوط شديدة. اذا لم تستطع المؤسسة العسكرية المبادرة ربما يحصل انقسام في الجيش وفي المجتمع، مما يفتح الباب لحصول حرب أهلية. يخشى فعلاً من حصول انتقامات واسعة. ممارسات النظام خلقت حالات احتقان واسعة لدى مئات الآلاف من العراقيين. من نكّل بهم ربما يتحينون الفرصة للثأر. تعرف ان الطابع العشائري لا يزال مسيطراً في صورة عامة تقريباً. ما لم تحدث سيطرة تامة وحقيقية فور سقوط النظام فإن الانتقامات واردة. وهناك خطر في أن تسيل دماء كثيرة. أنا لا استبعد حصول أي شيء في العراق. الحرب الأهلية واردة وليس بالضرورة لأسباب مذهبية. يمكن أن يحدث اقتتال داخل الشيعة وداخل السنة.

< هل تتخوف من تدخلات ايرانية وتركية؟

- اذا سادت الفوضى واندلعت مواجهات سيكون من الصعب منع ذلك من الانتشار الى خارج حدود العراق. ايران قد تتدخل لدعم مؤيديها وكذلك تركيا وربما دول أخرى. الدول المحيطة بالعراق لن تقف مكتوفة الأيدي. انني أخشى من انفجار على مستوى المنطقة.

< هل تتوقع العودة الى بغداد بعد الحرب؟

- اذا كانت الأوضاع تسمح سأفكر في الأمر بالتأكيد.

< الأميركيون يتحدثون عن إدارة عسكرية؟

- لا أريد الاجابة على هذه النقطة بالذات لأنني أساساً ضد المشروع الأميركي بالكامل وضد الحرب. أنا مع الحل الوطني العراقي والحل السياسي للقضية العراقية.

< كيف يمكن تحقيق ذلك؟

- بإرغام صدام على تطبيق القرار ٦٨٨ لمجلس الأمن الذي يضمن انهاء النظام الديكتاتوري والانتقال السلمي للسلطة.

< وكيف يقبل صدام؟

- انه يجبر حالياً على أمور كثيرة. لو اتفقت الولايات المتحدة مع فرنسا والمانيا ودول أخرى على برنامج لمساعدة الشعب العراقي على الحل السياسي لامكن ممارسة ضغوط على صدام.

الموقف من المعارضة

< هل لديك مشاعر خيبة من المعارضين العراقيين المؤيدين للحل الأميركي؟

- انتقدتهم في مناسبات عدة وما زلت. أشعر بالأسف لأن مواطنين عراقيين ارتضوا وضع أنفسهم تحت تصرف دولة أجنبية بذريعة أنهم معارضون للنظام. فهل يجوز لمن تكون ارادته مرتهنة لآخرين أن يقول انه يسعى الى تحرير وطنه؟ المسألة مطروحة بطريقة معكوسة. هذا الفريق ينفذ حالياً سياسة دولة أخرى وبرنامجها. كان المفروض ان يتفقوا على برنامج مستقبلي مع أطراف المعارضة كافة ثم يسعون

للحصول على دعم العالم وفي ضوء مصلحة العراق. ان الوضع الحاضر ينذر بمزيد من التعقيدات للقضية العراقية.

< هناك انطباع بأن حصة الشيعة ستكون أكبر بعد اطاحة النظام الحالي؟

- ما يهمني أولاً هو أن تكون هناك ديموقراطية وأن يترك القرار لصندوق الاقتراع وبغض النظر عن انتماء الفائز.

(انتهى الحوار مع صلاح عمر العلي)

اذار ٢٠٠٣

نزار الخزرجي

الرئيس السابق لاركان الجيش العراقي

يكشف

حوارات من سلسلة "يتذكر" نشرتها جريدة الحياة

بين ٢٨ تشرين الثاني /نوفمبر و٢ كانون الأول /ديسمبر ٢٠٠٢

في برد سوغو، البلدة الدنماركية الهادئة، رجل ستيني يتحرق للعودة إلى بلاده. وقدر هذا الرجل أن يكون من بلاد صعبة خبر أهوال عقودها الماضية. لكن العودة تستلزم ازاحة الرجل الذي يمسك بمصائر كل المقيمين على تلك الأرض. وهي مهمة صعبة أيضاً.

إنه الفريق أول ركن نزار الخزرجي الرئيس السابق لأركان الجيش العراقي.

أسباب كثيرة دفعتني إلى محاولة اشراكه في سلسلة "يتذكر". فهو دخل الكلية العسكرية في ١٩٥٥، أي في ظل الحكم الملكي وقبل ثلاثة أعوام من ثورة ١٤ تموز يوليو. وفي صفوف الجيش عاش تلك العقود المضطربة التي راحت تتزايد خطورة حتى اليوم. ارتقى في السلّم العسكري وتولى قيادة فرقة وفيلق. وعلى دوي الحرب العراقية - الإيرانية عين في ١٩٨٧ رئيساً لأركان الجيش واقترب عدد العاملين تحت امرته من المليون. وفي عهده في رئاسة الأركان توقفت الحرب بفعل تغيير اقترحه في استراتيجية المواجهة. وكان الخزرجي رئيساً للأركان أيضاً حين اجتاحت قوات الحرس الجمهوري الكويت من دون ابلاغه. وسيروي القصة كاملة ومعها كيف اتخذ الرئيس صدام حسين قرار ازاحته من منصبه لأنه قال أمامه في الاجتماع "سنخسر الحرب". وبعد ذلك التاريخ عين مستشاراً عسكرياً لرئيس الجمهورية وعضواً في المكتب العسكري للحزب، لكنه لم يمارس المهمتين ولازم منزله حيث بات في شبه اقامة جبرية. وفي ١٩٩٦ اتخذ قرار الخروج سراً من العراق، لأنه اعتبر اطاحة نظام صدام شرطاً لإنقاذ البلاد.

منذ شهور يتزايد الهمس عن دور ينتظر الخزرجي وهو أرفع عسكري فر من البلاد. لكن محاولته الحصول على وثيقة سفر لمغادرة الدنمارك إلى شمال العراق ايقظت الشكاوى التي رفعت ضده في كوبنهاغن واتهمته بارتكاب "جرائم حرب" في كردستان، خصوصاً ما يتعلق بقصف حلبجة

بالسلاح الكيماوي وحملة الانفال. وحال التحقيق المفتوح دون حصوله على وثيقة السفر وهو ينذر بتحويله "أسيراً" في حين يتطلع عسكريون عراقيون إلى أن يتقدم صفوفهم من شمال العراق إلى بغداد.

في شقته المتواضعة فتح الخزرجي لـ"الحياة" دفاتر الحاضر والماضي، وهو يعرف الكثير. تحدث عن الحرب العراقية - الإيرانية والمعارك التي أدت إلى حسمها والاستخدام المتبادل للسلاح الكيماوي. وتوقف عند الفترة الفاصلة بين وقف النار مع إيران وغزو الكويت والتغيير الهائل الذي طرأ على شخصية الرئيس المسكون بهاجس التاريخ والشديد الاعجاب بجوزيف ستالين. روى كيف يدير صدام حسين البلاد والمؤسسة العسكرية، وتوقف عند الأدوار حول الرئيس وحلقة الضعفاء أصحاب الولاء الكامل. وحكى قصة هيئة التصنيع العسكري وأسلحة الدمار الشامل و"المملكة" التي كانت في عهدة رجلين هما صدام حسين وصهره الراحل حسين كامل. وكشف مجموعة انتفاضات خطط لها الجيش لإطاحة النظام الذي رد عليها بسلسلة طويلة من عمليات الإعدام. اعتبر أن الحل للمأزق العراقي يجب أن يكون عراقياً بانتفاض الجيش والشعب مع ضغط أميركي وغربي ودولي. وحذر من أن حرباً على العراق ستؤدي إلى تمزيق الجيش والبلد واطلاق صراعات رهيبة بين القوميات والطوائف والمذاهب.

ت٢/٢٠٠٢

الحلقة الأولى: أسلحة الدمار الشامل وقصف حلبجة

< ما هي قصة اسلحة الدمار الشامل؟

- هذا الملف موجود منذ الاساس لدى هيئة التصنيع العسكري المرتبطة مباشرة بالقائد العام اي الرئيس. لم تكن لوزير الدفاع او رئيس الاركان اي علاقة بها. لم تكن لدينا اي فكرة عن مسار البرنامج النووي. ولم نكن على اطلاع على تطوير السلاح الكيماوي او الجرثومي، ولم تكن مثل هذه المسائل تناقش في اجتماعات كبار الضباط ولم يكن احد يشير اليها.

< هل تعتقد ان صدام حاول انتاج قنبلة نووية؟

- نعم حاول. لكن نحن نعرف ان المفاعل الرئيسي دمر في ١٩٨١ على يد سلاح الجو الاسرائيلي. بعدها لجأ الى وسائل اخرى اقل تطوراً لكن المسألة لم تكن سهلة على رغم شراء بعض التجهيزات وتهريبها من الخارج. اشك في ان يكون قادراً الآن على انتاج قنبلة نووية.

بالنسبة الى السلاح الكيماوي قال سكوت ريتر ان المفتشين دمروا اكثر من ٩٥ في المئة من المنشآت التي انفق صدام مبالغ هائلة في بنائها وشراء تجهيزاتها. اعتقد ان قسماً كبيراً من السلاح الكيماوي دمر. وحتى ولو كان هناك مخزون فان عامل الوقت يجعل هذا المخزون بلا قيمة لانه يفسد. طبعاً السلاح الكيماوي ليس كبير التأثير في الحرب النظامية اي على الجيوش لكنه مرعب للاهالي. ثم انه يجب ان يستخدم بكميات واسعة جداً ويجب ان تحمله اصلاً القوات الجوية. انا اشك في حال

حصول حرب جديدة ان تتمكن طائرة من طائرات صدام حسين من التحرك في الاجواء. سلاح الصواريخ دمر عملياً. لهذا اشك في ان يكون قادراً على توجيه ضربات كيماوية فعالة. السلاح الجرثومي مسألة اخرى، يمكن انتاجه في مختبرات خاصة ويمكن ان يكون المختبر صغيراً. لهذا لن يكون غريباً ان يكون لديه سلاح جرثومي. اما السلاح النووي فلا اعتقد ان لديه الامكانات والوقت اللازم لانتاجه كما اشك في ان تكون لديه مخزونات كبيرة من الاسلحة الكيماوية وان يكون قادراً على استخدامها في شكل مؤذ.

طبعاً لا يمكن فصل موضوع اسلحة الدمار الشامل عن تفكير صدام حسين الذي يعتبر ان الكلمة الاخيرة هي للقوة. وهو يعتقد في قرارة نفسه انه قائد استثنائي وان العراق القوي بقيادته قادر على لعب دور كبير في المنطقة. ثم انه رأى ان العراق يجاور دولتين اكبر منه سكانياً احداهما تركيا وهي دولة اطلسية والاخرى ايران وبينها وبين العراق تاريخ طويل. هذه العلاقة يضعها صدام في اطار النزاع بين العرب والفرس. هناك حلم القوة وجاءت الحرب العراقية . الايرانية، وحين بدت طويلة انطلقت برامج تطوير اسلحة الدمار الشامل وانفق عليها بلا حساب.

< متى استخدم السلاح الكيماوي للمرة الاولى في الحرب العراقية . الايرانية؟

- استخدم في النصف الاول من الثمانينات رداً على الموجات الايرانية المتلاحقة. لا اذكر الموعد تحديداً. استخدم في الغالب عن طريق القوة الجوية واحياناً عن طريق سلاح الصواريخ. طبعاً هنا يجب القول ان الجانب الايراني استخدم ايضاً السلاح الكيماوي لكن استخدامه لهذا السلاح كان بدائياً.

< هل تجزم ان ايران استخدمت هذا السلاح واين؟

- نعم استخدم الايرانيون السلاح الكيماوي وفي مناطق مختلفة ووقعت اصابات في الجانب العراقي. لكن في تلك الفترة كانت الطائرات العراقية تسيطر على الاجواء فاستخدام الايرانيون وسائل اخرى لم يكن لها تأثير كبير. نعم لقد قتل عراقيون بالسلاح الكيماوي الايراني، لكن استخدام هذا السلاح من جانب العراق كان اكثر تطوراً. اعتقد ان السلاح الكيماوي استخدم للمرة الاولى في ١٩٨٤. لا اذكر الموعد تحديداً. اعتقد ان العراق كان اول من لجأ الى هذا السلاح.

< من يستطيع استخدام السلاح الكيماوي في العراق وما هي الآلية؟

- استخدام هذا السلاح مدرج تحت تسمية "الضربات الخاصة". والامر بتنفيذ هذه الضربات لا يمكن ان يصدر الا عن القائد العام. الاستخدام والتوقيت والسيطرة على العملية امر يعود الى القائد العام. هذه الاسلحة تصنع في هيئة التصنيع العسكري، لكنها تستخدم عبر وسيلتين: القوة الجوية او الاسلحة القاذفة الموجودة لدى الحرس الجمهوري الخاص. وتحريك هذه الاسلحة الكيماوية وشحنها وموعد اطلاقها واستخدامها من شأن القائد العام وحده.

< هل يمكن وضع قصف حلبجة في هذا السياق؟

- تعرضت حلبجة لضربة جوية بأمر من القائد العام. الواقع ان ما حصل غريب. كان علي حسن المجيد مسؤولاً عن الشمال واعطى صلاحيات استثنائية كاملة. وكانت هناك هجمات ايرانية في المنطقة. ابلغت عناصر امنية وحزبية علي حسن المجيد ان حلبجة سقطت في يد الايرانيين فاخبر صدام بذلك. عندها امر صدام بتوجيه "ضربة خاصة"

الى حلبجة معتقداً انه سيكبد الايرانيين خسائر كبيرة. كانت الضربة جوية. والغريب ان حلبجة ساعة الضربة لم تكن قد سقطت بيد الايرانيين وكان لا يزال فيها عدد من الجنود العراقيين. وقد اكد عدد من القادة الاكراد انهم عثروا بين ضحايا حلبجة على جثث جنود عراقيين. قائد الفرقة التي تتولى مسؤولية الامن في المنطقة لم يكن يعرف بالضربة، ولا قائد الفيلق ولا انا رئيس الاركان ولا وزير الدفاع نائب القائد العام الفريق اول ركن عدنان خير الله. عرفنا بعد حدوث الضربة. قائد الفيلق الاول الفريق كامل ساجد كان يدير المعركة في ذلك القطاع وكانت لديه قطعات في حلبجة. وكانت هناك عناصر حزبية من التوجيه السياسي عسكرية ومدنية لديها اتصال مباشر مع علي حسن المجيد الذي كان مسؤول الحزب ومقره في كركوك. ابلغوه بسقوط حلبجة فاتصل بصدام واقترح توجيه "ضربة خاصة" فأمر صدام القوة الجوية بتنفيذ الضربة. كان ذلك في ١٩٨٨/٣/١٦ على ما اعتقد. اذكر ان الفريق كامل ساجد اتصل بي وكان لا يعرف شيئاً عن الضربة. وقد اعدمه صدام في ١٩٩٨.

< ألم تثر قصة السلاح الكيماوي في اجتماع لكبار الضباط؟

- هذا الامر كان خارج نطاق الجيش وصلاحياته.

< ألم يتحدث صدام معك كرئيس لاركان الجيش عن السلاح الكيماوي؟

- صدام يتحدث مع كل قائد عسكري بما يخص القوات التابعة له. لا يناقش قائد سلاح بما يعني السلاح الآخر. يريد الادوار محدودة ومعرفة القائد محصورة بالسلاح الذي يتولى امرته. لا احد يعرف كل شيء الا القائد العام. هل يصدق احد مثلاً ان عزة ابراهيم الدوري نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عرف من الاذاعة ان الفاو حررت في ١٩٨٨/٤/١٧.

للوهلة الاولى يظن الناس ان شخصاً في موقع عزة ابراهيم الدوري يجب ان يكون شريكاً في اضخم معركة في الحرب العراقية . الايرانية واذ به يعرف بتحريرها كأي شخص بعيد. انه اسلوب صدام حسين. انا مثلاً كرئيس لاركان الجيش لا استطيع ان اطلب شيئاً من قائد القوة الجوية. لا استطيع ان اصدر أمراً له او لمدير المخابرات.

< ما الغرض من هذا الاسلوب؟

- منع اي تكتل بين قادة الاسلحة وربط الجميع مباشرة بالرئيس. قادة سلاح الجو والبحرية ورئيس الاركان ومدير المخابرات والتصنيع العسكري والتوجيه السياسي والحرس الجمهوري والحرس الجمهوري الخاص والاستخبارات العسكرية يعودون الى القائد. وهذا التقسيم سبب لنا خسائر كبيرة بسبب نقص التنسيق بين قادة مختلف الاسلحة.

< من كان المسؤول عن البرنامج النووي؟

- كانت هناك هيئة مسؤولة عن البرنامج النووي مرتبطة بالرئيس لكن هذا الملف كان موجوداً ايضاً لدى التصنيع العسكري وحسين كامل.

< هذا يعني ان حسين كامل كان مهماً جداً؟

- نعم منذ ١٩٨٧ اصبح اكثر اهمية من عدنان خير الله نائب القائد العام. وكان عدنان خير الله منزعجاً من ذلك. ذات يوم كان هناك اجتماع عسكري برئاسة نائب القائد العام. ادخلت له ورقة تنص على الحاق كل العلماء في الوزارة وفي غضون ٢٤ ساعة بهيئة التصنيع العسكري.

< من يتحمل مسؤولية حلبجة اذاً؟

- ثلاثة. صدام حسين الذي اصدر الامر باستخدام السلاح الكيماوي وحسن علي المجيد الذي نقل المعلومات الخاطئة واقترح الضربة الخاصة وهناك مسؤولية حسين كامل بوصفه المصنّع لهذا السلاح. علي حسن المجيد استخدم الضربات الكيماوية حتى في عمليات الانفال.

< وقائد الفيلق؟

- قلت انه لم يكن على علم وقد اكد لي ذلك. ولم يكن من الوارد اشراكه. بعد الضربة مباشرة انقطعت الاتصالات بين العسكريين في حلبجة وقائد الفيلق.

< وماذا عن حملة الانفال في كردستان العراق؟

- في ١٩٨٦ و١٩٨٧ سجل الايرانيون اختراقات كبيرة في المنطقة الشمالية حيث كان يرابط فيلقان عراقيان الاول والخامس. احتل الايرانيون اجزاء كبيرة من المنطقة الشمالية. صدر امر ان يفرغ الجيش للقتال على المنطقة الحدودية لاخراج الايرانيين واسندت مهمة فرض الامن والاستقرار ومواجهة الحركات الكردية المسلحة الى علي حسن المجيد الذي كان مسؤولاً عن الحزب في المنطقة الشمالية وعضواً في القيادة القطرية. منح علي حسن المجيد بقرار من صدام حسين صلاحيات كاملة بينها صلاحيات مجلس قيادة الثورة ووضع تحت امرته قطعات عسكرية ووحدات من الجيش الشعبي واخرى حزبية وافواج من المتطوعين الاكراد. القطعات العسكرية التي الحقت بالمجيد قطعت علاقتها بالأطر التي كانت تابعة لها سابقاً.

في ضوء هذه الصلاحيات والامكانات بدأ علي حسن المجيد عملية التقتيل والتشريد التي يحاولون الصاق جزء منها بي. لم تكن لرئاسة

الاركان اي سلطة على علي حسن المجيد ولم يكن تابعاً لنا وليس لنا حق التدخل. هناك من يقول لماذا لم تستقل إذاً؟ ينسى هؤلاء ان قراراً صدرعن مجلس قيادة الثورة يمنع الموظف من الاستقالة.

< قلت إن صدام كان يمول "حزب العمال الكردستاني" بزعامة عبدالله أوجلان؟

- نعم. كان يموله ويسلحه كما كان يمول حزب العمال الشيوعي الكردي ومجموعة كردية صغيرة. سلاح وأموال. الـ٢٥٠ مليون التي عثر عليها الأتراك لدى أوجلان مصدرها العراق. هؤلاء هم اليوم اليد الضاربة لصدام حسين في أوروبا والعالم. كانت مجموعات حزب العمال الشيوعي الكردي موجودة في منطقة السليمانية. شعر جلال طالباني زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني بعلاقاتهم بالنظام فضربهم. هاجر قسم منهم إلى أوروبا والتحق القسم الآخر بالحزب الشيوعي الإيراني. كان صدام يستخدم هؤلاء كورقة ضغط على تركيا وعلى إيران.

< كم كان حجم إمكانات هيئة التصنيع العسكري التي ترأسها حسين كامل؟

- قبل حرب الكويت كانت لهيئة التصنيع العسكري موازنة غير محددة برقم أي موازنة مفتوحة. أدار الهيئة حسين كامل وهي كانت موضوعة تحت الاشراف المباشر لصدام حسين. لم يكن لأي جهة أخرى حق التدخل في شؤون هذه الهيئة التي احيطت برامجها بالسرية الكاملة. لم يكن من حق مجلس قيادة الثورة أن يتدخل ولم يكن باستطاعة الحكومة طرح سؤال ولم يكن وزير المال يستطيع أن يسأل عن الانفاق. الحقيقة ان هيئة التصنيع العسكري كانت أشبه بمملكة خاصة لرجلين هما صدام وحسين كامل. لم تكن لوزير الدفاع علاقة بما يدور داخلها

وليس من حقه معرفة ماذا تفعل. المخصصات للهيئة تأتي مباشرة من رئاسة الجمهورية. كانت هذه الهيئة معنية بالبرنامج النووي والكيماوي والجرثومي وتطوير الأسلحة خصوصاً الصواريخ.

في بداية الحرب في ١٩٨٠ كنا نستورد الأسلحة والأعتدة، في منتصف الحرب كانت الهيئة قادرة على انتاج الذخائر وبعض الأسلحة. شهد عملها تطوراً سريعاً بفضل الاستعانة بعلماء وخبراء. صنعوا قنابل وصواريخ وفي آخر الحرب كانوا قد توصلوا إلى انتاج نماذج من دبابات لكنها لم تدخل الحرب.

استخدمت الهيئة الآلاف بينهم جيش من العلماء. انفقت فيها مبالغ هائلة واستخدمت أحياناً وسيلة للاثراء غير المشروع لحسين كامل وعناصر قريبة.

> هل تعتقد أن حسين كامل كان الرجل الأخطر قرب صدام حسين؟

- كان حسين كامل قريباً جداً. أحبه صدام ووثق به ثقة مطلقة. ورسخ زواج حسين من ابنة صدام هذه العلاقة. ووصل الأمر إلى حد أن صدام صار يتأثر بكلام حسين كامل.

> لماذا خرج حسين كامل؟

- بعد غياب عدنان خيرالله خلت الساحة لحسين كامل. صهر الرئيس وموضع ثقته ومسؤول عن برامج تطوير الأسلحة، وأسلحة الدمار الشامل. وحتى في وجود عدنان خيرالله كان حسين كامل قد نجح في زرع شيء من الشك بين صدام ونائبه وهو ابن خاله وشقيق زوجته.

شعر حسين كامل في التسعينات أن تغييرات تحصل داخل الحلقة الضيقة. نجلا الرئيس، عدي وقصي، يوسعان دائرة نفوذهما. وفي مثل هذه الحال لا بد أن يتم ذلك على حساب مواقع الآخرين في هذه الحلقة. كانت بدايات صعود قصي واضحة. حدثت مشاحنة غير معلنة بين الشقيقين والصهر. خفتت أضواء حسين كامل قليلاً. ومن عادة صدام أن يدفع أشخاصاً إلى المقدمة ثم يضعفهم أو يوقف تقدمهم. تخوف حسين كامل من أن يصل الأمر إلى حد تهميشه أو إلقاء القبض عليه وتحميله تبعات بعض ما حدث في المرحلة السابقة. خرج حسين كامل في صيف ١٩٩٥ وعاد في الشهر الثاني من السنة التالية.

< هل سلّم حسين كامل أسرار النظام للأميركيين؟

- لا اعتقد أنه فعل ذلك. والدليل أنه لم يسقط من حسابه إمكان العودة. قد يكون تحدث في بعض الأشياء لكنني أشك في أن يكون باح بكل ما يعرف. عندما التقى الأميركيين اصيبت السلطة العراقية بارتباك وكشفت عن بعض ما كانت اخفته عن المفتشين وادعت أن حسين كامل كان يخفيها. ما عرفته من مقربين من حسين كامل، خلال اقامته في الأردن، أنه لم يعط الأميركيين معلومات بالغة السرية.

< لماذا عاد؟

- بدأ سفير العراق في الأردن آنذاك نوري اللويس حواراً مع حسين كامل وراح يحضه على العودة وطمأنه إلى أن المشكلة قابلة للحل. طلب حسين أن يصدر مجلس قيادة الثورة عفواً رسمياً عنه فصدر العفو. طلب الامان واعطيه. لم يكتف السفير العراقي بالقول إن المشكلة قابلة للحل، بل قال لحسين كامل إن المرحلة صعبة والرئيس يحتاج إليك وقد يسند إليك منصباً مهماً. في هذا الوقت كان حسين كامل يشعر

بالخيبة. لم يعد مرتاحاً في اقامته في الأردن ولم تنجح محاولاته استطلاع امكان تزعم المعارضة، واقفلت في وجهه أبواب دول كثيرة. في هذا الجو ومعه اتصالات بين أفراد العائلة، قرر أن يرجع. بقية القصة معروفة. إعلان الطلاق ثم عملية القتل.

< أولاد حسين كامل أحياء؟

- نعم.

< شاركت في القتال ضد الأكراد؟

- الأكراد يقاتلون الحكومة منذ ٤٠ عاماً. كل عسكري عراقي شارك في هذا القتال في مرحلة من المراحل بسبب تبديل مواقع ألوية الجيش. عندما كنت في المنطقة الشمالية كان الجيش يصطدم مع المسلحين المشاركين في حرب العصابات. أما عمليات الانفال فقد استهدفت المدنيين وهذه لا علاقة لنا بها لا من قريب أو بعيد.

< ماذا يفعل ضابط في القوات الجوية إذا تلقى أمراً بتوجيه ضربة كيماوية إلى مكان ما؟

- هناك من اعدم بسبب سوء الأداء، فكيف إذا تعلق الأمر بعصيان أوامر؟

< هذا يعني ان هؤلاء العسكريين لا يستحقون المحاكمة؟

- هناك واقع معروف في العراق.

< كيف كانت علاقتك مع علي حسن المجيد ابن عم صدام؟

- عرفته عندما صار مسؤولاً في المنطقة الشمالية، والتقينا أكثر من مرة، فقد كان مقره في كركوك حيث كان مقري أيضاً. إنه شخصية مكروهة تجتمع فيها عوامل الأمية ورهانها الوحيد على العنف. يحب البذخ والحمايات والسيطرة على الأراضي والأموال. إنه يستعير قوته من علاقة القربى مع الرئيس.

< هل يشكل خطراً على قصي مثلاً؟

- لا. علي حسن المجيد يضمن استمراره بتأدية الأدوار القذرة التي يتردد كثيرون في تأديتها. لا مانع لدى صدام من قيام علي حسن المجيد بهذه الأدوار. قصي مسألة أخرى فهو الوريث. لقد لقبه الناس علي الكيماوي وهو رجل المهمات القذرة.

الحلقة الثانية: انتفاضة الجنوب واغتيال صدام

يعترف الفريق أول ركن نزار الخزرجي الرئيس السابق لأركان الجيش العراقي ان الرئيس صدام حسين "استاذ في فن البقاء". لكنه يرى ان الظروف قد تكون مختلفة هذه المرة. ويشير الى ما ردده صدام مرات عدة من أنه يحتفظ بالرصاصة الأخيرة في مسدسه لنفسه وان الحالمين بإزاحته لن يتسلموا، في حال نجاحهم، إلا التراب والرماد. ويرى الخزرجي ان إزاحة صدام ممكنة بضغوط دولية تدعم انتفاضة الجيش والشعب. ويكشف ان عسكريين خططوا مرات عدة لإطاحة الرئيس العراقي، وأدى افتضاح مخططاتهم الى اعدامهم.

ويذكر الرئيس السابق للأركان ان مشاعر الذل والإهانة التي شعر بها العسكريون العراقيون اثر الهزيمة في حرب الكويت دفعت عدداً من الضباط الى الاتفاق على سحب وحداتهم الى بغداد والاستيلاء على السلطة فيها. ويضيف ان اندلاع الانتفاضة في الجنوب واستهداف الوحدات العسكرية هناك أخر التنفيذ فتسربت أخبار الخطة واستدعى صدام الضباط وأعدمهم.كما يكشف الخزرجي ان ضباطاً من عشيرة الجبور كانوا ينوون اغتيال صدام خلال عرض عسكري في ١٩٩٠/١/٦ مستوحين حادث المنصة الذي أودى بحياة الرئيس أنور السادات، لكن باستخدام الدبابات هذه المرة. وقال ان الخطة اكتشفت قبيل بدء العرض وتبعتها اعدامات.وتوقع ان يتولى قصي نجل الرئيس العراقي السلطة في حال غياب والده فجأة من دون سقوط النظام، لكنه استبعد ان يدوم حكم قصي طويلاً.

نص الحلقة الثانية

< كيف تقدر قوة الجيش العراقي اليوم قياساً على ما كانه في ١٩٩١؟

- دعني اقول هنا ان نقطة الضعف الرئيسية في ١٩٩١ كانت دفع الجيش الى حرب لم يردها. لذلك لم يقاتل. لم يكن الجيش يريد القتال كانت القضية واضحة لجهة عدم عدالتها. لم تكن للعراق مصلحة في الحرب ولم نكن نقاتل عدواً اعتدى علينا.

< اذا هاجم الاميركيون العراق هل يقاتل الجيش الآن.

- اشك ان يقاتل فعلياً خصوصاً اذا قطعت الاتصالات بين صدام وكبار العسكريين.

< ما هي القوة الضاربة في الجيش العراقي؟

- الحرس الجمهوري والحرس الخاص لا يزالان افضل من الجيش الذي تعب وانهك.

< ما هو حجم الحرس الجمهوري؟

- حوالى سبع فرق اي في حدود ١٥٠ الف عسكري.

< واسلحته؟

- لديه افضل اسلحة الجيش. لكن حتى الاسلحة التي في حوزته صارت قديمة ومتخلفة ولا تسمح بأي قتال شبه متكافئ.

< والقوة الجوية العراقية؟

- صفر. فلنقل انها منهكة الى حد كبير.

< هل تتوقع ان تستيقظ ذات يوم وتسمع ان انقلاباً وقع في العراق؟

- ممكن. لكن بعض التصريحات الذي يصدر في هذه الايام من نوع الدعوة الى محاكمة الضباط لا تساعد. الضابط موظف في جهاز اسمه المؤسسة العسكرية. ما ذنب القائد حين يتلقى الاوامر في بلد يعرف الجميع مصير من يعصي الامر فيه. معظم الضباط عناصر وطنية جاؤوا الى الجيش لخدمة وطنهم وهم يشاركون الشعب طموحه في قيام عراق ديموقراطي.

محاكمة صدام

< هل انت مع محاكمة صدام حسين والمحيطين به؟

- اتمنى ان نتمكن من القاء القبض عليه حياً ومعه المجموعة الضالعة في الارتكابات. هذه المجموعة المحدودة المحيطة به. هناك اسماء اوردتها منظمة "اندايت" التي حددت ١٢ اسماً بالدرجة الاولى مات احدهم وهو حسين كامل. وحددت ٢٩ من السياسيين وبعض القادة الذين تعتبر ان لهم دوراً في الايذاء. محاسبة هؤلاء منطقية. اما سائر عناصر الجيش والقوات المسلحة فيجب استقطابها لمصلحة التغيير.

< هل تتوقع ان يستسلم صدام حسين وانت تعرفه شخصياً؟

- هذا الامر مستبعد ربما. لكن تحدث اوضاع يصعب التكهن بردود فعل الانسان عليها شجاعاً كان ام جباناً. من الناحية المبدئية يفترض ان لا

يستسلم لكنني اقول انه شخص متشبث بالحياة وقد يتوهم ان لديه فرصة للنجاة وان تكن ضئيلة في ضوء جرائمه. يحمل صدام حسين مسدسه باستمرار. وقال اكثر من مرة ان الطلقة الاخيرة فيه سيصوبها الى رأسه. اي انه لا يستسلم. وقال ايضاً ان على الناس الذين يحلمون بازاحتي ان لا يتوقعوا تسلم العراق الذي يريدون فنحن لن نترك لهم الا التراب والرماد.

< على من يرتكز نظام صدام حسين حالياً؟

- انه يراهن على شخصه اولاً وعلى اقاربه والمقربين منه وعلى القوى الامنية.

< وعلى الحرس الجمهوري؟

- نعم ولكن اعتقد بأن شرارة التغيير ستنطلق من الحرس الجمهوري بالذات.

الفساد في الجيش

< كنت رئيساً للاركان هل شعرت ان الفساد نخر الجيش العراقي؟

- بالتأكيد. تدخل الجيوش الحروب في مناخ معين وتخرج منها في آخر بعدما تكون تأثرت بعوامل عدة بينها مدة الحرب وطريقة ادارتها والجو العام. طول الحرب اثر على معنويات الجيش فضلاً عن الانتكاسات والخسائر. ثم ان الحرب استدعت اشراك جميع العراقيين تقريباً ومن الطبقات والفئات المختلفة. بعض الذين استدعيوا الى الخدمة كان له علاقات بمواقع مؤثرة وبالتالي حدثت وساطات. وعندما ارسل الجيش الشعبي الى الجبهة، ولو في مواقع خلفية، تأثرت فكرة الانضباط الصارم

التي تميز الجيوش النظامية، وعندما بدأوا يرسلون الناس الى الجبهة بالقوة تقريباً حصلت مداخلات ورشاوى. وخاف بعض الناس على اولاده وسعى الى تجنيبهم المواقع الامامية والخطرة.

< هل تعتقد بأن كبار العسكريين ضلعوا في الصفقات؟

- في الثمانينات كان الجيش منشغلاً تماماً بالحرب. اذا حصلت لاحقاً فلا اعتقد بأنها حصلت على شكل واسع.

< هل هناك "صندوق اسود" لتعزيز ولاء كبار الضباط ام ان المساعدات تأتي من الرئيس؟

- لم يكن هناك مثل هذا الصندوق. لكن صدام حسين كان يساعد "اصدقاء صدام حسين" اي الذين نالوا اكثر من ثلاثة اوسمة، وهذه كانت تعتبر مكرمة من الرئيس. هذه المساعدات كانت تأتي في مناسبات عدة بينها يوم الجيش وعيد الثورة اي نحو عشر مناسبات في السنة. وخلال الحرب كان يعطي القادة سيارة كل سنة او اثنتين.

عمليات التصفية

< كيف يضمن صدام ولاء كبار العسكريين؟

- في الحرب كانت هناك غلبة للمشاعر الوطنية اذ كان هناك شعور بأن العراق يدافع عن نفسه أو أرضه. صحيح انه كان المبادر في بداية الحرب لكن ايران رفضت لاحقاً وقف اطلاق النار وانتقلت الحرب الى داخل الاراضي العراقية.

< وخارج الحرب؟

- هنا بدأت عمليات التصفية، خرج الجيش العراقي منتصراً من الحرب. عاد الضباط منها مرفوعي الرأس، فقد شاركوا في معارك طاحنة. هذا الشعور لدى كبار الضباط اثار قلق السلطة فبدأت عمليات الاعدام والتصفية والابعاد.

< التصفيات شملت عسكريين من اي مستوى؟

- قادة فيالق وفرق وألوية، اعدم كثيرون.

< هل يمكن القول ان العشرات من كبار العسكريين اعدموا؟

- عددهم اكثر من عشرات. ربما عشرات من كبار العسكريين اضافة الى مئات من الضباط الآخرين. وللانصاف اقول ان الجيش قدم الكثير من التضحيات في محاولته الانتفاض على سلطة صدام حسين.

محاولات انقلابية

< ما هي المحاولات التي تذكرها؟

- هناك محاولة مجموعة اللواء الطبيب راجي التكريتي واعدم بسببها معاون قائد القوة الجوية الفريق سالم بصّو. وهو من ابرز الضباط والطيارين في العراق. اكتشفت المحاولة قبل تنفيذها اذ تسربت معلومات عن طريق جهات عربية كانت تربطها علاقات بالعراق، وثمة من تحدث عن قيام اطراف معارضة بإبلاغ النظام. كما اعدم بسببها اللواء الركن طيار حسن خضر ملا عطو واللواء الطبيب راجي التكريتي

ومجموعة كبيرة من المدنيين. وقد خطط هؤلاء لاطاحة النظام وتشكيل حكومة جديدة. اعتقد ان ذلك كان في ١٩٩٣.

حصلت ايضاً حركة سميت مؤامرة اللواء محمد مظلوم وكان طياراً. اكتشفت المحاولة قبل تنفيذها واعدم أفراد المجموعة.

محاولة تكرار حادث المنصة

احبطت محاولة اثناء عرض عسكري للجيش في ١٩٩٠. اكتشفت هذه المحاولة قبيل الشروع في التنفيذ، اي قبل وقت قصير من بدء عرض عسكري في ١٩٩٠/١/٦ يحضره صدام حسين. استوحت المجموعة حادث المنصة الذي ادى الى اغتيال انور السادات وقررت تنفيذه باستخدام الدبابات. اي ان تقترب الدبابات خلال العرض وتقصف المنصة بغرض قتل صدام واعضاء القيادة. هذه المحاولة قبل غزو الكويت. شاركت في الخطة مجموعة من الضباط معظم افرادها من عشيرة الجبور. اكتشفت الخطة قبل بدء الاستعراض واعدمت مجموعة من الضباط اذ ان بينهم من ضبط متلبساً بالاستعداد لتنفيذ المهمة.

حصلت محاولة انتفاض في معسكر ابو غريب، سارعت قوات موالية من الحرس الجمهوري والحرس الخاص الى مواجهتها ونجحت في اخمادها داخل المعسكر. وهذه حصلت في منتصف التسعينات. دارت الاشتباكات في معسكر من اعمدة البث التابعة للتلفزيون العراقي وتأثر البث لبعض الوقت. اعدم جميع المشاركين في المحاولة.

ثم هناك خطة عرقلتها الظروف. بعض القادة العسكريين الذين آلمهم ما تعرض له الجيش العراقي بفعل مغامرة الكويت قرروا ان ينسحبوا

من مواقعهم وان يستمروا في الانسحاب الى بغداد نفسها لاطاحة صدام. شاءت الظروف ان تندلع الانتفاضة في الجنوب وان يتعرض المشاركون فيها للوحدات العسكرية التي راحت تدافع عن نفسها. تأجل تنفيذ الخطة بسبب الوضع القائم على الارض فتسربت تفاصيلها الى صدام. الذي ارسل في طلب الضباط المشتبه بهم واعدمهم. وبين هؤلاء اللواء الركن عصمت صابر وهو ضابط شجاع من القوات الخاصة وسبق ان عمل معي واللواء بارق حاج حنطة. كان حظ هذه الخطة سيئاً. فللنجاح لا بد للجيش من ان يلتحم بالناس. حصلت الانتفاضة ودخل الجيش في مواجهات هناك. الحقيقة ان قطعات عسكرية كانت مهيئة للزحف على بغداد وبينها قطعات من الحرس الجمهوري والقوات الخاصة.

اسباب الفشل

< هل حصلت محاولات داخل الحرس الجمهوري؟

- لا فائدة من الخوض في هذا الموضوع حالياً.

< لماذا كشفت معظم الخطط قبل تنفيذها؟

- هناك عوامل عدة اولها نظام الرقابة الامنية على الوحدات العسكرية، والنظام العراقي يعطي الاولوية لامنه ويسهر على هذا الموضوع. وبهذا المعنى هناك اختراقات كثيرة تفتح باب الوشايات والايقاع بمن يعارض النظام. والثاني حماسة الضباط العراقيين وعدم تنبه بعضهم الى ضرورة كتمان السر تماماً ابان فترة التحضيرات. والثالث هو ان النظام لا يضرب المشتبه بهم فقط بل يبادر الى ضرب العناصر التي تعتبر غير صديقة الامر الذي يمنع التقاء القوى.

اخطر المحيطين بصدام

< لم يصل اليه احد ولم تطلق عليه النار؟

- لم يصل احد.

< عبد حمود مقرّب منه؟

- جداً وهو رجل خطر جداً ويعرف الكثير من اسرار صدام. انه من اقرباء الرئيس ومن الموثوق بهم، وهو من اخطر العناصر الموجودين حالياً. وهو يهتم بأمن الرئيس واموره.

< لو اردنا تعداد اخطر الرجال في التركيبة الحالية؟

- اضافة الى صدام هناك قصي وعبد حمود ورجال المهمات القذرة على حسن المجيد.

المدنيون في الجيش

< هل كانت هناك حساسية في الجيش بين كبار العسكريين من جهة والمدنيين الذين منحوا رتباً عسكرية رفيعة او راكموا الرتب بسبب ولائهم؟

- الحساسية اكيدة. موجودة مثلاً في تشكيلات الحرس. هناك مع كل آمر عنصر مدني تابع للامن الخاص التابع لقصي صدام حسين. وظيفة هذا المدني متابعة الامور ومراقبة الآمرين والضباط والجنود ولهذا يسميه العسكريون الاستاذ. الضباط يشعرون بالانزعاج والامتعاض ويسخرون من مدنيين انتدبوا لمهام لا علم لهم بها الا من زاوية كتابة التقارير او من اشخاص دخلوا الجيش برتبة جندي ومن دون تحصيل

علمي او ثقافة ثم تمت ترقيتهم الى رتبة فريق، مثلاً علي حسن المجيد، ابن عم الرئيس، كان جندياً ثم اصبح برتبة فريق اول ركن وتولى وزارة الدفاع او حسين كامل الذي كان جندياً عادياً ثم اصبح برتبة فريق اول ركن واعطي حقيبة الدفاع او عزة ابراهيم الذي يتولى الآن منصب نائب القائد العام. انه مدني اصلاً وعمله بائع ثلج ثم منح رتبة فريق اول ركن. هذه مهزلة صارخة ان تدفع جندياً جاهلاً او شبه جاهل وتمنحه رتبة عسكرية يقتضي الوصول اليها المرور بدورات وكليات حربية وخبرات نظرية وميدانية.

< هل لعلي حسن المجيد رصيد في الجيش؟

- العناصر التي اشرت اليها هي عناصر مكروهة جداً. الرصيد في الجيوش يتأتى من النجاح العسكري والانضباط الصارم وتحمل المسؤولية والاهتمام بالمرؤوسين وتقديم القدوة. تلك العناصر مكروهة لانها تعاملت مع العسكريين بعنجهية وفوقية تهين مشاعر العسكريين.

المشكلة ليست فقط في ان هذه العناصر لا تفهم طبيعة العمل وسياقاته ومستلزماته بل ايضاً اصرارها على فرض وجهة نظرها والاعتماد على القوة كاسلوب تعامل مع ميل الى استخدام العنف. لهذا كانت هناك اوامر اعتباطية لا سابقة لها في تاريخ الجيوش ادت الى العرقلة وشعور بالاهانة. انها مأساة ان يصبح الولاء المطلق الاعمى هو المعيار الوحيد وعلى حساب الكفاءة والخبرة وقواعد العمل في المؤسسات.

< هل هناك شعور بالغبن في الجيش حيال ما يسمى امساك مجموعة تكريت بالقرار؟

- واضح ان المجموعة المنتمية الى تلك المنطقة موزعة في مواقع متميزة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً. لكن يجب الا نبالغ في الحديث عن دور مجموعة لجهة التأثير في القرار. القرار بيد رجل واحد هو صدام حسين اما الرجل الثاني فهو قصي وفي السابق كان حسين كامل نجح في لعب دور الرجل الثاني.

نهب الكويت

< حكي الكثير عن عمليات نهب نفذتها عناصر من الجيش العراقي في الكويت؟

- النهب الرئيسي المنظم كان من فعل الحاشية. الاولاد والصهر وبعض الاشقاء وعلي حسن المجيد. عندما بدأ هؤلاء بهذه الممارسات شعر عدد من العسكريين ان الباب مفتوح. ثم ان جزءاً من النهب كان عملية منظمة للسيطرة على الوزارات والمعدات والامكانات. لو لم تقدم العناصر القيادية على ممارسات من هذا النوع لما تجرأ الآخرون.

المخابرات في الجيش

< من هم ابرز من تولوا المخابرات في الجيش العراقي؟

- برزان التكريتي اخ غير شقيق للرئيس العراقي. تولى المخابرات لفترة طويلة ومنح صلاحيات واسعة وكانت علاقته آنذاك جيدة بالرئيس.

طبعاً الرجل الذي بنى المخابرات هو صدام حسين بنفسه. بدأت تحت تسمية العلاقات العامة في ١٩٦٨ وتشكلت اساساً من جهاز في الحزب يعرف بـ"جهاز حنين" وكان يشرف عليه صدام حسين قبل عودة البعث الى السلطة. كانت مهمة هذا الجهاز حماية الحزب والتعرض للآخرين. وكان يضم مجموعة من الشبان القبضايات والقساة. اعتقد بأن اول من تولى هذا الجهاز كان سعدون شاكر.

<هل تقوم المخابرات بأعمال تصفية وقتل؟

- شراسة النظام ليست موضع شك؟

< كم كان حجم التعذيب في العراق؟

- التعذيب موجود لكن في العراق هذه المسائل تتداول همساً ويفضل الناس عدم التحدث عنها. في الخارج تكشفت لنا اشياء كثيرة وبينها عمليات تعذيب بشعة. الجيش في الثمانينات كان منشغلاً بالحرب ولم نكن نتابع مثل هذه المسائل.

قصي أخطر من عدي

< ما هي أهمية دور نجله قصي حالياً؟

- قصي شخصية خطيرة جداً. إنه أخطر بكثير من عدي. يمكن القول إن عدي شخص غير متوازن. اعطي قصي صلاحيات واسعة. ادخل إلى القيادة القطرية للحزب ونائباً لوالده في المكتب العسكري للحزب. أصبح مسؤولاً عن كل الأجهزة الأمنية والمشرف على الحرس الخاص والحرس الجمهوري. صلاحيات هائلة وهو بطبعه قاسٍ لا يتردد ولا يتورع عن شيء. مذ كان مراهقاً تدرب على القسوة المفرطة وممارسات القتل

والتعذيب. تدرب على أيدي والده وسعدون شاكر المدير السابق للمخابرات. عدي دوره أقل وتضاءل أكثر بعد اصابته. لديه مجموعة "فدائيي صدام" ووسائل إعلام لكن دوره أقل من دور شقيقه.

< لنفترض ان صدام اغتيل أو توفي، من يمسك النظام؟

- قصي ولكن لفترة قصيرة. لا يستطيع الاستمرار طويلاً. شخص بعيد عن الناس، يعيش في جزيرة أمنية ويسوي أموره بالوسائل العنيفة. لم يتعلم لغة أخرى.

< وأشقاء صدام؟

- إذا غاب صدام ولم يحدث تغيير سيكون هناك صراع داخل العائلة ونزاع على الفريسة. أهمية برزان هنا أنه يسيطر على أموال العائلة. أما نفوذه في الجيش والمؤسسة الأمنية فقد تراجع كثيراً، وقد ابعد الذين كانوا أعوانه يوم كان يدير المخابرات.

< وعزة ابراهيم!

- يؤدي التحية ويكون تابعاً ذليلاً للابن كما هو الآن تابع للأب. لكن هذا النوع من الناس في القيادة القطرية سيوفر الشرعية الحزبية لتولي قصي.

< تتحدث على أساس أن موضوع الوريث محسوم؟

- نعم المسألة محسومة.

< وطارق عزيز؟

- لا يريدون منه أكثر من تهدئة النار التي تندلع ضدهم في الخارج. يستخدمونه كاطفائي للمساعدة في محاصرة النار التي يشعلها طيش النظام،

اجراءات للبقاء

< هل هناك احتمال أن يبقى صدام لفترة طويلة؟

- في هذه المرحلة أشك. لا شك أنه استاذ في فن البقاء، لكن الظروف مختلفة هذه المرة. إنه يثق بقدرته على تجاوز الصعوبات، ومن عادته تحريك الأوراق. الحقيقة انه بدأ جملة أعمال على المستويين الخارجي والداخلي. على المستوى الاقليمي يحاول تقديم رشاوى للأنظمة العربية عبر الصفقات التي تستنزف أموال العراق. على المستوى الدولي قبل القرار ١٤٤١ المتعلق بعودة المفتشين. في الداخل اطلق السجناء أو معظمهم. كما أتوقع أن يلغي مجلس قيادة الثورة وأن يحاول تشكيل حكومة من أحزاب يمارس بعضها معارضة خفيفة، أي تضم عناصر سنية وشيعية وكردية، وأن يحاول تخفيض بعض صلاحياته مع السماح بقدر من الحياة الحزبية وحرية الصحافة، وأن يعد دستوراً أقل تشدداً، أي أنه يريد أن يقول للغرب تخليت عن أسلحة الدمار الشامل وسلكت طريق التعددية والديموقراطية.

سجناء نهشتهم الكلاب

< ألا تعتقد أن صدام محبوب من قبل قسم من العراقيين؟

- لا. ربما أحبوه سابقاً. العراقيون يخشونه ولا يحبونه. لم تبق عائلة عراقية لم تتعرض للأذى. هيمن على العراقيين لأسباب عدة، بينها الفترة الطويلة التي دامها عهده في الحزب والدولة والأجهزة، ثم أنه لا ينتظر الأدلة لضرب من يشتبه بهم، وهذا يزرع الرعب. إذا لم يكن راضياً عنك تشعر أنك دخلت دائرة القلق أو الخطر. والعنصر الآخر اعتماده أسلوب العقوبات الجماعية. العراقيون أهل الثورات والانتفاضات. في السابق كان الضابط يعتقد بأنه إذا حاول القيام بانقلاب سيعدم هو فقط. اليوم يفكر في ما سيلحق بعائلته برمتها إذ سيقتل الضابط بعد سجن وتعذيب. هناك سجناء نهشتهم الكلاب حتى الموت. ثم ينكل بعائلته كاملة وربما تعرض النساء، وهذا لدى العراقي شيء كبير وخطير. بعدها يبعد أقاربه من المناصب والمواقع. هذا يشمل أبناء العم والخال. هذا الاسلوب جعل العراقيين يخافون. في السابق كان الشخص يلتجئ إلى عائلته أو عشريته فتحميه. الآن يطالبونه بالابتعاد عنهم كي لا يذبحوا بسببه. رعب هائل. حتى مع الناس القريبين منه يتعامل صدام بأسلوب الاذلال وعلى غرار ستالين أيضاً. يأمر بتحويل الوزير إلى كاتب في مستودع أو مدرسة ويرغم على الدوام في عمله الجديد. قائد فيلق يجعله آمر فوج. يكسر معنويات الناس ثم يتفضل عليهم ويعيدهم إلى مواقعهم أو إلى أعلى ثم يزيحهم. تحطيم للنفوس. أحياناً يسجن الشخص ويعذب ثم يعاد إلى منصب متميز. هذا الأسلوب فرض حالة عامة من الرضوخ.

< لو طلب منك أن تقول للضباط والعسكريين العراقيين كلمة، ماذا تقول فيها؟

- أقول إن القادة والضباط والعسكريين عناصر وطنية جاءت إلى القوات المسلحة لخدمة الوطن وهي تعرف ماذا يجري الآن. أعرف أنها تتعرض لضغوط كبيرة من النظام، لكنني اعرف ان هذه العناصر مستعدة في الوقت المناسب واللحظة المناسبة أن تكون طليعة التغيير بانضمامها إلى الشعب العراقي.

الحلقة الثالثة: اجتياح الكويت

هذا يحدث في العراق وحده. صباح الثاني من آب اغسطس ١٩٩٠ رن الهاتف في منزل الفريق اول ركن نزار الخزرجي رئيس اركان الجيش العراقي. كان المتحدث سكرتير عام القيادة العامة الفريق علاء الجنابي الذي طلب من رئيس الاركان التوجه الى مقر القيادة. وفور حضور الخزرجي عاجله الجنابي بكلمات ثلاث: "اكملنا احتلال الكويت". وبعد ربع ساعة وصل وزير الدفاع عبدالجبار شنشل فزف اليه الجنابي النبأ. هذا يحدث في العراق وحده. يأمر الرئيس باجتياح بلد مجاور ولا يعرف وزير الدفاع ورئيس الاركان الا بعد اكتمال المهمة.

روى الخزرجي ان خروج العراق منتصراً من حربه مع ايران شكل نقطة تحول خطيرة في شخصية صدام حسين المسكون بهاجس صورته في التاريخ.

وقال ان صدام شعر بالخيبة من مواقف الدول القريبة والبعيدة معتبراً ان العراق الذي منع ايران من تصدير ثورتها وارغمها على الانكفاء الى الداخل لم يعامل بعد الحرب بما كان يستحقه. واضاف ان الخيبة تحولت مرارة وغضباً بعدما اعتبر صدام ان جهات دولية شجعت الكويت على المساهمة في رفع اسعار النفط. وحكى قصة اللقاء الاول مع صدام بعد الاجتياح وملابسات عزله من رئاسة الاركان بعد اسابيع عندما قال: "لن نتمكن من القتال وسنخسر الحرب" فرد صدام بانهاء الاجتماع وارسل اليه كتاب عزله.

وقال الخزرجي ان صدام تولى شخصياً وضع خطة اجتياح الكويت في حضور صهره حسين كامل وابن عمه علي حسن المجيد.

نص الحلقة الثالثة

< ماذا تغير بعد وقف الحرب العراقية. الايرانية وشعور صدام انه خرج منتصراً؟

- طبعاً نهاية الحرب بالشكل الذي حدث لم تكن متوقعة حتى من قبل صدام حسين. لهذا حصل عرس في العراق استمر فترة. نهاية الحرب على هذه الصورة كانت نقطة تحول خطيرة في شخصية صدام حسين. شعر انه بطل الامة وحاميها وليس حامي العراق فقط. اعتبر نفسه حامي الخليج. وهو كان يردد في السابق ان هذه الامة تحتاج الى من يدافع عنها لان الآخرين غير قادرين. وكان يعتبر ان المطلوب هو تصليب الموقف العربي وان الدول العربية وزعماءها لا يتمتعون بالقدرة اللازمة على مواجهة تحديات كبرى في عالم لا يفهم الا لغة القوة.

< كم كان ناقماً على سورية بسبب موقفها من الحرب؟

- كان ناقماً بشدة ويصنف نظامها في طليعة الاعداء. لم يكن

يشرك العسكريين في الاحاديث السياسية التفصيلية. لكنه كان يمرر عبارات تعبر عن ألمه من موقف بعض الدول العربية خصوصاً انه وضع الصراع في سياق الصراع بين الامة العربية والفرس. لومه يشمل سورية بالدرجة الاولى ثم ليبيا والجزائر. كان يعتبر السعودية والكويت ودول الخليج والاردن والى حد ما مصر، بعدما عمل على اعادتها الى الجامعة العربية، دولاً ذات موقف جيد.

٣٥٠ بليون دولار

< ماذا حدث بين ١٩٨٨ وغزو الكويت وقد كنت رئيساً لاركان الجيش؟

- كان صدام يعتبر ان نجاحه في اضعاف الثورة الايرانية وقدرتها على الامتداد الى خارج حدودها عمل وفّر الحماية للعراق ودول الخليج واقطار عربية اخرى. كان يتحدث عن اهمية المحافظة على البوابة الشرقية للامة العربية. اعتبر ان هذا الدور الذي كلف العراق كثيراً يجب ان يقابل بشعور عميق بالعرفان والامتنان من الدول العربية. توقع ان يهبّ العرب لمساعدة العراق بعد الحرب وان يقدموا مساعدات هائلة. توقع ايضاً ان يشعر العالم الغربي نحوه بالامتنان لان هذه الثورة معادية له. وتوقع الشيء نفسه من المعسكر الاشتراكي لان الثورة الايرانية كانت تنذر بزعزعة استقرار الجمهوريات الآسيوية السوفياتية. لفهم هذا الشعور يجب ان نتذكر ان العراق دخل الحرب ولديه فائض مقداره ٤٣ بليون دولار وخرج منها مديناً بحوالى ٧٠ بليون دولار نحو نصفها للدول العربية. كان يتوقع مساعدة اكبر.

خرج العراق منتصراً من الحرب لكن بمشاعر الجريح. على مدى ثماني سنوات توقف كل تطور وعادت قطاعات كثيرة الى الوراء. ديون ضخمة والمشاريع متوقفة والبطالة عالية. اصيب صدام بخيبة عميقة من العرب والعالم وتحولت الخيبة مرارة. كان يتوقع ليس فقط ان تقوم الدول بالغاء ديونها بل ايضاً ان تقدم مساعدات. العراق انفق في الحرب اكثر من ٣٥٠ بليون دولار قدمت الدول العربية منها ٤٠ بليوناً. اعتبر صدام ان العراق تحمل العبء نيابة عن الآخرين ايضاً. رأى صدام ان العراق هو السد امام حلم ايران بتصدير الثورة وان انهياره سيسقط الانظمة في المنطقة. واعتبر العراق نقطة توازن ومصدر مناعة للعرب.

في هذا الجو بدأ الحديث عن خروج دول عربية عن الحصص المحددة لها في سوق النفط ما ادى الى هبوط الاسعار. ردد ان عائدات العراق من النفط لا تكفي لخدمة فوائد الديون. استغرب اقدام الكويت والامارات على زيادة الانتاج مع علمها ان المتضرر الكبير هو العراق. بعدها تصاعد الحديث عن قيام الكويت بسحب النفط من الجزء العراقي من حقول الرميلة مستفيدة من طبيعة الارض هناك. امتعض بشدة وادعى ان الكويت تسرق النفط العراقي. توصل الى استنتاجين: الاول ان ثمة جهة تستخدم خفض سعر النفط لاضعاف العراق، واتهم اميركا والدول الغربية بالايحاء بهذه السياسة. والثاني اعتبر الخطوة الكويتية بسحب النفط العراقي طعنة له. والحقيقة ان صدام لم يستقبل بارتياح استثناء العراق من عضوية مجلس التعاون الخليجي ورأى ان ذلك نوعاً من الرغبة في ابعاد العراق او عزله ولهذا شكل لاحقاً مجلس التعاون العربي هذا اضافة الى التغيير الذي حصل في شخصيته.

عقدة بطل الامة

< كيف لمستم التغيير؟

- منذ الساعات الاولى لوقف اطلاق النار، احتشدت الجماهير للاحتفال وأطل عليها بالملابس العربية ونظراته تتجه الى ما بين الارض والسماء. تغير تغيراً حاداً. لدى صدام عقدة بطل الامة. الخلود هاجس عنده. يريد دخول التاريخ واحتلال موقع استثنائي فيه حتى وان دخله بشكل سيئ.

من يعرف صدام يعرف انه لا يؤمن بالقادة العاديين. يعتبرهم عابرين في حياة دولهم وشعوبهم. كان يسخر ويقول: "الرئيس الاميركي الذي يفوز بنسبة ٥١ في المئة اي قرارات حاسمة سيتخذ، انه رئيس ضعيف.

القرارات المصيرية يتخذها رجال اقوياء على رأس سلطات قوية ويملكون القدرة على تنفيذ القرارات".

دروس ستالين

< بمن كان معجباً من الزعماء؟

- كان معجباً بستالين واسلوب ادارته للحرب العالمية الثانية. وزع على القادة العسكريين كتاباً سوفياتياً عن تلك الحرب يتحدث عن براعة ستالين في ادارتها.

الحقيقة ان صدام كان يعتبر نفسه قائداً عظيماً. حاول ان يقلد قسماً من خطوات ستالين خلال الحرب لكنه قلدها بشكل مشوه. وجود المندوب الحزبي او المفوض السياسي مع الفرق العسكرية مأخوذ من هناك، ووجود هؤلاء المندوبين الذين يكتبون مباشرة الى القائد العام ازعج قادة الفرق والفيالق. قلده في الامساك بكل شيء. لم يترك الحرية الكافية للقادة الميدانيين. وضع كل الامور الاستراتيجية في يده على غرار ما فعل ستالين. كان يعتبر انه قادر ان يكون اكبر من جمال عبدالناصر.

< عقدة التاريخ كبيرة لديه؟

- يعيشها في شكل يومي. لا تستغرب ان يكون يعتقد انه ابرز قائد منذ ايام صلاح الدين.

< ولديه مخاوف امنية ووساوس كستالين ايضاً؟

- ليس هناك في العالم من هو ابرع منه في موضع الامن وضرب الاخطار المحتملة ضده وضد نظامه. انه يحب هذه المسألة وتأخذ جزءاً غير يسير من وقته. انه بارع وخبير ومجدد.

< من يضمن امنه؟

- الاقارب واصحاب الولاء المضمون الذين اغرقهم بأفضاله ومع ذلك يبدلهم باستمرار. اقرب الاشخاص لديه لا يعرفون بتنقلاته واماكن وجوده.

انا كنت رئيساً لاركان الجيش. كنا نستدعى لمقابلته فتأخذنا سيارات معينة مع ستائر ومن ثم يسيرون في اتجاهات معينة ثم نجد انفسنا في قصر او مقر. يهوى هذه الاشياء. يمكن ان يستقبلك في القصر او في البر او في كارافان او في بيت شعر. لا يقيم في مقر واحد. اذا اراد الانتقال يبلغ الحراس في الوقت المناسب. اعطى الشوارع ارقاماً وصار يقول لحراسه ان يأخذوه الى الشارع ٤٧ ومنه الى ٢٥ وهكذا. وحين يخرج تخرج في الوقت نفسه مجموعة مواكب متشابهة. احياناً يدير امنه شخصياً.

< هناك من يلعب دور البديل لصدام؟

- نعم هناك اكثر من واحد. لكن اذا اقتربت منهم تعرف انهم ليسوا صدام. هناك مبالغات في شأنهم. يستخدمون في مواكب التمويه لا في استقبال وفود.

< يخاف من ان يدسّ له سم في الطعام؟

- لا يأكل الا من الاكل الذي يصطحبه معه وهناك من يفحص الاكل ويتذوقه. هو بالمناسبة يحب الطعام. لاحظته يأكل ببطء وشهية.

< هل يمزح؟

- يحب الضحك والنكات. وفي الغالب يمازح المقربين منه مثل عزة ابراهيم ولطيف نصيف جاسم ويضحك وتهتز اكتافه. ليس مزعجاً في

الجلسة. بالمناسبة انه رجل صبور يستمع في الاجتماعات حتى للكلام المكرر.

< هل يستخدم تعابير قاسية؟

- لا. انه مؤدب لا يستخدم الالفاظ الخشنة. لائق لكنه مهيمن وصاحب سلطة.

< متى شعرتم ان الكويت يمكن ان تستهدف؟

- قبل ما يزيد على شهر خرج التوتر الى العلن. الغريب انه خلال مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بغداد قبل الحرب بحوالى اربعة شهور منح صدام امير الكويت الشيخ جابر الاحمد ارفع وسام عراقي.

< لكنه تصرف في القمة وكأنه عبدالناصر الجديد؟

- تصرف وكأنه اكثر من عبدالناصر. قلت ان التوتر ظهر. بدأ الاعلام يكتب عن زيادة اسعار النفط وسرقة النفط. جرت اتصالات لم تبدد التشنج. لكن لم يدر في خلد احد ان العراق الذي يدعو الى وحدة الامة ويدعي انه دافع عن الامة يمكن ان يقوم بغزو الكويت ويشطب دولة عربية من الوجود.

< هل هناك في ثقافة الجيش العراقي ما يعتبر الكويت جزءاً من العراق؟

- هناك من يرجع الى التاريخ ويقول ان الكويت كانت جزءاً من ولاية البصرة في العهد العثماني. وفي زمن الملك غازي كانت هناك دعوة الى ضم الكويت الى العراق. وظهرت دعوة مشابهة في ايام عبدالكريم قاسم. هذا الموضوع موجود. لكن الحزب الحاكم في العراق هو حزب البعث

الذي يدعو الى وحدة عربية. العراقيون يؤمنون بالوحدة وليس بالضم القسري.

< هل لاحظتم كرئيس للاركان تحركات عسكرية؟

- بحسب التقسيم المعروف فان الحرس الجمهوري يتبع مباشرة القائد العام اي صدام. الحرس الجمهوري كان يتدرب عادة في مناطق مختلفة في العراق. في تلك الفترة كانت التدريبات تجري في منطقة البصرة وفي اطار التدريبات السنوية. لذلك اجتاح الكويت مستخدماً الحرس الجمهوري. لم يتنبه احد لان التدريبات اعتبرت عادية.

هنا حصل شيء غريب. كان عبدالجبار شنشل وزيراً للدفاع وكنت رئيساً للاركان ولم نفاتح لا من قريب او بعيد بموضوع اجتياح الكويت.

النبأ الصاعقة

< متى عرفت بالغزو؟

- كنت نائماً في منزلي ليلة الاحداث. اتصل بي صباحاً سكرتير عام القيادة العامة الفريق علاء الدين الجنابي وطلب ان اذهب الى القيادة العامة وحين دخلت مكتبه قال: "اكملنا احتلال الكويت". سألت كيف؟ فقال: "الحرس الجمهوري والقوة الجوية وطيران الجيش انهوا احتلال الكويت". بعد ربع ساعة وصل وزير الدفاع عبدالجبار شنشل وتم ابلاغه بالطريقة نفسها. تصور ان الجيش يدفع في مغامرة من هذا النوع من دون علم وزير الدفاع ورئيس الاركان.

اصبنا بصدمة كبيرة. فالبلد المستهدف بلد عربي مجاور ونحن نقول اننا قاتلنا ايران ليس دفاعاً عن العراق فحسب بل عن العرب ايضاً ثم انه

كان واضحاً لي ان المسألة لن تمر من دون حساب خالجني شعور ان الحساب سيطرح مصير العراق برمته.

موعد مع القائد

بعد ثلاثة او اربعة ايام حصل اللقاء الاول مع صدام حسين. استدعينا، وزير الدفاع وأنا، إلى لقاء ونقلتنا السيارات إلى منطقة الرضوانية. وبعد دوران في شوارع جانبية كان هناك كارافان. دخلناه فوجدنا خرائط معلقة على جدرانه. بعد ربع ساعة دخل صدام حسين. قال: "أرجو أن لا تزعلوا، أنا لم أخبركم بعملية تحرير الكويت وهذا لا يعني انني لا اثق بكم. فعلت ذلك لسببين: الأول هو انني لو ابلغتكم لقمتم بسلسلة من الاجراءات من بناء الخطط إلى الاستعداد كوزارة وهيئة أركان وكان من شأن ذلك أن يلفت النظر ويكشف السر، وأنا أردت أن تكون العملية مفاجئة. الثاني انني حررت الكويت بالقطعات التابعة لي مباشرة وليس قطعاتكم.

بعدها قال لي: "فريق نزار، اريد أن أسحب الحرس الجمهوري وأريد منك استطلاع منطقة الكويت ووضع قطعات من الجيش مكان الحرس الجمهوري الذي سنسحبه إلى المنطقة الحدودية ليكون احتياطاً".

لم يبد صدام مبتهجاً في الاجتماع، كانت ردود الفعل الدولية شديدة.

ذهبت إلى الكويت وقدرت حجم القطعات التي احتاجها للحلول مكان الحرس الجمهوري ونفذنا الخطوة. في اليوم التاسع للاجتياح كتبت تقريراً استراتيجياً ورفعته إلى القائد العام ونائبه ووزير الدفاع. تحدثت في التقرير عن الحدث وما هي التغييرات الهائلة التي حصلت في المنطقة، وماذا يمكن أن يحدث على مستوى المنطقة والعالم. وأشرت إلى أن ما

قام به العراق سيؤدي إلى حرب كبيرة قد تكون شبيهة بحرب عالمية صغيرة. وقلت إن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة ستشارك في هذه الحرب ومعها دول عربية، وان هذه الحرب قد تتخطى استعادة الكويت إلى انهاء العراق.

حين يغضب الرئيس

وبعد أربعة أسابيع من الاجتياح كتبت تقريراً عملياتياً بينت فيه كيف ستحدث المواجهة والاتجاهات التي ستسلكها قوات التحالف، مقارنة بين إمكانات الجانبين. وأشرت بشكل واضح إلى أن الحرب واقعة بنسبة مئة في المئة، وسنخسر هذه الحرب. ووضعت في التقرير توصية بأن ننسحب ونحل المشكلة بالوسائل الديبلوماسية.

في ١٨ أيلول سبتمبر ١٩٩٠، أي بعد نحو ستة أسابيع من الاجتياح، استدعانا صدام إلى اجتماع حضره وزير الدفاع وأنا وقائد القوة الجوية ومدير الاستخبارات، كما حضر سكرتير عام القيادة العامة الجنابي. منذ بدء الاجتماع بدا صدام منزعجاً. قال صدام: "فريق نزار أنت أعددت تقريرين اريدك أن تناقشهما".

بدأت في عرض التقريرين وأشرت إلى أن الإمكانات ليست متكافئة أبداً، ما يعني أن ليست هناك فرصة للقتال وسندمر في اماكننا. قلت إنه ستكون هناك غارات شاملة تستهدف تدمير المواقع الحساسة والبنية التحتية لفترة لا تقل عن شهر قبل أن يبدأ الخصم بضرب القوات عبر هجوم بري.

انفعل صدام وقال: "شنو، ليس هناك هجمات جوية تدوم شهراً، مجرد يوم أو اثنين وتبدأ المعركة الأرضية وفيها سنلقنهم الدرس". أجبته:

"سيدي، لن تتاح لنا فرصة مثل هذه المواجهة، سيدمرون الجسور والثكنات والمصانع وفي النهاية سيرتدون على القوات الأمامية".

كنت لا أزال في الجزء الأول من حديثي حين وقف مستاء، فوقفنا كلنا وخاطبني قائلاً: "فريق نزار لماذا لا تقول صراحة أنك لا تريد أن تحارب". آلمني الكلام وأنا ضابط محترف أتحدث بصراحة عن موضوع يطرح مصير البلد. قلت له بعدما فاجأني كلامه: "سيدي، أنا عسكري وأمضيت عمري في الجيش ورئيس أركان الجيش ولهذا السبب يجب أن أقول لكل الحقيقة. سيدي الحقيقة أسوأ مما ذكرت". فرد: "إذاً ينهى الاجتماع". ظهر الغضب واضحاً في عينيه.

خرجت من الاجتماع متعباً ومتألماً. بلد يندفع نحو الحرب والرجل المسؤول لم يأخذ في الاعتبار انني أتكلم انطلاقاً من حبي لوطني واستناداً إلى خبرتي. خاطبني صدام وكأنني خائف. في الحقيقة كنت خائفاً على بلدي، فأنا كعسكري كنت أعرف ان لا طاقة لنا على المواجهة.

في اليوم التالي، وبعد الدوام، جاءني أحد الأشخاص الذين يعتمدهم صدام في نقل رسائله الشخصية واسمه ماجد ويعمل في القصر. سلمني رسالة اقالتي من منصب رئيس أركان الجيش. جاء في الرسالة ما أذكره: "من صدام إلى الفريق أول نزار الخزرجي، يصعب عليّ تبليغ الرجال والعسكريين منهم بصفة خاصة بتغيير مواقعهم. المرحلة الحالية تتطلب تغيير موقعك. نشكرك على كل الجهود والفعاليات التي قمت بها في حرب القادسية. عينت الآن في منصب مستشار في رئاسة الجمهورية. نتوقع أن تقوم بهذا الواجب كما عهدناك سابقاً. صدام حسين".

الحقيقة أن المنصب الجديد رمزي وبلا أي قيمة ولذلك لم أدوام. اتصلت بالسكرتير العام للقيادة العامة وقلت له: "أنا موجود في البيت

إذا كان لديكم ما تريدون رأيي فيه ارسلوه إليّ أو احضر اليكم إذا كان هناك ما يمكن أن أعمله".

وهذا كان وضعي، أي مستشاراً عسكرياً في رئاسة الجمهورية، إلى أن غادرت البلد في ١٩٩٦.

< أين كنت خلال الحرب؟

- كنت في بغداد. ولم استشر بشيء.

< من وضع خطة غزو الكويت؟

- ما عرفته هو أن صدام وضع الخطة شخصياً في حضور حسين كامل وعلي حسن المجيد. ربما استعانوا بآخرين من المقربين لمسائل تفصيلية، لكن الخطة كانت بين الثلاثة.

< ماذا تغيّر في تعامل النظام معك بعد اقالتك؟

- سحبوا الحرس الخاص الذي كان بين عناصره أقارب لي وكان يتولى حراسة منزلي. نقلوا حراسي إلى مكان آخر وجاؤوا بحراس من "الأمن الخاص" الذي كان يديره قصي. ووظيفة الحراس الجدد كانت متابعتي ومراقبة حركاتي. وضعوا سيارات من "الأمن الخاص" في أول الشارع وراقبوا هاتفي. عملياً صرت في ما يشبه الإقامة الجبرية من دون الإعلان رسمياً عن هذا الاجراء. كانت المراقبة شديدة.

< ماذا كان شعورك وأنت ترى الجيش العراقي يهزم؟

- صدقني لا اريد أن أذكر تلك الأيام الصعبة. أيام مؤلمة ومذلة توفر درساً كبيراً. دمر البلد وأهين الرجل لا يهمه شيء.

< هل تعتبر قصة الكويت برمتها خطأ فادحاً؟

- اعتبرها خطأ مرعباً.

< كم مرة زرت الكويت قبل اقالتك؟

- ثلاث مرات على ما اذكر.

< هل خطط لاحتجاز العائلة الكويتية الحاكمة؟

- طبعاً كان يتمنى.

جفن من يرف أولاً

< هل كان يعتقد أنه سيقيم بصورة دائمة في الكويت؟

- نعم. لم يتوقع أن تحدث حرب. حساباته خاطئة. كان يعتقد أن الغرب يهمه النفط ولا يمانع أن يكون ربع احتياط العالم في يد رجل قادر على فرض الاستقرار. وهو كان مستعداً أن يقدم النفط للغرب بتسهيلات. تعامل مع الأزمة وكأنها مباراة في لي الأذرع. قال ذات مرة ان المسألة تدور حول من سيرفّ جفنه اولاً. مفهوم المبارزة القديم. لا يعرف ان العالم تغير وان هناك الامم المتحدة

ومصالح الدول الكبرى حتى العلوم العسكرية تغيرت كثيراً.

الحقيقة انه غير مدرك للسياسة الخارجية. ضعفه القاتل في هذا المجال. لا يعرف ماذا تغير في الصورة الدولية. بارع في الامن الداخلي والهيمنة على الناس لكنه جاهل في السياسة الخارجية. تصور انه

استغرب ان القادة العرب لم يقفوا معه بعد اجتياح الكويت وراح يتوقع ان تثور شعوبهم عليهم لاسقاطهم.

عدم معرفته بالعالم الخارجي يدفعه الى قراءة الاشارات في صورة مغلوطة. هذا ما حدث في لقائه مع الديبلوماسية الاميركية ابريل غلاسبي. كانت غلاسبي تتهيأ للذهاب في عطلة. طلبت عبر وزارة الخارجية ووجدت نفسها امام الرئيس. شرح لها الوضع وقال لها ان دولاً في الخليج تحاول تجويع العراق وتركيعه وهذا عمل يمكن ان يلقى رد فعل شديد من قبلنا. لم تكن لدى غلاسبي توجهات محددة فردت عليه بعبارات عامة. قالت له ان سياسة الولايات المتحدة تقوم على عدم التدخل في الخلافات بين الدول العربية ولا تعتبر نفسها معنية بها لانها يمكن ان تحل بينكم. فسّر كلامه على انه ضوء اخضر. تصور انه اعتبر بداية الحرب نوعاً من الغدر وقال: "لقد غدر الغادرون".

< تصور ان المسألة تصل الى شفير الحرب ثم تحصل تسوية؟

- نعم. عندما طلب وزير الخارجية الاميركي جيمس بيكر الاجتماع بطارق عزيز لم يفهم ان هذا الانذار ستتبعه الحرب. اعتبر اميركا ضعيفة وبدأت ترضخ وان الوقت مناسب للتشدد وتحسين الشروط. اعطى تعليماته الى طارق عزيز بالتصلب. بيكر لم يخف نوايا بلاده قال لعزيز ان العراق سيدمر وسنعيدكم الى عصر سابق.

< ما قصة تنقله بين الملاجئ؟

- هذا اسلوبه. لا احد يعرف مكانه.

< وفوجئ بموقف السوفيات؟

- نعم، قال له السوفيات كيف تريدنا ان نجازف بحدوث حرب عالمية وانت لم تستشرنا حتى في عملك هذا.

< ما هي قصة انتفاضة الجنوب والشمال بعد حرب الكويت؟

- كان القدر مضغوطاً جداً وحين رفع الغطاء حدث ما حدث. حتى الشعور الوطني لا بد من توجيه التعبير عنه وضبطه كي لا يذهب في مسارات مخالفة لما هو مقصود. للاسف استهدف المنتفضون في الجنوب الجيش والمؤسسات. وبدلاً من ان ينضم الجيش الى الانتفاضة تم التعرض له فاشتبك مع الناس. استهدف الجيش للاعتقاد بانه على ولائه لصدام في حين انه كان مهيئاً للانتفاض. معلوماتي ان قادة وآمرين قرروا الزحف على بغداد لاسقاط صدام رداً على مشاعر الذل وممارسات الخداع لكن حدوث الانتفاضة وتأخر التنفيذ فضحا الخطة.

< من قاد عملية قمع انتفاضة الجنوب بعد حرب الكويت؟

- تولى قمع الانتفاضة في الجنوب الحرس الجمهوري وقوى امنية وقسم من قطعات الجيش. في تلك المرحلة وزع صدام حسين اعضاء مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب على المناطق واعطاهم صلاحيات. وبين هؤلاء عزة الدوري وطه ياسين رمضان وحسين كامل. الى الجنوب ذهب محمد الزبيدي الذي تولى لاحقاً رئاسة الحكومة. الى الشمال ذهب عزة الدوري، الى كربلاء والنجف طه ياسين رمضان وحسين كامل. وزع صدام اعضاء القيادة في اتجاهات عدة. ووقعت صدامات في مدينة صدام في بغداد ادت الى خسائر في صفوف الطرفين لكنها قمعت في النهاية.

الحلقة الرابعة: نهاية الحرب مع ايران

في ١٤-٧-١٩٨٧ تلقى الفريق أول ركن نزار الخزرجي قائد أحد الفيالق اتصال ينبئه بتعيينه رئيساً لأركان الجيش. ولم تكن المهمة سهلة. أجزاء من الأرض العراقية ترزح تحت الاحتلال الايراني. الخسائر البشرية مرتفعة والموارد مهددة بالنضوب. الجيش العراقي يخوض معارك دفاعية على أرضه والحرب تنذر بالامتداد سنوات جديدة.

بعد أربعة أيام من التعيين استقبل الرئيس صدام حسين الرئيس الجديد للأركان الذي أدار بمهارة مجموعة من المعارك الصعبة. ذكره الخزرجي بدراسة أعدها في ١٩٨٣ تقترح اعتماد استراتيجية تعرضية، أي الانتقال من الدفاع الى الهجوم. وقال انه يحتاج الى سنة لإنهاء الحرب بنصر عراقي بعد اعادة تأهيل الجيش بموجب الاستراتيجية الجديدة. لهذا السبب ترتدي شهادة الخزرجي عن إنهاء الحرب العراقية - الايرانية أهمية استثنائية، فكل معارك دفع القوات الايرانية الى خارج الأراضي العراقية تمت في عهده في رئاسة الأركان.

نص الحلقة الرابعة

< ما هي أهمية معركة الفاو؟

. تنبع أهمية الفاو من كونها تمثل خنجراً هائلاً في خاصرة العراق، فاحتلالها قطع العراق عن منطقة الخليج العربي ومثل تهديداً للدول التي تساندنا، مثل الكويت والسعودية وغيرهما. وكان من الضروري البدء بعملياتنا التعرضية في هذا القاطع الذي نجحنا في تحريره خلال ٤٨ ساعة.

< من وضع خطة تحرير الفاو؟

- وضع خطة تحرير الفاو رئيس أركان الجيش الذي تقع تحت امرته تقليدياً القوات المسلحة من القوة الجوية والبحرية والاستخبارات، إلا أنه بعد مجيء صدام حسين ارتبطت القوة الجوية به مباشرة، وهكذا الحال مع البحرية والاستخبارات والتوجيه السياسي والحرس الجمهوري والتصنيع العسكري، بمعنى أن رئاسة أركان الجيش كانت تعني عملياً قيادة الفيالق الأرضية. الخطة الأرضية أتت من عندنا فيما كنا نسمع عن تحرك القوة الجوية وأسلحة الدمار الشامل وما ترتب عليها من حرب المدن من الراديو، وهكذا الحال حتى مع الغارات الجوية.

< هذا يعني انكم لا تتولون التنسيق بين مختلف الأسلحة؟

- هذا صحيح، فقد كان كل شيء محصوراً بالقيادة العامة، أما رئيس الأركان فهو القائد الفعلي للجيوش البرية ولم تكن له سلطة فعلية على القوة الجوية مثلاً أو البحرية وهكذا...

< إذاً تغيرت الأمور بعد مجيء صدام حسين؟

- نعم. إنها بالنسبة إليه قضية أمنية. لا يريد لأحد أن يعرف عن كل أسلحة الجيش ويضعها تحت يد واحدة، وكان هذا الاسلوب وراء الخسائر البشرية والمادية الكبيرة التي تكبدناها في الحرب. أما ما يتعلق بالخطط الجوية والبحرية والصاروخية فقد كانت توضع وتنفذ من قبل القيادة العامة، ومن دون التنسيق معنا أو علمنا. وكان واجبي يدور حول تحرير الأرض ووضع الخطط للفيالق من أجل التحرك وازاحة القوات الأرضية الإيرانية من تلك المنطقة.

< هذا يعني أن صدام حسين كان يتصرف كجنرال عبر تعاطيه في كل هذه المسائل؟

- نعم، يطلب خططاً من القوات البرية والجوية والبحرية والصواريخ...، ولديه هيئة أركان وعبر جمع كل هذه الخطط يبلور خطة شاملة.

< كيف جرى تبليغك بساعة الصفر؟

- لا هذه موجودة في الخطط، إلا إذا كانت لا تتلاءم مع الطقس مثلاً، وهذا ما جرى في تحرير الفاو.

< كان نائب القائد العام وزير الدفاع الفريق أول ركن عدنان خيرالله موجوداً في تحرير الفاو، ما هو دوره؟

- لم يكن له دور كبير، بل بالعكس إذ سلب جزء من دوره عبر حدوث أشياء من دون علمه، ومثلما ذكرت كنا نسمع ضربات الصواريخ والغارات من الراديو.

< الشخص الذي كان يعرف كل شيء هو شخص وحيد إذن؟

- هو القائد العام وهو المسؤول عن إدارة الحرب. بعد معركة الفاو جرت ست معارك، تحرير الشلامجة شرق البصرة بعد شهر، وجزيرة مجنون الغنية بالنفط، ومنطقة الطيب الزبيدات شرق العمارة، وسانوية كيلان غرب شرقي خانقين، ثم كانت الفيالق الشمالية تتحرك في منطقة حاج عمران وماو وجوارته، يعني في ١٩٨٨/٨/٨ استطعنا أن ندحر الإيرانيين ونخرجهم خارج الحدود العراقية ولمسافات بعيدة، وهو ما جعل الخميني يوافق على وقف النار، وهكذا توقفت الحرب.

< هل يعني هذا هزيمة للجيش الإيراني؟

- دحر الجيش الإيراني اندحاراً كبيراً. ولعلك تذكر أن الخميني صرح وقتها انه يفضل تجرع السم على التوقيع على وقف النار، لكنه اضطر إلى الموافقة.

< هل كانت هناك خبرات أجنبية في معركة تحرير مدينة الفاو؟

- اطلاقاً وكل ما يقال كذب وعارٍ من الصحة؟

< يعني لم يكن معكم خبير سوفياتي؟

- اطلاقاً... اطلاقاً.

< ولا حتى خبير عربي؟

- أبداً. لقد تحررت الفاو من دون علم بعض أعضاء القيادة. نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزة إبراهيم سمع الخبر من الإذاعة، فصدام

حسين عندما يقوم بعمل يكلف كل جهة على حدة بواجبها ولا يخبر الآخرين.

< ماذا عن استخدام السلاح الكيماوي في هذه الحرب؟

- استخدمه الطرفان وهذه حقيقة لا يمكن انكارها. إيران استخدمته بشكل بدائي. استخدام العراق له جاء أكثر تطوراً وعبر ضربات صاروخية وهجمات جوية في العمق. ومعروف أن الأمر باستخدام السلاح الكيماوي من صلاحية القائد العام وهو صدام.

< هناك من يقول إن الولايات المتحدة ساعدتكم في تحرير مدينة الفاو، عن طريق تزويدكم صوراً من الأقمار الاصطناعية عبر سفارتها في بيروت؟

- هذا الكلام قرأته وكتب عنه اللواء الركن وفيق السامرائي. وتحدث عن تعاون استخباراتي بينهم وبين الاستخبارات الأميركية، وفوجئت بذلك لكوني لم أعرف في حينه. الاستخبارات العسكرية كانت مرتبطة بصدام حسين، وكانت تزودنا بالمعلومات فقط. بمعنى انني لا استطيع اصدار أمر إلى مدير الاستخبارات وأطلب منه معلومات. ما حدث أن أي دولة تدخل الحرب تحاول الحصول من دول على معلومات وما اتذكره أن الفرنسيين والأميركيين كانوا يزودوننا المعلومات، وكانت هذه أيضاً مهمة الملحقين العسكريين في الخارج. واعتقد ان الجانب الإيراني كان يقوم بالعمل نفسه. لقد كانت القوة الجوية تعتمد على طائرات "ميغ ٢٥" و"اف ١ ميراج" اللتين لهما قدرة هائلة على التقاط الصور. واذكر أن الصور الجوية التي كنا نتسلمها كانت تبين حتى الخنادق وما فيها. أما الصور الجوية في العمق، فأعتقد أن الأقمار الاصطناعية كانت تزودنا بها. في تقديري ان كل دولة تحارب تحاول الحصول على مثل هذه

المعلومات سواء عبر المال أو عبر علاقات صداقة متميزة. هناك مبالغات كبيرة ولم تأتنا مساعدات كوننا لا نمتلك السلاح الأميركي ولا السلاح الغربي عموماً. وسلاحنا اقتصر تقريباً على السلاح الروسي وبعض الأسلحة الفنية السويسرية ومن بعض دول أوروبا.

< سمعت إذاً عن صور جوية جاءت من الفرنسيين والأميركيين؟

- نعم، سمعت. ولكن كانت تتعلق بالأعماق البعيدة. أما بالنسبة إلى الجبهة وبعمق ٥٠-٨٠ كلم كانت طائراتنا هي التي تقدم الصور والمعلومات، وهو ما يهمنا دون التقليل من المعلومات والصور المتعلقة بالعمق الإيراني لأنها مهمة في توجيه الصواريخ البعيدة وتحديد الضربات الجوية.

< ما هو العنصر الذي حسم الحرب بين العراق وإيران؟

- الاستخدام الصحيح لقدرات الجيش والقوات المسلحة. لقد كان بالإمكان انهاء الحرب خلال أيام لو استفيد من إمكانات الجيش منذ البداية. ولذلك اعتبر انني ساهمت في انقاذ مئات الآلاف من العراقيين والإيرانيين وتقليل الخسائر.

< كنت رئيساً لأركان الجيش، كم كانت خسائر الجيش العراقي؟

- خسائر الجيش العراقي بحدود ١٢٥ ألف شهيد، إضافة إلى ٨٠ ألف أسير ومفقود.

< وما هو بتقديرك حجم الخسائر الإيرانية؟

- اعتقد أنها أكثر، إلا انني لا استطيع أن أعطي رقماً.

< وهل كان هناك ضباط كبار بين القتلى؟

- كانت خسائرنا في الضباط كثيرة، لأنهم كانوا دائماً في الخطوط الأمامية.

< كم كان عددهم؟

- لا استطيع اعطاء رقم، لكنني أقول إن نسبة خسائرنا كانت كبيرة مقارنة مع الجيوش الأخرى. كان من المحتمل أن تنهار الجبهة العراقية بعدما مررنا في ظروف صعبة في العام ١٩٨٣ في الفاو وفي عام ١٩٨٥ في معارك شرق العمارة ومعارك الحصاد الأكبر وجوارته في مناطق الفيلق الأول.

< ما هي المساعدات العربية التي تلقاها العراق؟

- لم يتلق العراق مساعدات عسكرية من أي دولة عربية. واذكر اننا أخذنا مئة دبابة روسية الصنع من طراز "ت ٥٥" و"ت ٥٤" من مصر مقابل ثمن. وجاءنا من اليمن عدد من الألوية العسكرية كانت غير مدربة بشكل كافٍ وكان علينا تدريبها، وكنا نخشى أن نضعها في الجبهات الأمامية خوفاً من وقوعها في الأسر. جاءنا لواء من السودان، وخلال فترة التدريب حدثت أزمات داخلية مما جعل السودانيين يسحبونه.

< وهل ساهم الأردن بشيء؟

- ارسل الأردن متطوعين شكلنا منهم لواء وبعد التدريب وضعناهم في مناطق خلفية.

< والمساعدات من دول الخليج؟

- ساعدت دول الخليج بالمال، وكانت الأسلحة تمر عبر أراضيها.

< ما هو حجم الفيلق؟

- الفيلق تنظيم مرن، يضم في ملاكه الأساسي ثلاث أو أربع فرق وعندما تحدث حرب تلتحق به فرق أخرى من المقر العام أو من الفيالق الأخرى، بمعنى أن الفيلق يمكن أن يدير معركة من ١٠ إلى ١٢ فرقة.

< وما هو العدد؟

- قد يصل إلى ١٥٠ ألف شخص.

"تصدير الثورة"

< ما هو السبب في اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية، هل تعتقد أن النظام العراقي كان خائفاً من الثورة الإيرانية وبادر بالحرب؟

- أود القول ان العراق وإيران وعلى مدى التاريخ كانت بينهما صراعات كبيرة تمتد إلى نشوء الدولة العراقية، وكانت تدور حول الحدود المائية وبالتحديد شط العرب والحدود البرية. وفي زمن الشاه كانت هناك أزمات كبيرة بين البلدين، لكن الفترة الوحيدة التي تخللها الهدوء كانت فترة حلف بغداد الذي ضم إيران والعراق وباكستان وتركيا إضافة إلى بريطانيا. وعندما سقط هذا الحلف عادت المواقف المتوترة بين البلدين. وعندما قامت الثورة الإسلامية وبدأ مدها الشيعي المؤمن بتصدير مفاهيمها وبما أن نسبة الشيعة في العراق كانت عالية توترت العلاقات. أنا اعتقد أن صدام حسين وصل إلى قناعة مفادها أن إيران

أصبحت ضعيفة عسكرياً بعد سقوط الشاه وان جيشها انهار بعد إعدام قادته، فقرر مواجهة حلم تصدير الثورة إلى العراق، خصوصاً بعد التأييد الذي حظيت به في بعض الأوساط الشيعية. ثم أن الغرب والاتحاد السوفياتي تخوفا أيضاً من قرار إيران تصدير الثورة، لأن زخم تلك الثورة بدأ هائلاً وحتى الاتحاد السوفياتي خشي من تأثيراتها على الجمهوريات الإسلامية الآسيوية. أما أميركا فقد استفزتها الثورة منذ أيامها الأولى وتتذكر جيداً قضية الرهائن. لذا اعتقد صدام أنه سيحصل على تأييد العالم، خصوصاً العالم الغربي، إذا ما ضرب الثورة الإيرانية وكبح جماحها واعتقد أيضاً أنه لا يدافع فقط عن العراق، بل أيضاً عن منطقة الخليج بكاملها، وهي كانت تعتبر رخوة آنذاك. كان يعتقد أنه البطل، وأن على كل رئيس وزعيم وقائد استثنائي أن يخوض سلسلة من الحروب، وكان يضع في ذهنه صورة صلاح الدين. كان يعتقد أن في العراق إمكانات وقدرات وثروات هائلة تمكنه من لعب دور أكبر من المرسوم له، وكانت عقدة عبدالناصر موجودة أيضاً، فقد اراد أن يكون البديل وأن يلعب دوراً أكبر مما لعبه جمال عبدالناصر.

< هل لاحظتم تعاطفاً مع أفكار الخميني في صفوف العسكريين الشيعة؟

- كان هناك تيار كبير يؤيد الثورة الإيرانية على الصعيدين المدني والعسكري، وهذا جعل الحكومة العراقية تطارد المؤيدين وتعتقل الناشطين في تنظيمات حزب "الدعوة" الذي مثل التيار الشيعي المعارض. جرت معارك كبيرة بين قوى الأمن وتنظيمات هذا الحزب، ودفع العراقيون خسائر كبيرة من الطرفين.

< كنت قائداً لفرقة عندما بدأت الحرب في ١٩٨٠/٩/٢٢، هل كان لديكم شعور أن الحرب وشيكة؟

- قبل الحرب بثلاثة أشهر، استدعيت مع قائد الفيلق الأول وقادة الفرق الأخرى إلى بغداد للقاء وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وكانت الغاية تدارس نواقص الفيلق الأول. كان قائد الفيلق الأول آنذاك الفريق محمد فتحي، ودار الكلام حول إعادة تدريب قطعات الفيلق، وكنا حينها مشغولين بحرب العصابات في الشمال ضد الحركة الكردية. وكان المطلوب إعادة التدريب استعداداً لحرب نظامية وأن يتم التأهيل في غضون شهرين. كنت أتوقع أن يتكلم قائد الفرقة، إلا أنه سكت تماماً، ما جعلني أن أطلب الكلام. وقلت إن ما عرض وما طلبتموه هو توكيد لاتجاه نحو حرب نظامية، وأننا ننتشر في الشمال بين قصبات وجبال ومعظم أسلحتنا في المخازن الثقيلة وكل هذا يعني اننا غير مؤهلين لخوض حرب نظامية، وإذا كانت هناك نية لخوض هذه الحرب فيجب منحنا مهلة لا تقل عن سنتين، لإعادة تدريب الوحدات. إلا أن وزير الدفاع رفض وقال إن أمامكم شهرين لتجهيز أوضاعكم. كانت الاشارة واضحة وهي الاتجاه إلى خوض حرب نظامية ضد أحد الجيران، وكانت إيران هي المرشحة أكثر من تركيا. وتخوفت يومها أن ينهار الجيش العراقي لعدم جهوزيته.

< ماذا كان شعور الجيش العراقي عندما اندلعت الحرب في ١٩٨٠/٩/٢٢؟

- عندما يحدث أي صراع عسكري لا يمكن للعسكري أن لا يلعب دوره. وهذا لا يعني اننا كنا مقتنعين بأسباب الحرب، لكن مهمتنا كانت الحفاظ على البلد واداء واجبنا بأحسن ما يمكن، وهذه مهنتنا.

< في تقديرك من هو الشخص الذي كان يعرف بقرار الحرب؟

- اعتقد القائد العام ونائبه ورئاسة الأركان.

< رئيس الأركان؟

- على رغم أن وزير الدفاع كان يدير الحوار، إلا أن الفريق أول عبدالجبار شنشل كان المتحدث الرئيسي، وكان حينها رئيساً للأركان.

< ما هي أكبر معركة سقط فيها ضحايا؟

- اعتقد معركة الفاو. اذكر أن هناك لوحة على طريق الفاو تشير إلى أن معركة الفاو كلفت منذ سقوط المنطقة حتى تحريرها ٥٤ ألف شخص بين شهيد وجريح ومفقود.

< وهل كان كل سلاحكم سوفياتياً؟

- نعم، بحدود ٩٥ في المئة.

< كيف كان موقف الاتحاد السوفياتي من الحرب؟

- في بداية الحرب أوقف الاتحاد السوفياتي شحنة أسلحة لنا. وحتى كانت هناك سفن وصلت إلى ميناء البصرة من دون أن تفرغ حمولتها أوعز لها بالعودة. وهذا ما دفع النظام العراقي إلى شراء الأسلحة من السوق السوداء. إلا أنهم أعادوا النظر في هذا القرار وبدأوا تزويدنا أسلحة عندما انسحب العراق إلى حدوده الدولية في العام ١٩٨٢ وقبل وقف النار.

< ما هي الدول؟

- أوروبا الشرقية وعبر وسطاء، وكان مدير الاستخبارات آنذاك برزان التكريتي هو الوسيط الكبير وكانت الصفقات كبيرة.

< وهل استمر الاتحاد السوفياتي تزويدكم بالأسلحة؟

- نعم، وبدأنا نأخذ من الصين أيضاً.

< ما هي مصادر الصواريخ؟

- الصواريخ كانت تأتينا أصلاً من الاتحاد السوفياتي ثم بدأ التصنيع العسكري يعمل على تطوير بعض هذه الصواريخ.

< بمعنى ان العراق بدأ ينتج الصواريخ؟

- لا استطيع الجزم بانتاج كامل، فالتصنيع العسكري كان مرتبطاً بالقائد العام وكان حسين كامل الذي قُتل لاحقاً مسؤولاً عنه. وكان من غير المسموح للجيش ولقادته الاقتراب من هذا الموضوع، أو التساؤل حول عمل هيئة التصنيع العسكري.

< ماذا فعل صدام حسين عندما تقدم الإيرانيون داخل الأرض العراقية؟

- قرر أن يقاتل إلى آخر جندي عراقي.

< هذا ما بلغكم به؟

- تكلم في مناسبات عدة وقال سنقاتل حتى ولو وصل الإيرانيون أسوار القصر الجمهوري. كانت المواجهة بين رجلين عنيدين، أحدهما مقيم في إيران واسمه الخميني، والآخر في العراق واسمه صدام حسين.

< هذا يعني أن صدام لا يقبل الهزيمة حتى ولو دخلوا بغداد؟

- الحقيقة أن صدام وافق مرات عدة على ايقاف الحرب واحدة منها بعد ثمانية أيام من دخول الجيش العراقي الأراضي الإيرانية واثر وساطة من منظمة المؤتمر الإسلامي ومن دول أخرى طالبت بوقف الحرب. وقد كان العراق دائماً يقبل بمثل هذه الوساطات، إلا أن الخميني لم يوافق عليها.

< ومزق صدام اتفاق الجزائر؟

- التمزيق كان متبادلاً من الطرفين. رفض الإيرانيون قسماً من شروط صدام، فاعتبر ذلك انهاء لذلك الاتفاق، ما جعله يمزقه ويلغيه.

< كيف ترى شخصية صدام؟

- يحاول أن يسمع كثيراً ويستفيد مما يسمعه ثم يعيد صوغه. اعطيك مثلاً فقد التقيته وحدثته عن بعض الأفكار والخطط، وبعد أيام أعاد ما قلته أمام قادة عسكريين آخرين. بمعنى آخر كان يشتري مني ثم يبيعه عليّ أمام الآخرين، كي يشعر الآخرون أنه صاحب هذه الأفكار.

< ما هو اسلوب صدام حسين، القسوة؟

- أثناء الحرب كان حاسماً وأمن كل متطلبات الجيش العراقي ووضع في تصرفه كل موارد العراق.

< هل هو شجاع؟

- كانت قراراته توحي بالشجاعة والقسوة.

< هل كان يزور الجبهة؟

- كان يزور المقرات ويطلب الذهاب إلى المواقع الأمامية، وكان القادة يحرصون على عدم وصوله إلى مناطق خطرة جداً.

< هل زارك في الجبهة؟

- جاء أكثر من مرة.

< على أية جبهة؟

- في القاطع الأوسط شرق خانقين جاءني مرتين، وطلب مني الذهاب إلى الخطوط الأمامية، إلا أنني اوصلته إلى القطعات الخلفية وقلت إنها قطعات أمامية، لأنني كنت تحت مسؤولية أن يُقتل.

< وهل كان عدنان خيرالله شجاعاً؟

- نعم كان شجاعاً ومتفهماً، إلا أنه لم يكن صاحب القرار.

< من هم أبرز القادة العسكريين خلال الحرب العراقية - الإيرانية؟

- برز كثيرون وأجادوا في إدارة معارك ناجحة وفشل آخرون في مهماتهم، إلا أننا في آخر الأمر حسمنا أمر الحرب.

< هل اعدم صدام قادة عسكريين؟

- نعم بسبب ما اعتبره عدم تأدية واجبهم بالشكل المطلوب، وليس بسبب الخيانة أو التخاذل.

< وهل أثرت الإعدامات على معنويات الجيش العراقي؟

- تؤثر بالتأكيد ولكن الحرب حرب ولا مجال للتراخي.

< كيف يُعدم قائد، ومن يأخذ القرار بإعدامه؟

- هذه القضية لا نعرفها، فمثلاً بعد سقوط المحمرة اعدم قائد الفيلق وقادة الفرق ومنهم الفريق صلاح القاضي قائد الفيلق الثالث، ويقال إنه جادل صدام والقيادة بسبب تدخلاتهم في عمله وإدارته لمسرح العمليات، مما حمل الفيلق خسارات كبيرة، ومثل هذا الجدل تعتبره القيادة نوعاً من التحدي.

< عندما يذهب القادة العسكريون للاجتماع بصدام لا يدخلون بمسدساتهم؟

- نعم هذا صحيح.

< وصدام يحتفظ بمسدسه؟

- نعم. في أي حال القادة العسكريون لا يحملون عادة مسدسات معهم. أنا لم أحمل المسدس نهائياً. فواجب القائد لا يختصر بحمل مسدس.

< كيف استقبلتم قرار وقف النار؟

- احتفلنا وابتهجنا كثيراً لكون الأراضي العراقية حررت بأكملها وتوغلنا في الحدود الإيرانية إلى مسافة ٢-٣ كلم بسبب فقدان اشارات الحدود القديمة وحتى لا نترك مجالاً للخطأ، وقد أبلغت القيادة بذلك.

< هل اخبرته عن طريق التلفون؟

- لا، كنا سوية وبعدها تركته وأصدر بيانه الشهير. ابتهج لحظة إقرار الخميني بهزيمته، وقال إن الله أراد أن يسمع العالم وشعبنا ان الخميني الذي قال إنه كان يفضل تجرع السم اضطر إلى الموافقة على وقف النار.

< هل كان كره صدام للخميني شخصياً؟

- أكيد، وأعتقد أن الشعور كان متبادلاً. مزاجا الرجلين كانا على طرفي نقيض. والعناد جزء من شخصيتهما. يجب ألا ننسى أن الخميني كان في العراق وابعد. بموجب اتفاق الجزائر بين صدام وشاه إيران في ١٩٧٥ تعهد كل من البلدين بالامتناع عن دعم المعارضين لنظام البلد الآخر.

راح الخميني يوزع بيانات وكاسيتات ضد الشاه داخل العراق. ارسلت إليه السلطات وفداً وشرحت له التزامات ١٩٧٥ وطلبت منه إما التقيد وإما مغادرة العراق. الخميني اعتبر الخطوة ضربة كبيرة. أنا أعتقد أن العداء الشخصي بين الخميني وصدام كان من أسباب اندلاع الحرب واستمرارها لأمد طويل. كان هناك كره متبادل.

< كان شامتاً بهزيمة إيران؟

- أكيد، إلا أن شخصية صدام حسين تغيرت تغيراً هائلاً من هذه اللحظة، فقد أصبح المنتصر والمتبجح والمغرور الذي يعتقد نفسه شبه إله وراح يبتعد عن الآخرين. اسلوبه غريب. يحتضنك عندما يحتاجك وعندما تنتهي الحاجة يرميك، وهذا ما حدث معي بالفعل بعدما أصبحت لي سمعة كبيرة في القوات المسلحة.

< خضت معارك كثيرة، هل سقط قتلى تعرفهم؟

- نعم، خصوصاً في المقرات المتقدمة وعند إدارة المعارك.

< ما هو احساسك كقائد عندما يقتل أحد ضباطك أو جنودك؟

- احساس صعب، فخلال الحرب تتولد علاقة حميمية مع الناس. الضباط والجنود يجمعهم مصير واحد وأساسه التكاتف. كان عملنا منصباً على تقليل الخسائر وفعلاً كانت خسائر معاركنا التي حررنا بها العراق قليلة. نجحنا في انهاء الحرب، وبهذا الشكل أنقذنا مئات الألوف من العراقيين والإيرانيين من المذبحة.

< وهل كان يمكن للحرب أن تستمر لسنوات أخرى؟

- نعم، كانت ستستمر لو بقيت على نهجها السابق. وكان العراق برأيي لا يستطيع الاستمرار، لأن مواردنا نفدت وأصبحت ديوننا هائلة وكانت خسائرنا البشرية كبيرة بالنسبة إلى عدد السكان، إضافة إلى أن خطوط النفط كانت مقطوعة. فيما كان الإيرانيون يتفوقون علينا عددياً وكانت طرق مواصلاتهم وتصدير نفطهم مفتوحة وكانت إيران آنذاك تقاتل بقطع خفيفة من الحرس الثوري.

< وما هي قصة الأمواج البشرية؟

- كانت هناك مبالغات. اعتمد الإيرانيون على القطاعات الخفيفة وعلى البشر والتفوق العددي.

الحلقة الخامسة (الأخيرة):

التغيير

ما اصعب ان تكون جنرالاً. فالقيادة فرصة وعبء في آن. وما أصعب ان تكون جنرالاً في بلد يملك رجل واحد فيه حق دفع البلاد الى حرب. وما اصعب ان تكون جنرالاً في عهدة القائد العام الممسك بكل الخيوط والقابض على كل الحقائق والمصائر. وقصة الفريق ركن نزار الخزرجي تروي قصة عقود من عمر العراق. ويقول الرجل الجالس في المنفى ان الحلم الاخير لديه هو رؤية عراق ديموقراطي مزدهر يعيش كسائر الدول، ولشعبه ما لسائر الشعوب من حقوق وتطلعات.

ولد نزار الخزرجي في ١٩٣٨/١١/١٧ في الموصل في عائلة عسكرية. والده عبدالكريم كان عميداً في الجيش، وعمه ابراهيم فيصل الانصاري تولى رئاسة الاركان ١٩٦٧ - ١٩٦٨. دخل الكلية العسكرية في ١٩٥٥ وتخرج في ٣٠ حزيران يونيو ١٩٥٨ قبل اسبوعين من الثورة التي غيّرت وجه العراق. لقاؤه الاول مع صدام حسين كان في موسكو في ١٩٧١. راجع السيد النائب بخصوص مشكلة عمه الذي حكم بالاعدام فوعده، وقال صدام لمعاون الملحق العسكري ان البلاد تحتاج الى امثالك من الضباط. عاد نزار الخزرجي وحلّ صدام مشكلة عمه الذي أُطلق بعد اسبوعين.

شارك في حرب ١٩٧٣ في الجولان وتسلّم قيادة لواء وفرقة. ثم بدأ عهد صدام حسين واندلعت الحرب العراقية . الايرانية التي حسمت في عهده في رئاسة الاركان.

نص الحلقة الاخيرة

< أخرجك صدام من رئاسة الاركان بعد غزو الكويت ثم استدعاك مجدداً بعد اندلاع الحرب؟

- كلفني صدام حسين ان اذهب الى الجنوب لتشكيل خط دفاعي على نهر الفرات، خاف ان تتقدم قوات التحالف الى الناصرية بعدما تمكنت من احتلال قاعدة علي بن ابي طالب الجوية القريبة. كلفني هذه المهمة وابلغني ان الفيالق الخمسة التي ستنسحب من الكويت ستوضع اتحت امرتي.

مساء ٢٧ شباط فبراير وصلت الى الناصرية. وكان تم التوصل الى وقف اطلاق النار. وهنا بدأت قصة اخرى. في الاول من آذار مارس على ما اذكر، جاءني محافظ الناصرية الى مقري في اطراف المدينة وقال ان السكان تمردوا في ناحية الفهود في اهوار الجبايش وقتلوا مدير الناحية وعناصر حزبية. واخبرني لاحقاً ان الثوار سيطروا على كرمة بني سعيد وبعدها على قضاء سوق الشيوخ واقتحموا دار القائمقامية وقتلوا القائمقام وعناصر حزبية وان تصفيات تحصل.

كنا في الناصرية في حدود ٢٣ ضابطاً وجندياً. الوحدات التي كان مقرراً ان تلتحق بنا لم تصل. قصفت القوات المنسحبة من الكويت وكانت الجسور محطمة. في اليوم التالي وصل المشاركون في الانتفاضة الى الناصرية وقتلوا المحافظ واعضاء قيادة الحزب فيها، هوجم مقرنا، علماً اننا لم نقاتل، واصبت بأربع رصاصات في بطني. اندلعت النار في المبنى ونقلني الضباط الى السطح مغمياً عليّ. بعدها توصل الضباط الى تسوية مع مهاجمي المقر ونقلت الى مستشفى صدام في الناصرية حيث

خضعت لعملية جراحية. كان وضعي الصحي سيئاً جداً نتيجة تسمم الجرح.

في الثامن من آذار مارس وصلت وحدات من الحرس الجمهوري، ففر الثوار من المدينة ونقلت الى بغداد بطائرة هليكوبتر. ادخلت المستشفى العسكري ثم مستشفى ابن سينا الخاص بكبار المسؤولين.

الرئيس والجنرال الجريح

زارني صدام في المستشفى يرافقه سكرتيره عبد حمود. اراد ان يستفسر عما حدث وكان وضعي الصحي سيئاً وحالتي النفسية سيئة. كلّمته بشدة. سألته لماذا كل هذا الذي يحدث؟ ألم أبلغك ان العراق سيدمر؟ لماذا يهاجمنا الناس؟ لماذا يهاجمنا الفلاحون؟ ولماذا يهاجمنا جنود هاربون؟ لماذا كل الناس ضدنا؟ ولماذا حل بالجيش ما حلّ به؟

بدا صدام متأثراً وفي وضع سيئ كان يكتفي بالرد بعبارات قصيرة من نوع يمكن في مثل هذه الظروف ان يحدث ما يحدث؟ الحقيقة انه ما كان ليقبل مثل هذا الكلام لو لم يكن الوضع كارثياً ولو لم اكن مصاباً. مكث صدام نصف ساعة وبعدما طلب من الاطباء الاهتمام بي غادر المكان. امضيت شهرين في المستشفى وبعدها نقاهة لخمسة اشهر.

< ومتى التقيته لاحقاً؟

- حين كنا ندعى في المناسبات الوطنية والاعياد. باستثناء ذلك لم اداوم في اي مكتب لا في الرئاسة ولا الحزب. لم يتعلم صدام من العبر وازداد الوضع تدهوراً فشعرت ان العمل الوحيد المجدي هو العمل لتغيير النظام برمته.

< هل تعتقد بأن الحرب الاميركية على نظام الرئيس صدام حسين حتمية؟

- يخيّل لي ان ثمة قراراً اميركياً واضحاً بإطاحة صدام وهو ما يقدم مؤشرات الى ان الصدام حتمي. لأميركا اهداف استراتيجية كبرى وموقع العراق مهم.

< هل الحرب الاميركية هي الحل؟

- الحل في نظري ممارسة ضغوط اميركية ودولية لتمكين الجيش والشعب من الانتفاض. وهنا أُثمّن ان يحصل تغيير في الخطاب الاميركي. بحيث يتركز على وحدة العراق ومساعدته على بناء نفسه حين يأخذ الشعب والجيش المبادرة لاسقاط النظام بدلاً من العبارات الشائعة الحرب على العراق وضرب البنية التحتية وادارة العراق وغيرها.

على الجميع ان يتذكروا ان العراق بلد صعب وان الحل الحقيقي يأتي من الداخل ومع دور لضغوط الخارج.

< ألا تعتقد ان التغيير يستلزم وجود عسكري على رأس السلطة؟

- لا ارى ابداً اي حاجة الى وجود عسكري على رأس السلطة. دور القوات المسلحة يجب ان يكون دعم الحكومة التي ستواجه اعباء كثيرة. ان دور الجيش هو دعم عملية الانتقال هذه.

< افهم ان مجيء جنرال لا يشكل حلاً؟

- نعم. يجب الاقلاع عن تكرار هذه النظرة الممجوجة وغير المقبولة لا من الداخل ولا من العالم. الجيش يجب ان يعرف دوره وهو الدفاع عن الوطن وحماية السلم والاستقرار عن طريق دعم الحكومة والتزام

القوانين. والحكومة التي ستتولى السلطة بعد صدام يجب ان ترتكز على قوى الداخل وان تكون واسعة التمثيل والعراق غني بالطاقات والكفاءات.

< ماذا سيحل بالجيش العراقي اذا اندلعت الحرب؟

- سيمزّق الجيش وسيمزق العراق وستحصل فاجعة للعراق وربما للمنطقة. سيحدث تغيير رهيب تمتد آثاره الى المنطقة. ليس هناك حتى الآن صورة واضحة لما يمكن ان يحدث بعد الحرب. لذلك ادعو الى ان يكون الحل عراقياً مسنوداً من المجتمع الدولي والدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

< تعتقد ان الحرب مخيفة؟

- مرعبة. التغيير الذي ادعو اليه ممكن بالحد الادنى من الخسائر. اعتقد بأن القوات المسلحة ستتخلى سريعاً عن ولائها لصدام حسين.

< كيف تقوّم قدرات الجيش العراقي حالياً اذا شنت الولايات المتحدة حرباً؟

- الحل الاضمن والاسلم هو الحل العراقي. انا ادعو الى ان يقوم الجيش العراقي والشعب بإطاحة النظام. وبحكم معرفتي بالمؤسسة العسكرية ارى ان الامر ممكن اذا تغيّر الخطاب الاميركي والغربي. الخطاب الاميركي يسير في اتجاه غير صحيح. تعابير الحرب على العراق وتدمير البنية التحتية وتدمير القوات المسلحة العراقية واسقاط صدام بحرب شاملة. صحيح ان حرباً من هذا النوع تسقط صدام لكنها تسقط ايضاً العراق شعباً ودولة. ان حرباً شاملة ستؤدي الى تمزق البلد والى اصابات تلحق اضراراً بأجيال. الخسائر والاشعاعات، انا اقترح ان يوجه الخطاب

الاميركي والغربي في اتجاه ان العالم سيدعم العراقيين شعباً وجيشاً لاسقاط صدام حسين وبناء عراق موحد وان الولايات المتحدة ستعمل على ابقاء ثروات العراق للعراقيين وستعمل مع المجتمع الدولي على رفع الحصار والعقوبات وتأكيد وجود عراق ديموقراطي يلتزم المواثيق الدولية. هذا الخطاب سيلقى الصدى لدى القوات المسلحة والشعب العراقي مع ابقاء سيف التهديد الاميركي والدولي مسلطاً فوق صدام لكن على ان نقوم نحن بإطاحة النظام.

< هل لديكم القدرة؟

- أنا واثق اننا فور وضع أقدامنا في الأرض العراقية ستنضم الوحدات العسكرية إلينا. أنا كنت اريد الحصول على وثيقة سفر للتوجه إلى شمال العراق. الوقت يضغط وعلينا أن نتحرك. وربما لهذا السبب تصاعدت الحملة ضدي. صدام يهمه تماماً أن لا أكون هناك. انه يخشى المعارضة، لكن خشيته الكبيرة هي من القوات المسلحة التي يعرف رصيدنا فيها. وهناك عدد كبير من الضباط والعسكريين على استعداد لأن نعمل معاً ونشق طريقنا بالقتال إلى بغداد. أنا واثق من التفاف آلاف الضباط في الداخل حولنا فور أن تطأ أقدامنا أرض العراق.

< أفهم انك مستعد لقيادة عملية عسكرية انطلاقاً من شمال العراق؟

- مستعد للقيام بدوري في احداث التغيير. أنا اعرف الجيش. إذا تحركت قطعة عسكرية واحدة سيلتف الناس حولها. وحين يلتحم الجيش مع الجماهير لا تستطيع أي سلطة مواجهته.

< هل هناك مؤشرات تململ داخل الجيش العراقي؟

- أعود وأقول إن الجيش جاهز للقيام بهذا الدور، إذا تغير الخطاب الأميركي والدولي وطمأن العراقيين إلى مستقبل بلدهم.

< هل لديك شعور بالخيبة مما رأيته من المعارضة في الخارج؟

- أنا خارج هذه الاطر. اعتقد بأن القوات المسلحة تمثل كل الشعب العراقي. وأعتقد أيضاً أن على القوات المسلحة أن تكون بعيدة عن السياسة بعد صدام. أقول هذا على رغم علاقاتي المتميزة مع قوى موجودة على الأرض، خصوصاً القوى الكردية التي نثق بها وتثق بنا، وهي تعتقد أننا يجب أن نكون معاً لتفادي الأخطار والنزاعات.

تصوّر ماذا يحدث. قيادات الحزب الديموقراطي الكردستاني بزعامة الأستاذ مسعود البارزاني وقيادات الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة الأستاذ جلال طالباني وحزب الوحدة الإسلامي الذي ضرب بالأسلحة الكيماوية في حلبجه، كل هذه القوى بعثت برسائل إلى وزير العدل الدنماركي تؤكد أن لا علاقة لي بما تعرض له الأكراد. وتؤكد الرسائل أن المسؤول هو صدام حسين وابن عمه علي حسن المجيد، وان لا علاقة لنزار الخزرجي المعروف عنه معارضته للعنف وأن أجهزة النظام وراء الحملة. وعلى رغم هذه الرسائل من قادة الشعب المعني تستمر الحملة من المرتبطين بالنظام ومن مجموعات متطرفة تكره كل رجل جاء من الجيش.

< من يفترض أن يقود التغيير؟

- أرى أن التغيير يجب أن تقوده حكومة انتقالية مدنية من العناصر الوطنية في الداخل، وأن تكون ممثلة لكل الطوائف والاتجاهات. وأرى أن تدعم القوات المسلحة هذه الحكومة لإزالة آثار المرحلة السابقة وما

أحدثه صدام، وإعادة العلاقات مع دول المنطقة والعالم وإعادة بناء المؤسسات الدستورية واعطاء الحرية للأحزاب والصحافة وبناء قضاء مستقل. وهذه الفترة قد تستمر عامين ثم يذهب الشعب إلى صناديق الاقتراع لاختيار برلمان عراقي حقيقي.

< وماذا عن الموضوع الكردي والفيديرالية؟

- أنا كعربي اعتز بقوميتي وكذلك العراقي الكردي والتركماني. يجب أن يمنح العراقيون حقوقاً متساوية، أي أن يكون الناس كأسنان المشط في ظل نظام ديموقراطي. وأنا أؤمن أن النظام المركزي متخلف. العالم اليوم يعيش عصر اللامركزية. يجب أن يترك للشعب العراقي أن يقرر أي نوع من اللامركزية.

< والحل الفيديرالي؟

- أي صيغة يعتبرها الشعب العراقي هي الأفضل يمكن أن نسير بها. اللامركزية واسعة الحدود وتصل إلى حد الفيديرالية. يجب أن يكون هناك مشروع دستور واضح يطرح على الشعب ويقر ويبنى المستقبل على أساسه. أنا لا اضع حلولاً، أنا أتحدث في مبادئ عامة. الحلول يضعها الشعب. من يرسم حلولاً جاهزة يضع نفسه مكان الشعب.

< هل تعتقد بأن أي حكومة انتقالية تشكل في حال سقوط نظام صدام يجب أن تضم أساساً عناصر من الداخل؟

- نعم، يجب أن تضم القوى التي عانت واضطهدت والتي لا تزال تعايش اليوميات العراقية دقيقة بدقيقة. حتى نحن الذين خرجنا منذ سنوات قليلة نشعر أحياناً بوجود مسافة تبعدها عن تطور الأحداث. هناك في

الداخل شخصيات ممتازة يمكن أن تشكل أعمدة حكومة وطنية في الداخل.

< هل تعتقد بأن نظام ما بعد صدام حسين سيواجه مشكلة مع الاصوليين العراقيين؟

- أي تغيير غير مسيطر عليه في العراق يحمل معه إمكان تفجر صراعات كبيرة بين فئات مختلفة قومياً أو طائفياً، هذا عدا عن تصفية الحسابات السابقة. أي فراغ ينذر بجملة حروب لا أول لها ولا آخر. ومثل هذا التقاتل في العراق قد يترك آثاره خارج حدوده.

< تشدد على أن من مصلحة العراق والمنطقة أن يطاح النظام من الداخل؟

- هذا أكيد. إذا كان ما ينتظر العراق هو الخير، آمل أن يتحرك الشعب والجيش لإزاحة صدام قبل أن يضرب. اقول صادقاً انني أخشى من أن تؤدي الضربة الخارجية إلى تمزق العراق تمزقاً كاملاً واصابته بنكبة لأجيال. إذا قصم ظهر الجيش العراقي، فإن صراعات دامية ستنفجر والتجارب السابقة معبرة. ما لم تكن هناك سيطرة على عملية التغيير ستكون هناك فوضى وسيكون هناك اقتتال وتصفيات على الهوية.

< هل تخشى من أدوار للدول المجاورة داخل العراق اذا ضعف؟

- بصراحة، العراق اليوم يعيش بلا سيادة أو استقلال أو كرامة. موضوع تحت الانتداب الكامل بقرارات أممية. لقد خسر العراق استقلاله وسيادته وهو ممزق عملياً. ما بقي هو رجل على كرسي الرئاسة اسمه صدام حسين يمسك بالاجهزة الأمنية.

< هل أعجب العراقيون في البداية بصدام حسين؟

- نعم، في المراحل الأولى رأوا فيه شاباً متحمساً متعلقاً بالمثاليات. كثيرون اعجبوا به ورأوا فيه القائد المقبل الذي يحتاجه العراق. كانوا يفضلونه على أحمد حسن البكر. كان صدام يستقبل ويحاور ويشارك في مؤتمرات. يجب ألا ننسى ان العراق أمم النفط وازدادت المداخيل وحلم الناس بالرخاء واعتقدوا بأن صدام رجل بناء.

< هل كان البكر محبوباً داخل الجيش؟

- لم تكن لدى البكر الكاريزما الموجودة لدى صدام. كان متحفظاً ويخشى على البلد والجيش. ولا يغامر. كان نظيف الكف يعيش من راتبه وفرض الانضباط على أولاده وأبعدهم عن التجارة. كانوا يقدرو نزاهته.

< في الثمانينات، كانت العلاقات متوترة بين سورية والعراق، هل تخوفتم من اندلاع حرب؟

- كان هناك توتر في العلاقات بفعل حساسيات حزبية قديمة أضيفت اليها خلافات حول الأدوار وحول الموقف من ايران ما بعد سقوط الشاه ومسائل أخرى. لم يكن الخلاف سراً، لكن الأمر لم يصل الى حد التسبب بحرب. نحن في الأساس لم نكن نتصور ان يقاتل الجيش العراقي يوماً بلداً عربياً. لهذا السبب بدا غزو الكويت غريباً، اذ ان هذه الأساليب لا تتوافق مع الشعارات التي رفعت سابقاً.

< في أواخر الثمانينات قدم العراق دعماً عسكرياً لأطراف كانت تناهض الوجود العسكري السوري في لبنان؟

- هذا الملف كان في عهدة الاستخبارات والرئاسة ولم تكن لنا أي علاقة بإدارته أو التعامل معه. عادة هذا النوع من الملفات الخارجية من صلاحية الاستخبارات وبإشراف الرئاسة. عرفنا ان دعماً يقدم لتعزيز موقف العماد ميشال عون وأطراف اخرى ضد سورية. الواقع ان الأمر كان يتعلق بصراع عراقي - سوري على أرض لبنان. وللأسف تقاتل اللبنانيون بسبب مشاكلهم كما تقاتلوا نيابة عن الأطراف الخارجية.

< كانت علاقة صدام حسين قوية بياسر عرفات؟

- نعم. عرف ياسر عرفات شخصية صدام حسين ونقاط الضعف فيها وكان يخاطبه بما يناسب لجعله سخياً. كان يسميه القائد ويتحدث علناً عن دخول القدس معاً على حصان ابيض لتأدية الصلاة في المسجد الأقصى. وكان صدام يشعر بزهو كبير.

< هل كان صدام راغباً في خوض حرب ضد اسرائيل؟

- طبعاً، موقف صدام المعلن من اسرائيل معروف. لكن حتى ولو كان راغباً فإن الفرص انعدمت بعد الحرب العراقية - الايرانية. كلامه العام هو انه لا يعترف باسرائيل ويدعو الى إزالتها.

< هدد ذات يوم بإحراق نصف اسرائيل؟

- هذه للأسف كانت بداية استدراجه الى الاصطدام بالإرادة الدولية. نقلت أطراف الى صدام حسين معلومات تفيد ان اسرائيل ستقصف مؤسسات التصنيع العسكري، فرد بتحذير اسرائيل قائلاً انه في حال ضربت اسرائيل مؤسساتنا العلمية والصناعية سيحرق نصف اسرائيل. منطق التصعيد هذا أوصل الى غزو الكويت، وكانت تلك التحذيرات بداية الصدام مع الغرب.

طائرة عدنان خيرالله

< ما هو حادث الطائرة الذي أودى بنائب القائد العام وزير الدفاع الفريق أول ركن عدنان خيرالله في ١٩٨٩؟

- كان عدنان خيرالله ضابطاً محترفاً وصاحب رصيد في الجيش وبينه وبين كثير من الضباط شعور تقدير متبادل. كان يتبنى الضباط وكانوا يشعرون بالأمان بسبب وجوده. عدنان خيرالله شقيق زوجة صدام ساجدة وابن خاله. وفي الحرب العراقية - الايرانية اهتم بالجيش بحكم موقعه وكان عملياً الرجل الثاني. ابتداء من العام ١٩٨٦ راحت الصورة تتبدل. حسين كامل صعد وتزوج ابنة الرئيس ووسع صلاحياته ليحتل موقع الرجل الثاني ساعياً الى ابعاد صدام، قدر الإمكان، عن عدنان. سعى فعلياً الى احداث فجوة.

ذات يوم في ١٩٨٩ عقد اجتماع في وزارة الدفاع لكبار العسكريين. دخل ضابط وسلم وزير الدفاع كتاباً من القائد العام. كانت هناك في وزارة الدفاع هيئة علمية لضباط علماء مرتبطة بوزير الدفاع وتهتم بتطوير الأسلحة. جاء في مضمون الكتاب ان على كل أعضاء الهيئة الالتحاق خلال ٢٤ ساعة بهيئة التصنيع العسكري والالتحاق بملاكها ايضاً، وتصبح علاقتهم مع حسين كامل. اعتبر وزير الدفاع الخطوة بمثابة ضربة فانفعل وبدأ القول: "ما هذا العمل؟ سيخرب الجيش والبلد، ماذا يفعل صدام حسين؟". قلت له: "سيدي لو سمحت رجائي ان لا يكون هذا الكلام أمام الضباط فقد ينقله أحد ويحدث مزيداً من التباعد". نحن كنا نريده ان يبقى وكنا نعتبره ضمانة.

ذهبت الى مكتبي واذ بعدنان يلحق بي ويقول: "ما الذي يجري، ومن هو حسين كامل؟ هذه خطوات تدمر البلد، هذا الشيطان سيدمر الجيش.

انت عاقل يا صدام حسين فكيف يلعب بك هذا الشخص؟ كيف يُصدر أمراً بإلحاق كل علماء وزارة الدفاع بحسين كامل؟". طبعاً هذا الكلام خطير في بلد مثل العراق. قلت له: "يا سيدي أرجوك، ان كان هناك شيء فتكلم معه الرئيس ولا تتكم امام الآخرين. نحن نريدك ان تبقى سنداً لنا" فأجاب: "يا فريق نزار هل يتركني حسين كامل أراه. لا يخليني أشوفه من خلال زوجته. هل تتصور انني أقدر ان أراه دائماً؟".

هذه حادثة شهدتها انا وهي تدل كم كانت العلاقات متشنجة بين صدام حسين ووزير الدفاع بسبب حسين كامل. ذات يوم ذهب صدام مع العائلة الى مصيف في الشمال وذهب عدنان خيرالله. وحصل كلام في هذا اللقاء وتضمن نوعاً من التراضي. استقل عدنان خيرالله طائرة هليكوبتر وعاد الى بغداد فسقطت الطائرة. انا هنا لا استطيع ان اجزم ما إذا كان الطقس السيئ هو السبب أم ان عدنان خيرالله راح ضحية قصة مدبرة.

أحدث موت عدنان خيرالله صدمة في صفوف الجيش والمدنيين. كان شخصاً جيداً ويحب الخير. الضابط الجيد لا يكون مؤذياً ودموياً. هذه الممارسات للمتسلقين بلا كفاءة.

< لماذا اتخذت قرار الخروج في ١٩٩٦؟

- كنت اتوقع بعد النكبة التي حلت بالعراق بفعل اجتياح الكويت ان يعيد صدام حسين النظر في مواقفه وسياساته. كل ذلك لم يحدث، وصلت الى قناعة ان الرجل لم يفهم الدرس ومستمر في اسلوبه وازداد عنفاً. اجرى استفتاء وكانت النتيجة ٩٩,٩٩ في المئة اي ان اربعة آلاف شخص لم يصوتوا له. تصور انه على شاشة التلفزيون قال انه بعد اعلان النتائج يأمل ان يكون هؤلاء الاربعة آلاف يكونوا فهموا الآن.

شعرت ان واجبي تجاه بلدي يلزمني بالتفكير في تغيير في العراق وان الخروج صار حتمياً.

خطة الخروج

< كيف خرجت؟

- تبلورت الفكرة قبل ستة اشهر من موعد التنفيذ. اعتقد ان بيتي كان مزروعاً بالميكروفونات لهذا كنا نتعمد الصعود الى السطح والهمس هناك للتفكير والتخطيط. الحقيقة ان عدداً من الضباط تركوا العراق قبل ذلك واقاموا في انحاء مختلفة وبعضهم في الاردن. اعتبر هؤلاء ان العمل للتغيير يستلزم وجود شخصية عسكرية معروفة وذات رصيد داخل الجيش، ورأوا انني الشخص المناسب. اتصل هؤلاء بجهات كانت لهم علاقات بها فباركت واقترحت عليهم مفاتحتي بالامر. انها جهات دولية.

كنت حاولت في ١٩٩٥ ارسال ابني الى الخارج للاتصال ببعض العناصر. لدى وصوله الى الحدود اخرجت عناصر من "الامن الخاص" قائمة سرية بالممنوعين من السفر وكان اسمه فيها بوصفه ابن احد المسؤولين. لم يتمكن من السفر. حصل الاتصال من خلال زوج ابنتي الصغرى المقيم حالياً في الولايات المتحدة. ابنتى الصغرى تمكنت من المغادرة على اسم زوجها. جاء صهري وقال ان هناك مجموعة من الضباط العراقيين في الخارج يريدون القيام بعمل في العراق، ولديهم تفاهمات مع جهات دولية، وينتظرون ردك اذا كنت مستعداً. شعرت انني كعسكري عليّ ان اتابع تنفيذ واجبي تجاه وطني، فوافقت وبدأت التخطيط للخروج. وخرجت في ١٤ آذار مارس ١٩٩٦.

< وطريق الخروج؟

- كانت الرقابة شديدة فعلاً. وكان علينا ان لا نثير اي شبهة. في المرة الاولى اتفقت مع ابنائي على سيناريو يقول اننا سنذهب لزيارة شخص وقد نتأخر قليلاً. وطبعاً عرف الحرس وكان يهمنا ان يعرفوا. ذهبنا في ذلك اليوم لكن خطأ في التوقيت حال دون التقائنا بمن كان يفترض ان ينتظرنا. اضطررنا الى العودة الى البيت. ترافق ذلك مع عودة حسين كامل من الاردن. وساورتني مخاوف من ان يكون تمكن من معرفة شيء وعاد ليبلغ. ثم سمعنا نبأ مقتله فتبين ان مخاوفنا غير صحيحة. بعد ثلاثة اسابيع اسمعنا الحراس ان قريباً لنا توفي في منطقة ديالى وان علينا القيام بواجب العزاء.

ذهبنا في سيارتين وقمنا بحركات تمويه ثم اتجهنا شمالاً الى الموصل. اعتقد الحراس انني ذاهب للتعزية وسأعود وكنت ابلغتهم ان التقاليد العربية قد تفرض بقائي يومين في ديالى. وصلنا الى الموصل وهناك التقينا بأحد المسؤولين وانتقلنا الى عقره في المنطقة الكردية. لم نحمل معنا اي ورقة او وثيقة او جواز سفر حتى لا نثير الشبهات في حال توقيفنا.

امضينا ليلتين في عقره وانتقلنا بعدها الى زاخو ثم الى تركيا وفي ٢١ من الشهر نفسه وصلت الى عمان.

< من التقيت في كردستان؟

- لا اريد الخوض في الاسماء. لا اريد ان يتأذى احد بسببي. خرجت عبر المنطقة الكردية وبحماية.

< كيف استقبلت في الاردن؟

- كان موقفهم جيداً، أمنوا لي مسكناً وحراسة. بقيت حوالي سنتين، تعرضت لخمس محاولات اغتيال، اكتشفت قبل تنفيذها باستثناء واحدة حين مرت سيارة واطلقت النار على مقر اقامتي والحمد لله لم يصب احد. في ١٩٩٨ صار واضحاً ان عليّ ان اغادر الاردن فقد كانت المخابرات العراقية ناشطة. اصر رفاقي ان اغادر، فذهبت كي لا يخطف احد اولادي وأجد نفسي في وضع صعب.

ذهبت الى اسبانيا وبقيت حوالى ستة اشهر. ذات يوم اتصل بي مسؤول في المخابرات الاردنية وقال ان فريق اغتيالات عراقي وصل في اليوم نفسه الى اسبانيا لاغتيالي. طالبني ان اغير مقر اقامتي فوراً ففعلت ثم غادرت الى الاردن. مرة جديدة بدأت الملاحقة في الاردن فجئت في ١٩٩٩ الى الدنمارك.

< هل جرت معك بعد خروجك اتصالات من جهات عربية ودولية؟

- حصلت اتصالات لكن الاتجاه العام اقليمياً ودولياً كان الى احتواء صدام حسين لا اسقاطه. لم يتحقق الهدف من خروجي ما ولّد لدي خيبة كبيرة. انا خرجت للعمل على اسقاط النظام.

< هل عرض عليك صدام العودة؟

- لا، اتصلت اجهزته اكثر من مرة. مارست الترغيب والترهيب واطلقت تهديدات لكنهم يعرفون انني ايضاً من الرؤوس الحامية.

< هل تتوقع العودة الى العراق قريباً؟

- نعمل من اجل العودة. هناك جهد جيد عسكرياً وسياسياً. هنا جاءت الاتهامات الملفقة ضدي لمنعي من التحرك وممارسة دوري. معلوماتي الاكيدة ان اطرافاً مرتبطة بالنظام عربية وكردية وراء هذه الاتهامات ضدي. وللأسف فإن الجهات المعنية في الدنمارك تأخذ في الاعتبار هذه الاتهامات.

٢ كانون الأول ٢٠٠٢

(انتهى الحوار مع نزار الخزرجي)

أحمد الجلبي

في حلقات من سلسلة "يتذكر" التي نشرتها جريدة الحياة بين ٢١

و٢٨ اذار ٢٠٠٩

كلما صدر كتاب عن الغزو الأميركي للعراق يحضر اسم الدكتور أحمد الجلبي رئيس"المؤتمر الوطني العراقي". والأمر نفسه كلما تناول مقال المغامرة المجنونة التي ارتكبتها إدارة الرئيس جورج بوش. ويقفز الاسم الى الواجهة في حلقات العراقيين والقسوة جزء منها وحلقات العرب التي لا تعوزها السهام.

لا تنكر الكتب والمقالات والأحاديث ذكاء الرجل ودوره الحاسم في اغتيال نظام صدام حسين. لكن معظمها يمطره باتهامات خطيرة."انه الرجل الذي دفع اميركا الى الحرب"."انه الرجل الذي استدرج الأميركيين الى المستنقع العراقي"."انه الرجل الذي ضلل الاستخبارات الاميركية واخترع شهوداً فبركوا روايات أسلحة الدمار الشامل والمختبرات الجوالة"."انه الرجل الذي ضلل كبريات وسائل الاعلام الأميركية ومعها الرأي العام في القوة العظمى الوحيدة"."انه الرجل الذي حصل على موافقة ايران على قرار الغزو الاميركي ونقل إليها أسراراً دفعت القوات الاميركية الى مداهمة مكتبه"."انه الرجل الذي أسس البيت الشيعي بعدما تمتع تنظيمه على مدار سنوات بدعم مالي اميركي"."انه الرجل الذي كان وراء صدور قانون تحرير العراق واقنع المحافظين الجدد لاحقاً بأن اسقاط نظام صدام هو فرصتهم لتغيير العراق والمنطقة فسارعوا بعد هجمات ١١ ايلول سبتمبر الى اغتنامها"."انه الرجل الذي حلم بانتزاع رئاسة عراق ما بعد الغزو وحين تعذر عليه ذلك راح يشاكس ويهاجم ويعرقل ويؤلب جهات اميركية ضد أخرى". وعلاوة على الاتهامات السياسية اتهامات شخصية"بالضلوع في الفساد".

قرأت الاتهامات وسمعتها ولم اكن اعرف الرجل ولم يصدف ان التقينا. بدت قصة الرجل مثيرة، إذ لم يحدث من قبل ان اتهم فرد عربي بدور أدى الى تغيير في موازين القوى في العراق والمنطقة معا. نصحني سياسي

صديق بعدم الاقتراب من الرجل لأن مجرد فتح دفاتره سيثير حفيظة بحر من الاعداء كما قال. ضاعفت النصيحة حشريتي. الصحافة لا تبحث عن الابرياء ولا تعيش على قصص القديسين.

للمرة الأولى سيروي احمد الجلبي قصته. سيحكي عن زيارته لمعتقل اسمه صدام حسين وعن الحرب الاميركية التي اطاحته وعن اعتقاله. سيروي ما سبق الحرب وموقف ايران منها والأخطاء التي ارتكبت بعد الانتصار الاميركي. سيتحدث عن علاقته ببول بريمر الرجل الذي وُضع العراق في عهدته بعد اقتلاع نظام صدام وحلّ الجيش العراقي واجتثاث البعث وعمليات النهب الفظيعة التي حدثت. وسيروي مسار الجهود التي بذلها بعدما استنتج ان اسقاط نظام صدام حسين مستحيل من دون اقناع اميركا بإسقاطه. انها قصة سنوات طويلة تسرب الجلبي خلالها الى أروقة الكونغرس وال"سي آي أي"ووزارة الدفاع وكواليس صناعة القرار.

الحلقة الأولى: كشف خطة الإنقلاب و إنطلاق الحرب

نص الحلقة الأولى

> انطلقت القذيفة الأولى في حرب إسقاط صدام حسين، أغارت الطائرات الأميركية، أين كنت في ذلك الوقت وماذا فعلت؟

- جئت من تركيا يوم ٢٠٠٣/٣/١٧ وكنا قد دخلنا الى كردستان في كانون الثاني يناير٢٠٠٣.

> كيف دخلت؟

- مشياً على الأقدام من إيران.

> وبعلم السلطات الإيرانية؟

- طبعاً، السلطات الإيرانية أقامت لنا وداعاً رسمياً، دخلت من إيران واجتمعنا مع القيادات المعارضة التي كانت موجودة هناك.

> مثل من؟

- المرحوم المرجع السيد محمد باقر الحكيم - وقادة حزب "الدعوة" و "منظمة العمل الإسلامي"، كانوا موجودين في إيران، وكان معي في ذلك الحين في الرحلة الى إيران الأستاذ كنعان مكية، واللواء وفيق السامرائي والدكتور لطيف الرشيد وزير الموارد المائية العراقي الحالي. اجتمعنا مع قيادات المعارضة العراقية ومع المسؤولين في إيران.

> مَنْ من المسؤولين الايرانيين؟

- مع وزير الخارجية في ذلك الحين كمال خرازي، ومع العميد قاسم سليماني مسؤول"قرار غاه القدس".



كمال خرازي وقاسم سليماني

> يعني فيلق القدس؟

- واجتمعنا مع العميد محمد جعفري، الذي كان في مجلس الأمن القومي الإيراني ومع الشيخ هاشمي رفسنجاني. واجتمعنا أيضاً مع العميد سيف الله الذي كان مسؤول قرار"غاه نصر"، يعني قيادة نصر التي كانت تدير علاقات الجمهورية الإسلامية مع المعارضة العراقية، وهذا الاجتماع جاء بعد مؤتمر لندن الذي عقدته المعارضة العراقية في كانون الأول ديسمبر ٢٠٠٢ وقبله حصل اجتماع في طهران، حضره الأستاذ مسعود بارزاني الرئيس الحالي لإقليم كردستان وأيضاً المرحوم آية الله السيد محمد باقر الحكيم ومندوب عن الأستاذ جلال طالباني

هو كسرت رسول وأنا لتحديد ما سيخرج من تصورات مشتركة عن مؤتمر لندن للمعارضة. اتفقنا في ذلك الاجتماع، علماً أننا عقدنا اجتماعات اخرى في طهران، على تأليف حكومة عراقية موقتة. بعد ذلك عقدنا مؤتمر لندن، الأميركيون كانوا موجودين، كان السفير زلماي خليل زاد ممثلاً الرئيس جورج بوش، وكان مسؤولون أميركيون من"سي أي إي"ومن وزارتي الخارجية والدفاع، وكلهم كان ضد تشكيل حكومة موقتة.

> لماذا؟

- لأنه كان هناك اتجاه قوي جداً في الإدارة الأميركية يدعو الى تشكيل سلطة احتلال أميركية أو مع الحلفاء، وكانوا لا يريدون قيام حكومة عراقية موقتة، والذين كنا نعتمد عليهم داخل الإدارة الأميركية لتأليف هذه الحكومة لم يضغطوا بما فيه الكفاية لتحقيق هذا الأمر. لذا عرقلوا تأليف الحكومة في مؤتمر لندن واتفقنا على أن يشكل المؤتمر لجنة من ٦٥ شخصاً يجتمعون في صلاح الدين في كردستان العراق في شهر كانون الثاني يناير ٢٠٠٣ للبحث في تنفيذ قرارات المؤتمر وتعيين هيئة تنفيذية لذلك، لكن الاجتماع تأخر. ذهبنا الى العراق، وكان من المفترض أن يعقد المؤتمر في ١٥ كانون الثاني لكنه لم يعقد، فذهبنا الى إيران في ١٧ كانون الثاني مع الجماعات التي أخبرتك عنها وبعد ذلك دخلنا الى العراق في نهاية الشهر المذكور.

الدخول من إيران

> دخلت سيراً على الأقدام؟

- نعم وهناك صور لدخولنا الى العراق، عبرنا من منطقة الحدود في بيرنشهر الى الحاج عمران سيراً على الأقدام الى العراق واستقبلنا وفد من"الحزب الديموقراطي الكردستاني"وضم أحد أعضاء مكتبهم السياسي الأستاذ فلك الدين كاكائي وذهبنا من الحاج عمران باتجاه صلاح الدين، اجتمعنا مع الأستاذ مسعود وبعد ذلك توجهنا الى منطقة دوكان على بحيرة دوكان، وأخذنا مقراً أمّنه لنا الرئيس العراقي الأستاذ جلال طالباني، وكان آنذاك الأمين العام لـ"الاتحاد الوطني الكردستاني". وبدأنا العمل في دوكان، وكان ذلك في أول شهر شباط فبراير٢٠٠٣، وتأخر عقد مؤتمر صلاح الدين الذي كان يفترض أن يحضره الـ٦٥ شخصاً الذين لم يوافقوا على مؤتمر لندن، وكان هناك شكوى وتردد من قبل الولايات المتحدة لإرسال مندوب عنها، ومع ذلك أصررنا على عقد المؤتمر، فجاء وفد أميركي برئاسة السفير زلماي خليل زاد وكان هناك أيضاً وفد إيراني برئاسة العميد محمد جعفري من قيادة مجلس الأمن القومي في إيران وهو على علاقة حميمة بالعراقيين وخصوصاً الأكراد الذين حارب الى جانبهم لمدة ٨ سنوات خلال الحرب ضد صدام. وبعد ذلك كان على علاقة طيبة بهم وله تأثير عليهم. وجاء في ذلك الوقت الى صلاح الدين.

> هذا في شباط؟

- نعم وعقد مؤتمر صلاح الدين، وقررنا تأليف حكومة عراقية موقتة، ولكن خليل زاد وبناء على أوامر الحكومة الأميركية، عارض ذلك.

> أوامر من؟

- البيت الأبيض كانت سياسته تقضي بعدم تشكيل حكومة موقتة.

> ما تفسيرك لهذا الموقف؟

- تفسيري أنهم كانوا لا يريدون أن تسيطر المعارضة العراقية على هذه الحكومة، وكانوا يعتقدون، خصوصاً الـ"سي آي أي"، انه بإمكانهم الحصول على تأييد قادة عسكريين في العراق، وأعضاء في حزب البعث لتغيير صدام والتمرد عليه، وكانوا حتى آخر لحظة يتوقعون أن يلعب هؤلاء دوراً في التغيير في العراق وكانوا يقولون إن تأليف الحكومة الموقتة سيجعل هؤلاء ينكفئون عن دعم تغيير صدام ويُجبرون على الوقوف معه.

> أنتم كنتم تريدون تأليف حكومة انتقالية؟

- نعم، حكومة عراقية موقتة.

> حكومة موقتة قبل إسقاط النظام؟

- نعم، ويكون مقرها في العراق وتشارك في عملية التحرير. هذه كانت نقطة مهمة جداً.

> هل كان الأميركيون يراهنون على ما يشبه الانقلاب العسكري؟

- نعم، هذه كانت أحلامهم.

> وكانت لديهم علاقات مع عسكريين كبار؟

- خدعتهم المخابرات العراقية، خدعهم صدام.

> كيف ذلك؟

- أنصحك بأن تقرأ كتاب War and Decision الذي كتبه دوغلاس فيث وكيل وزير الدفاع الأميركي ونشر سنة ٢٠٠٨. يصعب جداً الرد على النقاط التي يذكرها الكتاب لأنها مدعمة بوثائق ومحاضر من مجلس الأمن القومي، وأيضاً كتاب بوب وودورد، الأميركيون، حلم الـ"سي أي إي"بالاتصال بضباط عراقيين قصة تاريخية، وهي أحد أسباب خلافنا العميق معهم. قبل سقوط صدام كان لدى الـ"سي أي إي"ستيفن ريختر، مدير محطتها في عمّان خلال حرب الكويت سنة ١٩٩١، وفي ذلك الحين، التقى ريختر اللواء المتقاعد محمد عبدالله الشهواني في عمان، وهو الآن رئيس المخابرات العراقية.

الطريق الى الانقلاب

> بداية المؤامرة؟

- كانت بداية المؤامرة، التقاه هناك، وكان أيضاً يعزز هذه العلاقة باستمرار، وكانوا في الـ"سي أي إي"يعتقدون أن لديهم اتصالاً مباشراً بمجموعات من الضباط العراقيين عن طريق الشهواني ومن عرّفهم اليه. خلفية هذا الاتصال تعود الى حادثة مقتل عدنان خيرالله الذي كان وزيراً للدفاع وهو ابن خال صدام في حادث مروحية، وجرى اتهام صدام انه وراء مقتله. كانت تحيط بعدنان خيرالله مجموعة من الضباط، وكان لديهم وضع مميز، منهم الشهواني وعدنان محمد نوري، الذي كان في"الوفاق"في كردستان، ومنهم محمد نجيب الربيعي، ابن الفريق نجيب الربيعي الذي كان رئيس مجلس السيادة في زمن عبدالكريم قاسم وهو ضابط عراقي قديم ومحترم وقدير، وآخرون أحدهم ضابط موجود الآن في العراق، ما زال يعمل بشكل ما، لا أريد

أن أذكر اسمه لأنه قد يُحرج. هؤلاء كانوا من جماعة عدنان خيرالله، وأيضاً منهم وزير الدفاع الحالي عبدالقادر العبيدي أبو محمد، طبعاً اعتقله صدام، هؤلاء كانوا على علاقة طيبة بعدنان خيرالله وعندما قتل الأخير فإن هؤلاء إما أُخرجوا أو أُبعدوا أو هاجروا. فاتصال ريختر بالشهواني كان سبباً لقيام اتصال بينهم وبين الاستخبارات الأميركية.



محمد الشهواني

> بعد مقتل عدنان خيرالله؟

- نعم، ثم تطور الأمر كثيراً بعد غزو صدام للكويت. فبدأوا يجرون اتصالات، وكانوا يعتقدون انهم يستطيعون القيام بانقلاب، خصوصاً بعد نهاية حرب الخليج واستمرار صدام في عرقلة تنفيذ القرارات التي وافق عليها وفي تهديد أميركا وأصدقائها في الكويت والسعودية. كل هذا الكلام الذي أقوله ثبت بعد ذلك من وثائق المخابرات التي وقعت في حوزتنا. كان الأميركيون يفكرون بالانقلاب العسكري، وفشلوا طبعاً،

وأنت تعرف وضع حركة الـ٩٦ وهناك معلومات كثيرة لم تنشر، تجعلك تستغربها. مثلاً من كان يقود العملية في العراق، من هو صلة الوصل. صلة الوصل اسمه عزت محمد عبدالرازق عفيفي. وهو مصري كان يعمل في السفارة المصرية في بغداد.

> ماذا كان دوره؟

- كان مراسلاً للحقيبة الديبلوماسية. يأخذها من السفارة المصرية في بغداد الى عمان. لكنه في الحقيقة كان يعمل للمخابرات العراقية منذ سنة ١٩٨٢، وهناك ملف يخصه في المخابرات، يصلح لتصوير فيلم. كان عفيفي صلة الوصل بين الشهواني والمتآمرين في بغداد. كأن يأخذ أموالاً وأجهزة اتصال الى بغداد ويسلمها للمخابرات العراقية لتطلع عليها وتلتقط صوراً للأموال وتسجلها ثم تسلمه إياها فيرسلها الى المتآمرين، فكانت الاستخبارات على علم كامل بالقضية.

أنا كنت في كردستان في شهر ١١ من سنة ١٩٩٥ في مهمة لعقد اتفاق سلام بين الأطراف الكردية المتصارعة في ذلك الحين، وكان هناك وفد أميركي من وزارة الخارجية برئاسة السفير بوب دويتش، ذهبنا الى هناك وكنا سنصل الى اتفاق. كان مسؤول المخابرات في"المؤتمر الوطني"أراس حبيب على اتصال بضباط مخابرات عراقيين في بغداد، أحدهم أرسلته الحكومة في مهمة سرية الى أربيل، فاتصل بأراس وأبلغه بضرورة الابتعاد عن المؤامرة التي كان يحضر لها الشهواني والدكتور إياد علاوي لأنها مكشوفة لدينا، ابتعدا عنها. جاء اراس الي وأبلغني ذلك، قلت له تواصل معه لمعرفة المزيد، فقال إن معلوماته نقلاً عن ضابط المخابرات العراقي، تؤكد ان الأجهزة التي تأتي الى بغداد يحضرونها الى المخابرات لمعاينتها ثم نسلمها والعملية نديرها نحن. بعد هذه المعلومات الخطيرة ذهبت الى أميركا وطلبت اجتماعاً مع مدير"سي آي أي"في ذلك الحين

جون دويتش، في عهد بيل كلينتون، وكان نائبه في ذلك الحين جورج تينت، فتم ترتيب الاجتماع وأحضر معه ريختر. أخذت معي كتاب حنا بطاطو عن العراق الى دويتش، وكان أستاذاً في جامعة"ام أي تي"التي درست فيها، كان قبلي بسنوات درس فيها ثم صار استاذاً للكيمياء. في أول اللقاء تحدثنا عن الجامعة، وأنا كنت على وشك أن أدرس الكيمياء، وعندما أنهينا هذا الحديث، قلت:"أنتم دولة كبرى تعملون ما تريدون، لكننا نحذركم، أنتم لستم مضطرين أن تقولوا لنا، لكن نحذركم من أن مؤامرة تحيكونها في بغداد ولديكم ضباط"سي آي أي"في عمان لهم مكان خاص في المخابرات الأردنية ويلتقون مع ضباط عراقيين، والمؤامرة هي بقيادة الشهواني وعلاوي وهذه مكشوفة للمخابرات العراقية. ولتأكيد كلامي، أنتم ترسلون أجهزة اتصال بالساتيلايت وأجهزة تشويش وأموال وعندكم حلقة وصل وبعض الأجهزة موجودة لدى المخابرات العراقية ولدينا معلومات عن ذلك من المخابرات العراقية، فاحذروا. حل صمت رهيب، وكان أحدهم ينظر الى الآخر لمدة نصف دقيقة، قلت لهم شكراً ومع السلامة. وذهبت الى أصدقاء في أميركا وقلت لهم اشهدوا أنا قلت لدويتش ذلك. أحدهم اتصل بتينيت، قال له: يا جورج أنا عند فلان يقول إن مؤامرتكم في العراق مكشوفة، شكلوا فريقاً من خارج ال"سي آي أي"لديهم security clearance ليعرف ما يجري". فرد عليه:"ان الوضع تحت السيطرة".

بعدما انكشفت المؤامرة بدأت ال"سي آي أي"تتهمني بأنني أنا من كشفها، وكانت هذه إحدى التهم التي أطلقوها ضدي، وثبت كذبها بالوثائق التي اكتشفناها في ملفات المخابرات العراقية عن تسلسل اكتشاف هذه المؤامرة. وهذه قصة تستحق كتاباً، لدينا ثلاثة ملفات حولها تبدأ من العام ١٩٩٣.

> بالعودة الى المؤامرة في العراق، كان الدكتور إياد علاوي على اتصال بحركة"الوفاق"العراقية، ومع ضباط كان بينهم رئيس الاركان السابق نزار الخزرجي فمن شارك في إخراجه؟

- الحزب الديموقراطي الكردستاني بطلب من"سي آي أي". أحضروه من الموصل وعبروا به الى كردستان ثم أخذوه الى تركيا.

في شهر تشرين الثاني نوفمبر عندما كنا في كردستان وصلني خبر من لندن مفاده أن الملك حسين يريد التحدث الي هاتفياً، أحضرنا هاتفاً مشفراً وتحدثت اليه، قال لي إنه يريد التحدث الى الأستاذ جلال والأستاذ مسعود.



محمد باقر الحكيم

> متى كان ذلك؟

- في شهر تشرين الثاني نوفمبر ١٩٩٥. كنت في كردستان، وكان حسين كامل ذهب الى الأردن. كنت التقيت به في ايلول سبتمبر في لندن، قال لي الملك حسين إنه يريد عقد اجتماع للمعارضة العراقية في عمان يحضره

السيد محمد باقر الحكيم والأستاذان مسعود وجلال وأنا. قلت له: طيب تفاهم وإياهم. قال: أريد أن ترتب مكالمات معهم. قلت له إن الاتصال بجلال سهل لأنه موجود في أربيل لكن مسعود موجود في منطقة بارزان وهو في حال قتال مع جماعة أوجلان،"بي كي كي".

سألني الملك حسين ما هي"بي كي كي". فقلت لهم انهم"حزب العمال الكردستاني"فقال تعلمت معلومة جديدة. أرسلنا الهاتف الى جلال وكلمه، وكذلك أرسلناه الى الأستاذ مسعود وكلمه أيضاً، وبعدها تحدث مع السيد محمد باقر الحكيم في طهران لكن لم يكتب لهذا الاجتماع أن ينجح. الملك حسين أرسل مدير المخابرات الأردنية مصطفى القيسي الى لندن وطلب الاجتماع بي، كنت عند أخي الدكتور حسن، التقيته في لندن وقال إن الملك حسين يريد أن يحل مشكلته معي وإن ما حصل معي في الأردن مؤامرة علي وعلى الملك، وانه مقتنع بذلك ويريد حلها. قلت له: طيب ولكن عندي شغل.

> هل كان ذلك في بداية ١٩٩٦.

- نعم وبعد وصولي الى لندن، اتصل بي في الصباح الثاني المرحوم السيد مجيد الخوئي، قال لي: عندي اللواء مصطفى القيسي مدير المخابرات الاردنية يريد لقاءك. ذهبت والتقيته على مدى ١١ ساعة تناولنا الفطور والغداء والعشاء.

> أطول اجتماع ممكن؟

- طويل جداً. قال إنه مكلف إعداد تقرير للملك حسين عن كيفية مساعدة المعارضة. تحدثنا كثيراً. وقال لي إنه قد يتم تغييره وسيأتي صديقي الذي كان وزيراً للخارجية عبدالكريم الكباريتي رئيساً للوزراء،

وكانوا يريدون اطلاق العملية من الأردن. كنت أتحدث عن حركة عسكرية شعبية ضد صدام. الملك حسين نفسه. خلال اجتماعي معه في الشهر التاسع في لندن، قال لي: الانقلاب لن يحصل، والمطلوب حركة، هناك جنود عراقيون يلجأون الينا. لو عندنا إمكانات نشكل لواء وأنتم لديكم قوات في كردستان ونتحرك ضد صدام. الملك حسين لم يكن مقتنعاً بأن الانقلاب ممكن. غادر مصطفى القيسي الى عمان وكتب تقريره الى الملك حسين وأرسله الي طالباً التعليق عليه، وكانت لدي تعليقات بسيطة أرسلتها اليه.

عندما عاد الملك حسين الى لندن في الشهر الثالث من عام ١٩٩٦، كان الانقلاب بدأ في بغداد ولم يكن يملك تفاصيل كثيرة عنه، علماً أنه في عمان، واجتمعنا أيضاً بسعدي ومجموعة من المعارضة العراقية في لندن في منزل المرحوم السيد مجيد الخوئي. بعد ذلك، انكشفت المؤامرة، وذهبت الى أميركا وأبلغت دويتش بالقضية التي ذكرت وانكشفت المؤامرة بعد اجتماعي معهم بثلاثة أشهر، في ١٩٩٦/٦/١٧. وعندنا تقرير المخابرات وهو تقرير موجه من رئيس المخابرات الى صدام يذكر فيه اعتقال المتآمرين.

> من كان رئيس المخابرات العراقية؟

- أعتقد انه كان طاهر جليل الحبوش. أخذوه الى الأردن قبل أسبوع من الحركة وأعطوه ٥ ملايين دولار على أساس أن يزودهم معلومات عن العراق، لكن هذه قصة أخرى. في العام ٢٠٠٣، اتصلوا به وبناجي صبري الحديثي الذي كان وزيراً للخارجية، والنتيجة أن المؤامرة كُشفت. لكن المستغرب أنه بعد أيام على انكشافها لم يكونوا في عمان يعرفون ذلك على رغم الاعتقالات. القصة غريبة، ذلك أن المخابرات العراقية أرسلت عزت محمد عبدالرازق عفيفي الى عمان للحصول على مزيد من الأموال

من الشهواني فدفع له بعد الاعتقالات بثلاثة أيام. كان الشهواني في عمان وخلال وجوده ذهب ثلاثة شباب شهداء، أعدموا ومعهم كما اعتقد ٣٩ ضابطاً بينهم ٧ من عشيرة السواعد. هؤلاء قضوا شهداء في مقاومة صدام، أحدهم يدعى إياد طعمة صبري الساعدي، كان يدير الحركة في بغداد وكان نشيطاً جداً، والنتيجة اعدام ٣٩ شخصاً في ١٩٩٦/٩/٥، بعدما كشفت قضيتهم المكشوفة منذ زمن، وكانوا قد اعتقلوا في ١٩٩٦/٦/١٧.

أخذ الأميركيون الشهواني وأرسلوه الى لندن ثم الى أميركا. الوضع كان مأسوياً. اتصلت به المخابرات وهو في لندن وجعلوا أولاده يتحدثون اليه هاتفياً وقالوا له: الأفضل أن تتعاون معنا أو نعدمهم. كانوا شباباً، وأعدموهم في بغداد. كان اثنان منهم ضابطين احدهما في القوات الخاصة أخذته المخابرات الأميركية الى أميركا وظلت تتعاون معه هناك بعد انكشاف القضية. رتبت له وضعاً خاصاً في أميركا. كانت فكرة الانقلاب لا تزال تراودهم، وفي ربيع عام ٢٠٠٢ نظمت المخابرات زيارة سرية للأستاذين مسعود وجلال الى واشنطن، أخذوهما بالطائرة من فرانكفورت الى مكان خاص بـ"سي آي أي"واجتمعوا معهما من دون وجود ممثلين عن الأطراف في الحكومة الأميركية، واتفقوا معهما على إرسال بعثة حكومية اميركية الى كردستان. ومضت ثلاثة اشهر، ولم يرسلوا البعثة، وفي الشهر السابع جاء فريق من"سي آي أي"الى كردستان ومعه كمية من المال، واتصلوا بجماعة صوفية، برئاسة الشيخ محمد عبدالكريم الكثنزاني، هؤلاء من الدراويش ولهم علاقة بعزت الدوري الذي كان يحب الدروشة. مريدو هذه الجماعة من الأكراد ومن مناطق مختلفة في شمال العراق ووسطه بين العرب، خصوصاً في منطقة تكريت والدور. ولمحمد عبدالكريم الكثنزاني ولدان، أحدهما اسمه غاندي والثاني نهرو، هذا الفريق الاميركي اتصل بهما وقالا له إنهما

يعرفان ضباطاً في حرس صدام الخاص أحدهم اسمه روكان الرزوقي، وصارا يأتيان لهم بمعلومات فزودوهما بهاتف الثريا، وبطبيعة الحال كان صدام يخترق هذه الشبكة وعلى علم بما يجري.

نحن كنا نعرف كل هذه القضايا، ونعرف أن فريق ال"سي آي أي"على اتصال بهؤلاء لكن لا نعرف التفاصيل. كان في ذهن الاميركيين أن لديهم أشخاصاً في الداخل من ضباط صدام، هذه كانت المصيبة الكبرى، وعندما بدأت الحرب في ١٩ آذار٢٠٠٣ ليلاً، كنا دعونا الى اجتماع مع خليل زاد في تركيا، أنا لم أكن أريد الذهاب إلا أنهم أصروا علي للذهاب فذهبت.

> كان هذا ليلة الحرب؟

- وصلنا الى تركيا قبل يومين وكان يفترض أن نعود في صباح ١٩ آذار. كيف حصلت الحرب؟ التقى جورج تينت مع جورج بوش وقال له إن لديهم معلومات مؤكدة أن صدام موجود في مزرعة في منطقة الدورة في بغداد، لكنه أوضح أن احفاد صدام الى جانبه، فتوقف بوش عند هذه المسألة، وخاف أن يتم القصف والأحفاد هناك ويسقط ضحايا، لكنهم قرروا أن يقصفوا. من أين هذه المعلومات؟ انها من شبكة كردستان، من أولاد الكثنزاني الذي يسمون جماعته في اميركا Rock stars، قرر بوش قصف مزرعة الدورة لقتل صدام، وأرسلوا صواريخ كروز وطائرات"ستيلث"، وكانوا يريدون شن الحرب بعد ٤٨ ساعة، لكن اعتبروا ان هذه الفرصة لا تتكرر وأن القصف ربما ادى الى قتل صدام. كانت لديهم قناعة أن صدام قتل في الغارات لكننا نحن عرفنا أنه لم يقتل، وظهر الصحاف يهزأ بهم وكذلك أحد الوزراء الآخرين في برنامج تلفزيوني بعد ساعة من القصف، بعد أن اعلن الأميركيون أن صدام قتل أو أصيب وانه شوهد منقولاً على حمالة. نحن عرفنا بالأمر ورجعنا

الى كردستان وعندما بدأت الحرب كنا هناك. في ١٩ آذار عدنا الى أنقرة فماردين ومن هناك بالسيارات الى منطقة سيلوب ووصلنا الى دوكان في ذلك اليوم وكان القصف بدأ.

> هل كان لديك علم بموعد الحرب؟

- لا، إنما كانت القضية واضحة، لأننا أثناء وجودنا في كردستان جاء الأميركيون لإقامة قاعدة في مطار حرير في سهل حرير شمال بلدة شقلاوة وجنوب مضيق سبيلك، وأحضروا طائرات وأجهزة وأتوا الى السليمانية وعملوا إنزالاً فيها. كانت لدينا جماعة في الكويت مع جاي غارنر اول حاكم اميركي للعراق وكنا نعرف بالاستعدادات لكن ليس التوقيت. الأميركيون أنفسهم لم يكونوا يعرفون التوقيت، فقرار الهجوم اطلق عليه Decapitation واتخذه بوش فجأة ليلة ١٩/١٨ آذار في واشنطن.

> هل كانت ايران على علم بالحرب قبل بدايتها؟

- نعم كان الإيرانيون على علم وكانوا يتابعون ذلك. كان أحد القادة الإيرانيين موجوداً في دوكان وكان على اتصال مستمر مع قيادات المعارضة في كردستان، يعني الأستاذ مسعود والأستاذ جلال والسيد عبدالعزيز الحكيم والدكتور عادل عبدالمهدي وأنا كنت موجوداً.

> من كان ذلك الضابط الإيراني؟

- لن أقول لك.

> يبدو انه كان ضابطاً كبيراً.

- نعم، وكانت هناك بعثة إيرانية، والأميركيون كانوا على علم بذلك. في مؤتمر صلاح الدين كانت تحصل مشاكل، وكان خليل زاد يطلب من آخرين في المعارضة أن يتدخلوا لدى الإيرانيين لحل المشاكل.

> إذاً إيران كانت تؤيد اسقاط صدام.

- نعم، وأعتقد أنه لو عارضت إيران إسقاط صدام لكانت العملية أصعب بكثير.

> هل ساعدت ايران على اسقاطه؟

- لم ترسل قوات، لكنها سهلت عبور المعارضة ولم تضع عراقيل أمام تعاون قادة المعارضة الإسلامية الموجودين على اراضيها. قوات فيلق بدر كانت دخلت الى كردستان في منطقة ميدان، أي الجزء الجنوبي من إقليم كردستان ما أثار توتراً بين الاميركيين فقصفوا "أنصار الإسلام" في منطقة بياره وطويلة، وبعد القصف هجم "الاتحاد الوطني الكردستاني" على "الانصار" وطردهم، وكان هناك شعور بأن الأميركيين يريدون ضرب الإسلاميين قبل الحرب، خصوصاً أن الضباط الاميركيين كانوا يلمحون الى انهم سيضربون "فيلق بدر". أنا اتصلت بقيادة فيلق بدر وتكلمت مع أحد قادتها، وكان السيد عبدالعزيز الحكيم والدكتور عادل عبدالمهدي تركا، قلت له بوجوب الاجتماع مع الاميركيين ورد علي انه متردد لأنه لا يملك تفويضاً فقلت له: على مسؤوليتي يجب أن تجتمع بهم وإلا سيضربونكم. واجتمع بهم وطمأننا الى أن هؤلاء الجماعة ليسوا آتين لضربنا.

الحلقة الثانية: اعتقال صدام واللقاء به

بعد اندلاع الحرب أصرّ الدكتور أحمد الجلبي على التوجه الى مدينة الناصرية على رأس قوة تابعة لـ"المؤتمر الوطني العراقي"خلافاً لنصيحة أميركية بعدم الذهاب. وفي ١٥ نيسان ابريل ٢٠٠٣ عاد الجلبي الى بغداد التي غادرها قبل عقود. موضوعان قفزا الى الواجهة: البحث عن صدام حسين وأركان نظامه وهوية صاحب القرار في عراق ما بعد صدام. في هذه الحلقة يتحدث الجلبي عن القبض على صدام واللقاء اليتيم معه بعد اعتقاله وعن مقتل نجليه عدي وقصي.



الجلبي في الناصرية

نص الحلقة الثانية

> دعنا ننتقل الى القبض على صدام حسين. ما هي معلوماتك عن ذلك وعن مقتل عدي وقصي؟

- أولاً، حول قضية صدام. نحن كنا نعرف ان صدام لم يقتل، كما قالوا في اليوم الأول، أي بتاريخ ١٩ آذار خلال الغارة، ثم في اليوم الثاني أغاروا على مط\عم"الساعة"في المنصور وقالوا انهم قتلوا صدام، لكن ذلك كان غير صحيح.

نحن وصلنا الى بغداد وبدأ البعثيون والقيادات يترددون علينا للقول انهم مستعدون للتعاون و"بطلنا"و"خلص"و"أمنوا على حياتنا". كنا نستقبلهم ونكلمهم ونجعلهم يوقعون أوراقاً. وصلتنا ملفات المخابرات وهي كثيرة. كان الأميركيون يقولون ان صدام قتل انه مقتول. في الشهر الخامس من الحرب ذهبت الى نيويورك وعقدت لقاء مع مجلس العلاقات الخارجية وتم بثه حياً على التلفزيون وكان توم بروكو يجري الحوار وسألني عن صدام وقلت له انه على قيد الحياة ينتقل بين تكريت والدور ويذهب مرات في اتجاه الفرات. سمع كولن باول، الذي كان وزيراً للخارجية هذا الكلام فانزعج وأصدر تصريحاً قال فيه ان أحمد الجلبي يتكلم كل يوم شيئاً مختلفاً. إذا كان يعرف اين صدام فيتفضل ويبلغنا. قال ذلك بعصبية. أحد مصادرنا في تكريت أبلغنا ان أحد كبار جماعة صدام موجود في بيت محدد في تكريت، أبلغنا الأميركيين بذلك، وكان عندنا مكتب تنسيق مشترك مع استخبارات وزارة الدفاع، كان هناك تعاون بيننا في هذا المجال، كل طرف لديه إمكاناته وموارده. الأميركيون لم يذهبوا الى البيت المذكور إلا يوم ١٧ حزيران وكنا أبلغناهم بالخبر في ١٤ منه دخلوا البيت فوجدوا شخصاً ملتحياً. سألوه أين قصي وعدي

وعبد حمود؟ وكان الشخص هو عبد حمود فاعتقلوه. وهو سكرتير صدام، ويخضع للمحاكمة الآن. وفي اليوم الثاني اتصل بنا المصدر نفسه وقال ان صدام حسين شاهد عملية اعتقال عبد حمود، لماذا غادر الأميركيون.

> هل كان صدام في بيت مجاور؟

- نعم، وأنا خلال فترة وجودي في أميركا كانت لدى صدام حماية أولية من العائلات، وبقي معه ضباط حماية من عائلتي المصلب والحدوشي. حسب التقاليد تصبح مسؤولية العائلة عن توفير الحماية واجباً، ثم يتغير العناصر ويأتي آخرون، وهؤلاء بقوا حتى النهاية. أحد أفراد هاتين العائلتين من الخط الأول لحماية صدام. عندما كنت في الخارج جاء الينا وقال: أنا في الحماية الخاصة لصدام وجئت اليكم لأن ابني مصاب بداء السحايا ويحتاج الى علاج وأنا أخاف أن أكشف عن نفسي، وروى لنا أن صدام خرج من بغداد يوم ١٣ نيسان، بعد أربعة أيام على دخول الأميركيين، واضاف: كنا نتجول في مناطق بغداد وكان صدام يقود سيارة"بيك آب"ويرتدي"دشداشة"وعقالاً وسترة، ومرة كنا نعبر من الأعظمية الى الكاظمية فوق الجسر، فشاهدنا دبابات أميركية آتية، فعاد بنا صدام أدراجنا، وآخر مرة شاهدته عندما كان في بيت في الدورة، ودخل الى مرآب السيارات وكلم صاحب البيت ثم طلع وجمعنا نحن المجموعة التي معه وطلب منا أن نذهب ونختبئ وأعطانا كل واحد خمسة ملايين دينار. قال انه سيتصل بنا أو يرسل الينا خبراً بعد ثلاثة أشهر. هذا الكلام الذي بلغنا اياه كان في شهر حزيران، يعني أنه كان على قيد الحياة وترك بغداد بعد أربعة أيام على دخول الأميركيين اليها.

عندما عدنا الى بغداد عقدنا اجتماعاً مع جماعتنا واتفقنا على أن أفضل طريقة للعثور على صدام هو أن نرسل أناساً يراقبون مجموعة

خط الحماية لأنهم يكونون حيث يكون صدام، وبدأنا تنفيذ الخطة بالتعاون مع الاستخبارات العسكرية الأميركية، وكان عناصرها يأتون الى قصرنا ونتبادل معهم المعلومات وكثيرة هي القضايا التي كشفناها في تلك الفترة.

في هذه الأثناء، في الموصل، قتل أولاد صدام في أحد البيوت، وسأروي لك قصة عجيبة. في بداية الشهر التاسع عام ٢٠٠٣ دعانا الجنرال بترايوس الذي كان قائد الفرقة ١٠١، وذهبنا بالسيارات الى الموصل حيث كان مقر الفرقة واستقبلنا مساعده الجنرال هلمك، وهو الآن مسؤول عن تدريب القوات العراقية، استقبلني وقال لي: تمكنا من القضاء على قصي وعدي بسبب مخبر لديه مبادرة، استوضحته الأمر، فقال: قصد رجل احدى الدوريات الأميركية وقال لهم ان قصي وعدي موجودان في منزلي، تعالوا وخذوهما. أرسلته الدورية الى مقر القيادة واخضعوه لجهاز كشف الكذب، ففشل، لكن هذا الشخص توجه الى عريف وأكد له ان عدي وقصي موجودان عنده، فذهب العريف معه.

> كان عريفاً أميركياً؟

- طبعاً، وذهب معه، وعندما رآه قصي وعدي حصل إطلاق نار، واشتباك وقتل عدي وقصي.

> يعني بالصدفة؟

- نعم. وقال لي الجنرال، لولا مبادرة هذا العريف لكان عدي وقصي هربا، وصاحب البيت الذي أبلغ عنهما حصل على مكافأة بقيمة ٢٥ مليون دولار ونقل الى أميركا.

> هل غادر قصي وعدي الى خارج العراق؟

- نعم ذهبا الى سورية، قصدا منطقة ربيعة في شمال غربي الموصل على الحدود العراقية - السورية. وكانت معهما أموال وعبرا الى سورية، الى عند عشائر عربية عراقية لها أقارب في سورية، استقلا سيارات وقصدا دمشق. إلا انهما اعيدا بعدما وصلا الى حماة. باتا ليلتين في منطقة ربيعة وعادا الى الموصل وقتلا هناك.

> نعود الى صدام.

- كنا نتابع الوضع وكان الأميركيون يسألوننا عما نفعله. وقلنا لهم عندما تبحثون عن صدام لا تتركوا المكان سريعاً، يعني لا تفتشوا المكان نصف ساعة وتغادرونه. نحن كان لدينا أشخاص يبحثون عن صدام، وكانت لدى الأستاذ كسرت رسول من"الاتحاد الوطني الكردستاني"مجموعة تبحث عن صدام. وهو ساهم في اعتقال بعض القادة العسكريين في الموصل. ونحن ساهمنا ربما باعتقال أكثر من ١٦ شخصاً.

> هل كانوا من الأسماء التي نشرتها الولايات المتحدة؟

- نعم من قائمة الـ٥٥ شخصاً.

> عندما تقول"نحن"هل تقصد المعارضة؟

- لا. اقصد"المؤتمر"، حتى ان آخر رئيس لجهاز المخابرات وهو صهر صدام ويدعى جمال مصطفى، شقيق كمال مصطفى أحضرناه، ثم أطلق سراحه وأصبح خارج العراق، هو زوج حلا ابنة صدام. وكل واحد من جماعة صدام اعتقلناه لم يتعرض للأذى وانما حافظنا على حياته وسلمناه ليواجه عملية قانونية وهذه نقطة مهمة.

> حدثنا عن دور كسرت رسول؟



- يوم ١٣ كانون الأول ٢٠٠٣ كنت في اجتماع في مجلس الحكم. رن الهاتف وقيل لي يريدك أراس حبيب كريم الذي كان مدير جهاز الاستخبارات في المؤتمر الوطني العراقي، وهو رجل ضليع في قضايا الاستخبارات. قال لي ان لدينا معلومات وكسرت اتصل بي، قال ان الأميركيين اعتقلوا صدام. فقلت له هل أنت متأكد؟ قال: نعم، فاتصلت على الفور بشخص اسمه سكوت كاربنتر وهو رئيس فريق الحكم لدى بول بريمر في العراق. سألته: لماذا لم تبلغونا باعتقال صدام؟ قال: هل تمزح؟ قلت لا أنتم اعتقلتم صدام البارحة في منطقة الدور فرد ان لا علم لديه بالموضوع. فقلت إن لدي موعداً مع بول بريمر في الساعة الثانية عشرة وسأعرف ما هو الوضع. وكانت الساعة الحادية عشرة والنصف، ووصلت الى القصر ووجدت سكوت يبتسم وهو يرفع يده. وقال: لم يبلغنا الجيش قبل أن يتأكدوا من الحمض النووي لصدام.

وكان ذلك بتاريخ ١٣-١٢-٢٠٠٣ فعدت وأبلغت الناطق باسم المؤتمر كي يذيع في الإعلام أنه تم اعتقال صدام وكنا أول من أعلن الخبر.

> كيف اعتقل صدام وبفضل ماذا؟

- وصل خبر الى الأميركيين.

> هل لعب كسرت دوراً في ذلك؟

- هو راقب الموضوع، وجماعته شهدوا على الاعتقال أيضاً. كسرت اقترب من صدام كما اقتربنا نحن، جماعته وجماعتنا شاهدوا اعتقال صدام ونقله بالمروحية.

> لكن من نقل المعلومات عن وجوده في المكان الذي اعتقل فيه؟

- هذا حصل بفضل شخص من المسلط، اسمه محمد ابراهيم، أو ابراهيم محمد المسلط من مجموعة الحماية، كان اعتقله الأميركيون قبل أسبوع وأبلغهم ان صدام موجود هناك، فدخلوا البيت وفتشوه ولم يجدوا أحداً. عملوا بنصيحتنا وبقوا هناك.

أحد الجنود انتبه الى سلك كهرباء داس عليه فتبع السلك ووجده يتجه الى حفرة. وهو سلك كهرباء للمروحة، نزلوا الى الحفرة، وكانت بداخلها حفرة ثانية وجدوا فيها صدام ومعه أوراق و٧٠٠ ألف دولار ورشاشات ومسدس. نزلوا اليه بالأسلحة فقال لهم: أنا صدام حسين رئيس جمهورية العراق، وكان ملتحياً.

> ألم يحاول المقاومة؟

- كلا. سحبوه الى خارج الحفرة، وكان الاعتقال في يوم ١٢ كانون الاول. وبعدما أخضع للفحص وكشفوا على أسنانه أرسلوه الى المطار بواسطة طوافة.



> يعني ان رواية العثور عليه في الحفرة صحيحة؟

- هو لم يكن يسكن في الحفرة انما في المنزل لكن كانت معه مجموعة تبلغه اذا كانت هناك عملية مداهمة، فيدخل الحفرة.

> ماذا حصل بعد اعتقاله؟

- بعدما ابلغنا المدنيين باعتقال صدام، اتصل بريمر بي وطلب مني الذهاب معه لرؤية صدام، أخذت مجموعة من مجلس الحكم، أنا والدكتور عدنان الباجه جي والدكتور عادل عبدالمهدي والدكتور موفق

الربيعي والجنرال سانشيز قائد القوات الأميركية في العراق وسكوت كاربنتر.



ذهبنا الى المنطقة الخضراء، وانتقلنا بمروحية باتجاه مطار بغداد ومن هناك نقلونا الى بناية من طابق واحد، مكتوب عليها"أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة". قد يكون المكان مقراً لحزب البعث، وكان محاطاً بالأشجار وبحماية جنود أميركيين، دخلنا الى البناية، وسأل بريمر: هل تريدون رؤية صدام عن طريق الحلقة التلفزيونية المغلقة؟ قلت: لا يا جنرال، دعني أدخل. دخلت قبلهم الى رواق يؤدي الى غرفة عرضها متر بمستوى الرواق المرتفع نحو ٣٠ سنتم وتمتد الغرفة الى مسافة ٥ أمتار وعرضها ٣ أمتار. عندما دخلت وجدت صدام نائماً على سرير عسكري أميركي وأحد الجنود الأميركيين يوقظه. عندما رفع رأسه وشاهدني أدخل جفل. أخذت كرسياً وأبقيته على المرتفع وجلست قبالة صدام تفصل بيننا مسافة نصف متر. ثم دخل الآخرون خلفي ووقف بريمر وسانشيز

قرب جدار المدخل بين الباب والرواق يتابعان المشهد. لم أتكلم انما راقبت صدام. لاحظت عليه خاصتين، أولاً جهله بالوضع العالمي وبمعيار القوة في العالم وثانياً لم يكن لديه تصور فعلي لتوزيع القوى.

> كيف استنتجت ذلك؟

- من كلامه وطريقة عرضه للأمور وتصوره لما يجري، والشيء الآخر انه نرجسي. كان يعتقد ان ما يفعله صحيح من دون أي قياس موضوعي وما لا يفعله خطأ. ما شاهدته جعلني آسف على وضع العراق، على الـ ٣٥ سنة مضت وكان هو يحكم العراق خلالها. ودعني أقول انني عندما دخلت بغداد فوجئت بحالها، اصابتني صدمة كبيرة جداً، بدت لي مدينة من مستوى آخر كأنها عاصمة دولة فقيرة على الساحل الأفريقي.



> ماذا قال موفق الربيعي لصدام عندما دخلتم؟

- يضحك قال لصدام: أنت ملعون في الدنيا والآخرة، فقال صدام لموفق: اسكت يا خائن يا عميل.

> هل كان يعرف موفق؟

- لا.

> هل عرفك؟

- نعم، منذ دخلت، قال موفق: أنا خائن وعميل؟ رد عليه: نعم ألم تأت مع هؤلاء؟ وأشار الى الأميركيين.

> هل خاطب عدنان الباجه جي؟

- قال له عدنان: لماذا لم تخرج من الكويت. طبعاً كان صدام قد طلب مني أن أعرفه الى الحاضرين، فقلت: عدنان الباجه جي والدكتور عادل وموفق. ولكن عندما قلت عدنان الباجه جي، التفت اليه وقال: دكتور باجه جي ألم تكن أنت وزير خارجية العراق؟ فقال له: نعم. وتوجه الى صدام قائلاً: لماذا لم تنسحب من الكويت بعد أن خرجت من الحرب مع إيران منتصراً والعالم كان معك وعندك إمكانات، لماذا فعلت ذلك؟ فأجاب: دكتور عدنان، ألم تكن تؤيد أن الكويت جزء من العراق؟

وكان الدكتور ألف كتاباً عن مذكراته في الأمم المتحدة، ودافع فيه عن موقف عبدالكريم قاسم أي أن الكويت جزء من العراق، فارتبك عدنان ورد: سابقاً سابقاً. أما أنا فكنت أتفرج ولم أتكلم أبداً.

> هل تحدث صدام مع عادل عبدالمهدي؟

- نعم، لكن موفق سأله: لماذا قتلت الصدر؟ فرد صدام: من؟ فقال له: السيد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى، فقال: الصدر والرجل، كلهم خونة ويستحقون الموت، فقال عادل عبدالمهدي: لماذا أعدمت عبدالخالق السامرائي؟ فقال: عبدالخالق، بعثي.

> يعني أنت ما دخلك؟

- ثم سأله موفق: لماذا لم تقاتل الأميركيين كما قاتلهم أولادك؟ فقال له: تريدني أن أقاتل هؤلاء؟ يعني استهجن بينما يدعو الآخرين ويدفعهم الى القتال والموت، لكن هو غير مضطر للقتال، هو يعتقد أن ما فعله صحيح.

> ألم يكلمه بريمر؟

- لا ولا كلمة.

> هل كان صدام خائفاً؟

- عندما خرجنا خاف، وهو طلب أخيراً التحدث مع السيد الجلبي والدكتور الباجه جي. عندها وقفت وخرجت فقال: يعني خلص، هذه هي؟

> هل قيل شيء آخر خلال الحوار؟

- صار كلام منابذات. كان مطمئناً الى أن ما فعله هو الصحيح وكان يكابر ولم تكن لديه أي مراجعة لما جرى. وقال:"قلت إنني أقاتل الأميركيين وأنا أقاتلهم الآن".

> بالمقاومة يعني؟ لم يتحدث عن سقوط بغداد، عن الخيانة؟

- أبداً، كل ما قاله إنه يقاتل الأميركيين.

> لكن كيف قال: كيف تريدني أن أقاتل الأميركيين؟

- يعني هو شخصياً لكنه كان يريد من الآخرين أن يقاتلوا. هو يعتبر نفسه أنه رمز يجب أن يبتعد عن الخطر ويقود الأمة. وعندما تصل القضية الى نفسه لا يقاتل شخصياً. بعد الحوار وجد الأميركيون عند صدام أوراقاً عن مجموعات شكلها لمقاومة الأميركيين، كانت لديه سبع مجموعات في الكرخ وست في الروسان، ودوّن أسماءهم وتمويلهم وكما توقعنا، إذ كنا نتابع، كان قسم كبير منهم من حزب البعث لكن من درجة غير معروفة في الإعلام.

> هل تم ضبط هذه الشبكة؟

- أحضروها الينا. كنا نعرفهم ونريد اعتقالهم. كان الأميركيون يسألون عنهم. هم من حزب البعث ولا فاعلية كبيرة لهم، لكنهم اعتقلوهم كلهم، كانوا رؤساء الشبكة، لكن هذه ليست المقاومة التي حصلت. ما حصل تطور بشكل آخر، كانت حصلت قضية الزرقاوي و"القاعدة"وبداية ضربوا السفارة الأردنية، ثم قتلوا سرج دي ميلو من الأمم المتحدة ثم السيد محمد باقر الحكيم، هذا كله حصل تباعاً في الشهر الثامن عام ٢٠٠٣ وبدأت العمليات، يعني أن الجماعة التي شكلها صدام لم تكن لها علاقة حقيقية بالمسائل الكبيرة التي كانت تحصل، وأعضاء حزب البعث الذين كانوا موجودين لم يستجيبوا له. شكلوا تنظيمات واتصلوا بـ"القاعدة"والإسلاميين ووضعوا خبراتهم في تصرف هؤلاء لفترة من الزمن.

> ماذا كان شعورك كعراقي وقد أتيت مع الأميركيين وأنت ترى رئيس العراق معتقلاً؟

- شعرت بالأسف على العراق. هذا الرجل دفع العراق الى هذه الظروف والشعب العراقي وصل الى هذه الدرجة من الخراب والدمار والحرمان

والفرص الضائعة، وظل يحكم العراق ٣٥ سنة. شعرت بالأسف الشديد وأنا أرى ما حل في العراق من خراب ودمار نتيجة حكمه وأقارنه بما حصل في الدول المجاورة للعراق.

> ماذا شعرت يوم إعدام صدام؟

- شخصياً أنا ضد الإعدام. لكن كثيرين من العراقيين شعروا بأنهم حصلوا على حقهم. طبعاً ليس كل العراقيين لكن الأكثرية.

> ماذا عن طريقة تنفيذ الاعدام؟

- كان يجب أن تحصل بشكل أفضل، لكن ليس هذا هو الموضوع. فصدام حصل على محاكمة امام خبراء قانونيين. وأنا حضرت أول جلسة من المحاكمة. وانتبه الي مرة، وتابعت المحاكمة ووجدت أنه كان له حق الدفاع عن نفسه، لكن فريق الدفاع عنه كان سيئاً جداً من الناحية القانونية.



> **هل شعرت بالتشفي خلال محاكمته؟**

- أبداً، أبداً، لا شعور مثل هذا عندي إطلاقاً، الموازنة بين الجريمة والعقاب منطقياً معقولة، لكن الإنسان يتأثر بالحال الموجودة أمامه، مثلما يتأثر بالجرائم التي ارتكبها صدام.

> **لنعد الى لقاء صدام؟**

- أحد الأميركيين التقط صورة لي مع صدام هل رأيتها؟ نشرت في جريدة"المؤتمر"على الصفحة الأولى. فغضب بريمر لنشرها، أنا لم يكن لي علم، جماعتنا أخذوها ونشروها وبعد ذلك أنا لم أشأ مقابلة صدام. هو يتحمل مسؤولية تاريخية عما تركه وراءه. فقد دخلت العراق أموال خلال حكم صدام كان يمكن أن يصير معها دولة بمستوى تركيا إن لم يكن بمستوى دولة أوروبية أخرى، لكن العراق الآن مدمر.

نحن مطلعون على برنامج"النفط مقابل الغذاء". خلال السنوات السبع من تطبيق البرنامج لم يكن اهتمام الحكومة العراقية بزيادة الأموال لخدمة الشعب وإنما اهتمام الأساسي كان الحصول على أكبر كمية من الأموال بشكل غير شرعي، خارج قرارات الأمم المتحدة، لتعزيز أجهزة القمع والمخابرات والأسلحة. هل يمكن أن نتصور أن العراق في سنة ٢٠٠٢ يستورد أدوية بـ٦ ملايين دولار؟ انها إساءة لاستعمال الأموال.

> **يعني لا أدوية؟**

- طبعاً، لا أدوية، والناس وضعهم سيئ. يعني راتب المعلم العراقي ٢,٥ دولار شهرياً. نسبة الأمية ارتفعت.

> ماذا عن سقوط بغداد؟

- الجيش العراقي لم يقاتل بجدية عند وصول الأميركيين، حصلت عمليات غير نظامية.

> هل معركة المطار مضخمة؟

- لم يحصل شيء كبير، حصلت معركة لكن لم تكن كبيرة واستطاع الأميركيون نقل الفي قطعة مدرعة من الكويت الى بغداد على مسافة ٥٠٠ كلم من دون مقاومة فعلية. الجيش العراقي لم يقاتل ولو قاتل كما حصل بعد الاحتلال لكان الأميركيون تكبدوا خسائر كبيرة. أذكر عندما التقينا مع رامسفيلد كمعارضة في الشهر الثامن من سنة ٢٠٠٢، كان همه الكبير، هو ومايرز، معرفة اذا كانت بغداد محصنة وهل سيقاوم سكانها الأميركيين في الشوارع؟ نحن كنا دائماً محقين بأن لا الجيش العراقي ولا الشعب العراقي سيدافعون عن صدام.

> هل كانت للأميركيين علاقات مع ضباط عراقيين؟

- أبداً.

> ماذا عن انهيار الجيش العراقي؟

- في يوم ٩ نيسان لم تبق قاعدة واحدة للجيش العراقي، كلهم فروا. اعتقد الأميركيون انهم انتصروا في الحرب على العراق، لكن الشعب العراقي هو الذي اعتبر نفسه منتصراً. الأميركيون دخلوا على شعب غير مهزوم وإنما منتصر، وهم لم يعرفوا كيف يستغلون هذه القضية، والفرق كبير بين نفسية الشعب العراقي عام ٢٠٠٣ ونفسية الشعب الألماني سنة ١٩٤٥، أو الشعب الياباني سنة ١٩٤٥. الياباني اعتبر نفسه

مهزوماً وكان يتقبل إطاعة الأميركيين مهما كان، لكن العراقي اعتبر نفسه منتصراً بسقوط صدام وشعر انه خُدع عندما أعلنت أميركا الاحتلال. فهو كان يرى ان الاميركيين جاءوا للتحرير. هذه النقطة لم يفهمها الأميركيون الى الآن، جاءوا وأعلنوا أنفسهم محتلين.

> في بداية الحرب. غادر نزار الخزرجي الدنمارك وذهب ضباط كثر الى هناك ليكتشفوا أن الأميركيين لم يتركوا لهم أي دور؟

- ليس الأميركيون، إنما هم لم يكن لهم اي دور، قاعدتهم التي كانوا يستندون اليها تفتتت مع تفكك الجيش العراقي، ذهبوا الى منازلهم. عندما صيغ قانون تحرير العراق كان هدفنا في العام ٢٠٠٠ تأسيس فرقة من الشرطة العراقية تساهم في تحرير العراق، وأول وظيفة هي التوجه الى القواعد العسكرية العراقية، يعني معسكرات الجيش العراقي والطلب من الجنود والضباط البقاء بعد تأمين الأموال والطعام والحماية لهم، ثم الحفاظ على هيكلية الجيش العراقي ومعسكراته، والتخلص من الجماعة التي ارتكبت أخطاء وجرائم، لكن الأميركيين رفضوا ذلك.

> لماذا؟

- كانوا مغرورين. ولم يريدوا إدخال أنفسهم في متاهات مع العراقيين. اعتقدوا انهم لا يحتاجون أحداً. كانوا يجهلون نفسية العراقيين وتراثهم وتاريخهم. رامسفيلد ذهب الى سد حديثة والتقى ضابطاً أميركياً من فيلق الهندسة الأميركي قال له: نحن نفتخر يا سيدي الوزير بأن الفرصة سنحت لنا للعمل في مجال السدود منذ ١٥٠ عاماً. تطلع رامسفيلد الى المهندس العراقي وسأله رأيه؟ أجابه: يا سيادة الوزير، نحن والفيلق الأميركي سنحت لنا الفرصة للعمل في السدود من ١٥٠ عاماً.

كانت تصلنا أخبار ان الاميركيين والانكليز يسعون لاستصدار قرار مجلس الأمن الذي صار لاحقاً القرار ١٤٨٣ لإعلان الاحتلال. تحمسنا كقيادة معارضة للموضوع وخصوصاً جلال طالباني وأنا، وأرسل رئيس الوزراء البريطاني توني بلير مبعوثه الشخصي السير ديفيد مانينغ الذي اصبح في ما بعد سفيراً في واشنطن الى بغداد. دعوناه الى عشاء عمل وخلال العشاء انتقد الأستاذ جلال القرار الذي يريدون إصداره. كان باتريك تايلر من "نيويورك تايمز" موجوداً لالتقاط صورة لكن التلفزيون لم يبثها علماً أنها موجودة لديه. قلت لمانينغ: أنتم تريدون أن تعلنوا احتلال العراق. هناك ٢٠ ألف شخص عراقي يحملون شهادة الدكتوراه وأنتم تريدون الاحتلال، ما مصلحتكم في ذلك؟

> لماذا أرادوا الاحتلال؟

- اعتقد أن الذين أرادوا الاحتلال هم جماعة الـ"سي آي أي" ووزارة الخارجية الأميركية والحكومة البريطانية. خافوا ان تحصل سيطرة من أطراف معينة على أي حكومة موقتة وكان هناك تخوف عربي من ذلك. عندما صدر القرار ١٤٨٣ تم التصويت عليه بالإجماع في مجلس الأمن. حتى سورية وافقت عليه، وينص القرار على أن أميركا وبريطانيا يعلنان ممارسة حقهما حسب معاهدة جنيف باحتلال العراق ويعتبران نفسيهما قوة احتلال. وكان ذلك في الشهر الخامس من سنة ٢٠٠٣، أي بعد ستة أسابيع على سقوط صدام.

> وأنتم ماذا كان رأيكم؟

- كنا ضد ذلك بالمطلق. كنا ضد الاحتلال، ولم أخبرك عن خليل زاد. كان الأميركيون عينوا الجنرال غارنر على رأس منظمة إعمار العراق، وذلك قبل الاحتلال، وهذا الجنرال صديق ورجل كبير ولم يكن معروفاً

اذا كان دوره في الإعمار أو السياسة. دعا القادة الأكراد للمجيء الى بغداد بعد سقوط صدام، ووصلوا الى بغداد في الأسبوع الرابع من نيسان.

> لم يكن بريمر قد عين بعد؟

- لم يكن أحد قد سمع به، وكان الاجتماع في مقر إقامة الأستاذ مسعود في فندق"قصر الحياة"، ونحن كنا في الفندق، وكان هو والسيد عبدالعزيز الحكيم والدكتور عادل عبدالمهدي والأستاذ جلال طالباني، ثم جاء الدكتور عدنان الباجه جي وأنا والدكتور إياد علاوي جاء أكثر من مرة، وعقدنا اجتماعات عدة وكنا حائرين فيما يريده الأميركيون. القادة الأكراد أخذوا فكرة من غارنر أن أميركا تريد حكومة موقتة. أنا قلت: هل تعرفون من لديه سلطة في العراق؟

استغربوا السؤال، قلت: أنتم تعرفون خليل زاد. هو ممثل الرئيس بوش، وتعرفون الجنرال جاي غارنر، وهناك شخص ثالث ربما لم تسمعوا باسمه الجنرال ديفيد مايكرنن وهو قائد في أفغانستان الآن. قلت لهم هذا أهم شخص في العراق الآن، ويعتبر نفسه مسؤولاً عن كل شيء. هذه هي المسائل العلنية أما السرية فتقوم بها الـ"سي آي أي"وهناك"دي أي إي"وهي وكالة الاستخبارات في وزارة الدفاع، لكن لا تعرفون DF٢٠. سألوا ما هذه؟ قلت:"دلتا". ولهم صلاحيات البحث عن صدام من دون أخذ موافقة أي قيادة. يدخلون، يضربون يقتلون ويدمرون. ولا تعرفون"الفا"، اي الفريق الأميركي المكلف البحث عن أسلحة الدمار الشامل. فقالوا: ماذا نفعل، هذا هو الوضع الذي نحن فيه. وكان هناك توجه لتشكيل حكومة موقتة لكن احداً لم يكن مستعداً لإعلان مثل هذه الحكومة. كان الناس اما خائفين من الاميركيين او يتوقعون منهم ان يشكلوها. الطرفان كانا سلبيين، وحصل انطباع ان غارنر ربما

سيفرض هذا الأمر، لكن لا اعتقد ان هذا كان صحيحاً. الفرصة الحقيقية التي حصلت كانت في ٢٠٠٣/٥/٢ خلال اجتماع حصل في"قصر الحياة"وحضره قادة المعارضة والقادة العسكريون الاميركيون والجنرال غارنر وخليل زاد الذي كان يقود الطرف الأميركي. نظر الي وقال لي: يا أحمد، فكرتك عن تأسيس حكومة عراقية موقتة أصبحت طاغية وأنا سأذهب الى واشنطن وأعود بالموافقة بعد عشرة أيام. وأدلى بتصريحات بهذا المعنى للصحافيين. غادر خليل زاد وبعد عشرة أيام جاء بريمر، وفي اول اجتماع معه قلت له إن السفير زاد قال كذا فأجاب: ذهب خليل زاد وسياسته ذهبت معه وأنا المسؤول الأول والأخير في العراق الآن فتعاونوا معي.

بريمر اعتبر نفسه نائب الملك، خليل زاد رجع سفيراً الى العراق في العام ٢٠٠٥ وكنت دعوته الى العشاء قبل مغادرته عام ٢٠٠٦ بعد تعيينه سفيراً في الأمم المتحدة. وكنت أعرفه منذ زمن، سألني: ماذا حصل في واشنطن في الاسبوع الثاني من الشهر الخامس عام ٢٠٠٣ . سألته عما يقصد؟ فقال: أنا اتفقت مع الرئيس بوش أن اعود الى بغداد بصفتي الممثل السياسي، وفي الشهر الثاني من الشهر الخامس قال الرئيس بوش ان بريمر سيذهب الى بغداد بصفته مسؤولاً عن الاعمار، وفجأة أعلنوا ان بريمر هو كل شيء. أنا لا أعرف ماذا حصل، ما هو التغيير الذي جرى في واشنطن. بريمر عينته اميركا وبريطانيا حاكماً مدنياً.

اعتقد ان الذي حصل هو أن الأطراف التي كانت ضد تشكيل حكومة موقتة، مثل الـ"سي آي أي"ووزارة الخارجية، اقنعت بوش بأن هذا الأمر خطر وضد مصلحة أميركا وحلفائها في المنطقة. وعندما وصل بريمر الى بغداد كان أول قرار اتخذه إعلان حل حزب البعث وفصل جميع البعثيين من مناصبهم الحكومية.

الحلقة الثالثة: إجتثاث البعث فكرتي

كانت المعارضة العراقية تأمل غداة سقوط نظام صدام حسين في تشكيل حكومة عراقية موقتة لكن هذا الخيار سقط في واشنطن التي فضّلت إعلان الاحتلال والإدارة المباشرة. ويعتبر أحمد الجلبي ان هذا الخيار الأميركي عقد الوضع في العراق، خصوصاً أنه ترافق مع تنافس وتشاحن بين الجهات الأميركية المعنية بالعراق.

ويؤكد الجلبي انه كان وراء فكرة اجتثاث البعث، معتبراً انها أنقذت العراق من مذبحة واسعة كان يمكن ان تستهدف البعثيين. ويضيف انه عارض قرار حل الجيش العراقي، ولم يفهم حتى الساعة مبررات هذا القرار.

نص الحلقة الثالث

> عندما وصل الحاكم المدني الاميركي بول بريمر الى بغداد، كان أول قرار اتخذه إعلان حل حزب البعث وفصل جميع البعثيين من مناصبهم الحكومية. بأي صفة أخذ هذا القرار؟

- بصفته رئيس سلطة الائتلاف الموقتة وبدأ ممارسة صلاحياته بإعلان هذا القرار رقم ١.

هذا حصل بين ١٣ و١٦ أيار، أما مجلس الحكم فشكل في ١٣ تموز. أصابني قلق من هذا الأمر: حل حزب البعث ومصادرة أملاكه وفصل كل البعثيين من الحكومة، أي ان البعثي مهما كانت رتبته متدنية كان مشمولاً بقرار الفصل. ذهبت الى بريمر وسألته عن هذا القرار، اذ اننا نحن وراء فكرة اجتثاث البعث، لكن هذا القرار غير مقبول، نحن نعرف ان عراقيين كثيرين اضطروا ان يصبحوا بعثيين لأسباب معيشية. كنا نريد ان لا يطال القرار سوى المسؤولين في الحزب، وردّ بريمر ان لا فائدة من النقاش، لأن هذا القرار اتخذ في واشنطن وعليه أن ينفذ.

أما القرار الثاني الذي اتخذه فهو حل الجيش العراقي وكل أجهزة الأمن والمخابرات والأمن العام ووزارة الإعلام.

> هل حصل هذا فور وصوله؟

- فور وصوله، ومن دون أن يسأل أحداً على الإطلاق اتخذ القرار بمفرده ولم يستشرنا، وكما قلت لك كنا ضد حل الجيش، وكنا نريد المحافظة عليه والاحتفاظ بوحداته وبالعناصر الوطنية التي لم تتلوث بنظام صدام.

> هل تأثر بريمر برأيك بالـ "سي آي أي"؟

- حتى الآن لم أفهم كيف اتخذ هذا القرار في واشنطن.



بريمر ورامسفيلد والجلبي

> ممن كان بريمر يتلقى تعليماته؟

- الحقيقة انه كان تابعاً للرئيس بوش، وأعتقد أن راتبه كان من وزارة الدفاع. بريمر كان يطمح ان يصبح وزيراً للخارجية وكانوا يسمونه جيري بريمر، لكن اسمه هو بول بريمر، وهو عمل عشر سنوات مدير إدارة في شركة لكيسنجر. وكان يتصرف كأنه نائب الملك في العراق، ويحاول أن يقدم نفسه على انه ممثل الرئيس بوش، فأصدر قرار حل الجيش من دون ان يسألنا وكان هذا القرار مخالفاً لرأينا.

> من كان من المعارضة ضد هذا القرار؟

- كلنا، لم يؤيده أحد.

> بما في ذلك قادة الأكراد؟

- لم يطلب أحد هذا الأمر ولم يؤيده. نحن كنا نريد حكومة موقتة وكنا نجري اتصالات جانبية مع القيادات العسكرية وضباط. وأنا اجتمعت مع ضباط وقادة شرطة ودخلنا في تفاصيل ضبط الوضع في بغداد في تلك الفترة. هذا القرار اتخذه بريمر بمفرده بعدما أبلغ قيادات المعارضة العراقية ان لا أمل لديها في تأسيس حكومة موقتة.

> هل أبلغهم بريمر ام انهم اختلفوا في ما بينهم؟

- لا، لم يحصل خلاف على ذلك، ولم يحصل أي بحث جدي في هذا الموضوع. ولا تنسَ ان قادة المعارضة لم يكونوا كلهم في بغداد. أنا وصلت يوم ١٥ نيسان مع الدكتور عادل عبدالمهدي وهو الآن نائب رئيس الجمهورية وكان يمثل السيد عبدالعزيز الحكيم.

> يعني "فيلق بدر"؟

- لا، كان يمثل السيد عبدالعزيز الحكيم، و"المجلس الأعلى"، ثم بدأ قادة المعارضة بالوصول تباعاً الى بغداد، بحيث اكتمل حضورهم في أواخر الشهر الرابع، وجاء بريمر في ١٣ أيار، يعني أن الفترة الزمنية التي كانت متاحة للبحث في المواضيع كانت قصيرة جداً، وكان خليل زاد أبلغنا في ٢ أيار انه سيذهب الى أميركا ويعود لتشكيل حكومة موقتة.

> هل لديك شك في ان إسرائيل وراء قرار بريمر بتدمير العراق؟

- لا أملك أي دليل على ذلك.

> لأنه قرار يصعب تفسيره.

- لا أملك دليلاً على أن اسرائيل وراء هذا القرار، لكن الجيش العراقي في ٩ نيسان كان مجرد اسم، لأن الجنود والضباط ذهبوا الى منازلهم والمعسكرات نُهبت بكاملها. واذا كنت تريد المحافظة على الجيش اين تجمع عناصره؟ تبقي عليه أين تضعهم؟ معسكر الرشيد في بغداد ومعسكرات قيادات الفيالق في مناطق مختلفة، كلها نهبت.

> نهبت؟

- حتى الحجر نُهب، الفخار، الطابوق، لم يبق شيء.

> ألا تتحمل شخصياً مسؤولية فكرة اجتثاث البعث؟

- نعم، فكرة اجتثاث البعث كانت لسببين: أولاً لأنه تحول من حزب سياسي الى أداة قمع، كالحزب النازي، وأصبح لدى من ينتسب إليه مزايا مضاعفة في الوظائف الحكومية مقارنة بزملائه من خارج الحزب. وأصبح من واجبات البعثيين التجسس على إخوانهم المواطنين. ويتحمل حزب البعث المسؤولية عن حكم صدام لأنه اصبح أداة بيده وتحول من حزب سياسي عقائدي له قيم عالية الى هيئة سياسية إدارية تجسسية تنفذ رغبات صدام. ثانياً، يتحمل حزب البعث مسؤولية طحن ثلاثة أجيال في العراق. معلم في مدرسة يتقاضى راتب ٥٠ ألف دينار اذا كان عضواً في الحزب في حين ان المعلم بنفس الدرجة يتقاضى ٥ آلاف دينار اذا لم يكن عضواً، وأعتقد أن بقاء حزب البعث خطر على الوضع الجديد، كما كنا نرغب في منع حالات الانتقام العشوائية من البعثيين كأفراد، وأردنا أن نحميهم، وأنا أدعي أننا نجحنا في ذلك، لأن اجتثاث البعث جعل عمليات الانتقام محدودة، وهناك معلومات دقيقة

عن حالات حصلت لكنها محدودة، اذ لم يحصل انتقام من البعثيين في حجم مذابح وقتل كما كان متخوفاً منه، وأعتقد أننا نجحنا في هذا.

> يعني اخذوا فكرتك عن اجتثاث البعث، لكن طبقها الأميركي على طريقته؟

- لا، نحن لم نترك الأمر على هذا الشكل، بعد تشكيل مجلس الحكم، ظللنا نلح على بريمر، حتى اقتنع ان الموقف أكبر منه، واصبحت أول هيئة بيد العراقيين هي هيئة اجتثاث البعث. أسسنا الهيئة الوطنية العليا وانتخبت رئيساً لها، وكان جميع القادة السياسيين تقريباً اعضاء فيها، لكن انا تحملت المسؤولية وكنت أعرف ان ردود فعل كثيرة ستصدر وكذلك سوء فهم، وأصبحتُ هدف البعثيين.

أول قرار اتخذته الهيئة نص على اعادة كل بعثي دون مستوى عضو فرقة الى وظيفته، يعني أعدنا مئات الآلاف الى وظائفهم، ولم يتعرض لهم أحد. أما عدد الذين شملهم الاجتثاث فكان مليوناً و٢٠٠ ألف بعثي، أما الذين تم اجتثاثهم فعددهم ٣٨ ألفاً، وهم برتبة عضو فرقة وما فوق، وصولاً الى عضو قيادة قطرية، وبين هؤلاء ٣٢ ألف عضو فرقة و٦ آلاف عضو شعبة وما فوق، واعطينا اعضاء الفرقة الحق في طلب الاستثناء من هذا الاجتثاث، لكن بشروط، وعرضنا عليهم طلب التقاعد على ان يحصلوا على راتب التقاعد من دون قيد أو شرط. من اصل ٣٢ ألفاً قدم ١٦ ألفاً طلب الاستثناء، وافقنا على ما يزيد على ١٥ ألفاً و٥٠٠ شخص وأعيدوا الى وظائفهم، بينهم مدرسون وأساتذة جامعيون وموظفون في الدولة.

> وفي الجيش ايضاً؟

- نعم، قادة الفرق خضعوا للاجتثاث، وكذلك قادة العمليات في بغداد وفي مكتب القائد العام، كلهم طلبوا الاستثناء، وكذلك قادة الشرطة الوطنية. كما أن ٢٥٠٠ شخص قدّموا طلبات تقاعد تمت الموافقة عليها كلها، أما الباقون فلم يقدموا طلبات. فأين هم؟ هؤلاء أعضاء الشُعب الذين طرحنا منحهم حق التقاعد.

> عدا مرتكبي الجرائم؟

- هذا الأمر لا دخل لنا به. هيئة الاجتثاث لا يحق لها الاعتقال ولا الفصل أو الحجز. كنا نبلغ الإدارة المعنية ان شخصاً ما خاضع لاجتثاث البعث ونطلب اتخاذ الإجراءات المطلوبة بحسب القانون. وهناك وزراء لم ينفذوا. مرة كتب لنا وكيل وزارة الداخلية ان عنده ٣ آلاف شخص خاضعين للاجتثاث وما زالوا في الوظيفة. نحن لم نكن نفصل الناس إنما كنا جهة كاشفة فقط. كانت للهيئة سلطة معنوية عالية.

استغل أميركيون الوضع وبدأوا تحميل مسؤولية الفشل الإداري لهيئة الاجتثاث، فبدأوا يهاجمونها، ويضغطون على الحكومة العراقية والمجلس النيابي لتغيير قانون الاجتثاث. وبعد ضغوط اميركية كبيرة اصدر المجلس النيابي في شهر شباط ٢٠٠٨ قانون المساءلة والعدالة الذي استبدل هذه الهيئة بهيئة اجتثاث البعث. لكن نصوص القانون الجديد كانت أشد وطأة على البعثيين، اذ ينص على أن كل من كان في الأجهزة الأمنية مع صدام يحال الى التقاعد. وهناك ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص في أجهزة الأمن العراقية الحالية يجب إحالتهم الى التقاعد بموجب هذا القانون.

> يمكنك القول إن اجتثاث البعث فكرتك وأنت راض عن تطبيقها لأنها جنّبت البعثيين عمليات ثأر جماعية ضدهم؟

- كما أنها فككت سيطرة البعث على المجتمع.

> لكنك تقول إن لا علاقة لك بفكرة حل الجيش العراقي؟

- نعم، فقد كنت ضد هذه الفكرة وطالبتُ بإجراءات عملية لإبقاء الجيش والحفاظ على معسكراته.

> هل أيد احد من القوى السياسية فكرة حل الجيش؟

- لا.

> إذاً كانت هذه فكرة أميركية؟

- نعم، واتخذها بريمر من دون ان يستشير احداً.

> هل تستطيع القول ان جزءاً من المشكلة في العراق تكمن في ان الأميركيين أسقطوا نظام صدام ولم يكن لديهم تصور لما سيحدث بعد ذلك؟

- الأميركيون كانت لديهم تصورات مختلفة. الأول كان تشكيل حكومة عراقية موقتة. هذا التصور فشل في واشنطن. والثاني هو الاحتلال والحكم المباشر. وهذا نجح في واشنطن.

> هل كان هناك تنافس دائم بين الـ"سي آي أي"ووزارة الدفاع؟

- نعم، دائماً.

> وبين الخارجية والدفاع؟

- نعم.

> هل كانت الـ"سي آي أي"أقرب الى الخارجية؟

- نعم، في عهد كولن باول.

> هل تسبب هذا التنافس بالفشل الأميركي؟

- نعم، هذا واضح عندي. هذا التنافس بين الأميركيين وعدم قدرة الرئيس بوش على حل النزاع داخل إدارته تسببا في تذبذب السياسة الأميركية وتخبطها في العراق وتشجيع أعمال العنف وسوء الإدارة والفساد.

> تعرض العراق لعملية نهب غير مسبوقة، أليس كذلك؟

- ماذا يعني ذلك؟

> هناك فساد؟

- طبعاً، العراق تعرض لعمليات فساد. يعني الذين نهبوا العراق هم من المفسدين العراقيين بالتعاون مع بعض الأجانب، لكن قسماً من الأميركيين كانوا فاسدين ايضاً. إنما تسامح الآخرون مع هذا الفساد.

> ألست مستفيداً من هذه المسألة؟

- أبداً.

> هل يمكن ان أسأل سؤالاً مباشراً، بما أنك رجل الـ"سي آي أي"، ألست شريكاً في الفساد؟

- أبداً، أنا أول من نبّه الى الفساد في مجلس الحكم، بحسب المحاضر وأول من تحدى بريمر. قلت له: ايها السفير بريمر انت الوحيد بتوقيعك المنفرد تتصرف بأموال صندوق التنمية الذي فيه كل اموال العراق فانتبه الى ما تفعله وما توقعه، وكان يغضب مني.

> ألم تتقاضَ أموالاً أميركية؟

- من قبل، فنحن كنا تعاونّا مع الأميركيين بحسب قرارات الكونغرس.

> أتكلم عما بعد سقوط صدام، ألم تستفيدوا في المؤتمر الوطني من الصفقات والوزارات؟

- أبداً، غير صحيح. أنا كنت تحت مجهر كل الأطراف ولم يستطيعوا أن يجدوا شيئاً. سأتحدث بالتفصيل عن هذا الموضوع. وصلنا الى العراق، ولم يشترك اعضاء المؤتمر الوطني في أي عمل مع الأميركيين. بعضهم قام بأعمال مخالفة للقانون، لكن قضايا بسيطة. أما في المشاركة في عقود الأميركيين أو عقود الحكومة العراقية فالمؤتمر ابتعد عن هذا الموضوع، فالاميركيون استهدفونا في المراحل الأولى وأبعدونا عن كل شيء، وعن كل السياسيين العراقيين الذين أتوا لاحقاً، وقد أكون الوحيد الذي باع من أملاك أهله وأقاربه وليس من أملاك صدام والدولة.

> من يشغل أملاك صدام؟

- حدّث ولا حرج في بغداد، عن املاك صدام وأملاك الدولة، الكلّ، دعنا لا نحدد، نحن لسنا دلالي أراضٍ لكن حتى مقراتنا أخذت منا بالقوة، كان لدينا مقر في البيت الصيني ومقر المخابرات.

> هل اخذها الجيش الأميركي؟

- نعم، وبتوجيه من الحكومة العراقية بعد نهاية الاحتلال، مقراتنا التي كنا نشغلها في الجادرية أخذتها الحكومة ولم يعد لدينا مقرات.

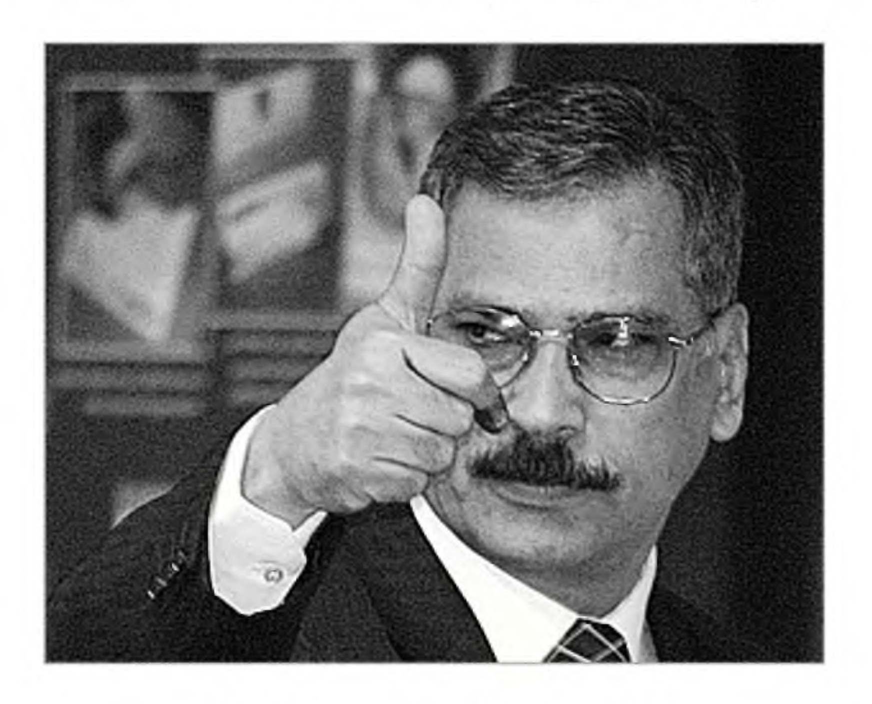
> هل تريد أن تقول إنك وحزب المؤتمر لستما شريكين في الفساد؟

- نعم، ونحن أول من كشف الفساد. أنا في نهاية عام ٢٠٠٤ وبداية عام ٢٠٠٥ اكتشفت أن أموالاً عراقية تنقل من مطار بغداد الى بيروت بمئات الملايين. أجريت مقابلة عبر محطة "العربية" مع إيلي ناكوزي وقال لي أن وزير الدفاع يتهمكم أنتم و"الائتلاف" بالصفويين، قلت له: اطلب من السيد وزير الدفاع أن ينتبه الى أموال الوزارة التي تنقل بالطائرات نقداً الى بيروت وعمّان.

> من كان وزير الدفاع؟

- حازم الشعلان، ولم ينتبه ناكوزي الى ما قلته. وجاءت استراحة الإعلان فتم إبلاغه أن الجلبي ذكر هذا الشيء اسأله عنه. وعندما عدنا الى البث سألني عن الموضوع فأكدت له الأمر، ورأساً طلب حازم الشعلان اعتقالي لتشهيري بوزارة الدفاع، وحصلت ضجة كبيرة، وانتهت حكومتهم وجاءت حكومة جديدة برئاسة ابراهيم الجعفري وأنا صرت نائبه، وطلبت من المصرف المركزي التدقيق في حساب وزارة الدفاع لدى بنك

الرافدين - فرع زوريخ، حساب رقم ١٣ بالدولار. فأرسل المصرف المركزي فريقاً للتفتيش بالاشتراك مع ديوان الرقابة المالية واحضروا تقريراً اعتبره سرياً ومكتوباً باليد ولم يطبع، وفيه أن وزارة الدفاع تعاقدت مع شركة عراقية أسست في ٢٠٠٤/١/١ برأسمال ٣ ملايين دينار، ووقعت عقوداً معها بمبلغ بليون و١٢٦ مليون دولار ودفعتها نقداً من دون كفالات وهي موزعة على ٣٥ شيكاً جيرت جميعها لحساب شخص واحد.



حازم الشعلان وزير الدفاع العراقي الاسبق

> من هو؟

- اسمه ... . ووضعت في حسابه في أحد المصارف العراقية، وطلب تحويل مبالغ بقيمة ٤٨١ مليون دولار الى حسابه الخاص في بنك الإسكان الأردني وأرسل مئة مليون دولار نقداً الى بنك الإسكان الأردني في عمان، وحوّل الى شخص يعمل لديه اسمه ... مبلغ ٤٨٠ مليون دولار، وقام هذا الشخص بتحويلها الى حساب الاول. أخرجوا من العراق بليوناً و٦٠

مليون دولار الى حساب الاول في بنك الإسكان في عمان، على أساس ان يشتروا بها معدات للجيش العراقي، ولا نعلم حتى الآن ماذا حصل، وهناك مسألة أسوأ. كيف حصلت وزارة الدفاع على هذه الأموال؟ علماً أن ميزانية الوزارة للعام ٢٠٠٤ لشراء المعدات كانت فقط ٢٩٥ مليون دولار ومع ذلك حصلوا على أكثر من بليون. كيف تم ذلك؟ أثرت هذا الموضوع، ووضعت تقريراً دقيقاً جداً لا يزال موجوداً عندي، وحقق القضاء العراقي في الموضوع ووجه التهم الى أشخاص ولم يحصل سوى القليل لمتابعة هذا الموضوع، ولا تزال هذه العملية تدور في جهاز الدفاع العراقي. هذه قضية كبيرة.

> الفساد شمل أموالاً عراقية، مداخيل من النفط، أليس كذلك؟

- طبعاً.

> وأموالاً أميركية؟

- الأميركيون مسؤولون عن الأموال الأميركية، وهناك شخص مسؤول اسمه ستيوارت بوين، كلفه الكونغرس التحقيق في قضية اموال إعمار العراق.

> هل ساهمت الشركات الأميركية في هذا الفساد؟

- الشركات الأميركية ساهمت في الفساد مع الحكومة الأميركية. قلما تعاقدت الحكومة العراقية مع شركات أميركية. أميركا تعاقدت مع شركات أميركية وهذه الشركات ضالعة في الفساد وعملية الفساد في وزارة الدفاع هي أكبر عملية فساد في العالم، ولا تزال مفتوحة. وهناك أيضاً فساد في وزارة الكهرباء حيث تم توقيع عقود بما يزيد على بليون

دولار لمحطات لم تنتج ١٠ في المئة مما كان مطلوباً منها. كان يفترض أن تبدأ الانتاج في صيف العام ٢٠٠٤، إلا أنه حتى صيف ٢٠٠٨ لم تنتج.

> في أي قطاعات كان الفساد مستشرياً؟

- الكهرباء والأعتدة والسلاح، فساد كبير جداً، وأيضاً في قضايا التجهيزات في الوزارات الأخرى، لكن المسائل الكبيرة في الدفاع والكهرباء.

بعد خمسة أشهر على مجيء حكومة الجعفري سنة ٢٠٠٥ كتبت مذكرة الى رئيس مجلس الوزراء اقترحت فيها تأسيس لجنة للعقود، لتنظر في كل العقود التي تزيد عن ٣ ملايين دولار وفي حسن إجرائها، وحددنا أن طريقة الدفع هي بواسطة الصكوك والاعتمادات المستندية والحوالات المصرفية وليس بالأوراق النقدية. وأنا أدعي انه خلال عمل هذه اللجنة، اجتمعت لفترة سنة ٧٥ مرة ولم تحصل عمليات فساد مهمة خلال تلك الفترة وأنا كنت رئيس هذه اللجنة، وهذا الموضوع موجود وحاول كثر إثارة قضايا لكن هذه هي الحقيقة ولم ينجحوا لأنهم لم يجدوا شيئاً.

> أي سنة تركت العراق للمرة الأولى؟

- كان عمري ١٣ سنة، عدت لفترة بسيطة سنة ١٩٦٦ كان عمري ٢١ سنة وبقيت أشهراً قليلة ثم عدت للدراسة في الخارج، وبدأنا بالعمل في المعارضة ودخلت العراق مرة أخرى، الى الشمال في عام ١٩٦٩ لفترة بسيطة، وكذلك عام ١٩٧٤ لفترة بسيطة، ثم دخلت الى شمال العراق مرة أخرى في عام ١٩٩٢ وبقيت أربع سنوات ونصف السنة نحارب صدام، ودخلت مرة أخرى عام ١٩٩٩ لفترة بسيطة وعدت في عام ٢٠٠٣ وأنا اقيم في العراق منذ ذلك الحين.

> ما هي الدول التي ساهمت مع الأميركيين في إسقاط صدام؟

- إيران ساعدت المعارضة العراقية على إسقاط صدام على رغم تناقضها مع السياسة الاميركية. كان هناك رأي في إيران يقول إنه يجب ألا نسهل مهمة الأميركيين في إسقاط صدام، لكن ايران سهلت عمليا وهناك الدول التي انطلقت منها القوات الاميركية.

> هل كانت سورية مع إسقاط صدام؟

- سورية كانت ضد إسقاط صدام عن طريق الأميركيين، وكان لديها قلق شديد من تعاون المعارضة العراقية مع أميركا، وكانت لديها تحفظات على دخول الأميركيين الى العراق وإسقاط صدام. الدولة الأولى بين الدول المحيطة بالعراق التي أرسلت وفداً رسمياً الى مجلس الحكم وتعاونت معه هي إيران، والسفير الإيراني موجود في العراق منذ العام ٢٠٠٣.

> من هي الدول التي دعمت المقاومة العراقية؟

- سورية وإيران دعمتا المعارضة العراقية ضد صدام، لكن معظم الدول العربية كان ضد المعارضة العراقية قبل غزو الكويت لكن بعد الغزو تحسن الموقف قليلاً، ونحن زرنا السعودية كوفد رسمي، وزرنا الكويت لكن مستوى التعاون كان ضئيلاً ما عدا إيران، وعندما دخل الأميركيون على الخط أصبحت للسوريين تحفظات بعد سقوط صدام."القاعدة"والمتطرفون في العراق بدأوا يتلقون مساعدات من أطراف غير حكومية ومن المحتمل أن يكون هناك غض نظر من الأطراف الحكومية، تم تمويل هؤلاء وتنظيمهم من قبل أشخاص غير عراقيين في البداية.

> هل ساهمت إيران بتسهيل مرور"القاعدة"الى العراق؟

- لا أعتقد أن هذا الكلام صحيح.

> يقال إن سعد بن لادن موجود الآن في....

- مقاطعاً، أبداً، حلفاء إيران وصلوا الى السلطة في العراق، يعني رئيس الجمهورية صديق لإيران وكذلك رئيس مجلس الوزراء ورئيس المجلس النيابي وكثير من الوزراء لديهم علاقات، لا مصلحة لهم بتقويض الوضع القائم في العراق.

> يعني هل أمسكت إيران بالقرار العراقي؟

- الى الآن لا، إيران لديها نفوذ كبير في العراق. سبب هذا النفوذ هو سوء تصرف أميركا السياسي في العراق.

> ألا يوجد خطر بسبب ذلك على عروبة العراق؟

- لا أعتقد أن هناك خطراً على عروبة العراق، الشعب العراقي أكثريته من العرب ويعتزون بعروبتهم، والكلام الذي يقال احياناً ان الشيعة في العراق لهم ولاء لإيران أكثر من ولائهم للعراق، كلام مرفوض. العوائل العراقية والعشائر العراقية تضم سنة وشيعة. وهناك حالة من التعايش الاجتماعي بينهم.

> لكن حصلت حرب أهلية في العراق؟

- لا، ليست حرباً أهلية، لم تصل الى الحرب الأهلية. تعريف هذه الحرب عندما تكون هناك حكومتان تتنازعات على قطعة الأرض ذاتها وكل يدعي شرعيته عليها، في العراق لم يحصل ذلك. ما حصل هو قتال أهلي

على أساس طائفي، والحمد لله انه تمت السيطرة عليه، هذا حصل بتخطيط، هناك رسالة للزرقاوي أرسلها الى الظواهري وضبطت في شهر آذار ٢٠٠٤، ذكر فيها أن أملهم الوحيد في النجاح بالعراق هو الامعان في قتل وإرهاب الشيعة لينتقموا من السنّة فيلجأ السنّة الى"القاعدة"لحمايتهم من الشيعة، ونفذوا هذه السياسة.

> تقصد تدمير مقر الامامين في سامراء؟

- وقبل ذلك مثلث الموت جنوب بغداد، والنجف وكربلاء كل يوم كان يحصل قتل، الى أن انفجر الموقف، السيد السيستاني قال لي مرات عدة: لا اريد أن ينتقم أحد حتى لو قتلوني واكتشفتم ان من فعل ذلك هو من السنّة. لكن الكيل طفح بعد تفجير المقام في سامراء.

> دخلت متعاوناً مع الأميركيين الى العراق، ما حكاية البيت الشيعي؟

- دخلت الى العراق وأنا على خلاف مع أميركا حول موضوع الاحتلال، وهذا الموقف معلن، وعندما شكل الاميركيون مجلس الحكم شكلوه على أساس طائفي، ونحن كان هدفنا في مجلس الحكم إنهاء الاحتلال. اعتبرت أن هذا واجبي وتم وضع مشروع قانون أساسي للمرحلة الانتقالية يحمي العملية الديموقراطية وحق العراقيين في الانتخاب، ووجدت داخل مجلس الحكم أن من الصعب جداً تأسيس تكتل موضوعي بين العراقيين لا يكون خاضعاً مباشرة للنفوذ الاميركي، ووجدت انه حتى نتمكن من سن قانون أساسي يحمي الديموقراطية والعملية السياسية والتبادل السلمي للسلطة ويحمي استقلال العراق وسيادته، أن يكون هناك تكتل يخضع لنفوذ وتأثير سلطة معنوية بعيدة عن الاميركيين هي المرجعية الشيعية، ولم أجد غيرها.

> لذا أسست البيت الشيعي؟

- نعم، أنا طرحت الفكرة واستجابوا لها.

> من استجاب؟

- كل أطراف مجلس الحكم الشيعة، حتى الحزب الشيوعي حضر الاجتماعات، و"حركة الوفاق"كانت حاضرة أيضاً.

> أليست لإيران علاقة بهذه الفكرة؟

- أبداً، كانت مسألة عراقية وقسم كبير من أعضاء البيت الشيعي لم يكن على وئام مع إيران. المواقف التي حصلت واتخذها البيت الشيعي أجبرت بريمر على التفكير ملياً بما يجري في العراق.

كان هدف الأميركيين في العراق هو أن يضعوا دستوراً تحت الاحتلال ويجرون انتخابات تحت الاحتلال. ذهبت الى السيستاني، فقال لي ان الاميركيين كتبوا دستور اليابان في ستة أيام، فهل سيكتبون دستور العراق؟ قلت له لا يستطيعون ذلك إذا تعاونا. يجب أن تقوم بكتابة دستور العراق جمعية منتخبة، فقال لي إنه يؤيد هذه الفكرة. فعملنا معاً وحققنا السيادة ثم الانتخابات ثم الدستور.

الحلقة الرابعة: نسج الخيوط لاسقاط صدام

باجتياحه الكويت في آب اغسطس ١٩٩٠ قدم صدّام حسين للمعارضة العراقية هدية لم تحلم بمثلها. دخل نظامه في مواجهة مع الشرعية الدولية فكانت حرب تحرير الكويت وما تلاها من عقوبات.

قبل ذلك التاريخ كان الدكتور أحمد الجلبي بدأ نسج خيوط في أميركا مع الدوائر المؤثرة في صناعة القرار وسعى إلى عرقلة تسهيلات مالية كان النظام العراقي يحصل عليها لتمويل عمليات الاستيراد. بعد الغزو راح الجلبي يعمل على جبهتين، الأولى انضاج الموقف الأميركي من المعارضة العراقية، والثانية بلورة أرضية مشتركة بين اطراف المعارضة تكون مقبولة أميركياً ودولياً واقليمياً. وكانت المحطة الأبرز موافقة جيمس بيكر وزير الخارجية في عهد جورج بوش الأب على استقبال وفد عراقي معارض. لكن النقلة النوعية حصلت في عهد الرئيس بيل كلينتون.



نص الحلقة الرابعة

> دكتور جلبي، بعد انتخاب بيل كلينتون رئيسا للولايات المتحدة، كيف تابعتم الملف العراقي في عهده، وكيف تشكلت القناعة لدى الأميركيين بإسقاط نظام صدام حسين؟

- حصلت الانتخابات الأميركية بعد أقل من أسبوعين من انعقاد مؤتمر صلاح الدين. خسر بوش الأب الانتخابات لولاية ثانية اواخر عام ١٩٩٢، وفاز كلينتون. وركز برنامجه في الفترة الأولى من رئاسته على الشؤون الداخلية، وكان هناك برنامج للضمان الصحي يركز عليه مع زوجته هيلاري. وكان كلينتون يعتبر أن مشاكل العراق موروثة من عهد الرئيس بوش الأب وكان يريد أن يتخلص منها. في تلك الفترة، أدلى كلينتون بتصريح، اعتبرته زلة لسان واستفدنا منه، قال:"إذا اهتدى الانسان فنحن نصفح عنه". كلينتون كان يتحدث هنا عن صدام، وقال:"الإنسان يمكن أن يهتدي وهو على فراش الموت". وفسر كلامه بأنه كان يريد أن يتفاهم مع صدام. بالنسبة لي، كان المدخل الى كلينتون هو مارتن انديك مستشاره لشؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي وهو يهودي صهيوني واسترالي جاء الى أميركا عام ١٩٨٤، وأسس معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى. وفي أواسط الثمانينات بينما كان انديك يؤسس المعهد، قام بجولات في الشرق الأوسط للقاء مجموعات من المتبرعين لمعهده. وكان مهتما بلقاء مسؤولين وأشخاص عندهم أفكار وآراء حول منطقة الشرق الأوسط، خصوصاً من العرب. في تلك الفترة كنت في عمان، رئيسا لمجلس إدارة بنك البتراء، وكنت مدعواً لحضور حفلة زفاف في واشنطن، جاء انديك، فعرفوني به. أنا احترمته واحترمت الأشخاص الذين كانوا برفقته، وعندما زار المنطقة ساعدناه وسهلنا أمره. هكذا بدأت العلاقة معه. التقينا في عمان وتوالت اللقاءات. هو

كان مستشار كلينتون في الانتخابات، ولما صار كلينتون رئيساً عين انديك مستشاره لشؤون الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي. وعندما جاء بوش عين زلماي خليل زاد مكانه. في مجلس الأمن القومي هناك مستشارون للرئيس لمناطق مختلفة، لكن الأهم كان المسؤول عن الشرق الاوسط، وتضمنت أجندته عملية السلام.

كلينتون لم يكن مهتماً بالسياسة. أنا اتصلت به مرة وسألته عن العرض بالعفو عمن يهتدي. قلت:"هل تريدون أن تتصالحوا مع صدام"؟، أجاب:"لا". قلت له:"حسنا، يجب اذن ان تفعل لنا شيئاً بسرعة". فقال:"ماذا تريدون؟". قلت:"نحن قمنا بزيارة لجيمس بيكر، ونريد أن يلتقي وفد من المؤتمر الوطني العراقي مع مسؤولين اميركيين، على الأقل مع الوزير وارن كريستوفر". قال:"حسنا". فقلت:"اريد ان تتم في اول مئة يوم من تسلمك رئاسة الجمهورية". فاتفقنا وقمنا بزيارة لأميركا في الشهر الرابع من العام ١٩٩٣. أنا لم أكن ضمن الوفد، لكنني رتبت للزيارة. استفدنا من الزيارة لجمع الناس. جمعنا ستة أشخاص: السيد محمد بحر العلوم ومسعود بارزاني وحسن النقيب وجلال طالباني وصلاح الشيخلي وشخص آخر لا أذكر اسمه. وضعنا برنامج الزيارة. وسافرت الى واشنطن قبل سفر اعضاء الوفد.

كنت قلت لأعضاء المؤتمر:"أريد منكم موضوع محاكمة صدام. بين أيديكم تقرير للمدعي العام في الجيش الأميركي عن جرائم حرب قد يكون صدام ارتكبها في الكويت، انشروه". غبت عنهم يومين، قالوا بعدهما إنه نشر. فقلت أريد شيئا آخر، أن تقول أميركا أنها مهتمة بمحاكمة صدام. فقالوا حسنا. جاء الوفد الى واشنطن، وقابلوا كريستوفر. وخلال المقابلة مع كريستوفر، قال لهم إن الولايات المتحدة تؤيد تشكيل لجنة

في الأمم المتحدة للنظر في جرائم ضد الإنسانية قد يكون صدام ارتكبها، وإنها تنظر في الأدلة. عندها عرفت أن ما طلبته تم.

كان هذا في الشهر الرابع عام ١٩٩٣، وكان تطورا خطيرا توقعت أن بإمكاننا أن نبني عليه مدخلا مع إدارة كلينتون، وأن نجعلهم يلتزمون بهذه القضية. وفعلا هذا الشيء ساعدنا.

بعد ذلك، قابل الوفد مستشار الأمن القومي للرئيس كلينتون انتوني ليك ثم زار نائب الرئيس آل غور. كنا وضعنا برنامجا للوفد ليطرح مع آل غور التدمير البيئي الذي قام به صدام في أهوار العراق في منطقة الجنوب، وذلك على اعتبار أن آل غور مهتم بالبيئة. وتم هذا الأمر.

> أنت لم تكن مشاركا في هذه اللقاءات؟

- أنا لم اكن أشارك في هذا اللقاءات، لكنني كنت موجوداً في واشنطن.

> وتحمس آل غور ضد صدام؟

- طبعا، هو لم يتحمس فقط، بل قام بشيء كبير جداً، وقّع رسالة وأرسلها إلينا، بعدما كنا اقترحنا عليه أمراً. في ذلك الوقت كان صدام ألغى ورقة العملة من فئة الـ٢٥ ديناراً، وتسبب هذا الأمر بضجة، إذا تسبب بخسارة الكثيرين لمدخراتهم. فاقترحنا عليه أن نؤسس مجلس نقد عراقي يصدر عملة عراقية تغطيها أرصدة الحكومة العراقية التي كانت محجوزة في العالم. وقلنا له إن هذه العملة ستكون العملة المتداولة في العراق، وصدام سيحتار. طبعاً كانت خطة عظيمة، لكنهم لم يأخذوا بها. وبدلاً من ذلك كتب آل غور رسالة وجهها لي بتاريخ ٤ آب ١٩٩٣، يقول فيها إن الولايات المتحدة اهتمت بالمستوى العالي من البحث الذي حصل مع المؤتمر الوطني العراقي، وإن الرئيس كلفه بأن

ينقل إلينا أن الولايات المتحدة ستقوم بما في وسعها لمساعدتنا على مواجهة صدام وتغيير النظام.

> هذه كانت المرة الأولى التي يذكر فيها موضوع تغيير النظام؟

- أجل، والنص موجود عندي. لا اعتقد انهم قدروا حجم الالتزامات التي ترتبها هذه الرسالة عليهم. فاكتسبنا أمرين من هذه الزيارة، الأول موضوع المحاكمة، والثاني حصلنا على انطباع جيد من آل غور عن اهتمامنا بالبيئة، وبنتيجة الامرين كانت الرسالة التي ساعدتنا في اصدار قانون تحرير العراق.

في هذه الفترة طلبنا ايضاً من الإدارة الأميركية أن تسهل لنا الاتصال بالدول العربية، فحصل اجتماع مع سفير المملكة العربية السعودية لدى واشنطن الأمير بندر بن سلطان، وكان الاجتماع معه جيداً جداً. ثم طلبنا منهم أن يساعدونا على زيارة المملكة العربية السعودية، كي نكسر الطوق من حولنا الذي كان يشبه المقاطعة، فوافقوا. عاد الوفد الى لندن، ومن هناك تم ترتيب الزيارة الى المملكة العربية السعودية، وأرسل لنا المغفور له الملك فهد طائرة خاصة نقلت ١٤ من أعضاء المعارضة في قيادة المؤتمر الوطني مباشرة الى السعودية.

> في أي عام حصل ذلك؟

- في الشهر السادس عام ١٩٩٣، قبل موسم الحج، وأدينا فريضة الحج ضيوفا على الملك فهد.

ذهبت الى واشنطن وشرحت الوضع، قالوا: هذه بداية عظيمة ونحن يمكننا أن نبني على ذلك.

كنا في بداية الشهر السابع من عام ١٩٩٣، وقال الاميركيون: المرحلة التالية هي الكويت. رجعنا الى كردستان وبقينا هناك وبدأت في بناء مؤسسات المؤتمر الوطني العراقي، كنا بدأنا بإصدار جريدة في الشهر الرابع من ذلك العام ونحن في أميركا وأسسنا إذاعة وتلفزيون ومركزاً للإعلام الخارجي ومركز اتصالات مع الجيش العراقي داخل مناطق صدام وخطوطاً لشرح الوضع للداخل. كما بدأنا بتأليف كتاب عن محاكمة صدام باللغة الإنكليزية. سميناه "العدالة والمصالحة". وضمناه قرارات عدة، أولها مشروع قرار في مجلس الأمن حول تأليف محكمة لمحاكمة صدام ونظامه. أعدته مجموعة من المحامين بينهم الأستاذ كنعان مكية، ويتضمن أيضا ١٢ لائحة اتهام بحق كل المتهمين الرئيسيين: صدام حسين وأولاده وعلي حسن المجيد وعبد حمود وعزيز صالح وطارق عزيز وطه ياسين رمضان ومحمد حمزة الزبيدي وحسين كامل و٣٥ شخصاً آخرين. وهم قيد الاعتقال وتجري محاكمة بعضهم.

بعدها ذهبنا الى كردستان وبدأنا العمل من هناك، وعقدنا اجتماعات للمجلس التنفيذي للمؤتمر الوطني في كردستان.

> نحن الآن نتحدث عن المؤتمر الوطني العراقي كمظلة للمعارضة؟

- نعم، في كردستان.

> من كان يضم؟

- الإسلاميين والأكراد وكل الأطراف.

> والمرحلة التالية؟

- كان علينا أن نقيم نشاطاً مهماً. وحصلت رحلة الكويت.

> ماذا حصل في تلك الرحلة؟

- كنت آنذاك في كردستان وذهبت الى طهران ومنها جاء معي الشيخ همام حمودي ممثل المجلس الأعلى لينضم الى وفد المؤتمر الوطني لزيارة الكويت. وجاء من لندن بقية اعضاء الوفد، وكانوا ستة. لطيف رشيد وزير الموارد المائية الحالي عن الاتحاد الوطني الكردستاني وهوشيار زيباري من الحزب الديموقراطي الكردستاني وصلاح الشيخلي من حركة الوفاق الوطني والشيخ همام وأنا. كان هذا في شهر ١١. في الكويت استقبلونا استقبالاً كبيراً، وقابلنا وزير الخارجية آنذاك الأمير الحالي الشيخ صباح الأحمد.

> وكيف كان اللقاء؟

- كان اللقاء جيداً، وقلنا إن هذه خطوة مهمة علينا أن نقوم بها واننا نحترمكم. ثم قابلنا رئيس الوزراء المرحوم الشيخ سعد العبدالله وكذلك الأمير المرحوم الشيخ جابر الأحمد، ووعدونا بالمساعدة.

> أي نوع من المساعدة؟

- قالوا إنهم سيعطوننا مبلغاً من المال للمؤتمر للإنفاق على الأوضاع، ويساعدوننا لكنهم لم يساعدونا.

> إذن لم تساعدكم السعودية ولا الكويت؟

- لم يساعدونا. ساعدوا بعض أطراف المعارضة. لكنهم لم يساعدوا المؤتمر الوطني الذي كان مجموعة سياسية تمثل البديل لنظام صدام. و٩٠ في المئة من اركان النظام الحالي هم ممن كانوا أعضاء في المؤتمر الوطني العراقي.

كانوا وعدونا بمبلغ من المال لم يصلنا. أنا أنهيت الاجتماع وذهبت الى فرنسا. كان عندي اجتماعات هناك. وفي ذلك الحين، كانت وكالة الاستخبارات الأميركية منشغلة بقضية اعتبرتها خطيرة: أحضرت سفيري العراق في تونس وكندا وقالت انهما سيلجآن إليها واعطتهما ضمانات بتوفير الاقامة لهما في بريطانيا بشرط أن يعلنا التحاقهما بالمعارضة.

> حدث هذا الشيء؟

- نعم. حامد الجبوري الذي كان وزير دولة للشؤون الخارجية ومدير مكتب البكر وصدام سفير العراق في تونس، أخذوه الى إيطاليا في زورق مع أهله ثم نقلوا أغراضه الى بريطانيا. والدكتور هشام الشاوي سفير العراق في كندا، أحضروهما الى بريطانيا، وطلبوا منا أن نساعد في ترتيب مؤتمر صحافي لهما. اعتبرت الوكالة هذا الأمر إنجازا على طريقتها. أعجبهم الكلام عن أن سفراء عراقيين ينشقون عن صدام. لكن الشاوي ما لبث أن تركهم بعدما أخلوا باتفاقهم معه ورحل الى السعودية حيث لا يزال. والجبوري بقي في بريطانيا.

الأميركيون يعتقدون دائما انهم إذا فعلوا هذا الأمر، فسيصلون الى الحلقة المحيطة بصدام وسيؤثرون عليه. هذا كان هاجسهم. بعد ذلك رجعت الى كردستان. وبينما كنت في الطريق بدأ القتال بين الاتحاد الوطني الكردستاني والحركة الإسلامية في مناطق مختلفة من كردستان العراق، وعندما عدت كان القتال مستعرا. أرسل بارزاني أشخاصاً ليستقبلوني، وكان خائفاً أن يحصل لي شيء في الطريق. كان الوضع متوتراً جداً. رجعنا من إيران الى كردستان. الحركة الإسلامية كانت ضمن المؤتمر الوطني وجلال كان في زيارة خارج العراق عندما بدأ القتال، وبسرعة استطاع الاتحاد الوطني أن ينهي الوجود العسكري للحركة الإسلامية. كان رئيس الوزراء في كردستان الأستاذ كوسرت

رسول علي نائب رئيس الاقليم وهو مقاتل شجاع، قاموا بحملة إعلامية شرسة ضد الإسلاميين وأعطوا انطباعا بأن أميركا تريد القضاء على الإسلاميين. فكرت حينها بأننا في كردستان والإسلاميون جزء من المؤتمر العراقي، فكيف نسكت عن هذا الموضوع. فانتصرت لهم.

> هل أيدت الإسلاميين؟

- لم أؤيدهم، بل طلبت منهم أن لا يقوموا بأعمال مخلة باحترام قيادة الحركة الإسلامية. هم كانوا سيذهبون الى إيران، فأقنعت كوسرت بأن يطلق سراح مرشد الحركة الإسلامية الشيخ عثمان عبدالعزيز وأحد أولاده ومجموعة أخرى منهم، وأن يحضرهم الى كردستان، إلى منطقة مسعود حيث مقرنا في صلاح الدين. اقتنع كوسرت، وأرسلهم. وسألت الأستاذ مسعود، هل تستقبلهم؟ قال: طبعا، لكنني اخجل من مقابلة الشيخ. أنت استقبلهم، وخذ معك أخي. استقبلتهم وبقوا أياما في مقر ضيافة الحزب الديموقراطي الكردستاني ثم استأجرنا لهم بيوتا في صلاح الدين وفتحنا لهم مجال الاتصال بالخارج للإعلان عن بقائهم في كردستان. لم يكن عندنا موبايل بل تليفونات ساتيلايت. ثم حتى انفي لهم أن الأميركيين يريدون ضرب الحركة الإسلامية، رتبت لهم لقاء مع مندوبة وزارة الخارجية الأميركية في قاعدة انجرليك اسمها بربارة شيل التي قتلت بعد اسابيع في تحطم طائرة هيليكوبتر ضربها الأميركيون. قلت لها: أبلغيهم أن اميركا لم تطلب من احد ان يضربهم وان لا شيء ضدهم. انتعشوا. في شهر آذار ١٩٩٤ زارنا وفد مؤلف من بروس رايدل نائب انديك والين لايبسن ضابط استخبارات وديفيد ليت الذي صار لاحقا مدير مكتب شمال الخليج في وزارة الخارجية الاميركية ثم سفيراً في الامارات زارنا الوفد واطلع على الإمكانات الموجودة عندنا وأعرب عن اهتمامه ثم تم ترتيب اجتماع للوفد الأميركي مع مسعود بارزاني في

حضوري. قالوا له: نحن فرحون بالتقدم الكبير الذي أحرزه المؤتمر الوطني. مسعود بارزاني كان عضواً في مجلس الرئاسة في المؤتمر، وقالوا: نحن نريد ان نقوم بشيء لنرفع قيمة المؤتمر الوطني. قال بارزاني: اذا اردتم ان تساعدوا المؤتمر الوطني في شكل جدي في العراق، ساعدوا المؤتمر الوطني للسيطرة على الموصل، وهذا ممكن. عندها ساد الصمت وكأن على رؤوسهم الطير وانتهى الاجتماع.

التفت مسعود نحوي وقال: لقد كذبوا علينا عام ١٩٧٥ على والده في اتفاقية الجزائر وسيكذبون علينا الآن. في هذه الدقائق اتضح وضع الأميركيين تماما. عاد الوفد الى أميركا. بعدها اتى وفد من وكالة الاستخبارات الاميركية في الشهر الرابع من عام ١٩٩٤. الأوضاع كان تسير نحو التوتر بين الاتحاد الوطني والحزب الديموقراطي أي بين جماعتي جلال ومسعود. خلال هذه الزيارة لوفد وكالة الاستخبارات الأميركية تنبهنا أيضا إلى انهم لم يكونوا يعرفون ماذا يجري في كردستان وكانت مفاجأتهم كبيرة بعدما رأوا وضع المؤتمر وقيمتنا ووجودنا وإمكانياتنا في كردستان، ولم يكونوا يتوقعون هذا. وبدأوا يخافون من أن يخرج هذا الأمر عن سيطرتهم. ومنذ ذلك الحين توقعت أن تحصل مشاكل مع الـ"سي آي أي". في بداية الشهر الخامس من عام ١٩٩٤ بدأت المعارك بين الاتحاد والحزب وكانت هذه الطامة الكبرى بالنسبة لي وللمؤتمر وللمعارضة العراقية. تصديت فورا لهذا الامر، ونجحت في وقف القتال. عندها اتصل بي ضابط مسؤول من الـ"سي آي أي". سألني: ماذا تفعل؟، فأجبت: اعمل على وقف القتال. قال: هذا ليس من شأنك. قلت له: هذا شأني. نحن في كردستان وهذا مقر العمل السياسي والعسكري لإسقاط صدام، وإذا حصلت حالة حرب بين القوى الكبرى المنتمية الى المؤتمر الوطني في كردستان فنحن لن نفلح.

هذه قضية مصيرية بالنسبة إلينا أن يتوقف القتال لنتمكن من استئناف أعمالنا.

> وأقفلت الهاتف؟

- نعم. وبعد أسبوع نجحنا. طلبت الأطراف الكردية منا أن نقيم نقاط سيطرة للمؤتمر الوطني على الطرق، وأعدوا وثيقة في ما بينهم في مقر مسعود بارزاني. وطلب الطرفان رسمياً من المؤتمر أن يقوم بهذا الدور. سمع الأميركيون بالأمر، واتصل بي من وزارة الخارجية رونالد نيومان الذي صار لاحقاً سفيراً في أفغانستان. قال لي: هناك رسالة لك من بيتر تارنوف وكيل وزير الخارجية الأميركية للشؤون السياسية. سألت: ما هو القرار. قال: أريد أن أرسل إليك الرسالة، فأجبته: لا يمكنك أن ترسلها الى هنا، أرسلها الى مكتبنا في لندن وهم يرسلونها لي. وصلت الرسالة وفيها: نحن نثمن دور المؤتمر الوطني العراقي، ونكلفه بنقل وجهة النظر الأميركية الى الأطراف الكردية لمنع القتال بينها.

> هل هذا يعني أن موقف الاستخبارات كان مختلفاً عن موقف الخارجية؟

- نعم. ارادوا أن يشعروا الأكراد بأن القضية مهمة لأميركا. أخذت الرسالة الى الأستاذ مسعود، وقلت له هذه الرسالة، فقال: أنا مستعد أن أتعاون معك بالكامل. ثم ذهبت الى كوسرت، فقال كذلك نتعاون معك بالكامل. ماذا تريد؟ في ١٣ من الشهر الخامس، انهينا الاشتباك بين الطرفين. بعد هذا عاد جلال طالباني من الخارج، ورتب المؤتمر الوطني العراقي أول اجتماع بين مسعود بارزاني وجلال طالباني في اربيل بعد الاشتباكات بينهما في الشهر السادس عام ١٩٩٤. بعد ذلك، دعاهم الأتراك للاجتماع بهم، ولم يهتموا بالمؤتمر.

> يعني أن الأتراك لم يكونوا يريدون الحديث مع المؤتمر الوطني؟

- لأن المؤتمر الوطني كان يطالب بإسقاط صدام. كما أنهم كانوا يتعاملون مع الأكراد كأكراد وليس كطرف رئيسي في المعارضة العراقية لإسقاط صدام.

> تركيا كانت تريد أن تتحاور معهم بصفتهم أكراداً؟

- بالضبط، وليس كقياديين في حرب عراقية لإسقاط صدام. وطبعا الأتراك كانوا يتعاملون معهم ويساعدون الحزب الديموقراطي الكردستاني بالسلاح والمال والرجال لمقاتلة حزب العمال الكردستاني في العراق. صرفنا الوقت في هذا المجال.

أريد أن أشير إلى شيء أغفلته سابقا. في خريف عام ١٩٩٣ ذهبت الى واشنطن. حصل اجتماع معي حضره ١٥ مسؤولاً أميركياً من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ومجلس الأمن القومي وال"سي آي أي". طلبوا مني أن اعرض خطة لإسقاط صدام. كنت وحدي وقدمت لهم خطة المدن الثلاث: الموصل - البصرة - بغداد. تحرك عسكري - سياسي - إعلامي تقوم به قوى المعارضة بالاشتراك مع قوات موالية لنا داخل الجيش العراقي بمساعدة الغرب لإسقاط صدام.

> ماذا تعني بمساعدة الغرب هنا؟

- مساعدات عسكرية ومالية وتوسيع منطقة الحظر الجوي لحماية خطة المدن الثلاث. اخذوا الخطة ولم نسمع شيئا في ذلك الحين.

كان الأميركيون يصرون علي أن آتي الى واشنطن. ذهبت الى لندن في آب ١٩٩٤ ومن هناك الى واشنطن، بقيت ستة أيام في واشنطن اجتمعت

خلالها بـ٣٧ موظف أميركي من جميع أقسام الإدارة المتعلقة بالسياسة الخارجية. كانوا يستغربون كيف نجحنا في وقف القتال في كردستان.

زارني المسؤول الخاص بالعراق في الـ"سي آي أي"في واشنطن، قال:"نريد أن نحرك الأمور، ونريدك أن تعود الآن الى العراق، لأن وفدا من الكونغرس من لجنة الاستخبارات ومجلس الشيوخ الأميركي سيزور المنطقة ليطلع على ما نفعله". قلت:"حسناً". فأضاف:"سأعرفك على نائبي وهو يستطيع أن يحرك الأمور، وعندي ثقة كاملة به. تعرفنا إليه وكان اسمه بوب بير. رجعت الى كردستان في أول الشهر التاسع، ووصل وفدان، أحدهما من وزارة الخارجية بقيادة ديفيد ليت، ومعه سفير تركي مسؤول عن العلاقات الاميركية - التركية في وزارة الخارجية التركية، والآخر من الـ"سي آي أي".

> هل جاؤوا دفعة واحدة؟

- كلا، كل مجموعة لوحدها، وجاؤوا في أوقات مختلفة. لكنهم وصلوا جميعا في خلال ٤٨ ساعة.

> هل اجتمعتم كلكم في وقت واحد؟

- كلا، لم يجتمعوا مع بعضهم. في البداية كان الاجتماع مع وفد الكونغرس، ثم اجتماع مع الـ"سي آي أي". الأتراك لم يكونوا مرتاحين للـ"سي آي أي".

وفد الكونغرس جاء بالطائرة وبوب بير جاء مع فريقه بالسيارة من تركيا. اهتم وفد الكونغرس بالوضع جدا. وذهب بير من الـ"سي آي أي" الى جلال ومسعود، وكنت معه. عقد اجتماعا منفردا مع كل منهما. قال لهما إن حكومة الولايات المتحدة قررت أن تسقط نظام صدام.

> في أي شهر كان هذا؟

- في بداية أيلول ١٩٩٤. اجتمع مع جلال ومسعود في حضوري، وسألهما:"هل انتما مستعدان للتعاون مع احمد الجلبي في هذا المجال"، فأجابا:"نعم. نحن نرحب بذلك". فرح الاميركيون بذلك. ثم طلب وفد الكونغرس أن نذهب الى منطقة الحدود مع الجيش العراقي. كانت لنا نقاط أمامية مع الجيش العراقي الذي كان في حالة معيشية سيئة، حتى الطعام لم يكن متوفراً لديهم. كنا على علاقات طيبة مع المواقع الأمامية للجيش العراقي. وصلنا الى منطقة النهر الفاصل بيننا. الجماعة في الطرف الثاني من النهر أصحابنا. فسألت الأميركيين:"هل تحبون أن تعبروا الى الطرف الثاني من النهر؟"، فأجابوا:"كيف يعني؟". قلت:"أن تعبروا وتروا الناس"، فسألوا:"بهذه السهولة؟". أجبتهم:"نعم". فقالوا:"فلتعبروا أنتم ونحن سنتفرج". قال أحدهم وكان مسؤولاً عن لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ اسمه كما اذكر كريس براود:"هذا ليس مهماً". أجبته:"يمكننا أن نعبر حتى ستين كيلومتر من دون مشاكل كبيرة". اهتموا كثيرا بهذا الموضوع، وكتب لي وفد الكونغرس رسالة بعد ذلك.

براود قال:"أنا تابعت العمليات الأميركية منذ سنوات، لم أشهد شيئا بهذا الحجم وبهذه الإمكانيات المتواضعة". الإذاعة عندنا كان ارسالها ٢٥ واط في السابق، أحضرنا المهندسين وطورناها. أنشأنا مقرا للتلفزيون على جبل كوراك، وصار البث يصل حتى الموصل. صار حجمنا اكبر بكثير مما توقعه الاميركيون.

غادر وفد الكونغرس ومعه وفد ال"سي آي أي". قالوا إنهم سيرسلون وفداً ليبقى في شكل دائم في كردستان. في هذه الأثناء حصل وقف لإطلاق النار في كردستان. لم يكن عندنا امكانية أن نترك ١٢٠٠ مراقباً

على الطريق، فانسحبنا. لم يساعدنا الأميركيون، ولاحقاً عرفت أن من لم يساعدنا كان جورج تينيت الذي صار لاحقاً مدير الـ"سي آي أي"، وكان آنذاك مسؤول التنسيق بين البيت الأبيض والاستخبارات. قال إن القانون لا يسمح لهم بمساعدة المؤتمر الوطني العراقي بهذه الطريقة، وأن ليس من مهمتنا نحن وقف القتال بين الأكراد. كانوا خائفين أن يصبح وضعنا قوياً ويعطينا شرعية، وأيضا كانوا خائفين من صدام. إدارة كلينتون لم تكن تريد أي اشتباك مع صدام.

في هذه الفترة، كنا بنينا جهاز اتصالات كامل، وكانت تصلنا تقارير عن أن صدام يسحب الدبابات والوحدات العسكرية من الشمال في اتجاه الكويت، وبقينا نقول للأميركيين إن صدام يتجه الى الكويت، لكنهم لم يهتموا.

في يوم من الأيام أصدرنا بيانا نشرته وكالة"رويترز". وفيه قلنا إن صدام يتجه نحو الكويت، وإن قوات مدرعة من الحرس الجمهوري صارت على مسافة ٣٠ كلم من الحدود الكويتية. في اليوم نفسه اتصلوا بنا من وزارتي الدفاع الأميركية والبريطانية ومن الحكومة الكويتية، ليهزأوا مما قلناه. ثم بعد ١٢ ساعة أعلن كلينتون انه سيرسل ٥٠ ألف جندي أميركي الى الكويت لأن صدام يهدد بغزوها. وزار الكويت وزير الدفاع الأميركي آنذاك وليام بيري، أراد أن يقيم منطقة آمنة في جنوب العراق بمحاذاة الكويت حيث كنا نتمنى أن يكون لنا مقر، لكن توني لايك مستشار الأمن القومي لم يوافق على ذلك. وصدر قرار من مجلس الأمن يفرض المنطقة الآمنة في جنوب العراق.

> هل أشار إلى مسألة الدبابات؟

- لم يتضمن شيئاً عن الدبابات أو عن القوات البرية. نحن طبعاً كنا على اتصال مع المعارضة المقاتلة في جنوب العراق، وكانوا يطلعوننا على مجريات الأمور، وكنا نساعدهم وننقل أخبارهم، ونريد أن ننقل العمل الى كل أنحاء العراق. كان لدينا اتصال مع بغداد وكنا نرسل أشخاصا من كردستان. عقدنا اجتماعات وحضرنا أنفسنا لنستولي على المناطق القريبة منا بسبب سهولة ذلك وفي اتجاه إسقاط صدام.

أرسلت الـ"سي آي أي"وفداً الى كردستان. بقي فترة بسيطة ثم غادر في فترة عيد الشكر الى أميركا، وبعد اقل من شهر عادت الاشتباكات مرة جديدة بين الحزب الديموقراطي والاتحاد الوطني الكردستاني. كانت اشتباكات واسعة، ونحن انسحبنا من التوسط بينهما. احتدمت المعارك في شكل كبير وأعلنت إيران أنها سترسل وفدا للتوسط بين الطرفين. عندها قلت لديفيد ليت:"كلموني عبر الهاتف". قال لي:"هل يوقف الأكراد القتال بحيث أنني عندما أصل يكون القتال انتهى؟". قلت له:"ماذا تريد؟". فأجاب:"أريد منهم إعلانا بذلك فقط". كتبت الى مسعود وجلال منفردين، وكل منهما رد خطيا بأنه مستعد لوقف القتال. اتصلت بديفيد ليت وأخبرته بذلك، فأجابني بأنه سيصل خلال ٢٤ ساعة. جاء مع وفد الـ"سي آي أي"ومعه بوب بير والسفير التركي المسؤول. صار ليت يجول بين منطقتي الطرفين حتى يتحدث معهما وطلب مني أن أضع حراسا على طول الطريق. تحدث معهما، وعاد يقول:"نحن مقتنعون بأن تضع أنت خطة لوقف القتال وحكومة الولايات المتحدة تلتزم معك بتأييد هذه الخطة". سألته كيف؟، فأجاب:"لك كل ثقة الولايات المتحدة ورصيدها، واعتبر هذه الشهادة رصيدا في حسابك". وقال انه ابلغ مسعود وجلال انه سيتصل بهما من خلالي. كان هذا في

نهاية الشهر الأول من العام ١٩٩٥. عاد الى واشنطن وعقد اجتماعاً في شباط ١٩٩٥ في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، حضره ديفيد ليت. تحدث عن أشياء كثيرة وأشاد بدور المؤتمر ولم يذكر شيئا عن الالتزام بدعم الولايات المتحدة لخطته في الاجتماع، وبعدها لم نسمع شيئا منه.

الحلقة الخامسة: وكالة الاستخبارات الأميركية و ضبط حركة المعارضة العراقية

يروي الدكتور أحمد الجلبي رئيس"المؤتمر الوطني العراقي"في هذه الحلقة قصة العلاقة الصعبة مع وكالة الاستخبارات الأميركية ال"سي اي اي"التي كانت تحاول ضبط حركة المعارضة العراقية لإطاحة صدام والتي كادت أن تتعثر بسبب الاقتتال بين الفصائل الكردية. كما يكشف قصة المرأة التي استقبلها صدام حسين، بناء على طلب نجله قصي، وكلفها اغتيال الجلبي بالسمّ.

نص الحلقة الخامسة

> هل تغير الموقف الأميركي في اتجاه إسقاط صدام؟

- في نهاية الشهر الأول من العام ١٩٩٥، جاء وفد الـ"سي آي أي"وأقام في مقر كردستان. في تلك الفترة كنا في المؤتمر الوطني أسسنا مجموعات من القوات وأجرينا الاتصالات بضباط عراقيين من الفيلق الخامس الموجود في الموصل والذي كانت وحداته منتشرة في منطقتي اربيل ودهوك. وكان التحق بنا في تشرين الثاني نوفمبر ١٩٩٤ اللواء الركن وفيق السامرائي الذي كان مدير الاستخبارات العسكرية العراقية. اجتمعت به ووضعنا الخطة التي تحدث عنها بوب بير في أيلول، حين قال للأكراد إن أميركا تريد إسقاط صدام وتريد أن تتعاون مع أحمد الجلبي. واجتمعت مع مسعود وجلال في بيت جلال في ١٣ أيلول سبتمبر عام ١٩٩٤، وأخبرتهما عن هذه الخطة. وحضرت ورقة فيها جزء سياسي وإعلامي وعسكري وأرسلت نسخة منها الى السيد محمد باقر الحكيم في طهران.

> وهل كانت تقوم على انقلاب عسكري؟

- كلا. كانت تقوم على حركة سياسية.

> هل كانت هذه خطة المدن الثلاث؟

- تقريباً، لكن مطوّرة، على أساس أن يصير تحرك في الجنوب أيضا. أرسلت الخطة الى السيد الحكيم، وأرسل الدكتور عادل عبدالمهدي نائب رئيس الجمهورية الحالي مندوباً عنه وبحثنا الخطة معه في كردستان في شهر أيلول أيضاً. ولما جاء وفيق السامرائي طوّرنا الحديث

عن الخطة. هو كان يعرف الضباط من الاستخبارات العسكرية. أرسلوا الرسائل وأجروا اتصالات مع مجموعات كانت في منطقة سامراء.

> هل كان هناك دعم من ال"سي آي أي"؟

- أبداً. حصلت حادثة في ١٢ شباط فبراير ١٩٩٥. إذ هاجمت مجموعة من"فيلق بدر"فوجاً عراقياً في منطقة العمارة. أسروا ٣٢٠ شخصاً ثم تركوهم. أحدثت هذه العملية ضجة كبيرة. جاء بوب بير، فسألته عن الموقف الأميركي من العملية. فسألني:"هل سمعت أن أميركا ادانت العملية؟"، قلت: لا. فقال:"هذا يعني أننا موافقون". كنت أريد فرصة لنا للقيام بشيء. إذ أنه كانت مضت ثلاث سنوات على تأسيس المؤتمر، ومنذ ذلك الوقت كان عملنا مقتصراً على الكلام والدعاية والاعلام، ولم نكن قمنا بعد بأي حركة حقيقية ضد صدام. أردت أن أقوم بشيء لأن الناس صارت تتململ والأحزاب السياسية لم تر أي نتيجة. وكلما أعلن بير أن أميركا تريد هذا، لم اكن أناقشه. مع علمي أن الكثير من كلامه مبالغ فيه، وان ليس عنده القدرة على الوفاء بما يقول. لكنني لم أكن أناقشه.

> ماذا كان منصبه؟

- كان ممثل ال"سي آي أي"في كردستان. كان يتكلم بهذه الطريقة، ورئيسه كان قال لي أن اعتمد عليه. فكان يتردد علي كثيرا، الى أن حضّرنا أنفسنا. الأكراد كانوا يقاتلون. طلبت من بير أن يذهب معي للقاء جلال ومسعود لنقول لهما إن أميركا تؤيد هذه الحركة. وبالفعل ذهبنا. لم يقبل جلال المجيء الى اربيل. وكان القتال دائراً، ولم يرد أن يبدو أنه جاء ليسجل موقفا. فذهبنا نحن إليه، وكان ذلك خلال شهر رمضان وجلال كان صائما. قال بوب بير إن"أميركا تريد أن تقوم بعملية وقواتكم يجب

أن تشارك وهذا احمد الجلبي المسؤول عن الموضوع". اتسم الموقف بالشدة. قلت له:"جلال افطر واطلب منهم أن يعدوا لنا الغداء". أجابني جلال:"وأنت تتحمل الذنب؟". قلت له:"اتحمل الذنب"، فقال:"أحضروا الغداء". تناولنا الغداء ووقعنا على الاتفاق. وقع جلال عن الاتحاد الوطني وأنا عن المؤتمر الوطني، وتقرر بموجبه أن توضع القوات كافة تحت تصرف المؤتمر في العمليات العسكرية لإسقاط صدام.

بوب بير قال:"أنا اشهد على الاتفاق، لكنني لن أوقعه". قلت:"لا أريد منك أن توقع. هذا ليس شأنكم، هذه مهمتنا، وانتم عليكم أن تساعدونا". طبعاً لم تكن هناك مساعدات، وكنت اعرف أن لا شيء بيده، ولو كانت أميركا تريد أن تقوم بشيء جدي، لكانت تصرفت بطريقة مختلفة عن هذه الطريقة.

بعدها ذهبنا إلى مسعود، وكان يوجه الأسئلة لبير، وبدا أنه منزعج منا، لأنه عندما كانت تصير مناوشات، كان بير يشتم الطرفين ويصدر اليهما الأوامر. انزعج منه مسعود. كان يسأل أسئلة محددة، وبير يرد عليه بقسوة، فيجيبه مسعود بحدة، لكنه قال: أنا التزم. قلت لمسعود: إننا سنضع اتفاقا. فجاء المرحوم سامي عبدالرحمن، واحضر مسودة بخط يده بصيغة مشابهة لتلك التي وقعناها مع جلال.

> وعليها توقيع مسعود؟

- لم يكن مسعود وقع عليها بعد. هذا كان في نهاية شباط ١٩٩٥. اتصلت بالسيد محمد باقر الحكيم في طهران، وقلت أريد أن ترسل لي مندوبين رفيعي المستوى من عندك. فسألني عن الذي يحصل. وأجبته بأنني لن أتحدث عبر الهاتف، فالقضية خطيرة. جاء مندوبان من عنده، أذكر انهما كانا الشيخ همام حمودي والشيخ أبو علي المولى، واجتمعا ببوب

بير وبالوفد الذي كان معه. دام أول اجتماع سبع ساعات. همام بقي، وقال:"اقتنعنا ونحن سنتحرك". اصدروا توصية الى السيد الحكيم بأنهم سيتحركون عندما نتحرك نحن. الإيرانيون صاروا يتراسلون في ما بينهم بأن هناك خطة يتم تنفيذها، أسموها خطة بوب. هذا ما عرفناه لاحقا.

الإيرانيون كانوا يتبادلون الرسائل في ما بينهم من دون تشفير. عرف الأميركيون بالاتصالات، وقال لنا انتوني ليك مستشار الأمن القومي:"انتم تخططون للقيام بعملية ضد صدام؟ لماذا لم تخبرونا لنحضر أنفسنا عسكريا؟".

> من هي الجهات التي كانت تجري بينها المراسلات الإيرانية؟

- بين إيران وكردستان، وداخل إيران. انتوني ليك طلب مسؤول ال"سي آي أي"، وكان اسمه رختر، ووبّخه، وقال له:"ماذا تفعلون؟"أجابه الأخير:"نحن عندنا توجيه". فرد ليك:"ليس عندكم شيء. أوقفوا الموضوع".

كنا نريد أن نبدأ العمليات مساء ٤ آذار مارس. قبل يوم من هذا التاريخ أخذت وفيق وذهبنا إلى كوسرت في اربيل، وأعلنا عبر التلفزيون أننا مستعدون للانقضاض على صدام. كان صدام يسمع هذه الأمور فتخيفه وتخيف جماعته، لكنه لم يكن قادراً على القيام بشيء. نحن كنا نعلن هذا في التلفزيون والراديو وكانت هناك حركة للسيارات والجيش وفي اربيل. جمعنا ١٦ ألف مقاتل، والأحزاب العراقية الأخرى. صدام كان عنده الكثير من الأخبار التي تأتيه عبر جواسيسه الكثر، لكنه لم يقدر أن يفعل شيئاً.

في التاسعة صباحاً وقبل أن نبدأ التحرك، جاء بوب بير ومعه شخص الى بيتي وكان وفيق حاضرا. دخل بير فسألته:"هل جاءتك الرسالة؟". قال:"أي رسالة، وكيف عرفت؟". قلت له:"أتوقع أن تأتيك رسالة". فأجاب:"وصلت الرسالة".

> بوقف كل شيء؟

- لم تقل وقف. الرسالة كانت من مستشار الأمن القومي الأميركي الى احمد الجلبي ومسعود بارزاني وجلال طالباني. وفيها أولاً: أن"العمل الذي تنوون القيام به خلال نهاية الأسبوع اصبح مكشوفاً وهناك خطر الفشل. ثانياً: إذا قررتم القيام به فأنتم تقومون به على مسؤوليتكم كعراقيين". فقلت لبير:"شكراً، هيا اذهب الله معك". قال:"إلى أين أذهب؟". قلت له:"أنت لا دخل لك". قال:"نريد أن نعرف". قلت له:"هذا الأمر نحن مسؤولون عنه كعراقيين". قال لي وفيق:"كيف تحدثه هكذا". فرددت على بير:"ارحل، وسأبلغك بما سيحصل".

خرج بير، واتصلت بجلال وقال لي:"هل جاءتك الرسالة من الأميركيين؟". قلت له: أجل. فسألني: وماذا سنفعل؟. أجبته: نحن عراقيون، وهم قالوا إن الأمر على مسؤوليتنا. وفعلاً صار الاميركيون يبثون إشاعات عنّا. الـ"سي آي أي"وزعت اخباراً في الصحافة الأميركية ان احمد الجلبي قام بمحاولة انقلاب فاشلة. وحركوا ضدنا جماعات أخرى ممن يعملون معهم. كان عندهم العميد عدنان محمد نوري ممثل حركة الوفاق في كردستان. صار يتحرك ضدنا، وكانوا يكلفونه بقضايا ويشترون الرشاشات من الجنود.

> وماذا فعلتم أنتم؟

- نحن هجمنا على الفرقة ٣٨، أخذنا مقر كل فوج من كل لواء من الفرقة.

> وأين كانت هذه الفرقة؟

- بين الموصل واربيل. الأفواج من اللواء ٨٤٨ واللواء ٨٤٧ واللواء ١٣٠. كل الأفواج أخذناها وأخذنا مقر اللواء ٨٤٧. سأروي حادثة حصلت، في منطقة بير داود كان يحصل إطلاق نار لمدة ربع ساعة، وبعدها يستسلمون. صار عندنا ٧٨٠ شخصاً، ولجأ الينا قسم من أمراء الأفواج، كما قتل أحد أمراء الألوية. أتينا بمدافع ميدان عيار ١٢٢ ميلليمتراً و٨٠٠ قذيفة. وأتينا بـ٤ آلاف رشاش بندقية و١٣٠ رشاشاً ثقيلاً ومتوسطاً وأكثر من ١٥٠ مدفع هاون. الفرقة راحت كلها، الى أن بدأ القتال من جديد بين الأكراد، فتوقفت العملية. استمرينا ١٢ يوماً وهذا سبّب قلقاً حقيقياً لديهم. الأميركيون صاروا يبثون الإشاعات، وأبلغوا صدام بأن هناك مؤامرة لاغتياله.

> الأميركيون هم الذين ابلغوه؟

- نعم.

> بواسطة من؟

- بواسطة دولة عربية. قالوا هناك محاولة لاغتيالك. سحبوا بوب بير بعد أداء العملية وصاروا يحققون معه، ويسألونه: هل أعددت مؤامرة لاغتيال صدام؟ الـ"اف بي آي"حققت معه بواسطة جهاز كشف الكذب. وعندما شعر صدام بأن لا دخل للأميركيين بهذه العملية ارتاح.

وقع الاشتباك بين الأكراد وتوقف القتال بيننا وبين صدام. حصل هذا في نهاية الشهر الثالث من عام ١٩٩٥. في هذه الأثناء كانت العلاقات توترت بيننا وبين ال"سي آي أي"والإدارة الاميركية. وبقيت أنا في كردستان أعالج تبعات هذا الأمر. كان هناك ٧٨٠ شخصاً من الضباط العراقيين الذين كنا نؤمّن معيشتهم، كانت مسؤولية كبيرة. قسم كبير منهم لم يعودوا واتصلنا بالصليب الأحمر. في النتيجة صار هناك تبادل وحصل لهم الصليب الأحمر على ضمانات وأعادوهم الى العراق.

دعانا الأميركيون الى اجتماع. في ٢١ أيار مايو ذهبت الى لندن. وجاء وفد من واشنطن، كان ضمنه شخص اسمه مارك باريس وبروس ريدل وشخص من الخارجية وضابط من ال"سي آي أي"ومسؤول في مجلس الأمن القومي. قالوا: نريد أن نتفاوض على تحركنا في المستقبل.

قام انتوني ليك بإبلاغ كلينتون بأنني أريد أن أجرّ أميركا قسراً الى حرب. فقلت له: أنا تصرفت بحسب ما أراه في مصلحة العراق بإسقاط صدام، واستعملت القوة الموجودة وأنتم على علم بذلك. شرحت لهم بعض القضايا. كان ضابط ال"سي آي أي"خائفاً أن ينكشف أمرهم. قال باريس الذي كان رئيس الوفد: نحن كنا قررنا أن نقطع العلاقة معك، لكن الآن يجب أن تستمر العلاقة. قلت له: انتم خذلتمونا في كردستان، وأنا الآن سأبقى هنا ولن أعود الى كردستان. قالوا: عليك أن ترجع. قلت: لا أنا سأبقى هنا. رجعوا الى أميركا وظلوا يتصلون بي. واشتدت المشاكل في كردستان بين الأطراف الكردية وأنا في لندن. ثم عينوا شخصاً اسمه بوب دودج الذي صار مدير مكتب شمال الخليج في وزارة الخارجية الأميركية. وأول مهمة له كانت التوصل الى اتفاق سلام بين الأكراد. اتصلوا بي وقالوا لي إن دودج سيذهب الى كردستان ويجب أن أكون حاضرا لأنني أعرف كيف تجري المفاوضات. قلت لهم لن اذهب، فقالوا:

يجب أن يراك. قلت لهم: فليأت الى لندن، وسأراه. وبالفعل ذهب الى كردستان وبقي ثلاثة أيام ولم يفهم شيئا فرجع على أساس أن يبقى أسبوعين. جاء إلى لندن، واجتمعت به في المطار في لندن، ثم خرجنا وتناولنا الغداء. قال:"نريد أن نعقد اجتماعاً بين الأطراف الكردية، أين تقترح؟"، قلت له:"في أميركا". قال: لا، في أوروبا. لكن كل الدول الأوروبية فيها أكراد وكان هناك تخوف أن تحصل تظاهرات. قلت له:"في البرتغال لا يوجد أكراد". قال:"والله فكرة جيدة". غادر ثم ارسل برقية جاء فيها ان البرتغال لم توافق، وأن الاجتماع سيكون في ايرلندا. فقلت له إن وفداً من المؤتمر الوطني سيشارك. هذا الكلام كان في شهر آب أغسطس ١٩٩٥. شكلنا وفدا من المؤتمر ضم المرحوم هاني الفكيكي وتوفيق الياسري وأنا. ذهبنا الى بلدة صغيرة اسمها دروغيدا في ايرلندا. في هذه الفترة ظهر ضابط كبير في الاستخبارات التركية اسمه محمد ايمور. كان رجلاً محترماً، لاحقاً حصلت له مشكلة سياسية في تركيا وسافر الى أميركا، واعتقد أنه رجع الآن. هذا كان الشخص الثاني في الاستخبارات التركية. جاء الى كردستان، واطلع على وضعنا، وقال: يجب أن نتعاون ودعاني. كنت دائما اذهب الى كردستان عن طريق إيران، ولما صارت العلاقة مع هذا الشخص صرنا نذهب عن طريق تركيا ويستقبلوننا ويسهلون أمورنا. وكان له الفضل لاحقاً عندما أنقذ جماعتنا سنة ١٩٩٦ من سجن صدام.

اتصلت به ليشارك في الاجتماع. لكنه قال إنه لا يشارك اذا لم يتلق دعوة. قلت له: أنا أدعوك. ولما وصل فوجئ الحاضرون من وزارة الخارجية التركية، ومنعه الأميركيون من الدخول الى الاجتماع. غضب وقال: كيف تأتي بي الى هنا؟ ذهبت الى مسؤول ال"سي آي أي"وقلت له: اخبرهم في مجلس الامن القومي أن يرفعوا الاعتراض عن الضابط التركي وإلا فالاجتماع سينهار، وسيتأثر وضعنا هناك وعلاقتكم انتم بتركيا.

فقال:"هذا يخيف الأكراد". قلت:"هذا هو المسؤول عن المنطقة فعليا، وهو الذي يدير الوضع مع التركمان ووضع تركيا معنا. ما الذي تريده أنت". قال:"يجب أن ننتظر حتى يستيقظوا من النوم". فقلت:"هذا لا يهمني". اتصل بهم الساعة ١٠ صباحاً، وأخذ الموافقة وحضر الضابط التركي اجتماع العصر وساعدنا. ووقعنا وثيقة بالإنكليزية بين الطرفين الكرديين. كان هناك هوشيار زيباري وفؤاد معصوم وسامي عبدالرحمن ووقّعها بوب دويتش عن الخارجية الأميركية، ومندوب الخارجية التركية ووقعتها أنا عن المؤتمر الوطني. هذه الوثيقة حملت تواقيع خمسة أطراف. وفي اليوم الذي وقعناها فيه هرب حسين كامل الى الأردن في ٨ آب ١٩٩٥.

> هروب حسين كامل كان بالتنسيق مع من؟

- أبداً. حصل خلاف بين حسين كامل وعدي على الأموال وتهريب السيكار.

> كيف حصل خروج حسين كامل؟

- حسين كامل تعارك مع عدي. ومن يتعارك مع عدي يخاف منه، فأخذ عائلته وهرب الى الأردن. حسين كامل اعتقد أن بمقدوره أن يلجأ الى الأميركيين ويقود الوضع، لكن لم يكن هناك تنسيق. أنا الذي أبلغت مسؤول العراق في ال"سي آي أي"عن ذلك. وخلال وجودهم في الاجتماع دخلت عليهم وقلت لهم: يا إخوان حسين كامل هرب الى الأردن. وقف مسؤول العراق في مكانه، ثم خرج واتصل بعمان، عاد بعدها ليقول: صحيح، وعلي أن أغادر في الحال. قلت له: الله معك اذهب.

لتنفيذ الاتفاق بين الاكراد كان يجب أن يحصل اجتماع ثان، قرروا أن يعقدوه في ايرلندا أيضاً، لكن هذه المرة في دبلن في الشهر التاسع. وصار شيء دراماتيكي. اخي حسن كان عنده بيت في لندن، وبيت أختي رحمها الله جدة السيد مجيد الخوئي وأنا كنت معهم وكان يوم سبت. رن الهاتف في السيارة. وكان المتصل فؤاد أيوب سفير الأردن. في منزل أيوب، التقيت الملك حسين وكان يعتقد ان اسقاط صدام بانقلاب امر متعذر.

بعد الاجتماع بيوم واحد، ذهبنا الى ايرلندا. هناك كان الاجتماع فشل بعد خلاف الأتراك مع الاتحاد الوطني. أخذ ممثل الاتحاد شروان مصطفى موقفا شديدا من الأتراك، والأتراك اخذوا موقفا على خلفية حزب العمال. اتصلت بالأستاذ جلال الذي كان في سورية، وكان موقفه متشددا في ذلك الحين. وفشل الاجتماع.

رجعنا الى لندن واتصل الأميركيون، وقالوا: عليك أن تذهب الى كردستان، ثمة مشاكل وبوب دويتش ذاهب الى هناك. أبلغتهم أنني سألاقيه في كردستان. وبالفعل ذهبنا، وحصلت اجتماعات مع دويتش مدير دائرة شمال الخليج في وزارة الخارجية الأميركية العراق وإيران في الشهر العاشر. وكان في اليوم الأول من الشهر العاشر وقع انفجار دبرته المخابرات العراقية على مقر الأمن للمؤتمر الوطني العراقي، قتل فيه ٢٨ شخصاً. كان من المفترض أن أعود الى كردستان في ذلك اليوم قبل وقوع الانفجار، لكنني تأخرت.

> هل كنت أنت المستهدف في هذا التفجير؟

- اعتقد ذلك. حصل الانفجار، وقتل عندنا ضابط شرطة كردي مهم في بغداد اسمه سيف سندي. هو كان في بغداد والتحق بنا وصار مدير أمن، وكانت لديه معرفة واسعة بوضع بغداد.

هو كان كشف مرة محاولة لاغتيالي بالسم في الشهر التاسع من عام ١٩٩٤. في أحد الأيام أحضر امرأة وقال لي إنه سيجندها للعمل معنا، فوافقت. كانت شقيقة زوجة ضابط استخبارات في كركوك، وقال إنها ستأتينا بمعلومات. وصار يبلغني أخباراً عن نشاطها. ثم أحس زوج اختها بشيء، فسألها: هل تعرفين المؤتمر العراقي؟ فقالت: نعم. فطلب منها أن تأتي إلينا وتجلب له أخبارنا، ووعدها بأن يتحسن وضعها.

جاءت الى سيف، وصار يعطيها بعض المعلومات التي أعجبتها، فأرسلها الى مدير المخابرات في تكريت الذي طلب منها معلومات اخرى. قلت لهم: أعطوها ما تريد. فبدأ وضعها بالتحسن، الى أن وصلت الى شخص اسمه الحاج عبد علي المجيد شقيق علي حسن المجيد وابن عم صدام. كان معاون مدير المخابرات في بغداد. ذهبت إليه، فكلفها بقضية، وطلب منها أن تعمل الى جانبي، وقال لها:"جيبي لنا شريط عن مؤتمر صلاح الدين". أعطيناها الشريط، وأوصلته إليه، فدب فيهم القلق. وفي النتيجة عرفوا أنها قريبة مني. وطبعا أنا لم أكن أعرفها. أرسلوها الى قصي. وذات يوم جاء سيف، وقال لي: جاءت هذه المرأة ومعها هدية لك، وأريدك أن تراها. وافقت. جلست معها في المكتب في حضور سيف. سألتني إذا كنت أعرف قصتها، فقلت: اعرف. ثم روت لي ما حصل معها. قالت: قصي أخذني الى صدام. عندما سمعت بذلك جفلت، وصرت أسألها عما كان يرتديه صدام، فترد فوراً. لم تكن تتردد وتجيب عن أشياء لم أتوقعها، صارت عندي ثقة بصحة كلامها. سألتها عما قاله صدام. قالت: قال لي عندي صداع اسمه احمد الجلبي خلصيني منه، وسأجعلك تختارين الشاب الذي تريدين لأزوجك إياه وأعطيك بيتاً وسيارة مرسيدس ومليون دولار. سألتها: وبماذا أجبته؟ قالت:"قلت له انت تأمر سيادة الرئيس. فأجابني: حسناً هناك طريقتان، الأولى أن تأخذي متفجرة في حقيبة وتتركيها بقربه، والثانية أن تدسي له السم.

هذا السم يقتل فيلاً، لكن مفعوله لا يظهر فوراً، بل يتطلب وقتاً". قالت له:"سيادة الرئيس، أنا لا أفهم بالقنابل، اعطني الثانية"، أضافت:"أعطوني خمس قناني". وأخرجت أمامي خمس زجاجات تشبه تلك الخاصة بالإبر القديمة. زجاجات صغيرة فيها مادة تشبه الملح الأبيض يغطي رأسها المطاط. تركت الزجاجات عندي، وقالت: أرجوك انتبهوا أن تؤذوني. قلت لها: طيب. وغادرت.

أنا استغربت، ولم آخذ القضية على محمل الجد، أتيت بواحدة من هذه الزجاجات، وأعطيتها الى مسؤولي الـ"سي آي أي"عندنا وطلبت منهم أن يحللوها لنعرف ماذا يوجد فيها. أخذوها ومضى أسبوعان من دون أن يردوا علي بجواب. كان عندي صديق بريطاني، زميلي من أيام المدرسة في بريطانيا ويعمل ضابطاً برتبة عالية في شرطة سكوتلنديارد. اتصلت به من التليفون المشفر، وأخبرته عن القصة، وقلت له:"سأرسل الزجاجة إليك وأنت تخبرني ماذا تحتوي". قال:"حسنا، لكن أبلغونا قبل أن تصل الزجاجة، لأن نقل السم في بريطانيا جريمة، ويجب أن يتم تحت رقابة الشرطة". أرسلت المادة مع أحد الإخوان الى بريطانيا، واستقبله الضابط بنفسه في المطار. سلّمه الزجاجة، وبعد ٤٨ ساعة اتصل بي، وقال:"هذا أخطر سم موجود. يتراكم في الجسد وتدريجياً يقتل الإنسان. والدواء المضاد له استعماله صعب جداً. هناك أشخاص من جماعتنا ماتوا بهذا السم. وعرفت أن القصة كانت صحيحة فعلاً". سيف قُتل في الانفجار، وهو كان يدير العملية. بعد ذلك حمّلتنا الـ"سي آي أي"المسؤولية. وصاروا يقولون إن التفجير صار بسبب إهمالنا، وبثوا الإشاعات.

ذات يوم جاء إلى بيتي وفيق السامرائي صباحاً. دخل الى البيت ثم خرج فوراً. ودخل ولد صغير وراءه، وقال:"دكتور. اللواء وفيق يريد أن يكلمك". قلت له: "اخبره أن يدخل".

فرد:"هو يريد أن يكلمك في الخارج، اخرج أنت". فخرجت.

سألني وفيق: "أليس هذا فلان من ال"سي آي أي" عندك؟

"قلت له نعم.

قال: أنا اعرفه. كان يمضي أشهراً في العراق، يزودنا بمعلومات أثناء الحرب على إيران عن التجمعات الإيرانية.

قلت له: كيف؟

قال كان هناك تعاون بيننا وبين ال"سي آي أي"بتشجيع من الأردن، وطبعاً كان صدام موافقاً. هذا الرجل كان في بغداد.

كانت الاستخبارات الاميركية تحضر للعراقيين صوراً من الأقمار الاصطناعية. وكان وفيق السامرائي في الاستخبارات العراقية مسؤولاً عن شعبة إيران وكانوا يسمونه العميد علي. هذا الرجل من ال"سي آي أي"هو الذي جاء في تلك الفترة الى كردستان بعد سنة من الحادث. قالوا: ستنفجر المفاوضات بين الأكراد. وطلبوا مني أن أتدخل، فوافقت وقلت: اذهبوا الى جلال ومسعود. كانت العقدة عند مسعود. تحدثت معهم، وكان هوشيار موجوداً، وصار هناك تفاهم بين الأطراف عام ١٩٩٥. أيضا قالوا: نحن نريد أن تؤسس قوة من المؤتمر الوطني لفك الارتباط بينهم، ونحن لا نقدر على القيام بذلك، يجب أن يبدو أن هناك نشاطاً عراقياً. سألت: كيف؟ قال:"الأكراد يجب أن يمولوا الموضوع".

فأجبت:"الأكراد ليست عندهم الإمكانات، وحالهم صعبة". قال: نحن سنعطيهم الأموال.

> لماذا سيعطونهم النقود؟

- مساعدة، لكنهم طلبوا أن أسأل أنا الأكراد إذا تلقوا الأموال. فسألتهم:"ما القصة؟". قالوا:"نحن لا نستطيع أن نسجل عندنا أننا سنستعمل الأموال لتمويل قوة لفض الاشتباك لأسباب قانونية في أميركا".

ذهبت الى الأطراف الكردية، فوافقوا. وكتبوا رسائل. جلال كتب رسالة وجهها الي، فيها انهم مستعدون للمساهمة بما قيمته نصف مليون دولار في هذه العملية. الأستاذ مسعود كتب رسالة الى الأميركيين وأعطاني نسخة منها، وفيها أنه مستعد للمساهمة بنصيبه. أرسلنا الرسائل، ولم يحصل شيء. بعدها جاء ضابط مخابرات يعمل لدى مسؤول المخابرات عندنا اراس حبيب كريم، وقال له:"هناك مؤامرة يدبرها الأميركيون بالتعاون مع محمد عبدالله الشهواني واياد علاوي وتدار من الاردن للقيام بانقلاب في العراق، وهذه العملية نحن مسيطرون عليها، لا تقتربوا منها".

> من كان الضابط؟

- ضابط يعمل في المخابرات العراقية، أُرسل في مهمة سرية من المخابرات الى اربيل، لكنه كان على اتصال سري مع مدير مخابراتنا اراس حبيب.

عندما رأينا الملك حسين في الشهر الثالث من عام ١٩٩٦، قال:"لو كنت اعرف أن صدام سيفعل هذا بحسين كامل، ما كنت تركته يرحل".

بعد هذا بدأت الأمور تتفاقم في كردستان. كنت موجوداً في بريطانيا اعمل على الدعاية والإعلام والاتصالات. والإدارة الأميركية لم تكن مهتمة بالأوضاع.

> لم يكن قانون تحرير العراق صدر بعد؟

- صدر بعد سنتين من ذلك. دعاني الأميركيون الى واشنطن في الشهر السادس من عام ١٩٩٦. ذهبت واجتمعت بالأمن القومي والخارجية وال"سي آي أي". قالوا:"نريد أن نؤسس قوة تحت لواء المؤتمر الوطني لفك الاشتباك، ونريد منك التزاما بأن لا تستعمل هذه القوة لإسقاط صدام من دون التنسيق معنا". ضحكت. قالوا:"نحن خفنا مما حدث سنة ١٩٩٥". بعد كل القلق والمشاكل التي حدثت عادوا بعد سنة ليعرضوا تشكيل قوة. وافقت، لكنني قلت لهم:"في المرحلة الأولى يهمني وقف القتال في كردستان، ونحن ننسق معكم في أي عمل لاحق". قالوا:"بناء على هذا سنؤسس قوة".

رجعت الى لندن وتفاقم الوضع في كردستان. وصارت تدخلات ودخل صدام الى كردستان. وصارت المعركة والاتحاد الوطني صار على الحدود الإيرانية، وسيطر الحزب الديموقراطي على كل مناطق كردستان. وجاءت الاستخبارات العسكرية العراقية وقتلوا من عندنا نحو ٣٤ شخصاً. والجيش العراقي قتل ٩٦ شخصاً.

أنا كنت في واشنطن. دعاني جون دويتش مدير ال"سي آي أي"، اجتمعت به وكان جورج تينت حاضراً. وكان جماعتنا موجودين في منطقة صلاح الدين تحت الخطر. سألني:"ماذا تنصحنا أن نفعل؟". قلت له:"أنصحكم أن تمنعوا حصول اتفاق سياسي بين مسعود بارزاني وصدام بعد العملية. ما حصل عابر، لكن الاتفاق السياسي ينهي

القضية". سألني: كيف؟ قلت:"يجب أن تحتضنوه. افضل المصلحة العامة في العراق على ما صار، ولو أن وضع علاقتنا صارت صعبة معه الآن، لكن المهم أن يبقى الوضع على ما هو عليه". قال:"هذا الكلام مهم". وأضاف:"وماذا أيضا؟"، قلت:"أريد أن اخرج جماعتي". قال:"أين هم؟"، قلت:"في صلاح الدين"، قال:"هذه تبعد ٢٥٠ كليومتراً عن الحدود التركية ولا نستطيع أن نخرجهم". قلت:"إذا وصلوا الى زاخور على الحدود التركية هل تخرجهم؟"، قال:"نحاول".

لاحقاً، استدعى الكونغرس جون دويتش لسؤاله عما حصل، وهل ان صدام اصبح أقوى او اضعف بعد الذي حصل في اربيل. كنت انا اخبرته في وقت سابق ان صدام اقوى، فقال لهم الآن صدام أقوى. هذا الكلام اغضب توني ليك الذي بدوره حرض كلينتون على جون دويتش الذي كان مرشحاً ان يصير وزير دفاع بعد الانتخابات الاميركية التي ترشح فيها كلينتون لولاية ثانية عام ١٩٩٦. لم ينتظروا استقالته بل عزلوه من ال"سي آي أي". همشوه وتسلم مكانه تينت. في تلك الفترة، انكشفت قضايا كثيرة، وكيف أن ال"سي آي أي"تآمرت مع أعضاء الكونغرس الذين كانوا مسؤولين عن لجنة العلاقات الدولية حول موضوع تأسيس قوة من المؤتمر الوطني للفصل بين الأطراف.

توضيح

ورد خطأ في الحلقة الخامسة من مذكرات احمد الجلبي بالاشارة الى أن اخته هي جدة السيد مجيد الخوئي.

وتلقت"الحياة"تصحيحاً للخطأ من السيد عبدالصاحب الخوئي الامين العام لمؤسسة الامام الخوئي الخيرية جاء فيه انه"لا توجد اي رابطة قرابة عائلية مع الدكتور احمد الجلبي". فاقتضى التوضيح

الحلقة السادسة: قانون تحرير العراق

< يقول الدكتور أحمد الجلبي رئيس"المؤتمر الوطني العراقي"إن الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون كان مهتماً بإيجاد حل مع صدام حسين وتوقع أن تسفر محادثات الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان ومبعوثه الأخضر الابراهيمي مع صدام عن صفقة.

ويروي الجلبي كيف تحرّك لإحباط الصفقة واستخدم تقريراً حصل عليه من المفتش سكوت ريتر لتأليب الكونغرس الأميركي ضد نظام صدام. في هذا المناخ وخلافاً لرغبة كلينتون الفعلية أقر الكونغرس"قانون تحرير العراق"الذي سيسهل لاحقاً لجورج بوش غزو العراق بعد هجمات ١١ أيلول سبتمبر.

نص الحلقة السادسة

> ماذا عن قانون تحرير العراق؟

- ذهبنا الى كردستان، بعد عودة الاتحاد من طريق إيران. الإيرانيون سمحوا لفريق إعلامي أميركي من محطة"أي بي سي"مؤلف من مراسل ومصورين أن يعبروا من إيران الى السليمانية بطلب مني لطرح موضوع العراق. اتصلنا بأحد مراسليهم وهو بيتر جينينغز الذي كان يعرفني من بيروت، جاء الي عام ١٩٧٤ وساعدته ليذهب الى كردستان، لكنه لم يذهب.



بيتر جينينغز

صوّر بيتر قصة تلفزيونية مهمة وفيها صور للدبابات العراقية تهجم علينا. وقاموا ببث البرنامج بعد ستة اشهر أي في الشهر السادس من عام ١٩٩٧، بالاشتراك مع الـ"واشنطن بوست"التي نشرت مقالا حوله وصار للبرنامج اثر كبير، وكان اسم الحلقة:"مهمة لم تكتمل". وشكلت بداية عملنا نحو قانون تحرير العراق.

تلك الأيام كانت صعبة علينا، وكان هناك اتجاه في إدارة كلينتون يدعو إلى إغلاق ملف العراق والتفاهم مع صدام. بدأنا نبني علاقات واتصالات في الكونغرس مع الجمهوريين والديموقراطيين.

> كنت أنت رئيس المؤتمر الوطني العراقي؟

- نعم. وجاء اتصال من ال"سي آي إي"الى مكتبي نهاية عام ١٩٩٦، يطلبون مني أن لا أذهب الى كردستان، ويحذرونني من أنني إذا ذهبت فإن ذلك سيكون على مسؤوليتي وليس على مسؤولية الأميركيين. لكني لم أجبهم وذهبت. وعندما عدت الى لندن طلبوا الاجتماع بي وقالوا:"خلص، علينا أن ننهي علاقتنا". فقلت: مع السلامة وأشكركم. انتهت العلاقة معهم في بداية عام ١٩٩٧. وبدأنا نعمل وحدنا في أميركا.

> هل كان هذا من دون مساعدة منهم، مالية أو غيرها؟

- أبدا.

> قبل ذلك تلقيتم المساعدات؟

- طبعا، أخذنا مساعدات من ال"سي آي إي".

> في أية سنة بدأت مساعدات ال"سي آي إي"؟

- منذ عام ١٩٩٢ حتى ١٩٩٦.

> هل كانت المبالغ كبيرة؟

- أقصاها وصل الى ٣٢٠ ألف دولار شهريا للمؤتمر. كان عندنا نشاطات ومكاتب في لندن. هذا الرقم كان الأكبر، وعادة كانت المبالغ اقل. وأعلنّا هذا الأمر من دون خجل في الإعلام.

عام ١٩٩٧ انقطعت العلاقة، فبدأنا نعمل وحدنا. وكانت علاقاتي في الكونغرس سبقت علاقاتي بال"سي أي إي"، وأكملنا وحدنا بعد الذي حصل عام ١٩٩٦ وتخلي كلينتون عن المعارضة على رغم الرسالة من آل غور.

> تخلى كلينتون عنكم؟

- طبعا تركنا. ودخل صدام وضربنا وهم صاروا يؤذون جماعتنا هناك. حبسوهم وصاروا يبثون الإشاعات، ويقلبون كل الأطراف ضدنا. أنا قلت إن لا حماية لنا، وأعدت الى ذهني ما أنا مقتنع به وهو أن الأميركيين لا يفون بوعودهم. وإذا أردت أن تلزمهم بشيء اجعلهم يلتزمون بقضية تخصك أمام بعضهم بعضا.

> أمام الأميركيين؟

- نعم، احضر مجموعة من الأميركيين المهمين واجعلهم يلتزمون أمام بعضهم، فالعمل السري في السياسة الخارجية مع أميركا غير مفيد. ونحن قمنا بعمل علني، لكنه في النتيجة كان عملا سريا، على اعتبار أن ال"سي أي إي"جهاز سري. في تلك كان حاضراً في ذهني كلام كيسنجر سنة ١٩٧٥، بعدما خانوا الملا مصطفى البارزاني والقضية الكردية، وكان يدلي بشهادة أمام إحدى اللجان في مجلس النواب الأميركي. سألوه كيف تركتم الأكراد؟ فأجابهم أن العمل السري ليس مساعدات إنسانية. ما معناه أن ليس هناك أي التزام أخلاقي.

كانوا يساعدون بعض الأطراف العراقية مثل الوفاق الوطني والأكراد وبعض الأشخاص، لكنهم رأوا أن منظمة سياسية على مستوى المؤتمر الوطني مشكلة بالنسبة اليهم. فاعتبروا أن القضية انتهت. وهكذا صرنا نعمل وحدنا في الكونغرس. وفي عام ١٩٩٨ تفاقمت قضية أسلحة الدمار الشامل والمفتشين وسائر المشاكل.

> هل زودتم الاميركيين بمعلومات خاطئة؟

- لا، هم أصلاً كان عندهم مفتشون، ولم يكونوا بحاجة الينا. كانوا يأتون ويسألوننا عن معلومات، فنعطيهم معلومات عن قضية ما، مثلا: تجسس صدام على المفتشين. كانت عندنا معلومات عن ضباط يجندون مفتشين ليعملوا مع فرق التفتيش عن طريق بنات أو أموال فيبلغون الحكومة عن امكنة التفتيش ليذهبوا اليها. كنا نبلغ الاميركيين أن هناك عمليات تجسس عليهم.

> ألم تكونوا أنتم أصحاب نظرية أسلحة الدمار الشامل؟

- أبدا، هم أصلا عندهم مفتشون كانوا يزورون المواقع. وانا لم أرد أن يكون اتصالي برولف ايكيوس عن طريق الأميركيين. ذهبت إليه مباشرة، وفي احدى المرات أبلغناه عن مؤامرة لتسميمه في بغداد في شباط ١٩٩٦.

> وهل كانت المعلومة صحيحة؟

- نعم، واعتقد انه لم يذهب في تلك الفترة الى بغداد. وصار عندهم مشاكل مع فرق التفتيش. تفاقم الوضع في الشهر ١٢ من عام ١٩٩٧، ثم كانت مبادرة من كوفي انان بالتنسيق مع مادلين اولبرايت وزيرة الخارجية في ذلك الحين والأخضر الإبراهيمي. ذهب الأخضر الإبراهيمي الى بغداد وكذلك كوفي انان ونحن كنا في نيويورك في شهر شباط ٩٨.

كانت أياما صعبة علي، أخي الكبير رشدي كان مريضا جدا وتوفي في المستشفى في لندن وأنا كنت بعيدا عنه في أميركا أتابع وضعه. صارت حالتي سيئة جدا. ذهبنا الى نيويورك، فقالوا لنا إن انان ذهب الى بغداد. وأعلن من بغداد أنه دخن ٦ سيكارات مع صدام وأن صدام شخص يستطيعون العمل معه. وتوصل معه الى اتفاق. وبينما كان في الطائرة وقبل أن يصل أنان الى أميركا، أعلن كلينتون انه يؤيد أي اتفاق يحصل بين انان وصدام.

إذاً صدام اتفق مع الأميركيين. صديقي بوب دويتش في وزارة الخارجية كان دعاني الى الفطور في واشنطن، رحت واجتمعت به وقال لي:"الموضوع انتهى، اهتم بعائلتك". قلت له: شكرا. هو كان يقول لي ذلك من منطلق الصداقة.

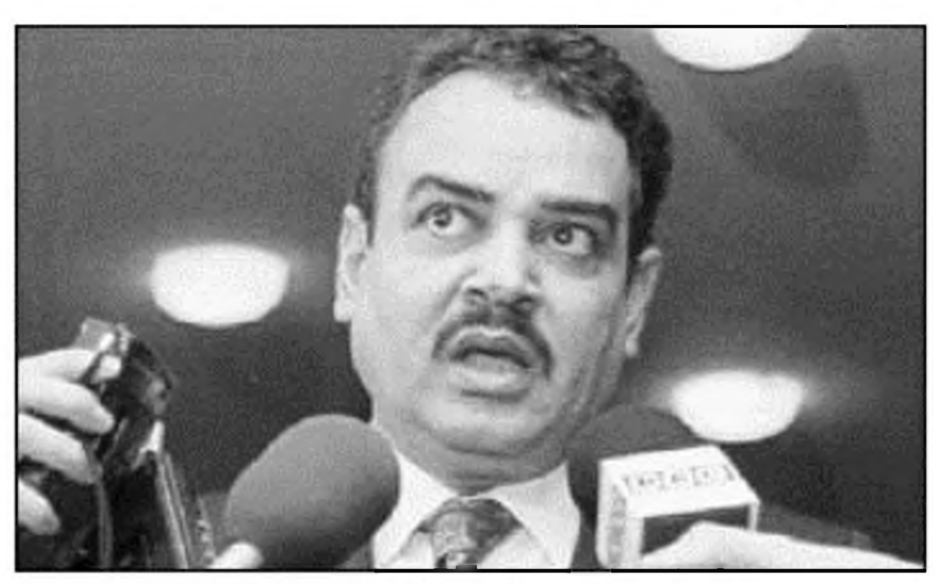
توفي أخي في اليوم الذي وصلت فيه الى لندن، دفناه ورجعت في اليوم نفسه. عندما عدت كنا في حيرة من امرنا، ماذا نفعل. رحت الى أصدقائنا في واشنطن، واتصلت بمعهد المقاربات الأميركية الذي كان think tank للمحافظين الجدد.

> مع من التقيت هناك؟

- أنا اعرفهم هناك. وأخبرتهم بما حصل، فعقدوا لنا اجتماعا واحضروا الـ"سي أن أن"وقلت في الاجتماع إن صدام سيرفض برنامج التفتيش inspection regime ويعود لتهديد الشعب العراقي. مباشرة بعد الاجتماع دعوني الى الكونغرس. اجتمعت بقادة الحزب الجمهوري الذي كان يمثل الأكثرية في الكونغرس ومع رؤساء اللجان في مجلس النواب. كان رئيس مجلس النواب نيوت غينغرتش. ولم يحضر الاجتماع رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب الذي صار لاحقا مدير الـ"سي أي

إي"بورتر غوس. لم يحضر وكذلك غينغرتش الذي كان يريد أن يراقب الموضوع من خارج الغرفة، وكان مدير مكتبه شخصاً على علاقة بال"سي أي إي". لم يكونوا مرتاحين. حكيت القصة امام اللجنة، وسألني رئيسها ليفينغستون:"ما الذي يمكننا القيام به". كان كل هدفي في تلك الفترة هو إدخال الشك إلى ذهن صدام حول نيات الأميركيين تجاهه.

الأميركيون كانت نيتهم أن يتفاهموا معه، لكنه كان يشك في ذلك، وأردت أن أتصرف بطريقة تُظهر أن الأميركيين غير صادقين معه. طبعا هذا الكلام كان فيه جزء صحيح، لأن بعض إدارة كلينتون كان يريد ان يتفاهم معه، لكن الكونغرس كان ضد ذلك. وأنا كنت أريد أن ابرز هذه النقطة. صدام ليست عنده قابلية للتحليل. فأميركا عنده يعني أميركا. كان عنده شخص يفهم بأمور أميركا هو نزار حمدون الذي توفي لاحقا. لكن نزار حمدون لم يكن يلتقي صدام الا قليلا ولم يكن يحترمه، كان يعرف أميركا. وصار وزيرا للخارجية ومندوبا للعراق في الامم المتحدة.



نزار حمدون

كلام نزار الذي كانت أيضا تجمعه علاقة طيبة بطارق عزيز لم يكن له الأثر الكافي عند صدام. كنا نريد أن نبث في ذهن صدام أن حمدون طرف أميركي مهم ضده. فاستعملنا هذه الاستراتيجية. سألني ليفينغستون: ماذا تريدون؟ قلت أريد إذاعة تمولها الإدارة الأميركية علنا على نمط إذاعة أوروبا الحرة. قال: يصير. اتخذوا القرار في لجنة السياسة بأنهم يؤيدون تخصيص ٥ ملايين دولار لتأسيس إذاعة العراق الحرة.

> من براغ؟

- هم وقتها أخذوا القرار وتأسست لاحقا في براغ، وأعلنا القرار. خرجنا من الاجتماع، وحصل اجتماع آخر في مجلس الشيوخ. الجمهوريون كانوا بأكثريتهم معنا والديموقراطيون ضدنا. نشرنا إعلانا عن تأسيس إذاعة"صوت العراق الحر"بتمويل من الكونغرس. من جهة كان الأميركيون يريدون أن يتفاهموا مع صدام ومن جهة يؤسسون هذه الاذاعة. زاروني وطلبوا مني أن التقي رئيس مكتب السيناتور ترنت لوت زعيم الأكثرية في مجلس الشيوخ، وأهم شخص في الحزب الجمهوري في عهد كلينتون. مدير مكتب لوت كان صديقنا اسمه راندي شونمن، وكان أيضا مستشار الأمن القومي لديه وصار لاحقا مستشار ماكين، وتعرفنا على سيدة اسمها داني دانييل بليتكا التي كانت مسؤولة الشرق الأوسط في مكتب السيناتور جيسي هلمز رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ. زوجها اسمه ستيف رادامايكر وهو محام، وكان المستشار القانوني للجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب.

ذهبت الى راندي شونمن، وصار يسألني أسئلة، وأجيبه. قال لي: مسؤوليتي أن احمي السيناتور لوت، لا أريد أن أسمح له بلقائك إذا كان

هذا الأمر سيسبب له الإحراج في المستقبل. قلت حسنا. قال أنا سأسأل عنك. قلت: اسأل تفضل.

اتصل بي بعد يومين، فذهبت للقائه. قال لي:"انا أنصفتك". قلت:"لماذا"؟ قال: طلبت تقريرا عنك من الـ"سي آي إي، أحضروا لي واحدا يصف شخصا آخر غيرك. سألته: كيف؟ قال: في التقرير انك تتحرك في واشنطن ومعك ٢٠ مرافقاً. وأنا اعرف انك تتحرك وحدك إما سيرا أو بالتاكسي. وهناك كلام غير قابل للتصديق، وأنا استدعيتهم وطلبت منهم أن يبرروا كل نقطة من النقاط السلبية التي كتبوها عنك. وأضاف: لذلك قررت أن أنصح السيناتور بأن يراك.

هكذا التقيت السيناتور لوت الذي رحب بي، وقال: عندك مانع أن تتحدث في مجلس الشيوخ في شكل رسمي. قلت: لا. داني رتبت مع السيناتور هلمز أن أحضر أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط المتفرعة من لجنة الشؤون الخارجية والتي يرأسها السيناتور سام براونباغ والعضو الديموقراطي فيها هو السيناتور تشارلز روب زوج ابنة الرئيس ليندون جونسون من فيرجينيا. الجمهوريون رتبوها، وقلت حسنا. كان ذلك في ٢ آذار١٩٩٨، ذهبت الى الكونغرس وطلبت مساعدة أميركا علناً لإسقاط نظام صدام وقلت إن الشعب العراقي ضد صدام ونحن نطالب بإسقاطه، لكن أميركا ساعدته.

كان الخطاب طويلا، وقلت فيه إن على أميركا مسؤولية أخلاقية لإسقاط صدام، وأنها وعدتنا بحماية المعارضة ثم أخلّت بوعدها. وقال روب: انت قلت إن أميركا وعدتكم بالدفاع عنكم وأخلت بالوعد، هل لديكم وعد من رئيس الجمهورية لأنه هو الوحيد الذي يستطيع إلزامنا، أم عندكم كلام من أحد موظفي وزارة الخارجية؟. فقلت له: عندي رسالة من نائب الرئيس آل غور يقول فيها: إننا سنقوم بما نستطيع

لحمايتكم ومساعدتكم على إسقاط صدام أو إقامة الديموقراطية في العراق. سألني إذا كانت معي نسخة من الرسالة. قلت: لا أنا لم أحضرها معي. راندي شونمن سلم النسخة الى براونباغ. فقال براونباغ عندها: أنا عندي نسخة. قرأها، وقال: فهمت لماذا يشعر هؤلاء أن أميركا خذلتهم. وسكت.

ثم سألني: ما هي علاقتك بالاردن؟ قلت له إن الاردنيين عندهم مشاكل معي، وهناك قضية قضائية مالية. في نهاية الحديث كانت قراءة الرسالة وعلقت الجلسة بعدها.

في ذلك اليوم بثت أربع محطات تلفزيونية أميركية شهادتي امام مجلس الشيوخ في مقدمة نشراتها. هذا الأمر دفع صدام الى الجنون. اعتبر أن اميركا تلعب عليه، يعني يسمحون بظهور احمد الجلبي في مجلس الشيوخ وعلى التلفزيونات الاميركية ليطالب بمساعدة اميركية لاسقاطه وهو يسمح لهم بالتفتيش.

كان طارق عزيز في نيويورك اثناء انعقاد جلسة الكونغرس. بعدها حاولت الإدارة أن تقلل من أهمية ما حصل، لكنهم كانوا غير قادرين على أن يقللوا في شكل رسمي من أهمية الكونغرس. بعد الجلسة عدنا الى العمل. وجعلنا صدام يشك أكثر ويشعر أنه أخطأ بالاتفاق مع كوفي أنان.

المفتش سكوت ريتر الذي صار لاحقا يكتب كتبا ويشتمنا. وكنا تعرفنا عليه في نيويورك، وهو ليس ودياً جداً جاء إلينا في واشنطن، وقال:"الإدارة ستقوم بأمر وصدام عنده قضايا كبيرة لازم يعرفها، أريد أن ترسلوني الى الكونغرس كي اشرح ذلك". زارنا وأمضى ليلته في بيتي

في واشنطن. قلنا له: طيب. أعطاني نسخة من تقرير أعده مختبر الأسلحة في الجيش الأميركي في ميريلاند.

بعدما اتفق صدام مع انان والإبراهيمي، سلم رؤوس صواريخ الى الأمم المتحدة التي لم تجد مكانا تفحصها فيه، فأحضرتها الى اميركا، وطلبوا من هذا المختبر أن يفحصها. بعد الفحص قدم تقريرا الى الأمم المتحدة فيه ما يلي: إن هذه الرؤوس فيها آثار من غاز الـ vx الذي هو غاز كيماوي خطر، كما وجدوا آثار مسحوق لتنظيف آثار الـ"في اكس". يعني صدام ليس فقط عنده"في اكس"، بل حاول أن يخفي آثاره أيضا.

تقرير المختبر كان مهما، لكنه لم يكن سريا، لأنه كان سيقدم الى الأمم المتحدة، وليس الى الجهات الأميركية. أعطانا المفتش التقرير، ثم التقى السيناتور وغادر. أخذت التقرير وذهبت الى أصدقائنا في الكونغرس. قرأوه، وقالوا: هل تستطيعون نشره في الصحافة الأميركية؟ قلت نعم، فأخذوا التقرير ووجهوا رسالة الى كلينتون، وقّعها السيناتور لوت رئيس الأكثرية في مجلس الشيوخ والسيناتور جيسي هيلمز رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، ونيوت غينغريتش رئيس مجلس النواب وعضو الكونغرس بنيامين غيلمان رئيس لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب. وكانوا يوجهون اسئلة الى كلينتون، إجاباتها موجودة في التقرير، مثل: هل عندكم أدلة على أن صدام يملك الـ"في اكس"؟ اخذنا نسخة من الرسالة وأعطيناها الـ"واشنطن بوست"التي نشرتها ونشرت تقرير الأمم المتحدة، وقالوا أن المؤتمر الوطني العراقي هو الذي زودهم بهذه المعلومات. أحدث الأمر ضجة كبيرة. وكي تتأكد الصحيفة من صحة التقرير، اتصلوا بالشخص الذي وقعه، وسألوه: هل وجدتم شيئا بهذا المعنى؟ فأجابهم: المفروض أنه ليس عليكم أن تعرفوا بهذا

الأمر. اتصلوا بالسفارة الفرنسية، فغضب السفير الفرنسي غضبا شديدا، وسألهم: كيف حصلتهم عليه؟ فقالوا من المؤتمر الوطني.

> لماذا اتصلوا بالسفير الفرنسي؟

- حتى يتأكدوا من أن هذا الموضوع وصل الى الأمم المتحدة. بعد تأكدها من الوقائع قامت"الواشنطن بوست"بنشرها. واتصل لاحقا مارتن انديك الذي صار فيما بعد سفير أميركا في إسرائيل ثم مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى بي، فذهبت للقائه. سألني: كيف تنشر هذا التقرير من دون أن تنسق معنا؟ سألته عن السبب. فقال:"نحن متهمون من فرنسا وروسيا بأننا سلمناك التقرير". فأجبته:"وهل أنت أو أي شخص آخر في الحكومة الأميركية سلمني التقرير؟". قال: لا. قلت:"إذاً أنت بريء من هذه التهمة، اخبرهم بذلك".

سألني:"وكيف حصلت على التقرير"؟ فرفضت أن أخبره. عندها سألني:"لماذا لم تخبرنا قبل نشر التقرير؟"فأجبته:"لو كنت أخبرتك بذلك، هل كنت ستمنعني من نشره؟". قال نعم. قلت:"عندها لو كنت نشرته لكنت اعتبرت ذلك تحديا لكلامك ومخالفة لنصيحتك، وكنت ستغضب. الآن أنا نشرته من دون أن أخبرك، على أساس انك ستغضب لاحقا، لكنني على رغم ذلك لم أخالف كلامك". قال: وماذا سنفعل؟ قلت: الشعب العراقي لن تقوم له قائمة ما لم يسقط صدام، علينا أن نعجل في سقوطه. قال: ما خططكم؟ قلت: أن نجعل الكونغرس يدعمنا في إسقاط صدام. قال: لكن السياسة تقررها. قلت له: أنا اعمل مع الكونغرس، انتم في الإدارة لا تريدون شيئا.

صاروا يرسلون الي أخباراً من جماعة تعمل في الحقل الخارجي ويقولون: كيف ستتغلب على إدارة كلينتون. وكلينتون محبوب وقضية العراق

ثانوية بالنسبة إلى أميركا. فقلت لهم: أنا أريد أن اعمل ولا مصلحة لي في أن أقيم علاقات، الاساس عندي مصلحة العراق. هذا الكلام كان في الشهر السادس من عام ١٩٩٨.

بعدها حصل ما يسمى"رأي الكونغرس"الذي هو قرار غير ملزم للإدارة، القرار يبدأ: بما أن صدام قام بغزو الكويت وبما أنه قمع انتفاضة الشعب العراقي وسبق أن استعمل الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد في حلبجة سنة ١٩٨٨، وبما أنه استعمل الأسلحة الكيماوية ضد إيران وخالف قرارات مجلس الأمن، لذلك نعتبر أن صدام يهدد الأمن القومي للولايات المتحدة وقام بخرق فاضح لقرار وقف النار ٦٨٧.

كلينتون حارَ قبل التوقيع على القرار، لكنه كان قبل ذلك أجاب عن الأسئلة التي وجهت إليه عن غاز"في اكس"بالايجاب، فوقّع على القرار. وجن صدام وطرد المفتشين.

عندها عدنا الى الكونغرس وعملت على قانون تحرير العراق مع راندي شونمن وستيف رادامايكر الذي كتب نصه.

> متى صدر القانون؟

- في شهر تشرين الاول ١٩٩٨. في البداية، وافق مجلس الشيوخ عليه بالإجماع، لذلك لم تكن هناك حاجة للتصويت عليه. وجو بايدن نائب الرئيس اوباما وافق عليه. وفي مجلس النواب حصل القانون على ٣٦٠ صوتا مقابل ٣٨، وتزامن ذلك مع قضية مونيكا لوينسكي.

> ومن أمن له التغطية؟

- الجميع صوتوا لمصلحة القانون: الجمهوريون والديموقراطيون صوتوا عليه. كلينتون وصله القانون في ٦ أكتوبر ولم يوقع عليه إلا في ٣١ أكتوبر ٩٨، صار قانونا ملزما لأميركا. وصار تنفيذه من مسؤولية الإدارة. القانون تضمن الأموال للإعلام بقيمة ٣ ملايين دولار لتأسيس "صوت العراق الحر" و٩٧ مليون دولار لا تقدم نقدا، لكنها قيمة لمعدات فائضة من وزارة الدفاع الأميركية تقدمها الى قوى المعارضة العراقية. والإدارة مكلفة أن تقدم جدولا بأسماء المنظمات المؤهلة لاستلام مساعدات من هذا النوع.

انا ألححت على أن تشمل المساعدات الأطراف الكردية والمجلس الاعلى بقيادة السيد الحكيم وحركة الوفاق بقيادة اياد علاوي، وكل الاطراف الموجودة. هذا صار قانونا وكلينتون بعد توقيعه ارسل في ١٣ نوفمبر طائرات لقصف العراق، لكنها عادت في اليوم نفسه ولم تقصف. وليبرر هذا الامر، دعا أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ الذين وقعوا على قانون تحرير العراق الى البيت الابيض وابلغهم ان سياسة الادارة تقتضي تنفيذ القانون، واستعملوا تعبير: PIVOT AND STRIKE" الذي لم اعرف ما كانوا يقصدون به.

> لماذا أرسل الطائرات الى العراق ثم أعادها؟

- ربما وجد أن الأمر غير مناسب. لم يدل بتصريحات في حينه لنفهم الأمر. ربما اعتبروا أن هذا الأمر سيجلب لهم دعاية سيئة ولن يحققوا من ورائه شيئا. في الوقت نفسه، بينما كان الكونغرس يعد الميزانية لسنة ١٩٩٩ ضمّنوا فيها مساعدات للعراق بقيمة ٢٥ مليون دولار للمعارضة العراقية.

عينت الإدارة الأميركية منسقا خاصا للمعارضة العراقية اسمه فرانك ريتشاردوني الذي صار فيما بعد سفيرا في الفيليبين ثم القاهرة وهو رجل قدير وذكي.

> هل قمت وحدك بكل هذه التحركات؟

- كعراقي نعم، كان عندي مساعدان، احدهما أميركي اسمه فرنسيس بروك وآخر باكستاني - أميركي اسمه بهزاد سفنا، كانا يساعدانني ولم أتعامل مع أحد من العراقيين. منذ صدور قانون العراق، تقريبا معظم قادة المعارضة العراقية اجمعوا على انتقادي.

> لماذا؟

- لا اعرف، ولم افهم السبب. أنا استغربت موقفهم، أصدروا بيانات وكتبوا مقالات لكنها لحسن الحظ لم تحدث صدى في أميركا. بعد ذلك عينت الادارة ريتشاردوني للتنسيق مع المعارضة. أرسلوا إليه مستشار الأمن القومي في ذلك الحين ساندي بيرغر الذي قال له: أنت مهمتك أن تزيح اسم احمد الجلبي من الواجهة الإعلامية.

جاء ريتشاردوني وكان يريد أن يزيحني من الطريق، هذا كان عام ١٩٩٩. أعلنت عندها أننا نريد أن نعقد اجتماعا للمعارضة العراقية في واشنطن. ريتشاردوني غضب، ودعاني الى اجتماع في واشنطن، وقال: من سيمول هذا الاجتماع، ومن سيقبل به ومن سيعطيكم تأشيرات الدخول؟ قلت: انتم. قال كيف، وأنت لم تنسق معنا؟ قلت له: ارفض إذن، وقل إنك لا تريد أن تدعو الى اجتماع للمعارضة.

> وهل كان بمقدوره الرفض؟

- كلا، هناك قرار الكونغرس. ثم صاروا يسألوننا. السيناتور من ولاية نبراسكا بوب كيري والذي كان مؤيدا قويا لنا تبنى موضوع متابعة وزارة الخارجية. طلب اجتماعاً مع ريتشاردوني ومعي. أعطانا موعدا الساعة الرابعة. ثم قبل نصف ساعة من الموعد، اتصلوا بنا من مكتب كيري وقالوا إن الاجتماع تأجل. انتقدناهم، وقلنا كيف لا يرد موظف في وزارة الخارجية على سيناتور. تكلم موظفو كيري مع ريتشاردوني بشدة فجاء.

بوب كيري كان يريد أن يمزح، فسألنا:"هل تشاجرتم أم لم تفعلوا حتى الآن؟"، قال ريتشاردوني: ليس بيننا أي خلاف. ثم قلت: أنا مستعد أن اعمل مع كل أطراف المعارضة لنوحد صفوفنا. ريتشاردوني قال: أنت نظم مؤتمرا للمعارضة في لندن لاحياء المؤتمر الوطني حتى نعيد الدعم. قلت: عليك أيضا أن تبلغ الأطراف المهمة في المعارضة وتخبرهم بأن عليهم أن ينشطوا المؤتمر، ثم نعقد اجتماعا يحضره الجميع في حضوركم، خصوصا الأطراف الكردية، إذ كانت علاقتنا متوترة بالحزب الديموقراطي.

وافق. وخرجنا من الاجتماع مع كيري وتمشيت مع ريتشاردوني. قال: لا تعلن أنك انتصرت علينا وتؤذي الآخرين. قلت لا، نحن نسيّر العمل. قال: غدا اجتماع في المكتب عندي سأدعو هوشيار زيباري وبرهم صالح وابلغهما بالقرار. ذهبنا الى المكتب، وجاء هوشيار وبرهم. سلمنا على بعض وجلسنا. أخبرهم كيري عن اجتماع المؤتمر الوطني في لندن، فحصل تململ بسيط ثم أيدا الموضوع.

عدت الى لندن وطلب مني ريتشاردوني أن لا أوجه الدعوة كرئيس المؤتمر الوطني، فوافقت على أن أترك لنائب رئيس المؤتمر لطيف رشيد توجيه

الدعوة. وجه لطيف الدعوة وحصل اجتماع المؤتمر في ويندسور خارج لندن. حضر بوب كيري ودانييل بليتكا لمراقبة حسن تصرف وزارة الخارجية.

ملحق: النص الكامل لقانون تحرير العراق لسنة١٩٩٨

س. ٢٥٢٥ (قانون تحرير العراق لسنة ١٩٩٨)

الدورة ١٠٥ للكونغرس

فترة الجلسات الثانية في مجلس الشيوخ للولايات المتحدة

قام السيد لوت (عنه وعن السيد كيري والسيد ماكين والسيد ليبرمان والسيد هيلمز والسيد شيلبي والسيد براونباك والسيد كايل) بطرح مشروع القانون التالي والذي تمت تلاوته مرتين وأحيل إلى اللجنة.

مشروع قانون

من أجل وضع برنامج لدعم التحول الى الديمقراطية في العراق

لقسم الأول: الاسم المختصر.

يمكن الإشارة الى هذا القانون بعبارة (قانون تحرير العراق) لعام ١٩٩٨

لقسم الثاني: البيانات.

لقد تبين للكونغرس ما يلي:

١- بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٨٠ قام العراق بغزو ايران مبتدئاً بذلك حرباً دامت ثمان سنوات استخدم العراق خلالها الأسلحة الكيمياوية ضد الجنود الإيرانيين والصواريخ البالستية ضد المدن الإيرانية.

٢- في شهر شباط ١٩٨٨ قام العراق بترحيل المدنيين الأكراد ترحيلاً قسرياً من قراهم خلال حملة (الأنفال) مع قتل عدد من الأكراد يقدر بين [٥٠٠٠٠ إلى ١٨٠٠٠٠ شخصاً]

٣- بتاريخ ١٦ آذار ١٩٨٨ استخدم العراق الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد العراقيين المدنيين المعارضين وذلك في بلدة حلبجة، مما أدى إلى مقتل نحو[٥٠٠٠] كردي والتسبب في عدد كبير من الولادات المشوهة والتي تعاني منها البلدة إلى يومنا هذا.

٤- بتاريخ ٢ آب ١٩٩٠ قام العراق بغزو الكويت وبدأ فتره من الاحتلال استمرت سبعة أشهر قتل خلالها عدد من المدنين الكويتيين وأساء الى غيرهم، أشعل النيران في آبار النفط الكويتية لدى تراجعه.

٥- انتهى القتال في عملية عاصفة الصحراء بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٩١ وقبل العراق إثر ذلك شروط وقف إطلاق النارالمنصوص عليها في قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المرقم ٦٨٧ (٣ نيسان ١٩٩١) والذي ترتب على العراق بموجبه- بين أمور أخرى- الكشف الكامل عن برامجه الخاصة بأسلحة الدمار الشامل والسماح بتفكيكها، والخضوع الى المراقبة والتحقق بشأن ذلك التفكيك وعلى المدى الطويل.

٦- في شهر نيسان ١٩٩٣ قام العراق بتدبير محاولة فاشلة لاغتيال الرئيس السابق جورج بوش خلال زيارته للكويت في ١٤-١٦ نيسان ١٩٩٣.

٧- في شهر تشرين الأول ١٩٩٤ قام العراق بتحريك {٨٠٠٠٠} من قواته العسكرية إلى المناطق القريبة من الحدود الكويتية مشكلا بذلك تهديداً وشيكاً بغزو جديد او بهجوم على الكويت .

٨- بتاريخ ٣١ آب ١٩٩٦ قام العراق بقمع العديد من معارضيه وذلك بمساعدته إحدى الفصائل الكردية في اجتياح مدينة أربيل- مقر الحكومة الإقليمية الكردية.

٩- يقوم العراق منذ شهر آذار ١٩٩٧ بالسعي المنضم لمنع مفتشي الأسلحة التابعين للجنة الأمم المتحدة الخاصة {يونسكم} من الدخول الى المواقع المهمه و الاطلاع على الوثائق، كما انه في عدد من المناسبات بتعريض سلامة المروحيات التابعة للّجنة الى الخطر وذلك أثناء قيامها بنقل أفراد اللجنة داخل العراق. كما أنه يواصل بإصرار اتباع أسلوب المخادعة والإخفاء في ما يتعلق ببرامجه الخاصة بأسلحة الدمار الشامل.

١٠- بتاريخ ٥ آب ١٩٩٨ أوقف العراق كافة أنواع التعاون مع {يونسكم} ثم هدد في وقت لاحق بإيقاف نشاطات المراقبة طويلة الأمد التي تقوم بها اللجنة الدولية للطاقة الذرية و{يونسكم.{

١١- بتاريخ ١٤ آب ١٩٩٨ وقع الرئيس كلينتون القانون العام رقم ١٠٥-٢٣٥ الذي يؤكد بأن العراق "في وضع مخالف وغير مقبول لالتزاماته الدولية" وحث الرئيس "على اتخاذ الإجراءات المناسبة- بموجب دستور الولايات المتحدة وقوانينها ذات العلاقة- لحمل العراق على تنفيذ التزاماته الدولية.

لقسم الثالث: سياسة الولايات المتحدة.

على الولايات المتحدة ان تتبع سياسة مساعدة الساعين لإزالة النظام الذي يترأسه صدام حسين من السلطة في العراق والتشجيع على ظهور حكومة ديمقراطية لتحل محل هذا النظام.

لقسم الرابع: المساعدة من اجل دعم الانتقال الى الديمقراطية في العراق.

أ. التخويل بتقديم المساعدة- للرئيس أن يقدم المساعدة التالية للمنظمات العراقية الديمقراطية المعارضة والتي يتم تحديدها بموجب (القسم الخامس:)

(١)البث الإذاعي:

أ) تقديم الدعم اللازم للمنظمات التي تقوم بالبث الإذاعي والتلفزيوني الى العراق.

ب) يخول تخصيص مبلغ ٢ مليون دولار لوكالة الإعلام الأمريكية للسنة المالية ١٩٩٩ وذلك من أجل تنفيذ ما ورد في هذه الفترة.

(٢)المساعدة العسكرية:

أ) يخول الرئيس بتوجيه سحب المواد العسكرية من مخزونات وزارة الدفاع والأجهزة الخدمية التابعة لوزارة الدفاع، وكذلك التدريب والتثقيف العسكري، لمثل هذه المنظمات .لايجوز للقيمة الإجمالية (حسب التعريف الوارد في الفترة ٦٤٤ (م) من قانون المساعدات الأجنبية لسنة ١٩٦١) للمساعدات المقدمة بموجب هذا البند أن تتجاوز ٩٧ مليون دولار.

ب) المساعدة الإنسانية: يحث الكونغرس الرئيس على إستخدام الصلاحيات القائمة بموجب قانون المساعدات الأجنبية لعام ١٩٦١- لتقديم المساعدة الإنسانية الى الأفراد الساكنين في المناطق العراقية تحت سيطرة المنظمات المحددة بموجب القسم الخامس، مع التركيز على تلبية إحتياجات الأفراد الوافدين على تلك المناطق هرباً من المناطق التي تقع تحت سيطرة نظام صدام حسين.

ج) القيود على المساعدة- لا تقدم أية مساعدة يرد ذكرها في هذا القسم الى أية جماعة تنتمي الى المنظمات المحددة بموجب القسم الخامس، وذلك في حالة كون هذه الجماعة- لدى حلول موعد تقديم المساعدة- تمارس التعاون العسكري مع نظام صدام حسين.

د) واجب التبليغ- يقوم الرئيس بإبلاغ لجان الكونغرس المحددة في البند ٦٣٤ (أ) من قانون المساعدات الأجنبية لسنة ١٩٦١ وذلك قبل ١٥ يوماً على الأقل من موعد كل التزام بالمساعدة يترتب بموجب هذا القسم، وذلك وفق الترتيبات المتعلقة بإعادة برمجة التبليغات الواردة في البند ٦٣٤ (أ.)

هـ) التعويض المتعلق بالمساعدات العسكرية

(١)بصورة عامة- يتم توفير المواد العسكرية والتدريب والتثقيف العسكري المقدمة بموجب الفقرة(٢-أ) أعلاه بدون تعويض وزارة الدفاع، إلا بقدر المبالغ المخصصة بموجب الفقرة (٢) التالية.

(٢)تخويل التخصيصات- تم تخويل الرئيس بتخصيص الأموال لكل من السنتين الماليتين ١٩٩٨ و١٩٩٩ واللازمة للتعويض عن قيمة المواد العسكرية والتدريب والتثقيف العسكري المقدمة بموجب الفقرة (٢-أ) وذلك وفق نصوص الفقرة ٦٤٤ (م) من قانون المساعدات الأجنبية.

توفّر الأموال:

(١)تبقى الأموال المخول تخصيصها بموجب هذا القسم متوفرة حتى يتم إنفاقها.

(٢)تعتبر الأموال المخول تخصيصها بموجب هذا القسم إضافية للأموال التي ترد من مصادر أخرى من أجل الأغراض المحددة في هذا القسم.

لقسم الخامس: تحديد المنظمة العراقية الديمقراطية المعارضة.

أ. التحديد الأولي: بعد فترة لا تتجاوز ٩٠ يوماً من تاريخ تشريع هذا القانون يقوم الرئيس بتحديد واحدة أو أكثر من المنظمات العراقية الديمقراطية المعارضة التي تنطبق عليها المعايير المنصوص عليها في الفترة الفرعية (ج) التالية باعتبارها مؤهلة لتلقي المساعدة الواردة في القسم الرابع.

ب. تحديد الجماعات الإضافية: يمكن للرئيس في أي وقت لاحق للتحديد الأولي الوارد في (أ) أعلاه، أن يحدد جماعة أو جماعات عراقية ديمقراطية معارضة تستوفي المعايير الواردة في الفقرة الفرعية (ج) التالية باعتبارها مؤهلة لتلقي المساعدة الواردة في القسم الرابع.

ج. معايير التحديد: يأخذ الرئيس بعين الاعتبار المنظمات التي تنطبق عليها الشروط التالية لدى قيامه بتحديد المنظمات بموجب هذا القسم:

١. أن تضم عضوية متنوعة من الأفراد العراقيين المعارضين لنظام صدام حسين.

٢. أن تكون متمسكة بالقيم الديمقراطية، وباحترام حقوق الإنسان، وبالعلاقات السلمية مع جيران العراق، وبالحفاظ على وحدة أراضي العراق، وبتنمية التعاون بين المعارضين الديمقراطيين لنظام صدام حسين .

واجب التبليغ- على الرئيس- وقبل مدة لا تقل عن ١٥ يوماً قبل موعد تحديد أية منظمة عراقية ديمقراطية معارضة لأغراض هذه الفترة- أن يبلغ لجان الكونغرس المحددة في البند ٦٣٤ (أ) من قانون المساعدات الجنبية لسنة ١٩٦١ حول تحديداته المقترحة، وذلك وفق الترتيبات المتعلقة بإعادة برمجة التبليغات والواردة في البند ٦٣٤ (أ)

لقسم السادس: محكمة تنظر في جرائم الحرب في العراق.

استناداً الى القسم ٣٠١ من قانون تخويل العلاقات الخارجية، والسنتين الماليتين ١٩٩٢ و١٩٩٣ (القانون العام ١٠٢- ١٣٨)، وقرار مجلس النواب المتزامن رقم ١٣٧، وغيرها من قرارات الكونغرس المشتركة، يحث الكونغرس الرئيس على مطالبة الأمم المتحدة بتأسيس محكمة دولية من أجل توجيه التهم ومحاكمة وحبس صدام حسين وغيره من الرسميين العراقيين المسؤولين في إرتكاب الجرائم ضد البشرية، وإبادة الجنس، وغيرها من الانتهاكات الإجرامية للقانون الدولي.

لقسم السابع: المساعدات للعراق لدى استبدال نظام صدام حسين.

يرتأي الكونغرس أنه لدى إزالة صدام حسين من الساطة في العراق ينبغي على الولايات المتحدة مساندة العراق الى التحول الى الديمقراطية، وذلك من خلال تقديم المساعدات الفورية الكبيرة الى الشعب العراقي، ومن خلال تقديم المساعدات اللازمة للتحول الى الديمقراطية الى الأحزاب والحركات التي تتبنى الأهداف الديمقراطية، ومن خلال دعوة دائني العراق الأجانب الى تدبير موقف متعدد الأطراف لمعالجة ديون العراق الخارجية التي تورط بها نظام صدام حسين.

لقسم الثامن:

لايوجد في هذا القانون مايمكن البناء عليه لتخويل استخدام الولايات المتحدة لقواتها المسلحة (باستثناء الفقرات ٤ أ (٢)) في تطبيق هذا القانون

رئيس مجلس النواب

نائب رئيس الولايات المتحدة

رئيس مجلس الشيوخ

الحلقة السابعة: المختبرات المتنقلة - الفشل والتضليل و المحافظون الجدد

نفى الدكتور أحمد الجلبي رئيس"المؤتمر الوطني العراقي"ان يكون"المؤتمر"ضلل الأميركيين في ملف أسلحة الدمار الشامل أو المختبرات الجوالة. وانتقد المدير السابق للاستخبارات المركزية الأميركية ال"سي آي أي"جورج تنيت ووصفه بأنه كاذب وفاشل.

وتحدث الجلبي عن علاقته ب"المحافظين الجدد"قائلاً:"الأفكار التي طرحوها لم يكن لها مجال للتنفيذ. نحن أعطيناهم قضية هي العراق.

نص الحلقة السابعة

> ما قصة المختبرات النقالة للأسلحة البيولوجية؟

- في العام ٢٠٠٢، جاء شخص ادعى أن عنده معلومات عن مختبرات متنقلة للأسلحة البيولوجية. رتب أراس حبيب لهم مقابلة معه في عمان. أخضعوا هذا الشخص لجهاز كشف الكذب، فتبين انه يكذب. مع ذلك أخذوا معلوماته وادعوا لاحقاً بأنهم لم يبلغوا بأنه لم ينجح في اختبار كشف الكذب.

الآخر كان شاباً ادعى أنه يعرف عن برنامج نووي للتخصيب في العراق. وقابلته الاستخبارات الأميركية في كردستان في شباط فبراير ٢٠٠٣ مرة واحدة، ثم قالوا لا نريده، وذهب. هذا هو كل ما لدينا. هذا الموضوع صارت حوله مسألة كبيرة جداً. وخرج تقرير رسمي أميركي هو تقرير روب سيلفرمان الذي قال إن علاقة "المؤتمر الوطني العراقي" بقرار أميركا دخول الحرب "ضعيف وغير موجود". ثم خرج تقرير لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الأميركي التي كلفت التحقيق في الموضوع. وقالت في تحقيقها الأول إن لا علاقة لنا، ثم تساءلت: هل دخلت معلومات استخباراتية إلى الإدارة مباشرة من دون المرور عبر أجهزة الاستخبارات؟ وما هو دور المؤتمر الوطني فيها؟

أرسلت إليّ لجنة الاستخبارات في الكونغرس اثنين من موظفي الحزب الجمهوري، صاحب الغالبية آنذاك، في نهاية العام ٢٠٠٥. كانا رجلاً وامرأة التقيتهما في زوريخ لمدة ست ساعات، وطلبا مني معلومات كاملة عن هذا الموضوع، ثم كتبا تقريراً قدمه رئيس لجنة الاستخبارات السيناتور بات روبرتس. في اللجنة تحرك الديموقراطيون، باعتبارهم خصوم بوش، مع الجمهوري الذي كان يكره المؤتمر الوطني كثيراً

السيناتور تشاك هيغل، والسيناتور أوليمبيا سنو، وهي ليبرالية تنتمي إلى الحزب الجمهوري أيضاً. قال هيغل: مستحيل أن نبرئ المؤتمر الوطني وأحمد الجلبي، فكتبوا في التقرير مسائل ضدنا. وأصدر روبرتس بعدها تقريراً خاصاً، استخدم عبارات قوية جداً، وقال: لم أر تصميماً سياسياً على تغيير الحقيقة مثلما حدث في هذه القضية.

نحن لا علاقة لنا بقرار أميركا دخول الحرب. الشيء المهم جداً هو أن الاستخبارات الأميركية فشلت. تينيت قال لبوش إن معلومات أسلحة الدمار الشامل مؤكدة. كيف تستطيع فئة معارضة تعمل في الخارج وهدفها الرئيسي إسقاط صدام أن تقنع الإدارة الأميركية بدخول حرب ضد صدام بهذه الطريقة؟ هذا خيال.

> ماذا عن قصة المختبرات المتنقلة؟

- ظهر شخص أطلق عليه الأميركيون لقب "كرفبول" Curveball، وكان اسمه الحقيقي رافد أحمد علوان الجنابي. جاء إلى ألمانيا التي أبلغت استخباراتها الاستخبارات الأميركية أن لديه معلومات. وأعطاهم معلومات عن المختبرات البيولوجية. وكان الشخص الذي التقاهم في عمّان وفشل في جهاز كشف الكذب أعطاهم المعلومة نفسها، فاعتقدوا أن هذا تأكيد للمعلومة.

قال روبرتس إن ٩٧ في المئة من معلومات الولايات المتحدة عن الأسلحة البيولوجية في العراق من هذا الشخص علوان. أبلغت الاستخبارات الأميركية الإعلام أن شقيق علوان يعمل في المؤتمر الوطني، وخرج هذا في الصحف، على رغم نفينا. وكتبنا رسالة إلى "نيويورك تايمز" التي قالت إن مصادر الاستخبارات التي كانت تؤكد علاقة علوان بالمؤتمر الوطني تنفي ذلك الآن. لم نكن نعرف هذا الشخص.



رافد أحمد علوان الجنابي

> هل يمكن أن تكون إيران ضللت الأميركيين؟

- لا. علاقتنا بالأميركيين وبالإيرانيين كانت واضحة للطرفين. في العقد بين المؤتمر الوطني ووزارة الخارجية الأميركية العام ٢٠٠٠، كان هناك اتفاق على فتح مكتب في طهران وفي دمشق. جاءنا محام من وزارة الخارجية اسمه توم ووريك، وقال: كيف تريدون فتح مكتب في طهران؟ هناك قرار رئاسي يمنع على الحكومة الأميركية إنفاق أي أموال في إيران. وهذا سيتطلب استثناء من دائرة التحكم بالأصول الأجنبية في وزارة الخزانة. وبالفعل، حصل لنا على موافقة أخذناها وذهبنا إلى طهران.

> هل تعتقد أن الأميركيين أساؤوا التصرف؟

- قطعاً.

> من منهم؟

- المسؤول الأول عن هذا الموضوع هو الرئيس بوش الذي استمع في نهاية المطاف إلى من قالوا له إن العراقيين غير قادرين على حكم أنفسهم، واستمع إلى نصائح بعض حلفائه كبريطانيا وبعض الدول العربية التي كانت متخوفة من نوع التغيير الذي يحدث في العراق، فأعلن الاحتلال بدلاً من أن يسير في الخط الذي كنا اتفقنا عليه، وهو إعلان حكومة عراقية موقتة تلتزم بموعد للانتخابات بقرار من مجلس الأمن، وتتصرف كحكومة ذات سيادة في العراق. لو حدث هذا، لتفادينا الكثير الكثير من الأخطاء.

> هل قرأت مذكرات جورج تينيت؟

- قرأت جزءاً منها.

> وما رأيك فيها؟

- أول صفحة فيها كذب. في أول مقاطع الكتاب يقول إن ريتشارد بيرل التقاه وهو خارج من البيت الأبيض في ١٢ أيلول ٢٠٠١. في ذلك الحين، كان بيرل في جنوب فرنسا. القضايا والوقائع التي ذكرها كانت خطأ.

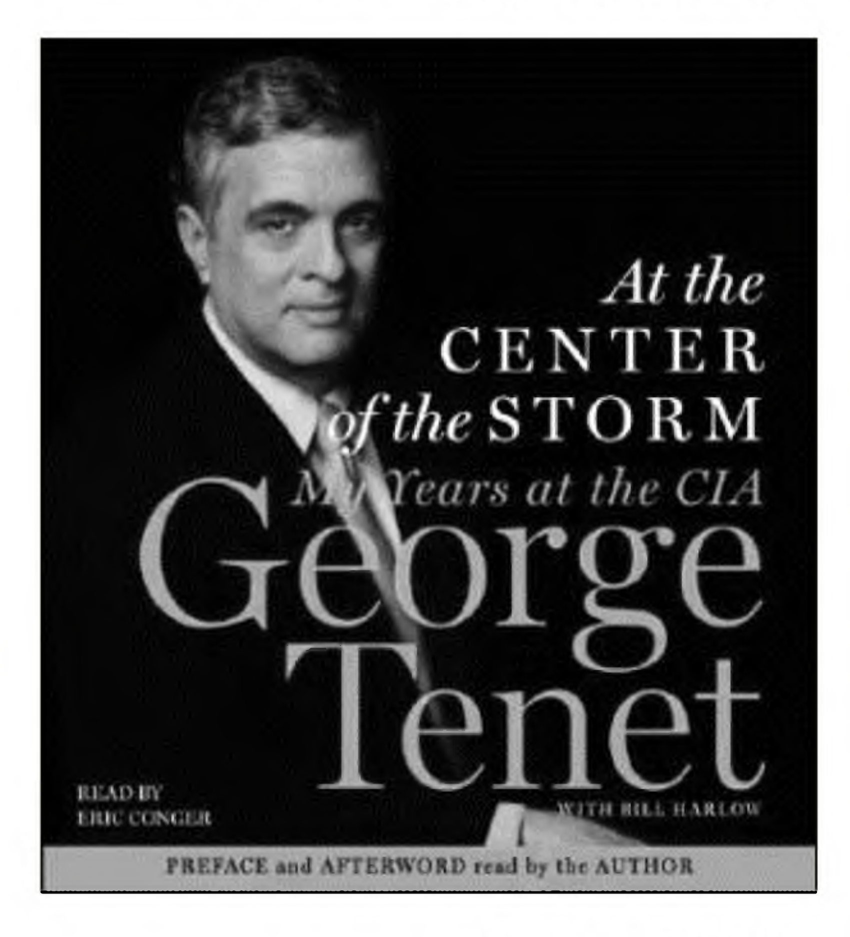
> تقصد أنه كاذب؟

- نعم.

> تحدث عنك في مذكراته؟

- نعم. ذكر مسائل سلبية كثيرة. كل واحدة منها عليها رد. لكنها في شكل عام، قضايا ليست لها أهمية. جورج تينيت لم تكن له علاقة

بالاستخبارات. بدأ حياته السياسية مساعداً في لجنة الاستخبارات في الكونغرس، ثم صار رئيساً للاستخبارات في عهد كلينتون، لأن الأخير لم يكن مهتماً بالوكالة. ومرشح كلينتون توني ليك فشل في الحصول على تأييد الكونغرس. وكان ترشيح تينيت الخيار الأسهل.



> هل تعتقد أنه كان غير كفوء؟

- نعم. تينيت شخص غير كفوء. كان مسؤولاً عن تدبير عملية الانقلاب التي كشفت في العراق العام ١٩٩٦. ولم يكترث بالتحذيرات التي وصلته مباشرة مني عن طريق بعض الساسة الأميركيين الذين أعرفهم. وحدثت مصيبة، إذ شهدت أكبر خسائر لـ"سي آي اي". والفشل الكبير كان في

المعلومات الخطأ المختلقة التي جاء بها تينيت لبوش لتبرير الحرب عن طريق أسلحة الدمار الشامل.

> إذن أنت تقول إن تينيت هو من أتى بالمعلومات الخطأ. هل كان يعرف أنها خطأ؟

- إذا لم يكن يعرف، فهذه مصيبة أكبر. هناك أدلة كثيرة جداً على خطأ هذه المعلومات. الأميركيون التقوا "كرفبول" رافد علوان مرة واحدة فقط واعتمدوا على الألمان، رغم أن السيناتور روبرتس قال إن "كرفبول" كان مصدر ٩٧ في المئة من المعلومات عن أسلحة الدمار الشامل.

> هل قرأت ما كتبه عنك بول بريمر؟

- نعم.

> ما رأيك فيه؟

- سأذكر لك شيئاً واحداً عن بريمر. يقول بريمر إنني الشخص الوحيد الذي يفهم في الاقتصاد بين من قابلهم في العراق.



> لكنه قال أشياء أخرى.

- نعم. اختلفت معه على ٤ قضايا، الأولى إنفاقه للمال العراقي. والثانية محاولة اعتقال مقتدى الصدر وسقوط قتلى، وقلت له: كفى قتلاً لأبنائنا. الأمر الثالث هو موضوع اجتثاث البعث وحل الجيش. أما الشيء الرابع، فهو موضوع السيادة، وهذا هو الأهم.

> ألم تشارك في تضليل وسائل الإعلام الأميركية؟

- أبداً. هدفنا كان إسقاط صدام وكنا نعبئ الرأي العام العالمي ضده، ولم نعط أي معلومات كاذبة عن الوضع في العراق. لم نقل شيئاً عن مختبرات متنقلة أو غيره. إذا كان من السهل تضليل أميركا بهذا المستوى، فلماذا لم يضللها آخرون؟ هل براعتنا بالتضليل وصلت إلى هذا الحد من الدقة، لنقنعهم بالهجوم على صدام اعتماداً فقط على معلوماتنا؟

> لماذا إذن أسقطت إدارة بوش نظام صدام؟

- خافت بعد ١١ أيلول أن يفعل شيئاً. اتضح أن من السهل فعل هذا. لا تنسّ رسائل الأنثراكس التي استهدفت مجلس الشيوخ، ولم يعرف حتى الآن من أين جاءت. أغلقت بناية كبيرة سبعة شهور. ما فعلناه نحن أننا أسسنا شرعية العمل الأميركي ضد صدام في قانون تحرير العراق. وهذه مسألة مهمة.

> هل قابلت الرئيس بوش؟

- ثلاث مرات. الأولى في حفلة استقبال في نيويورك لمناسبة اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة. سلمت عليه، وكنت أنا وابنتي. القيت

وقتها كلمة العراق أمام الجمعية العامة العام ٢٠٠٣ بعد إسقاط صدام، حين كنت رئيس مجلس الحكم.

وفي الرحلة نفسها، رأيته في واشنطن خلال إلقائه خطاب حال الاتحاد. كنت أقف خلف زوجته. وحين أنهى خطابه، صافحته وتحدثنا لثلاث دقائق. أما المرة الثالثة، فكانت في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض ضمن وفد عراقي ضم الدكتور عدنان الباجه جي رئيس مجلس الحكم آنذاك ورئيس الوفد، والسيد عبدالعزيز الحكيم وأنا. كان ذلك في كانون الثاني يناير ٢٠٠٤.



> وغضب منك بعد ذلك؟

- نعم. غضب من هذا الاجتماع. لأنني كنت أطالب بإجراء انتخابات، لذلك ذهبت إلى المسؤولين عن البطاقة التموينية وطلبت منهم معلومات عن المواطنين للخروج بقائمة ناخبين. وهذا ما حصل لاحقاً، ويحدث إلى اليوم. واعتقدت وقتها أنني قادر على إجراء انتخابات خلال

ثلاثة شهور. وذهبت إلى واشنطن وأعلنت ذلك. وكان الأميركيون يريدون تأخير الانتخابات. ويوم إعلاني ذلك في واشنطن، خرجت تظاهرة كبيرة جداً في بغداد تطالب بالانتخابات، فاعتبر الرئيس بوش هذا ليّاً لذراعه.

الأمر الثاني، هو تحريض بريمر بوش عليّ، وهو ذكر هذا في مذكراته. قال له إنني أصبحت شوكة في خاصرة الأميركيين. وفي نيسان أبريل ٢٠٠٤، أصدر بوش مذكرة لم أطلع عليها، بصفته رئيساً لمجلس الأمن القومي، تدعو إلى تهميشي. وهذا كان الأساس الذي اعتمد عليه بريمر للهجوم علي في بغداد بعد ذلك بشهر عقب زيارة بلاكويل.

> ما قصة الهجوم الأميركي على منزلك في بغداد؟

- تم هذا بسبب ثلاث قضايا. الأولى هي العمليات التي قاموا بها ضد التيار الصدري في بغداد والنجف. أنا وقفت في مجلس الحكم في نيسان أبريل ٢٠٠٤.

الأمر الثاني هو قضية الأخضر الإبراهيمي الذي أرسلته الأمم المتحدة مبعوثاً لها إلى بغداد. وفي أول زيارة له كتب تقريراً إلى الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك كوفي أنان الذي أرسله بدوره إلى مجلس الحكم. وتضمن هذا التقرير هجوماً شديداً على الأكراد والشيعة. وتُلي هذا التقرير في المجلس، وأثار ضجة. واقترحنا تشكيل لجنة للرد على أنان. كانت اللجنة تضم الدكتور محمود عثمان وحميد مجيد موسى والدكتور إبراهيم الجعفري وأنا. اجتمعنا وأعددنا رداً لأنان، لم نذكر فيه الإبراهيمي، لكن اتضح من ردنا أننا لا نرحب بعودته. وقع الرد رئيس مجلس الحكم السيد محمد بحر العلوم لإرساله إلى أنان. وحين رآه بريمر، منع إرساله. بعد ذلك بـ٤٨ ساعة، وصل إلى بغداد المستشار الخاص لبوش حول العراق السفير روبرت بلاكويل. اتصل بي بريمر وطلب عقد اجتماع.

وعندما ذهبت إلى القصر، وجدت معه بلاكويل الذي سألني: لماذا تقف ضد الإبراهيمي؟، فأجبت بأنني أعتقد أن الإبراهيمي يريد إعادة شيء مشابه لوضع العراق في زمن صدام من ناحية علاقاته بالدول العربية ومن يسيطر على الحكم في بغداد. وأوضحت أن كل ما عملنا عليه كان هدفه تغيير ذلك، واعتقد بأن الإبراهيمي سيسبب لنا مشاكل. رد بلاكويل قائلاً إن الإبراهيمي يحظى بثقة أنان، وبتأييد الرئيس بوش الذي التقاه مرتين. قلت له: مع كامل الاحترام لهذا الشخص المهم وتاريخه، أريد أن أذكرك بأنه دبر زيارة لعنان للقاء صدام في شباط فبراير ١٩٩٨، بهدف إنقاذه من قضية المفتشين.

بعد نصف ساعة من الحديث. طلب بلاكويل من بريمر أن يغادر غرفة الاجتماع. وباغتني بلاكويل بالقول: هل تعرف من أنا؟ أنا الممثل الشخصي للرئيس بوش. ووضعك مرتبك في البيت الأبيض. فقلت له: وماذا بعد؟ قال: إذا كنت ستقف في وجه سياسة الرئيس بوش، سنلقي بكامل ثقل الولايات المتحدة للضغط عليك. فرددت بأن هذه الحجة لا تقنعني وتركت الاجتماع.

النقطة الثالثة التي أزعجت بريمر كثيراً، هي أنني كنت أقول له في مجلس الحكم إنك صاحب التوقيع الوحيد على أموال العراق، فانتبه كيف تنفقها. هناك مشاكل في المحاسبة. وهذا كان يضايقه. حذرني أحد أصدقائي في مجلس الحكم من أن بريمر سيؤذيني إذا استمر طرحي للمسائل المالية. بعدها خرجت الاستخبارات المركزية الأميركية بقضية إرسال معلومات إلى إيران.



> وهل أرسلت معلومات إلى إيران؟

- لا طبعاً. هذا اتهام سخيف جداً. قالوا إنني أبلغت الإيرانيين بأن الولايات المتحدة تمكنت من فك شفرة اتصالاتهم. فقام ضابط استخبارات إيراني بإرسال هذه المعلومة بنفس الشفرة إلى طهران. أي

شخص لديه معرفة بسيطة بعمل الاستخبارات، يدرك أن هذا مستحيل.

جرت تحقيقات كبيرة. ولم يعرف الأميركيون كيف حصلت على هذه المعلومة. اتهموا كثيرين، لكن لم يحصلوا على شيء. ودعيت بعد ذلك إلى الولايات المتحدة في تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٠٥ للقاء مسؤولين بينهم نائب الرئيس ووزيرة الخارجية ووزير الدفاع ووزير التجارة ووزير الخزانة ومستشار الأمن القومي.

> متى كان أول اتصال بينك وبين"سي آي أي"؟

- في العام ١٩٩١ في لندن.

> هل بادروا هم الى هذا الاتصال؟

- كانت لي علاقات مع وزارة الخارجية الأميركية بدأت في بيروت عام ١٩٧١. تم أول اتصال بين الأكراد والأميركيين في منزلي في بيروت.

> مع ال"سي آي أي"؟

- جاء مندوب من قبل الملا مصطفى بارزاني هو سكرتير المكتب السياسي لـ"الحزب الديموقراطي الكردستاني"حبيب محمد كريم. اتصلت وقتها بعادل عسيران، فاتصل بلبناني يعمل في السفارة الأميركية طلب منه أن يبعث شخصاً لمقابلة مهمة. وأرسل ديبلوماسياً أميركياً في القسم السياسي في السفارة إلى منزلنا في بيروت.

وفي عمّان تعرفت إلى السفير الأميركي في الأردن ريتشارد فيتس في مطلع الحرب العراقية - الإيرانية، وشرحت له ما أتوقع أن يحدث. وأحضر فيتس لاحقاً إلى عمّان مسؤول قسم رعاية المصالح الأميركية في بغداد

آنذاك توماس ايغلتون الذي صار سفيراً في دمشق لاحقاً، وعقدنا اجتماعاً استمر ثلاث ساعات للبحث في الوضع.

بعد ذلك، اجتمعت بنواب أميركيين في عمّان في الثمانينات. كانوا كلهم يؤيدون صدام، وخضنا نقاشات حادة حول ذلك. استمرت العلاقات معهم. وفي نهاية الثمانينات قبل أن أغادر عمّان، تعرفت إلى رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الأميركي كليبورن بيل عن طريق صديقي بيتر غالبريث الذي أصبح بعد ذلك سفيراً للولايات المتحدة في كرواتيا، وعمل مع كليبورن على مشروع قانون بعدما أبلغته أن صدام يحصل على بليون دولار سنوياً في صورة تسهيلات مالية عن طريق وزارة الزراعة الأميركية. وصدر بعدها قرار بمنع صدام، ما أثار حفيظة إدارة رونالد ريغان التي ردت بمشروع قانون يمنح الرئيس صلاحية منح هذه المساعدات.

> متى بدأت علاقتك مع إيران؟

- من زمن بعيد. كانت لوالدي علاقات معها، وبعده أنا في العام ١٩٦٩. وحين قامت الثورة الإسلامية، ساهمت في تنظيم العلاقات بين الإيرانيين والحركة الكردية في العراق. وسهلت عملية نقل جثمان المرحوم الملا مصطفى بارزاني من أميركا إلى إيران لدفنه عام ١٩٧٩، قبل نقل رفاته إلى العراق عام ١٩٩٣.

> إذن، كانت علاقتك بإيران تسير بالتوازي مع علاقتك بالأميركيين؟

- نعم، طبعاً. كنت مقتنعاً أن عمليتنا لن تنجح إلا إذا حدث نوع من التفاهم الضمني على إنجاحها بين أميركا وإيران.

> وهذا ما حصل؟

- هذا ما حصل طبعاً.

> وما قصة جمعك الأكراد مع المجلس الأعلى في العام ١٩٧٩؟

- كان الأكراد ممتنين للمرجع السيد محسن الحكيم لإصداره فتوى في العام ١٩٦٦ تحرم قتال الأكراد. وفي العام ١٩٦٩، عقد اجتماع بين الملا مصطفى بارزاني والسيد مهدي الحكيم الذي شارك معنا في طهران في الحركة ضد نظام"البعث".

بعد ذلك توقفت العلاقات، حتى حدثت تحركات كردية في إيران العام ١٩٧٩ ضد الثورة الإسلامية. كان ولدا الملا مصطفى، وهما المرحوم إدريس ومسعود، موجودين في طهران. وكان وضعهما قلقاً بسبب اتصالاتهما السابقة بالشاه. فبادرت الى الاتصال بمسعود هاتفياً. وقلت له إن عليهم اتخاذ موقف من الوضع الكردستاني في إيران، فرد قائلاً: لن نسمح لأعداء الجمهورية الإسلامية بالوصول إلى الحدود العراقية - الإيرانية، طالما بيدنا شيء. سألته إن كان يمانع في إجراء اتصال بالثورة، فرحب. واتصلت بالسيد محمد باقر الحكيم الذي كان في طهران، وقلت له: قابل مسعود وإدريس بارزاني لإنشاء علاقة معهما، فقال: على الرحب والسعة. اعطيتهما هاتفه وحصلت الاجتماعات من جديد. وبعد ذلك، خطط الطرفان في طهران للانتفاضة الشعبانية بعد حرب الخليج.

> أليس"المؤتمر الوطني العراقي"هو مصدر معلومات ادارة بوش عن أسلحة الدمار الشامل؟

- هذا غير صحيح. فقد بادر البيت الأبيض الى الاتصال بنا في تشرين الأول أكتوبر ٢٠٠١، وسُئلنا إذا كنا نعرف أشخاصاً لهم علاقة ببرنامج

أسلحة الدمار الشامل. فقلنا إن لا علاقة لنا بهذا الامر. وفي هذه الفترة، جاءنا بالصدفة شخص اسمه عدنان الحيدري قال إنه متجه إلى دمشق، وإنه كان يبني غرفاً ضد الإشعاع في العراق ولديه معلومات وخائف. سهلنا سفره إلى تايلاند. ورتب هذا الأمر من لندن مسؤول الاستخبارات في"المؤتمر الوطني العراقي"اراس حبيب. اتصلنا بمراسلة"نيويورك تايمز"جوديث ميلر، وقلنا لها إن هذا الشخص لديه معلومات، إذا رغبت في مقابلته. وبالفعل، سافرت إلى تايلاند والتقته ونشرت المقال. أبلغنا واشنطن بمكانه، فأرسلت ضباطاً من استخبارات وزارة الدفاع للقائه. قالوا إن لديه معلومات كاملة واصطحبوه إلى أميركا، لكنهم أعربوا عن انزعاجهم من نشر المعلومات في"نيويورك تايمز".

> هل كان"البيت الشيعي"ردك على الأميركيين؟

- لا. نظمنا البيت الشيعي لأن الأميركيين شكلوا مجلس الحكم على أساس طائفي. ورأيت أنه إذا ترك الوضع على الغارب للأطراف العراقية الموجودة في مجلس الحكم، فمن الممكن أن تصير شرذمة في الوضع السياسي، ويسهل على الأميركيين التحكم في الوضع في ظل عجرفة بريمر. لذلك، أسسنا البيت الشيعي لجمع كلمة الأعضاء الشيعة وتكوين كتلة داخل مجلس الحكم تلتزم بقرارات لمصلحة العراق والحصول على السيادة ومجابهة بريمر.

> بقراءتك المتأخرة، من دفع باتجاه المغامرة الأميركية في العراق، نائب الرئيس أم مدير الاستخبارات؟

- أعتقد أنه صار هناك وضع سياسي في واشنطن. واقتنع الرئيس بضرورة التحرك ضد العراق، وأيد نائب الرئيس هذه القضية، كما أيدتها بشدة وزارة الدفاع وأعضاء في الكونغرس.

> هل كانت علاقتك جيدة برامسفيلد؟

- لم تكن عميقة. لكن كان هناك احترام متبادل.

> مع من من مساعدي رامسفيلد كانت علاقتك جيدة؟

- كانت علاقتي جيدة مع بول وولفويتز. ساعدناه كي يصبح شخصية بارزة حين كان خارج السلطة في عهد كلينتون. أصبح وكيل وزارة الدفاع في عهد بوش، ثم عميداً لكلية الشؤون الدولية في جامعة جون هوبكنز في واشنطن. وهناك ساعدناه كثيراً.

> كيف؟

- كنا نعطيه معلومات تمكنه من كتابة مقالات عن مسائل حقيقية تجري في العراق ولم تطلع عليها الإدارة، فاكتسب صدقية وصار يدعى للشهادة أمام الكونغرس الأميركي، وكنا نزوده معلومات حقيقية لاستخدامها في هذا المجال. وأصبح شخصية معروفة في واشنطن في شأن العراق.

> هل ما زالت علاقتك به مستمرة؟

- لم أتحدث إليه بعدما هاجمني الأميركيون في العراق، ولم يتصل هو بي.

> وعلاقتك بريتشارد بيرل؟

- قوية.

> حتى اليوم؟

- نعم.

> يعني علاقتك كانت بالمحافظين الجدد؟

- الأفكار التي طرحها المحافظون الجدد لم يكن لها مجال للتنفيذ. نحن أعطيناهم قضية هي العراق. هم استفادوا كثيراً من وجودنا وتكويننا السياسي في طرح موضوع قابل للتنفيذ. باقي المواضيع التي طرحوها لم تنفذ. كانت فاشلة، مثل قضايا سورية وإيران و"حزب الله"و"حماس"والشرق الأوسط الجديد. كان هذا كله فاشلاً. ونحن استفدنا منهم كثيراً.

> هل صحيح أنك أقنعت الأميركيين بأن ديموقراطية حديثة ستقوم في العراق إذا أسقطوا صدام؟

- نعم. وصارت هناك ديموقراطية. العراق الآن دولة ديموقراطية.

> من كان يحرض عليك في الاستخبارات الأميركية غير جورج تينيت؟

- كثيرون. المسؤولون عن دائرة الشرق الأدنى في"سي آي اي"منذ العام ١٩٩٥ كانوا ضدي. كلهم.

> هل كانت علاقاتك غير طيبة مع وزراء الخارجية؟

- علاقتنا معهم كانت هامشية. لكن كولن باول كان ضدنا وكذلك نائب وزير الخارجية ريتشارد أرميتاج.

> لماذا لك أعداء كثيرون؟

- لأنني جئت لتغيير واقع حقيقي في الشرق الأوسط وفي السياسة الأميركية إزاء المنطقة. هناك مصالح هائلة كانت تدعم الحال السياسي الموجود. وجئت أنا وعملت على تغيير هذا الواقع في أميركا. أنظمة عربية كثيرة تعتمد على جماعات في أميركا لدعمها وإبقائها في السلطة. جئت أنا وغيرت هذا الواقع من خارج الإطار المعتمد. وأدخلت في واقع السياسة الأميركية أشخاصاً جدداً غير الأشخاص المعهودين، وأصبحت لهم أصوات مسموعة في الشأن العراقي.

> هل لك علاقات مع الإدارة الأميركية الحالية؟

- لا.

> ألست بحاجة إلى هذه العلاقات؟

- أميركا دولة عظمى لها وجود في المنطقة. لكن لا أعتقد أن لنا مصلحة في علاقة وثيقة أو قوية معهم.

> ألا تخشى عودة الحرب الأهلية في العراق بعد خروج الأميركيين؟

- لا. أنا واثق أن العراقيين يستطيعون السيطرة على الوضع. أنا تقريباً الوحيد بين قلة من السياسيين خارج المنطقة الخضراء في مناطق تعتبر ساخنة. ولم تكن لي حماية أميركية أبداً.

> هل تعرضت لمحاولة اغتيال؟

- مرات عدة.

> من كان وراءها؟

- كثيرون."القاعدة"، ثم بعض البعثيين. آخر عملية استهدفت موكباً لي لم أكن فيه في أيلول الماضي. البعثيون أرسلوا لنا سيارة مفخخة قبل ذلك، فككناها قبل أن تنفجر.

> أين عزت الدوري باعتقادك؟

- لا أعرف.

> غير معقول. أنت شخص في موقع ولديك معلومات؟

- صحيح لا أعرف. نسمع مرات أنه في العراق.

> وهل يمكن أن يكون خارج العراق؟

- محتمل. لكن ليس عندي أساس لأي معلومات.

> ماذا تحمل غير الجنسية العراقية؟

- أحمل الجنسيتين اللبنانية والبريطانية.

> كيف حصلت على اللبنانية؟

- والد زوجتي المرحوم عادل بك عسيران في العام ١٩٨٢. اتصل بي قائلاً إنه حصل لي على الجنسية من الرئيس إلياس سركيس.

استعملت جواز سفري العراقي حتى رفضوا تجديده، فاستعملت جواز السفر اللبناني. وحين حاولت السفر إلى أوروبا حدثت مشاكل، فحصلت على جواز السفر البريطاني.

> بأي صفة شاركت في مؤتمر جنيف للحوار اللبناني؟

- كان هناك تسعة قادة مدعوين، بينهم المرحوم عادل عسيران. كنت في الأردن، فاتصل بي وقال لا بد أن تأتي معي إلى جنيف. فسألته: بأي صفة؟ فرد: ولماذا حصلنا لك على الجنسية اللبنانية؟

كان لكل شخص مرافقان يدخلان معه في القاعة. أخذ ابنه علي بك النائب الحالي وأنا، في مؤتمر جنيف وبعده مؤتمر لوزان.

سأروي لك قصة من مؤتمر جنيف. حين عقدت المعاهدة اللبنانية - الإسرائيلية اتفاق ١٧ أيار التي سعى من أجلها الأميركيون، انزعجت كثيراً. فذهبت إلى مؤتمر جنيف، وقلت لعمي إن هذا الاتفاق أسوأ من الاحتلال لأنه يشرعن دخول الجيش الإسرائيلي إلى لبنان متى يشاء، فتصبح له صفات المحتل من دون أن يتحمل تكاليف الاحتلال. وقلت له إن هذا الاتفاق اتفاق سلام، والدولة اللبنانية ليست معنية بالحرب، رغم أنه يتم على أرضها. واتفاق السلام لا بد أن يكون بين المتحاربين. عندما تعقد اتفاق سلام من دون أن تسيطر على الأطراف المتحاربة على أرضك، يتم هذا على حسابك. فاقتنع بهذا الرأي.

> على من تعرفت في جنيف؟

- كثيرون. الرئيس كميل شمعون كنت أعرفه من صغري وتحدثت معه، وكان يعرف والدي وشقيقي طلال.

> **هل تعرفت على رفيق الحريري هناك؟**

- رأيته هناك. كان عادل بك يزور الرئيس رشيد كرامي، فذهبنا إلى جناحه. وكان نبيه برّي وعبدالحليم خدّام هناك، ودخل الحريري وأشار إلى الرئيس برّي وتحدثا على انفراد، فصرخ خدّام: انتبه يا نبيه.

بدأت العلاقة مع الحريري في عمّان. أسست مدرسة بالتعاون مع الأمير حسن وأنفقنا عليها من البنك. وكان الأمير قلقاً على مستقبل المدرسة. وحين جاء الحريري، دعاني الأمير للقائه على أمل دعمه المدرسة. وحين تكلمت معه، قلت له: نحن نأمل في دعمك المعنوي. قال: المعنوي فقط؟ قلت له: نعم.

الحلقة الثامنة (الأخيرة):

المال والسلطة

قال أحمد الجلبي إنه لا يشعر بالخوف عندما يتجول بين الناس في شوارع بغداد، وإنه نادم على ترك عائلته أكثر من اللازم للاهتمام بالمسائل العامة.

ونفى ان يكون واحداً من رجال الأعمال قائلاً إن المال لا يعنيه إلا بالقدر الذي يغنيه عن الناس والحاجة. وأبدى إعجابه بالجنرال ديغول لأنه دافع عن فرنسا من دون ان يكون لديه شيء.

نص الحلقة الأخيرة

> دكتور الجلبي. متى ولدت؟

- في ١٩٤٤/١٠/٣٠ في حي الأعظمية في بغداد. والدي هو عبدالهادي عبدالحسين الجلبي، ووالدتي بيبي حسن البصام.

> وكم أخ لك؟

- خمسة هم رشدي وحسن وجواد وطلال وحازم. وثلاث شقيقات هن ثمينة ورئيفة ونجلا. ورشدي هو أكبرنا وولد عام ١٩١٧.

> أين درست؟

- درست في مدرسة عادل الابتدائية في بغداد. ثم في كلية بغداد للآباء اليسوعيين، وبعدها لثلاث سنوات في كلية"سيفورد كولدج"في بريطانيا، ومنها إلى"معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا"في العام ١٩٦١. وحصلت على درجة بكالوريوس العلوم في الرياضيات. والتحقت بجامعة شيكاغو في العام ١٩٦٥، وحصلت منها على دكتوراه في الرياضيات بعد ذلك بأربع سنوات.

> هل لك انجاز علمي في مجال الرياضيات؟

- نعم. أنجزت نظرية في الجبر على شيء من الأهمية.

> كانت عائلة الجلبي تتعاطى في السياسة، وهي من رجال المال؟

- نحن من قبيلة طي العربية التي تسكن شمال سورية، ودخلت إلى العراق في آخر حملة عثمانية لاحتلال العراق من الصفويين بقيادة

السلطان مراد الرابع في العام ١٦٣٧. سكنوا في منطقة الكاظمية وفي مدينة بلد شمال بغداد. وعينهم العثمانيون حكاماً للعاصمة، وكانوا على علاقات واسعة بالعشائر العربية التي وفدت إلى العراق من الجزيرة العربية وسورية، مثل تميم وزوبع. وشاركوا في العمل السياسي وكانوا يملكون أراض، ووالدي دخل في التجارة بشكل واسع. وكان جدي عضواً في الجمعية التأسيسية العراقية التي انتخبت العام ١٩٢٢، ثم عضواً في مجلس الأعيان. واصبح وزيراً للمرة الأولى في حكومة عبدالمحسن السعدون في العام نفسه، حين تولى حقيبة المعارف. ودخل الحكومة ثماني مرات حتى وفاته عام ١٩٣٩.

في العام ١٩٣٠، فاز والدي بالانتخابات في الكاظمية، واصبح وزيراً في العام ١٩٤٤ في وزارة أرشد العمري وبعدها في إحدى وزارات نوري السعيد. وفي العام ١٩٤٨ عضواً في مجلس الأعيان، ثم نائباً لرئيس المجلس، وشغل رئاسته لفترة. وبعد ذلك أصبح شقيقي الأكبر رشدي نائباً عن الكاظمية في ١٩٤٨، ثم وزيراً في عام ١٩٥٤ في إحدى وزارات نوري السعيد وبقي حتى ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨.

> هل كانت تربط عائلتكم علاقة خاصة مع نوري السعيد؟

- نعم. كانت هناك صداقة. وحين حاول السعيد الفرار، أخذته أختي ثمينة وزوجها وشقيقه من منطقة كرادة مريم التي أصبحت الآن المنطقة الخضراء، إلى بيت عم أمي في الكاظمية. وبعدها ذهب بطلب منا إلى بيت الحاج محمود الاسترباضي في الكاظمية. وكانت زوجة الحاج محمود المرحومة السيدة بيبي، وهي من عائلة معروفة إيرانية الأصل، صديقة والدتي منذ الصغر. وجاءت يوم ١٥ تموز يوليو ١٩٥٨، وكان عندهم نوري السعيد، لتطلب من والدتي أن تساعدها في إخراجه من

دائرة الخطر في بغداد. كنت صغيراً واتفقتا أمامي على خطة. وبعد ٥ ساعات، سمعنا أنها قتلت مع نوري السعيد في الكرادة.



الوفد العراقي الى مؤتمر التجارة العالمي / **1944**
من اليمين / الجالسون:خضوري شكر، نوري فتاح،حافظ القاضي، عبدالهادي الجلبي
الواقفان: مير بصري ، اسكندر اصطيفان

> هل انت حاقد على الثورة؟

- لا. لست حاقداً على الثورة. لكنني كنت في العهد الملكي معجباً بالوضع في العراق. كنت مهتماً بالأوضاع السياسية منذ صغري، وحضرت تشكيل وزارات ومناقشات سياسية في منزلنا. كان هناك إعمارومشاريع. وبعد ١٤ تموز، تضررت عائلتنا جداً. كان والدي خارج البلاد، ودخل شقيقي رشدي السجن. ثم خرج بعد فترة.

وسافرت إلى بريطانيا بعد ذلك بثلاثة شهور، ثم انتقل أهلي إلى بيروت عام ١٩٥٩. وكنت أزورهم دائماً في الإجازة الصيفية، وأتابع الوضع من الخارج.

> ماذا فعلت بعد إنهاء دراستك في شيكاغو؟

- ذهبت إلى طهران بعد أسبوع من إنهاء الدكتوراه، للعمل على إسقاط نظام البعث مع السيد مهدي الحكيم وسعد صالح جبر وعبدالغني الراوي وعبدالرزاق النايف. كان ذلك في العام ١٩٦٩. كان هناك تعاون مع الحركة الكردية بقيادة الملا مصطفى بارزاني.

> كانت السافاك الاستخبارات الايرانية تدعم هذه الحركة؟

- نعم. وفشلت بسبب غباء السافاك. تجمعت عندي معلومات أن المحاولة ستفشل، وحذرتهم من ذلك. كان معي شقيقي حسن، وبعد عودتنا من طهران إلى بيروت بشهر كشفت المحاولة. وأُعدم عشرات الأشخاص. هذه التجربة علمتني أن نظام البعث لا يمكن الخلاص منه بانقلاب. صدام كان خير المتآمرين. كان يعرف ما معنى التآمر، وعمل على إهانة بعض ضباط الجيش العراقي ورشوة بعضهم للسيطرة عليهم. قام بأعمال فظيعة تجاه الجيش.

بقيت هذه المحاولة في ذهني مع محاولات الانقلابات المخترقة في السبعينات، دليلاً على أن البعث لن يتغير عن طريق الانقلاب. في إحدى هذه المحاولات، قُتل ضابط اسمه صالح مهدي السامرائي على يد الاستخبارات العراقية في بيروت العام ١٩٧٤. وهو كان يعمل على تحويل الثورة الكردية آنذاك إلى حركة عراقية. وكان يمثل الحزب الديموقراطي الكردستاني، وأرسله الملا مصطفى بارزاني إلى بيروت لهذا الغرض.

كنت أعمل وقتها على هذه الخطة مع السامرائي ومندوب الحزب عزيز رضا، وهو في أوروبا الآن. دعاني السامرائي إلى حضور اجتماع مع ضابط عراقي يدعى عدنان شريف قُتل في بداية الحرب مع إيران العام ١٩٨٠،

وهو كان نسيب حماد شهاب وزير الدفاع. وبعد الاجتماع، عُثر على جثة صالح السامرائي في صندوق سيارة في منطقة عاليه.

رغم ذلك استمرت محاولات الانقلاب. في العام ١٩٨٢ حدثت محاولة اخرى. كان مرشحاً لقيادتها مدير في الاستخبارات العسكرية اسمه شفيق الدرّاجي، وتولى سكرتارية مجلس قيادة الثورة طوال عهد البكر. وبعدها، عُين سفيراً في السعودية. وحدث هجوم المحمرة على الجيش العراقي في أيار مايو ١٩٨٢، فاستدعي الدراجي إلى بغداد، وتُوفي.

> إذن. أنت ذهبت الى ايران في العام ١٩٦٩؟

- نعم. ومكثت هناك من أيلول سبتمبر حتى كانون الأول ديسمبر، وغادرت خلال هذه الفترة إلى لندن في تشرين الأول لإقناع عبدالرزاق النايف. بعد ذلك، ذهبت إلى بيروت وعينت أستاذاً في الجامعة الأميركية، حيث مكثت ست سنوات حتى غادرت في العام ١٩٧٦ إلى عمان لتأسيس "بنك البتراء"، وأدخلت بطاقات الائتمان إلى المنطقة وأول نظام كومبيوتر في العمل المصرفي في الشرق الأوسط.

> ما هي التهمة الموجهة اليك في الاردن؟ وهل طلبوا منك وضع مبلغ في البنك المركزي؟

- لم يطلب مني شيئ كهذا. وكل الذين وجهت إليهم تهمة مشابهة لتهمتي في الأردن حصلوا على البراءة. لم يدن أحد سوى أفراد عائلتي، على رغم أن لا علاقة لهم بعمل البنك. كان شقيقي رشدي عضو مجلس إدارة يأتي إلى عمّان ست أو سبع مرات سنوياً، ويبقى ثلاثة أو أربعة أيام، ثم يسافر. كيف أدانوه فيما حصل باقي أعضاء مجلس الإدارة على البراءة وصار أحدهم وزيراً وآخر رئيس حكومة؟

> وما رأيك انت في هذه القصة؟

- هذه باختصار قضية سياسية. صدام كان يرتكز الى ثلاثة أمور: الإرهاب والدعم الخارجي والمال. أنا عملت على قضية مهمة جداً في أواخر الحرب العراقية هي منع الائتمان عن صدام. كان ممثلو البنوك العالمية الكبرى يمرون عليّ في الأردن قبل زيارة العراق ليسمعوا رأيي. فكنت أشرح لهم وضع صدام لإغلاق أبواب الائتمان في وجهه.

من جهة أخرى، عملت على قضية البنك الإيطالي"بي ان ال"الذي وجد صدام مخرجاً لنفسه عن طريق أحد فروعه الصغيرة في ولاية جورجيا الأميركية، لينجز من خلاله معاملات لاستيراد القمح من الولايات المتحدة. وأغلقت هذا عليه.

> هناك كتابات كثيرة تقول إنك تمزج بين العائلة والمؤسسة في مشاريعك المصرفية، وانك تحول أموالك الى"جنات ضريبية". هل قرأت كتاب"الرجل الذي دفع أميركا إلى الحرب"؟

- نعم. لكن هذا الكلام تافه. لم يجدوا أي توقيع لي على ورقة مخالفة للقانون. اقرأ قرار المحكمة. يقول القاضي: لم أجد رجلاً مخلصاً لهذه المؤسسة مثل هذا الرجل، ومع ذلك صدر حكم ضدي.

> هل جرت محاولات لحل المشكلة عندما كنت مسؤولاً في الحكم في العراق؟

- عندما وصلنا إلى بغداد في ١٤ نيسان أبريل ٢٠٠٣، جاءتني ابنتي لتقول إن مراسل تلفزيون أبوظبي وهو مصري، يقول: الشيخ محمد بن زايد يريد أن يكلمك. لم أكن أعرفه. قال لي على الهاتف: أولاً، أهنئك على النجاح الباهر الذي حققتموه. ثانياً، لدينا بعثة للحاجات الإنسانية في

الأردن والعراق ستكون بتصرفك. وثالثاً، القضية مع الاردن منتهية وأي شيء تتفقون عليه أنا مسؤول عنه. شكرته وقلت انه ليست لدي مشكلة. لكن لم يحدث أي اتصال آخر.

> هل تشعر بطمأنينة في بغداد، أم بالقلق؟

- لا. لست قلقاً. أنا أمشي بين الناس كثيراً في بغداد.

> هل ما زال لك مستقبل؟

- لي ماض. والمستقبل مرآة للماضي.

> وكيف تصف ماضيك؟

- مهم. جيد.

> في الكتب التي تنتقدك، وهي كثيرة، كلام عن أنك كنت تتمنى أن تصبح رئيساً للعراق. هل راودك هذا الحلم؟

- أبداً.

> ولا حتى رئاسة الحكومة الانتقالية؟

- أبداً.

> وماذا كان ينقصك؟

- لا شيء. أنا أكره السلطة. لا أحبها.

> وماذا تحب؟ البيزنس؟

- لا. ولا البيزنس أحبه. أحب العلم والمعرفة والاطلاع على الدنيا ومساعدة الناس. في السلطة، ستظلم طرفاً مهما كنت عادلاً. لم يكن حلمي أبداً السلطة. لو كان هذا حلمي، لكان سهلاً أن أجاري بريمر والأميركيين وأقيم علاقات. كان عندي من الإمكانات في تلك الفترة في العراق ما يمكنني من أن أكون في قلب الأميركيين. إذا قرأت أي كتاب، ستجد أنني كنت أشاكس بريمر وأتدخل في تفاصيل عمله وأنتقده. لو كنت أريد أن أصبح رئيساً، كيف كنت افعل هذا والقرار بيد الأميركيين؟

> لكنك توليت رئاسة مجلس الحكم مرة؟

- نعم. كل شخص تولاها شهراً.

> ماذا تقرأ؟

- أقرأ كثيراً في الرياضيات والتاريخ والفلسفة والسير والأدب والقصص.

> بمن أعجبت في شبابك؟ من أثر فيك؟

- النبي محمد صلى الله عليه وسلم والإمام علي رضي الله عنه لأنه فضل الحق على السلطة، والإمام الحسين لأنه انتصر بموته. والاسكندر المقدوني لأنه وحد الحضارات في العالم.

في التاريخ الحديث، أثر عليّ الفيلسوف هيغل لأنه أسس حركة في التفكير، واكتشفت أن هذا الموضوع موجود في الفلسفة الإسلامية عند صدر الدين الشيرازي الذي أثر فيّ تأثيراً كبيراً جداً، كما فعل الشيخ محيي الدين بن عربي بكتبه وأفكاره. وعالم الرياضيات الألماني بيرنهارد ريمان،

وعالم الرياضيات الفرنسي ايفريست غالوا الذي توفي وعمره ٢١ عاماً. وكثيرون غيرهم.

> ومن من السياسيين؟

- الجنرال ديغول لأنه وقف يدافع عن فرنسا عندما لم يكن لديه شيء. وقف أمام القوى التي لها الإمكانات المادية الهائلة، وهي بريطانيا وأميركا وأصر على مواقف وطنية.

> وماذا عن السياسيين العرب؟

- في العراق أحترم الملك فيصل الأول ونوري السعيد.

> هل تخاف عندما تتذكر أن التاريخ العراقي كله سحل واغتيالات؟

- التاريخ العراقي فيه كثير من العنف. لكنني أعتقد أن الشعب العراقي حي يستطيع أن ينهض بالعراق.

> هل يعني لك الشعر شيئاً؟

- قليلاً.

> ألا تقرأ روايات؟

- أقرأ روايات وشعراً بالعربية والانكليزية.

> هل أنت رجل ثري أم ثري جداً؟

- أنا رجل مرتاح.

> تعرض العراق لعملية نهب غير مسبوقة. ما هي حدود استفادتك من هذا الوضع؟

- أنا من كشف النهب. أنا مسؤول عن كشف هذا النهب بالتفصيل، لكن مع الأسف لم تكن هناك استجابة. ولم أحصل على أي منفعة من أي موضوع أو مشروع يتعلق بالحكومة في العراق.

> هل تتهم الأميركيين بنهب العراق؟

- هم خلقوا ثقافة النهب المبرمج في العراق.

> ونهبه عراقيون؟

- أكثرهم عراقيون، وبعض الأميركيين. لكن كثيراً من النهب الحقيقي قام به عراقيون.

> وأنت لا علاقة لك بهذا؟

- أبداً. أنا توليت لمدة سنة من أيار مايو ٢٠٠٥ رئاسة لجنة العقود الحكومية. كل عقد في العراق بأكثر من ثلاثة ملايين دولار كان يمر على هذه اللجنة التي اجتمعت خلال هذه السنة ٧٥ مرة، أي بمعدل ثلاث مرات كل أسبوعين. هذه اللجنة أتحدى أن يقول أحد إنها تورطت بأي شكل في سوء استخدام الموارد.

قضينا على الفساد الكبير في تلك المرحلة. وفي الوقت نفسه، كشفت النهب الذي حدث في وزارتي الدفاع والكهرباء، واهتمت به الصحف الأجنبية أكثر من الصحف العربية.

> ما هي برامجك للمرحلة المقبلة؟

- أنا باق في منزلي في العراق. أنا مهتم بالفن والثقافة والآثار في العراق. طرحت موضوع توحيد المناهج العراقية.

> على ماذا تندم؟

- انا نادم على ترك عائلتي أكثر من اللازم. واهتميت أكثر بالمسائل العامة. أنا نادم على هذا. كان عليّ أن أهتم بهذا الموضوع أكثر.

> ماذا حدث خلال الهجوم على منزلك؟

- في ٢٠ أيار مايو ٢٠٠٤، كنت نائماً في منزلي. جاءني أحد العمال وقال إن الشرطة العراقية والجيش الأميركي على الباب، فطلبت منه إدخالهم. وفوجئت بثلاثة ضباط شرطة يشهرون أسلحتهم وهم في حالة متوترة ويرتدون قمصاناً واقية. ثم التقيت قائدهم وكان ضابطاً برتبة عقيد كان يرتجف. سألته: ماذا تريد؟ فأجاب: معنا أمر بإلقاء القبض على ثمانية أشخاص، وأعطاني ورقة بالانكليزية. قرأتها فوجدت أسماء غير كاملة، فقلت له إن لا أحد من هؤلاء موجود هنا. كان قسم منهم من أعضاء المؤتمر الوطني، وآخرون من أصدقائي. رد قائلاً: سأسحب قواتي وأرحل. وعند الباب، اشتبك الحرس مع الشرطة. وكادت تحدث كارثة لأن الأميركيين أعدوا سرية كاملة كانت ستحرقنا. هدأ الحرس، وطلبت منهم الهدوء والانسحاب. وخرج الضابط، ثم عاد ومعه ١٠ عناصر. قيل لي إنه حين خرج، جاءه مترجم مع أميركيين بملابس مدنية، أهانوه، وقالوا له: كيف تخرج من دون أن تعتقل أحداً؟

حين عاد الضابط، قال: نريد اعتقال شخص يدعى كامران، فقلت له لا يوجد هنا سوى سائقي واسمه كامران، فقال سنأخذه. كان ردي أن

يدي في يد كامران وخذني معه إذا شئت، فخرج. وذهب الأميركيون إلى مكتبي في بناية اسمها"البيت الصيني"كانت تابعة للمخابرات السابقة. كسروا الصور والماكينات ونثروا الطعام. كانت فوضى حقيقية. وفي اليوم نفسه، عقدت مؤتمراً صحافياً وشرحت القضية ونقلت الأخبار إلى العالم كله، واتصلت بي محطات إخبارية أميركية. ووجهت الاتهام إلى رئيس وكالة الاستخبارات المركزية جورج تينيت، وقلت إنه وراء هذه العملية، رغم تسلمي رسالة عبر أحد الأصدقاء تشدد على ضرورة أن لا أهاجم الاستخبارات الأميركية. وعندما أُخرج تينيت بعد هذا الحادث بنحو عشرة أيام، قالت هيلاري كلينتون، وكانت عضو مجلس الشيوخ، إن أحمد الجلبي له علاقة بإخراج تينيت. وحين سُئلت، أجبت: أنا في النجف، فكيف أخرجه؟

> كم تبلغ المساعدات التي حصل عليها"المؤتمر الوطني العراقي"من"سي آي أي"؟ هناك كتب تقول إنها قدرت بنحو ٣٣ مليون دولار.

- هذا كله كذب."المؤتمر الوطني العراقي"بدأ يأخذ مساعدات من"سي آي أي"منذ عام ١٩٩٢، بعد مؤتمر صلاح الدين، لإدارة الأعمال في كردستان وأيضاً العلاقات الدولية. بدأت بمئة وثمانين ألف دولار شهرياً، وانتهت بثلاثمئة وعشرين ألف دولار شهرياً، أي بمعدل ربع مليون دولار شهرياً على مدى أربع سنوات.

> أي ١٢ مليون دولار تقريباً.

- نعم. وبعدها توقفت العلاقة بيننا في العام ١٩٩٦ وبقينا لمدة أربع سنوات نعمل من دون أي مساعدات. وأصبحت بعد ذلك مسألة معلنة عن طريق تخصيصات الكونغرس، فخصص للعراق في بند المساعدات الخارجية ٢٥ مليون دولار صرف معظمها على الإعلام وبرنامج جمع

المعلومات الذي كان هدفه الحصول على معلومات قابلة للنشر من العراق.

لم أكن مسؤولاً عن الأموال التي تلقاها "المؤتمر الوطني" بعد عام ٢٠٠٠. اشترطت وزارة الخارجية الأميركية إبعادي، وشُكلت قيادة جماعية من سبعة أشخاص كنت أحدهم. أنفق أكثر المساعدات على تلفزيون وجريدة ومكتب في لندن.

> هل تلقيتم مساعدات من وزارة الدفاع الأميركية؟

- في العام ٢٠٠٢، خافت وزارة الخارجية من تحمل المسؤولية، فأحيلت العملية على وزارة الدفاع بالشروط نفسها. كان برنامجاً مشتركاً بيننا.

> ممن تتألف عائلتك؟

- من زوجتي وبنتين وولدين قسم منهم يعيش في العراق. لكن كلهم زاروني هناك.

> هل كنت تتمنى تحقيق نتائج أفضل في الانتخابات؟ هل تشعر بخيبة؟

- لا. أنا أعرف مسألة الانتخابات في العراق. يجب أن تكون هناك ائتلافات، ولا يمكن أن يفوز أحد بالانتخابات بمفرده. رفضنا المشاركة في الائتلاف بالشكل الذي تم. أنا ساهمت مساهمة حقيقية في تأسيس الائتلاف الأول، وكنت أول من دعا إليه في أيار مايو ٢٠٠٤. كنا نريده أن يكون نواة. الآن يجري البحث في ائتلاف عراقي غير طائفي نساهم فيه.

> كيف كانت علاقتك بديك تشيني؟

- ودية. لكنها غير عميقة.

> لماذا كانت علاقتك بوزارة الدفاع الأميركية أفضل منها بوزارة الخارجية والاستخبارات؟

- الذين أصبحوا مسؤولين في وزارة الدفاع كانوا أصدقاء لنا. رغم انزعاج الاستخبارات منا، لم يؤثر هذا على وجودنا في أميركا. ومررنا قانون تحرير العراق رغم رفضهم له.

> ما علاقتك بفؤاد عجمي؟

- صديقي من زمان وأحترمه واحترم اراءه.

> وعدنان مكية؟

- صديقي من زمان أيضاً.

> هل لعبا دوراً في التحضير لاسقاط صدام؟

- لعبا دوراً فكرياً في هذا الموضوع لدى الإدارة وفي خلق رأي عام.

> هل يداك ملطختان بالدم؟

- أبداً. الحمد لله. على العكس، أنا خلصت كثيرين من القتل. ولم اتعرض لأي شخص. طوال فترة عملي في السياسة، كان أي شخص يؤذيني اطرده.

> لاحظت أن موقفك غير ودي تجاه الأخضر الإبراهيمي؟

- ليست قضية عدم ود. الإبراهيمي تفكيره السياسي يختلف تماماً عن منهج التغيير. لم يكن يعارض نظام صدام، وحاول إنقاذه في العام ١٩٩٨. كان شباط فبراير من هذا العام، من أحلك الأوقات بالنسبة

إلينا، لأن إدارة كلينتون قررت أن تتفاهم مع صدام. وساهم الأخضر الإبراهيمي في هذا عندما أخذ كوفي أنان إلى بغداد. مواقفه مختلفة تماماً عنا. كان يفضل بقاء صدام على سقوطه. قد ينتقده، لكنه يفضل بقاءه.

> وكوفي أنان؟

- قابلته مرتين. كان خائفاً من قضية النفط مقابل الغذاء التي اكتشفنا الفساد الكبير فيها. تحدثت عنها قبل عودتي إلى العراق. ساهمنا إلى حد كبير في تقرير فولكر الذي فتح النقاش في هذا الموضوع. كان ملف النفط مقابل الغذاء إحدى نقاط الخلاف مع بريمر في مجلس الحكم. لم يكن يريد أن نكشف هذا الوضع.

> من أكثر من استفاد من برنامج النفط مقابل الغذاء؟

- روسيا. هيئات روسية. وكثيرون في الهند التي أُقيل وزير خارجيتها أو استقال على خلفية الموضوع. كذلك، استفادت شخصيات عربية كثيرة، من بينها سياسيون في لبنان وأفراد عائلات حاكمة في الخليج ومصريون وأردنيون وسوريون ولبنانيون، وأحزاب سياسية في أوروبا الغربية.

عندما كشفنا هذه القضية اكتشفنا عمق المشكلة. خرجت القضية عن صحف عراقية وعالمية مثل"وول ستريت جورنال". وتم التركيز وقتها على شخصي، وقيل إنني أكره الأمم المتحدة وأريد أن اختلق لها مشكلة.

> هل كان ابن كوفي أنان بين المستفيدين؟

- نعم. كان اسمه موجوداً. مشكلة أنان هي مشكلة الأمم المتحدة. الأشخاص المسؤولون عن البرنامج كانوا يحصلون على رشاوى من صدام.

> يعني أنت سربت قضية النفط مقابل الغذاء؟

- طبعاً. أول تقرير كان في جريدة "المدى"، وأعطيته لبعض أعضاء اللجنة المالية وأنا أعرف أنه سينشر. تضايق بعض أعضاء مجلس الحكم بعد نشر الموضوع، فطلبوا تقرير وزارة النفط الذي سلم إلى رئيس مجلس الحكم. وطلب بعض أعضاء مجلس الحكم نسخة من التقرير، فقرأته. وعندما كشفت أسماء بعض العراقيين الذين انتخبوا في مجلس النواب تراجعوا.

عندما كشفت القضية، شكرني بريمر في البداية. لكن عندما اكتشفوا حجم المشكلة التي ستسببها لهم مع الأمم المتحدة، قرر عدم التعاون معي في كشف القضية. فنشرتها في صحف عالمية، وأثيرت ضجة كبيرة. وقال أنان إن الأمم المتحدة ستجري تحقيقاً داخلياً، فلم يكن ذلك كافياً. وطلبوا ذلك من بول فولكر رئيس الاحتياط الفيديرالي البنك المركزي في اميركا، فشعرت بارتياح. وخرج تقرير فولكر الذي كانت له صدقية كبيرة. هوجمت كثيراً، لكن ما قلت لم يختلف عما ذكره فولكر. لكن إلى الآن لم يتناول العراق هذا الموضوع في شكل جدي. في نيويورك، رفعت قضايا وفرضت غرامات على أشخاص ساهموا في المشروع، لكن في العراق، هناك مستفيدون من هذا الوضع الذي سبب أضراراً للشعب العراقي. وللأسف عاد بعض الشركات التي ساهمت في النفط مقابل الغذاء للعمل في العراق من دون أي تعويض للشعب العراقي.

> كيف هي علاقتك بنوري المالكي؟

- جيدة. هو صديق. وعملنا سوياً على اجتثاث البعث. كان نائب رئيس لجنة اجتثاث البعث قبل ان يصبح رئيساً للوزراء. علاقتي به جيدة جداً.

> من هو أكثر سياسي عراقي تكرهه؟

- لا أحد. لا أكره أحداً أبداً. كلهم أصدقائي.

> يعني إياد علاوي صديق لك؟

- طبعاً. صديق جداً.

> في أي سنة تزوجت؟

- ١٩٧٢.

> من زوّجك؟

- السيد موسى الصدر.

> كانت لك علاقة به؟

- علاقة قوية جداً.

> هل كان زواجك في بيروت؟

- عقدنا القران في صيدا. وقبل اليوم المقرر لحفل الزواج بـ٤٨ ساعة، اغتيل شقيق زوجتي المرحوم عبدالله عسيران، فألغي الحفل.

> هل يمكن القول انك رجل أعمال؟

- لا. ليست لدي أعمال. لا شركات ولا مؤسسات.

> كيف تعيش إذن؟

- لدي رأسمال. كتبوا في الصحف أن عندي شركة برامج كومبيوتر، لكنني بعتها. في الأردن أسسنا شركة لتكنولوجيا بطاقات الائتمان. كانت باسم زوجتي وبعناها بمبلغ كبير.

> ألا تهتم بالمال؟

- بالقدر الذي يغنيني عن الناس والحاجة. لكن ليس لدي اهتمام كبير بجمع الاموال. ماذا سأفعل بها؟الملبس والسيارة والسفر والبيوت، كل هذا موجود.

> أليست لديك طموحات مالية؟

- أبداً.

> لماذا إذن تركز الحملات عليك على تأسيسك شركات ومصارف وسحب أموال منها؟

- أنا أسست شركات في الأردن. وأحب إقامة مؤسسات حقيقية.

> لكنك أدنت بالاختلاس في الأردن؟

- أنا خرجت من الأردن وثروتي أقل مما كانت عليه حين دخلته.

> وفي هونغ كونغ؟

- رفعت شكوى إلى المحكمة لاسترداد أموال عائلتنا. كنا أسسنا شركة وأرادوا الحجز على أموالها. وربحنا الدعوى. هذه الدعوى الوحيدة التي أقيمت ضدي في الخارج ولها علاقة بالمال، وربحناها.

> ماذا تقول لجورج بوش إذا التقيته في حفلة مثلاً؟

- أقول له شكراً على إسقاط صدام، لكنني غير مرتاح مما فعلته بعد إسقاطه.

> هل ترى ان من المعقول أن ترتكب دولة كبرى هذه الأخطاء الفظيعة؟

- طبعاً. معقول جداً.

> إذا أردت أن تصف جورج بوش، فبماذا تصفه؟

- شخص غير كفؤ وقليل المعرفة.

>أدى خدمة كبيرة لإيران بإسقاط صدام؟

- إيران استفادت من إسقاط صدام. لم يقصد بوش أن يسدي لها خدمة، لكن كان واضحاً أن إيران ستستفيد من إسقاط صدام. أنا مقتنع أنه لم يكن ممكناً أن يتم إسقاط صدام من دون تفاهم ضمني بين أميركا وإيران.

> وحدث هذا؟

- طبعاً حدث.

> عبر من؟

- نحن عملنا عليه، وكذلك فعل المجلس الأعلى وجلال طالباني.

> ما هو دور طالباني في إسقاط صدام؟

- مهم جداً. وفرلنا قاعدة أساسية في أرض العراق في كردستان لننطلق منها للعمل ضد نظام صدام. وهذا شيء مهم.

> هل كان مسعود متردداً؟

- يكفي هذا.

> قيل إنك اجتمعت مع إسرائيليين قبل إسقاط صدام؟

- نعم. في أميركا. كانوا موجودين في مراكز الدراسات، واجتمعنا معهم. أساتذة وبعض الساسة الإسرائيليين. أجريت مقابلة مع جريدة إسرائيلية نُشرت على صفحة كاملة.

> يعني هذا أنه ليست لديك مشكلة في هذا الموضوع؟

- لا. تحدثنا معهم طبعاً.

٢٨ مارس/اذار ٢٠٠٩

(انتهى اللقاء مع احمد الجلبي)